

الدار المصرية للناليف والترجمة

أسرار التوحيد^٦

في مقامات الشيخ أبي سعيد

تأليف

محمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير

ترجمة : إسماعيل عبد الهادي قنديل
مراجعة : الدكتور يحيى الخشاب

تقديم

كتاب « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد »

تعريف بالكتاب :

كتاب « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد » واحد من الآثار القيمة في النثر الفارسي التي ألفت في القرن السادس الهجري . وهو كما يستفاد من اسمه ، في شرح أحوال ومقامات وأقوال الصوفي الشهير الشيخ أبي سعيد فضل الله ابن أبي الخير الميمني .

ويعتبر كتاب « أسرار التوحيد » أول كتاب مفصل ألف باللغة الفارسية في شرح حال واحد من شيوخ الصوفية الكبار ، وأقدم مؤلف من هذا النوع أبقت عليه الأيام فوصل إلينا .

مؤلفه :

ومؤلف هذا الكتاب هو واحد من أحفاد الشيخ أبي سعيد يدعى محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير والذي يتصل نسبه بالشيخ أبي سعيد بثلاثة أجداد .

ولا يعرف شيء عن أحوال هذا المؤلف إلا ما ذكره عن نفسه في بعض مواضع من كتابه .

ويستخلص مما كتبه عن نفسه انه كان مثل جده من أهل ميهنه ، وانه كان في سنة ٥٥١ هـ ، وهي السنة التي تخلص فيها السلطان سنجر السلجوقي من أسر الغز شخصاً محترماً وصاحب مكانة تجعله جديراً بالمثل بين يدي السلطان .

كما يستفاد مما كتبه في مقدمة كتابه أنه كان يهوى منذ طفولته جمع حكم جده .
الشيخ أبي سعيد وأقواله ، وأنه قصر همته منذ بداية شبابه على استقصاء أخبار
الشيخ من أبنائه وأحفاده والشيوخ الآخرين ، وأخذ يتحقق من السجلات والتقاليد
التي ورثها عائلته أبا عن جد ، ويجهد في تصحيح أسانيدھا باذلاً في ذلك أقصى
ما يمكنه من جهد .

ويحدثنا ابن المنور عن السبب الذي حدا به إلى تأليف هذا الكتاب فيقول .
انه بعد الفترة العصبية التي اكتسحت فيها قبيلة الغز التركمانية حدود خراسان ،
وأعلنت النار والسلاح في هذه المقاطعة ، وارتكبت المذابح ضد السكان في كل
مكان بحيث قتل في ميهنة وحدها خمسة عشر ومائة شخص من أبناء الشيخ وأحفاده ،
علاوة على الكثير من المريدين الصادقين وكبار رجال الدين وشیوخ الصوفية ،
حتى لقد تم القضاء تماماً على الدين وتوقف البحث عن الحقيقة ، وقنع المسلمون من
الإسلام بالإسم ، ومن الصوفية بالشكل ، قد وفقته العناية الإلهية للاستجابة لمطلب
بعض المريدين في أن يكتب تاريخ التجارب الروحية والحكم التي قالها الشيخ
أبوسعيد لتشجيع الراغبين في سلوك الطريق ، ولتكون نجماً هادياً ومرشداً لتلك
الطريقة ، فأقدم على تأليف هذا الكتاب معتمداً على كل المعلومات التي تسنى له
أن يجمعها .

وقد أهدى المؤلف كتابه إلى ملك الغور « غياث الدين أبي الفتح محمد بن
سام » (٥٥٨ - ٥٥٩ هـ) ، كما يتضح من مقدمة الكتاب .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يعين المؤلف تاريخ تأليف الكتاب في مقدمته ، كما لم يشر إلى ذلك صراحة في أى موضع من كتابه .

غير أن المستشرق الروسى « زوكوفسكى » الذى قام بنشر هذا الكتاب ، حدد تاريخا لتأليفه على وجه التقريب معتمداً فى ذلك على بعض ماورد فيه ، فقد ذكر ابن المنور فى موضع من كتابه أنه حظى بمقابلة السلطان سنجر السلجوقى (٥١١ - ٥٥٢ هـ) فى مرو بعد أن تخلص من أسر الغز ، وهو يروى قصة هذا اللقاء مشيراً إلى السلطان باعتباره متوفياً إذ يقول :

فى ذلك الوقت الذى تخلص فيه السلطان السعيد سنجر بن ملكشاه برّء الله مضجعه ، من يد الغز ، وجاء إلى العاصمة مرو .

واستناداً إلى هذه العبارة ، وإلى ما ورد فى مقدمة الكتاب من أن المؤلف أهدى كتابه إلى الملك غياث الدين محمد بن سام ، حدد زوكوفسكى تاريخا لتأليف الكتاب هو الفترة ما بين « سنة ٥٥٢ هـ وسنة ٥٥٩ هـ » . وأول التاريخين هو تاريخ وفاة السلطان سنجر ، وثانيهما تاريخ وفاة الملك غياث الدين .

وقد تابع الكثيرون زوكوفسكى فى تحديد هذه الفترة لتأليف أسرار التوحيد وخالفه بعض المتأخرين فحدّدوا تاريخ تأليف الكتاب بالفترة ما بين سنة ٥٧٠ ، ٥٨٠ هـ ، كما ذكر بعضهم تاريخاً سابقاً على هذه الفترة وهو سنة ٥٦٠ هـ ، وذكر آخرون تاريخاً تالياً لهذه الفترة هو سنة ٥٧٤ هـ .

وقد عثرت أثناء ترجمة كتاب « أسرار التوحيد » على عبارة وردت فيه يمكن الاستناد إليها أن ترجع التاريخ الأخير .

وقد وردت هذه العبارة على لسان ابن المنور عندما أخذ يعقب على بعض مآذكره الشيخ أبوسعيد عند وفاته من أن نفحات ولايته ستظل بين الناس مائة عام بعد وفاته تكون خلالها عوناً لهم وتدرأ عنهم البلايا والمحن وبعد هذه الفترة يندثر كل شيء فلا يبقى منه الرائحة ولا الأثر ، فقال :

« وقد حدث هذا في الوقت الذي تمت فيه المائة عام بحيث لم يبق في الشهر التالي شيء من هذا كله ، ولم يبق على قبره إلا نفر قليل من أبنائه ومريديه ، واستشهد الباقي جميعهم على يد الغز ، واغترب بعضهم في أنحاء الدنيا ، وانتقلوا جميعاً إلى رحمة الله في غربتهم ، وقد مضت الآن أربعة وثلاثون عاماً لم يظهر خلالها على قبره المقدس أي ترتيب » .

ونحن إذا استرجعنا في أذهاننا تاريخ وفاة الشيخ أبي سعيد وهو عام ٤٤٠ هـ . وراعينا المائة عام التي أشار الشيخ إلى أن نفحات ولايته ستبقى خلالها ، وأضفنا إلى ذلك الأربعة والثلاثين عاماً التي ذكر ابن المنور — كما يبدو من عبارته — أنها مرت عندما كان يؤلف كتابه أمكننا أن نرجح أن كتاب أسرار التوحيد ألف حوالي عام ٥٧٤ هـ .

مصادر الكتاب :

المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ثلاثة :

(١) المصدر الأول :

نص لمؤلف عن أبي سعيد ، لا يعرف اسمه ، كتبه حفيد آخر من أحفاد الشيخ أبي سعيد قبل تأليف أسرار التوحيد . وقد قرر ابن المنور في مقدمة كتابه . أنه أفاد من هذا المؤلف كما ذكر اسم مؤلفه .

وبناء على الأوصاف التي وردت في كتاب أسرار التوحيد استطاع زوكوفسكى أن يلحظ الشبه الكبير بين هذا المؤلف الذى أشار إليه ابن المنور ، وبين مخطوطة وحيدة في المتحف البريطانى ، مجهولة الاسم والمؤلف ؛ أشار إليها ريو فى فهرست المخطوطات الفارسية ص ٣٤٢ .

وبمقارنة ما ذكره ابن المنور عن مضمون الكتاب الذى اعتمد عليه ، بمضمون المخطوطة ، وأقوال مؤلفها التى ذكرها فى بداية الفصل الأول ليشرح منهجه العام فى كتابه ، أمكن لزوكوفسكى أن يستنتج أن نص ما ورد فى هذه المخطوطة هو نفسه نص الكتاب الذى أشار ابن المنور إلى أنه أفاد منه .

غير أن زوكوفسكى لم يعثر على الاسم الحقيقى لهذا النص لأن مؤلفه لم يشر إلى ذلك ؛ كما أن ابن المنور لم يذكر ذلك الاسم فى كتابه أيضا .

وعلى هذا وضع زوكوفسكى لهذا المؤلف اسما ينطبق على موضوعه فنشره تحت عنوان « حالات وسخنان شيخ أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى » .

وقد اعتمد مؤلف أسرار التوحيد على هذا الكتاب اعتمادا كبيرا . ونقل عنه كثيرا حتى أنه ليكون سدس المادة التى عرضها فى كتابه ، وإن كان لا يشير إلى ذلك فى المواضع التى ينقل عنه فيها . كما أنه لم ينقله بأكمله . ولعل السبب فى ذلك أنه لا يحوى المعلومات الثابتة التى يجزم بصحتها جميعها .

المصدر الثانى :

المصدر الثانى الذى اعتمد عليه مؤلف أسرار التوحيد ، هو مجموعة من الروايات الشفوية التى جمعها المؤلف ؛ والتى تأكد من صحتها . وهو يمنح السند أكبر عناية فى كل قصة . ولكى يزود الملل عن القارىء يذكر سلسلة الرواة

بالطويلة يكتفى بذكر الحلقة الأولى فقط فيذكر شخصاً واحداً هو الأقرب إلى زمن
أبي سعيد أو يكون معاصراً له . وفي هؤلاء الأشخاص نصادف أقرباء الشيخ
وتلاميذه وخدامه وقراءه والشيوخ .

ويقول المؤلف أنه لا يذكر من هذه الروايات إلا التي يعتقد اعتقاداً جازماً
بما جاء فيها ، أما التي يشك فيها فإنه يستبعد لها لأنه لا يجد وجهاً لقبولها .

المصدر الثالث :

المصدر الثالث الذي اعتمد عليه ابن المنور هو بعض الكتابات التي يصدقها
ويثق في صحتها ، فقد ذكر في كتابه خمس مرات عبارة : رأيت مكتوباً
بخط (فلان) .

أقسام الكتاب :

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول :

في بداية حياة الشيخ أبي سعيد .

ويشتمل على ذكر بعض أحوال الشيخ في طفولته وشبابه ، ونوع العلوم
التي حصلها ، والرياضات التي قام بها ، وذكر أساتذته وشيوخه ، وتاريخ حياته
حتى بلوغه سن الأربعين .

الباب الثاني :

في أواسط حياة الشيخ ، وهو على ثلاثة فصول : -

الفصل الأول : في الحكايات المشهورة عن كرامات الشيخ والتي ثبت

للمؤلف صدقها :

ويبلغ عدد حكايات هذا الفصل مائة وعشر حكاية . ولكن نوع الكرامات فيها واحد . فهي تحكي - باستثناء عدد قليل منها - اطلاع أبي سعيد وإشرافه على الخواطر ، وسيطرته على أفكار الآخرين .

الفصل الثاني : في الحكايات المتضمنة للفوائد ، وبعض ما نقله عن المشايخ من الحكايات والأقوال .

وهذا الفصل قسمان .

الأول : يشتمل على حكايات عن الشيخ ويبلغ عددها ثمانين حكاية .

والثاني : في أقوال الشيخ وبعض الحكايات والفوائد التي ذكرت . تتفرقة على لسانه .

الفصل الثالث : في بعض فوائد أنفاس الشيخ ، وبعض الرسائل والأشعار التي جرت على لسانه بالقدر الذي تحقق للمؤلف صدقه .

الباب الثالث : في انتهاء حياة الشيخ ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في وصاياه عند وفاته .

الفصل الثاني : في وفاته وكيفيتها .

الفصل الثالث : في كراماته التي جرى بعضها على لسانه أثناء حياته وظهرت بعد وفاته ، وبعض ما أشار إليه ورآه الناس بعد وفاته على سبيل الكرامة .

أسلوب الكتاب :

النثر الفارسي حافل بالكثير من الآثار القيمة التي تخلفت فيه على مر العصور . ولعل أشهر الكتاب الذين أنشأوا روائع النثر الفارسي جماعة من الأدباء والكتاب

الذين عاشوا في الفترة ما بين القرن الرابع والقرن السابع الهجري ، فهذه القرون .
تعتبر أزهى عصور النهضة العلمية والأدبية في إيران .

وكتاب أسرار التوحيد واحد من الكتب التي ألقت في هذه الفترة وقد
كتب بالثر البسيط السلس الخالي من كل نوع من التكلف اللفظي والجامع لشروط
البلاغة والفصاحة .

وقد أدرك مؤلف الكتاب الذي يدل مؤلفه على حسن ذوقه ومهارته .
الكاملة في فنون الأدب ، أن الوضوح والصدق وأستقامة المعنى من أكبر شروط
البلاغة فرجح جانب المعنى على جانب اللفظ ، واستعمل المفردات البسيطة السهلة .
الفهم في تركيب الجمل ، وانتخب دائماً من الالفاظ ما هو أكثر مطابقة للمعنى .
وأقوى دلالة عليه .

وقد التزم مؤلف أسرار التوحيد قواعد النحو الفارسي بدقة كاملة ، وحرص
على توضيح معنى ما يقول فكان يتحرز دائماً من التقديم والتأخير ، والحذف
والزيادة . كما كان يتجنب العبارات والكلمات المتنافرة ، ويتجنب التكرار
الملل . وكان أيضاً يلجأ إلى الإيجاز إذا اقتضى الأمر ذلك .

وبالنسبة لرواية القصص نجد مؤلف أسرار التوحيد يختلف عن أولئك
الكتاب الذين يركزون اهتمامهم على سرد الوقائع وذكر الأحوال ، فهو يهتم
بوصف جزئيات كل واقعة ، ويشرح كل حال ملتزماً في ذلك الدقة الشديدة .

كذلك كان المؤلف دقيقاً في إثبات بعض الحقائق والأحكام وشرح
الآداب والرسوم ومصطلحات الصوفية والشروط المناسبة لكل حال ومقام وترجمة
العبارات العربية وتفسيرها .

على أننا نلاحظ ظاهرة الاستطراد التي كانت تبدو طبيعية في كتابات ذلك العصر سواء العربية منها أو الفارسية ، فهذه الظاهرة تتضح في بعض المواضع من الكتاب لاسيما في الباب الأول الذي يكتب فيه المؤلف تاريخ حياة أبي سعيد حتى بلوغه سن الأربعين - فهو عندما تعترضه شخصية أو مدينة أو ذكر مذهب يترك الموضوع الأصلي أو الحكاية التي كان يرويها ويتحدث عن هذه الشخصية أو المدينة ، أو يعقد فصلا في شرح هذا المذهب ثم يعود إلى تكملة الموضوع الذي كان يتحدث فيه أو القصة التي كان يرويها ، وفي بعض المواضع يمتد هذا الاستطراد لبضعة أسطر ولكنه في مواضع أخرى يستغرق صفحات .

قيمة الكتاب :

كتاب أسرار التوحيد من أقدم وأوسع المصادر الصوفية ، فهو يعتبر أول مثل بالفارسية لمؤلف قائم بذاته موضوعه حياة أحد الصوفية . وقد أعطيت فيه صورة لأبي سعيد وسط دائرة الصوفية والدرأويش الذين عاش معهم في تفاصيل واسعة . وهو من هذه الناحية يعتبر من أوضح الكتب التي صورت لنا حياة الدراويش في القرن الخامس الهجري .

والكتاب يشتمل على معلومات قيمة عن رسوم وعادات واجتماعات وتشكيلات الصوفية ، والكثير من المفاهيم الحقيقية لبعض مصطلحات هذه الفئة مثل الخلوة والزاوية والرياضة والمراقبة والسماع والرقص والخرقة والمرقع والوجد والحال والقبض والبسط . كما يمدنا بوصف شامل لأنواع لرياضات والمجاهدات وآداب السلوك ومقاماته . والشروط التي ينبغي توفرها في الشيخ والمريد . وطريقة تأديب الشيخ لمريديه ، ونوع العلاقة بينهما . ونظام الحياة في الخانقاهات .

ويضم الكتاب إلى جانب هذا كثيرا من التعريفات والأقوال الصوفية التي أثرت عن أبي سعيد وعن الكثير من أعلام الصوفية الذين سبقوه .

ولا يخالو الكتاب أيضا من الفائدة في الناحية التاريخية والاجتماعية ففيه ذكر لبعض الوقائع التاريخية والأوضاع الاجتماعية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فضلا عن الكثير من أخبار شيوخ الصوفية وكبار رجال الدين والأئمة المعاصرين لأبي سعيد .

ويعتبر كتاب أسرار التوحيد من المصادر الأصلية التي اعتمد عليها فريد الدين العطار . ويقول زوكوفسكى أنه ينقل عنه كثيرا في تذكرته دون أن يشير إلى ذلك ، وقد استفاد منه إلى أبعد حد ، كما تأثر به في سرد القصص المنفصلة في كثير من الأحيان .

ولقد أفاد جامى أيضا من أسرار التوحيد على نطاق واسع ، وكان أساسه الذى اعتمد عليه ، لافى كتابته عن أبي سعيد فحسب ، وإنما في كتابته عن كثير من الشيوخ الآخرين .

وقد طبع كتاب أسرار التوحيد ثلاث مرات :

الطبعة الأولى : قام بها المستشرق الروسى « زوكوفسكى » عندما نشر هذا الكتاب لأول مرة فطبعه فى بطرسبرج عام ١٨٩٩ م ١٣١٧ هـ .

الطبعة الثانية : قام بها « بهمنيار » فطبع أسرار التوحيد فى طهران عام ١٣١٣ هـ . ش .

الطبعة الثالثة : وهى الطبعة التى اعتمدنا عليها فى ترجمة هذا الكتاب وقام بها

« ذبيح الله صفا » ، فطبع أسرار التوحيد في طهران عام ١٣٣٢ هـ . ش .

وقد اعتمد ذبيح الله في طبعته على مخطوطة مكتبة استانبول يرجع تاريخ تدوينها إلى سنة ٧٠٠ هـ ، ويظن ذبيح الله صفا أن هذه المخطوطة أو المخطوطة التي نسخت عنها هي المتن الأصلي لأسرار التوحيد .

* * *

أما عن أبي سعيد فهو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهمي ، شاعر فارسي وشيخ من شيوخ الصوفية ، عاش في إيران في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس ، فقد كان مولده في مدينة ميهنه من أعمال خاوران بإقليم خراسان في أول محرم لعام سبع وخمسين وثلاثمائة بعد الهجرة .

وقد تلقى أبو سعيد علومه الأولى في ميهنه فقرأ القرآن وتعلم النحو والصرف ، ثم انتقل إلى مدينة مرو لدراسة الفقه فقرأ على أبي عبد الله الحضري خمس سنوات ، وبعد وفاته تحول إلى أبي بكر القفال فقرأ عليه خمس سنوات أخرى .

وبعد ذلك توجه أبو سعيد إلى مدينة سرخس لدراسة علوم الدين على أبي علي زاهر بن أحمد فكان يقرأ عليه التفسير في الفجر وعلم الأصول في الظهر وأخبار الرسول في العصر .

وفي سرخس التقى أبو سعيد يوما بدرويش مجذوب يدعى لقمان فقدمه إلى أبي الفضل حسن من شيوخ الصوفية في هذه المدينة ، وكان هذا اللقاء بين

أبي سعيد وأبي الفضل نقطة التحول في حياة أبي سعيد إذ ترك بعده دراسة علوم الدين وأعتنق الصوفية وأخذ أبا الفضل مرشداً له .

وأمره أبو الفضل بالعودة إلى ميهنه والبحث عن مكان يختلئ به ويعرض فيه عن نفسه وعن الناس ، فرجع أبو سعيد إلى بلده واختار زاوية داره مكاناً لا عتكافه ، وأمضى بها سبع سنوات قضاهما في التأمل . ثم رجع إلى سرخس حيث مارس الرياضة عاماً آخر تحت إشراف أبي الفضل . وفي نهاية هذا العام أكد له أبو الفضل أن كل شيء قد انتهى وأمره بالعودة إلى ميهنه ودعوة الناس .

وعاد أبو سعيد إلى ميهنه ولكنه بدلاً من أن يرضى نفسه بما أكد له شيخه زاد من رياضاته . وفي هذا الوقت توفي والداه فأتجه إلى صحراء خاوران وأمضى بها فترة أخرى من الرياضة امتدت لسبع سنوات قضاهما متجولاً في هذه الصحراء . ولم يكن يرى خلال هذه الفترة إلا نادراً ويظن أنه كان يقات بنباتات الصحراء .

وظل أبو سعيد على اتصال بأبي الفضل حسن في بداية هذه الفترة وبعد وفاة أبي الفضل اتصل أبو سعيد بأبي عبد الرحمن السلمي في نيسابور ونال على يديه الخرق الأولى .

وفي نهاية هذه الفترة اتصل أبو سعيد بأبي العباس القصاب في آمل ونال على يديه الخرق الثانية .

ورجع أبو سعيد من آمل إلى ميهنه وجاءت عودته مع الحدث الكبير في حياته وهو بلوغه مرحلة الكشف الكامل . ويبدو أن السلوك الطويل للطريق قاده في النهاية إلى الكشف الكامل المستمر فانتشع عنه الحجاب الذي كان حتى ذلك الوقت يرتفع ليعود مرة أخرى وكانت سنة عندئذ أربعين عاماً .

وفي ميهنه بدأ أبو سعيد يمارس نشاطه كولى من أولياء الله وشيخ يشرف على
تربية المريدين ، وكانت الخطوة الأولى هى أن حول منزله إلى خانقاه للدراویش
فتجتمع حوله المريدون وذاعت شهرته فى المناطق المجاورة .

ثم رأى أبو سعيد أن ينقل نشاطه إلى ميدان أوسع فانتقل إلى نيسابور واخذ
يعقد المجالس بها ويقوم بوعظ الناس وارشادهم .

ولم يكن أبو سعيد يقتصر فى مجالسه على تفسير القرآن والأحاديث بل كان
يتعدى ذلك إلى قول الشعر وإقامة حلقات الرقص والسماع الأمر الذى أثار عليه
أئمة نيسابور ورؤساء الفرق الدينية فشكوه إلى السلطان فى غزته . ورد السلطان على
هذه الشكوى بأن يعقدوا مجلسا من أئمة المذاهبين الشافعى والحنفى وأن يطبقوا عليه
ماتقتضيه الشريعة . غير أن أبا سعيد استطاع أن يواجه أعداءه ، وأن يجبرهم على
عدم التعرض له .

وظل أبو سعيد فى نيسابور فترة طويلة سلك خلالها مسلكا لفت إليه النظر
ونسبت إليه كثير من الكرامات .

ثم عاد أبو سعيد من نيسابور إلى ميهنه للمرة الأخيرة وظل بها إلى أن توفى فى
الرابع من شعبان لعام أربعين وأربعمائة بعد الهجرة بالغا من العمر ثلاثة وثمانين عاما
وأربعة أشهر فمن المعروف أنه عمّر ألف شهر .

* * *

ولقد كان من أهم الموضوعات التى أثير حولها الجدل بالنسبة لأبى سعيد
موضوع صحة نسبة الرباعيات إليه . وقد اختلف الدارسون لأبى سعيد بشأن هذه
المسألة فاعتمد بعض المستشرقين على حكاية وردت فى كتاب « أسرار التوحيد »

ذكر المؤلف فيها أن أبا سعيد كان مستغرقاً في الله بحيث لم تكن لديه القدرة على قول الشعر باستثناء بيت من الشعر ورباعية واحدة ، وقالوا أن أبا سعيد لم ينظم شعراً قط ، بينما أكد البعض الآخر أنه كان شاعراً ، بل ووصفه البعض بأنه أول من أبدع الشعر الصوفي من شعراء إيران . ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن أبا سعيد كان يقول الشعر وخصوصاً من لون الرباعي ، وأن كان هذا لا يتنافى مع ما ذكرته بعض المصادر من أن الأشعار التي كان يقولها في بعض المجالس والمناسبات ، والتي كان القوالون ينشدونها بين يديه في السماع لم تكن كلها من نظمه . وإنما كانت أيضاً من نظم بعض شيوخه . وقد نص أبو سعيد بنفسه على هذا في كثير من الأحيان كما يتضح من بعض المواضع في كتاب « أسرار التوحيد » .

أما بالنسبة لمذهب أبي سعيد فقد كان من أوائل المروجين لوحدة الوجود . ورغم أن مذهبه الذي يقوم على الفناء ووحدة الوجود لم يكن جديداً ، فقد سبقه إليه الصوفي الفارسي بايزيد البسطامي ومعاصره أبو الحسن الخرقاني ، إلا أن عبقريته شكته في صورة جديدة .

ويعتبر أبو سعيد من ناحية التطور التاريخي للصوفية مشرعاً مبرزاً فقد حدد معالم الطريق ووضع الشروط التي ينبغي توفرها في الشيخ والمريد ، كما شرع القواعد والرسوم لحياة أهل الخانقاه حتى أنه ليعد بحق المؤسس الأول لنظام الخانقاهات في الإسلام .

وأبو سعيد من أوائل شيوخ الصوفية في إيران الذين صاغوا عقائدهم وآراءهم نظماً بالفارسية وفي هذا الصدد يجدر اعتباره رائداً للصوفية إيران الكبار « سنائي » « والطار » و « جلال الدين الرومي » .

ورغم أنه لم تنسب إلى أبي سعيد طريقة خاصة ، ولم يخلفه في طريقته أتباع ، إلا أنه أرسى أساس طريقة في التصوف تختلف عن الطرق الأخرى ، فلقد خالف أبو سعيد كثيرا من الصوفية الذين سبقوه في معالجته لبعض الأمور التي تتعلق بالتصوف ، وكان يميل دائما إلى الترخيف من صرامة النظم ، ويترك تلاميذه يعيشون في مجبوحة وحرية .

إسماعيل عبد الرزاق فخريل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى نور قلوب أوليائه بلطائف أنواره ، وجعل سراير أحبائه
«بواطنهم كنوز أسرارهم ، وكشف عن عقول أصفياؤه حجب الطغيان وأستارهم ،
«والصلاة والسلام على محمد عبده ونبيه وخيرته من أخياره ، وعلى آله وأصحابه
«وأعدائه وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً .

الشكر والثناء بلا حد ، والحمد بلا نهاية ، والمدح بلا غاية ؛ الخالق الكائنات
«وصانع المخلوقات تعالى وتقدس صفاته ؛ الخالق الذى خلق العالم من غير
«ما غرض ولا علة ولا طلب فائدة ولا خير ؛ بل بمحض كرمه ، وكمال عنايته ، ولطفه ،
«وإظهاراً لقدرته غير المتناهية ، وخصه بأنواع الغرائب والبدائع ؛ من جعلها أنه خلق
«آدم الصفى والد البشر ، وموئل أهل العالم ؛ من حفنة من تراب ، وترك قلبه الذى
«صنعه من حجر مسنون بين مكة والطائف أعواماً طويلة ؛ حتى إذا ما تحقق له
«استعداد الروح وأستكمال النفس الإنسانية من عالم المشيئة ؛ زين قلبه بحمية « ونفخت
«فيه من روحى » ، وأطلق عليه اسم الإنسان . ولما كانت كلمة إنسان وأنس ومؤانسة
«كلمات مركبة من حروف متناسبة ؛ اقتضت الحكمة البالغة أن يحتاج إلى مؤنس
«لكى يدفع عنه وحشة الوحدة بمؤانسة ذلك المؤنس فخلق حواء أم البشر من
«ضلعه الأيسر على وجه الإبداع وسبيل الاختراع . (ص ٤) ، وجعل الشهوة وهى
«من عوارض النفس الحيوانية فى طويتهم ؛ حتى استحكمت بينهما صلة التوالد والتناسل
«بذلك ؛ فظهر وانتشر فى أرجاء الأرض وعلى ظهر البسيطة ؛ آلاف وآلاف من
«الآدميين . وقد جرت على كل صنف منهم صفات خاصة ، واتسمت كل طائفة

بسمات مميزة وجعل لكل قوم لساناً و لغة مباينة للأخرى ، ترجع كلها إلى أصل واحد وان كثرت فروعها وشعبها . حتى رحبت أرجاء الأرض وأقل ظهرها من العالمين من لا يحصون كثرة ليتهاياً بذلك دليل قاطع وبرهان ناصع على كمال قدرة الخالق .

وفي كل شيء له آية . . . تدل على أنه واحد

واعتبر الأنبياء والرسل خيرة أبناء آدم الصفي . ولما كانت تلك الطائفة هي الوسطة بين المعبود والعباد وبين الخالق والمخلوقات فقد جعل نفوسهم في كمال التجرد وعلى درجة كبيرة من الترفع حتى يكونوا مثل الخلق من حيث الصورة ومثل الحق جل جلاله من حيث الصفات فيقتبسون ما هو من حقيقة الحق وينظرون بخاصية نور النبوة ، ويعملون من واجبههم إرشاد الناس وهدايتهم بذلك النور ، يأخذون أنفسهم بنهيهم عن الغي والضلال حتى يوصلوهم من غمرات الجهل وتيه الخيرة إلى ساحل النجاة وشاطئ الرشد، ويتحولوا من درجة الحيوانية إلى حد النطق والصفات الإنسانية ، وجعل بعد طبقة الأنبياء الأولياء أصحاب الكرامات وأرباب المناجاة والمقامات ، وهم من حيث المعنى قرييون من الرسل والأنبياء . والفرق بين تلك الطائفة وطبقة الأنبياء ليس أكثر من أن النبي يستطيع في حال واحد أن يكون شبيهاً بالحق من حيث الصفة وشبيهاً بالخلق من حيث الصورة . أما الولي فيكون انشغاله بالحق مانعاً له عن الانشغال بالخلق . ومن ناحية أخرى أن النبي مأمور بالدعوة والإرشاد أما الولي فهو معافى من ذلك كله وهو إنما يفعل له كمال كرمه وتناهى حكمته ، لأنه يتعذر في كل عصر وجيل بعث الأنبياء وحمة الرسالات ، ولكن وجود أصحاب الكرامات وأرباب المقامات يمكن أن يكون ميسوراً في كل وقت حتى إذا ما وقف الخلق على أحوالهم وأقوالهم

وحركاتهم وسكناتهم اتجهوا من عالم الصورة إلى عالم المعنى (ص ٥) فيعرفون .
أنه يوجد خارج هذا العالم المبين للصورة والذي لا معنى له عالم آخر خلق الإنسان
من أجله حتى يهيء لنفسه في هذه الدنيا زاد الآخرة ويتهيأ له استعداد الاتصال
به . وإذا لم يستطع أن يسمو إلى درجة الملائكة فإنه يرتفع عن طبقة البهائم
والحيوانات . وبعد المزيد من الحمد والشكر للمعبود عزت كبرياؤه لتنبثق من
أعماق الروح ولتجر على عذبة اللسان الكثير الجم من الصلوات والتحيات
والسلام والثناء على الروح المقدسة والتربة المطهرة والروضة المعطرة اسيد الأنبياء .
وقدوة الأصفياء على أن لا تنقطع تلك الصلوات والتحيات حتى تسكن نجوم السماء
عن دورانها وأوتاد الأرض عن حركاتها . وبعد السلام على سيد العالم عليه السلام
لتصل وتتصل على مرور الأيام وتعاقب الشهور والأعوام؛ آلاف التحيات والمدح
والثناء على الأرواح الطاهرة للصحابة الطيبين وأهل بيت النبي الذين كانوا نجوم
سماهداية وشموع جماعة الرشد والعناية آمين يارب العالمين ، يقول مؤلف هذا
الكتاب العبد المذنب محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر بن الشيخ
الكبير سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني .
قدس الله روحه العزيز ونور مضاجعهم إنه قد قصر قصر همته منذ بداية الطفولة
وعنفوان الشباب على طلب فوائد الأنفاس الميمونة وآثار ومقامات جده سلطان
الطريقة وبرهان الحقيقة أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني قدس الله روحه
العزيز . وكان يتنسم الأخبار من المشايخ أبناءه وحفدته ومن الأكابر نور الله
مضاجعهم . وقد بذل غاية وسعه في تصحيح أسانيد تلك الأخبار . ولما كان ذلك
العهد عهد دولة الدين ، وكان ذلك العصر عصر ازدهار الطريقة والشريعة ، وزينة
العالم بوجود الأئمة الكبار الذين كانوا شمس سماء الدين ونجوم فلك اليقين .

وكانت الأرض مزدانة بالمشايخ العظام الذين كانوا أوتاداً لأرض الطريقة وأقطاباً لعالم الحقيقة ومريدين (ص ٦) صادقين ومحبين مشفقين قصرُوا همّهم على طلب الشريعة ووقفوا قوتهم على السير في الطريقة فإن الجميع ، لبركة ويمن عصرهم ولكي يكون لهم دليل ومعين في سلوك نهج الحقيقة ، يتذرعون به إلى تلمس الطريق لحضرة الحق ويغرقون بين الخواطر النفسانية والإلهامات الروحانية بهدى منه ، كانوا يذكرون كثيراً أحوال ومقامات شيخنا وفوائد أنفاسه وآثاره قدس الله روحه العزيز ويقضون أيامهم في تذاكر ذلك ، ولهذا السبب لم تتحرك همّة مشايخنا نور الله مضاجعهم إلى جمعه . ولما كانت جميع الخواطر مستنيرة بتلك القوائد ، وجميع الأسماع مشنفة بسماعها وجميع الألسنة معطرة بذكرها ، لم تكن جماعة النبيئين في حاجة إلى إجمال هذا ولا تفصيله لأن تلك المقامات والمقالات كانت معروفة بين الخاص والعام وكانوا في غنى عن جمعها . وظل الأمر كذلك حتى ظهر الغز وهاجت فتنهم في خراسان ووقع ما وقع في خراسان على وجه العموم ورأينا ما رأينا وقاسينا ما قاسينا في ميهنة على وجه الخصوص . والحق أن بلاداً من بلاد خراسان لم يبتل بمثل ما ابتليت به ميهنة وأهلها من الحن والمشقة ، ومصدق ذلك الخبر الذي يقول « أشدّ البلايا للأنياء ثم للأولياء ثم للأمثال فالأمثال » قد تحقق لنا ولأهل خراسان جميعاً وشوهد عياناً بياناً فيما ابتليت به ميهنة ، وإذا أجمنا القول قلنا إنه هلك في ميهنة وحدها بأنواع التعذيب من نار وتراب وغير ذلك مائة وخمسة عشر من أبناء الشيخ أبي سعيد الصغار والكبار واستشهدوا بحد السيف ، كما استشهد آخرون خارج المدن بسبب القحط والوباء الذي تخلف عن هذه الحادثة رحمة الله عليهم أجمعين . وينبغي أن نقيس على هذه الحال المريدين الصادقين والمحبين العاشقين وعظماء الدين وشيوخ الطريقة الذين احتجبوا بنقاب التراب فظهر قحط في الإسلام وانمحت عزته ، وفسد أمر الدين

واختل اختلالاً عظيماً ، (ص ٧) وحل زمن انقراض أئمة الدين وانقطاع مشايخ الطريقة وأنجز الله سبحانه وتعالى وعده « أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » ، وظهر البرهان القاطع على حقيقة القول المأثور « ان الله تعالى لا ينتزع العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلم بقبض العلماء » وتوقف الطلب وفسدت العقائد فساداً تاماً ، وقنع أكثر أهل الإسلام من الإسلام بالاسم ومن الطريقة والحقيقة بالرسم المجرد . ومن ثم بدت فى دخيلة هذا المسكين جذبة من جذبات الفضل الربانى دفعته للاستجابة لمطالب بعض المريدين فى أن يكتب كتاباً فى مقامات وأحوال وآثار جده سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير قدس الله روحه العزيز لتتوفر رغبات الراغبين فى دخول الطريق وليسكون مرشداً وقدوة للسالكين فى سلوك طريق الحقيقة كما جاء فى قوله تعالى « إنا على آثارهم مهتدون » وعلى نحو ما قال فى موضع آخر فى ذكر جماعة الأصفياء الذين خصهم بنظر عنايته الإلهية : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »

ولما كانت أحوال ميهنة قد أصبحت بسبب تعاقب الأيام ووقوع الغارات والنهب والسلب بحيث لم يبق بها من آثار شيخنا قدس الله روحه العزيز سوى قبره . وضريح قائم فانه لم يصل إلى اليد رغم بذل الجهد الجهيد إلا القليل من المطلوب . وبعض المتفرقات من كل جانب . أما ما كان مستقراً فى الخواطر فقد طواه النسيان . لكثرة البلاء والمشقة ، وبقي فى حجاب (شغلى الشعير عن الشعر) .

وقد كانت مدة عمر شيخنا قدس الله روحه العزيز ألف شهر بلغت ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر على نحو ما جرى على لفظه المبارك فى مجلس الوداع . (ص ٨) إذ قال : لقد تم لنا ألف شهر وليس بعد الألف عدد . وكيف يمكن

ضبط هذه المدة ومراقبتها وهذا نفسه محال ، ومن جملة ما ليس في الامكان القدرة على نقل جميع أقوال وأفعال وحركات وسكنات شخص طيلة مدة عمره . أما ما كان في إمكان هذا الداعي وفي مجال قدرته فقد نفذه وبذل قصارى جهده فيه واجتهد بأقصى ما يمكنه في تصحيح أسانيده ، كما عمد إلى حذف كل ما كان فيه خلل في روايته أو شبهة في إسناده وتحاشى ذكره .

وكان ابن عمى الإمام العالم الأجل جمال الدين أبوروح لطف الله بن أبي سعيد قد ألف في عهد الاستقرار كتباً قبل هذا تلبية لطلب أحد المريدين وجعله على خمسة أبواب وروى في كل باب خبراً بإسناد ، وأورد فصلاً في معنى ذلك الخبر على نحو يليق بكمال فضله وفصاحته وجعل موضوعه أحوال وأقوال الشيخ قدس الله روحه العزيز ولكنه سلك فيه سبيل الاختصار والإيجاز. ولا يريد الداعي أن يعرض مع هذا الجواهر النفيس معدنه الخسيس ، أو أن يضع هذه البضاعة المزجاة في مقابل ذلك النصاب من الفضل والبلاغة لأنه لا يرى نفسه أهلاً لذلك فكيف يتأتى له أن يقبض بيده على زمام عظمته ، وكيف يستطيع أن يصل في أي فن من فنون فضله إلى غبار دابته . . ولكنهم قالوا انهم يسلكون المعادن الخسيسة مع الجواهر في سمط . وكان المأمول أن ما أتى به هذا العظيم وما انتهى إليه ذلك الداعي وصح من آثاره وكتابه يجرى على شباهات القلم حتى يبقى بين الناس طويلاً . أما ما اندرس بسبب الفتن والقلاقل فيعاوده رونقه وجدته ويبقى ذكراً لنا من بعدنا فمن المعلوم على وجه اليقين أنه كلما تباعد الزمان بالناس ازداد القصور في هماتهم (ص ٩) ، وقل سالكو الطريق ، ولا يعين العلم كل شخص . والمعاملة نفسها كبريت أحمر في الندرة فلا أقل من أن يشنف أسماع المعتقدين

بكلام عظيم الدين وأوحد العهد هذا ويستروح قلوب وأرواح مدعى الطريقة
على نحو ما قيل :

إذا لم أستطع أن أشتري ثغرا معسولا
فلا أقل من أن أذود عنه الذباب
ومن قول العظماء (عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة)

ولما كانت أحوال جملة الناس ومراتب أعمالهم لا تخرج عن ثلاث هي
البداية والوسط والنهاية فقد جعلت هذا الكتاب على ثلاثة أبواب :

الباب الأول:

في بداية حال الشيخ قدس الله روحه العزيز منذ أيام طفولته حتى بلوغه سن
الأربعين وما وصل إلينا من تعليمه ورياضاته ومجاهداته في هذه المدة .

الباب الثاني :

في أواسط حال الشيخ قدس الله روحه العزيز ، وهذا الباب على ثلاثة فصول
الفصل الأول : في الحكايات التي ظهرت عن كراماته ، والتي ثبت لنا
صدقها من الرواة والثقة .

الفصل الثاني : في الحكايات المتضمنة للفوائد وبعض الحكايات وأقوال
المشايخ التي جرت على لفظه المبارك من أجل الفائدة .

الفصل الثالث : في بعض الفوائد والنكات المتفرقة من الأقوال ، وبعض
الدعوات والأبيات المتفرقة التي جرت على لفظه العزيز ، وعدد من رسائله التي
وصلت إلينا .

الباب الثالث : في انتهاء حال شيخنا قدس الله روحه العزيز وهو على
ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في وصاياه عند وفاته .

الفصل الثاني : في كيفية وفاته .

الفصل الثالث : في الكرامات التي ظهرت بعد وفاته ، وبعض ما أشار
(ص ١٠) إليه في حياته ورآه الناس بعد وفاته .

وقد سميت هذه المجموعة باسم أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد .
وسألت الحق سبحانه وتعالى التوفيق في إتمامه وسلوك جادة الاستقامة والرشاد .
وقد حذفت منه الأسانيد طلباً للإيجاز والاختصار ؛ أسأل الحق سبحانه وتعالى
التوفيق بكمال فضله وكرمه ولطفه ، وأن ييسر لي ما يطلبه أهل العقيدة من حقوق
الطريقة وأن يحفظهم من التراجع والقصان ونعوذ بالله من الحور بعد الكور
فانه خير موفق ومعين .

وبعد . فان هذا الداعي بالخير يأمل في أن يسدى إلى حضرة ملك الاسلام
السلطان المعظم وملك الملوك الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، ومولى ملوك العرب
والعجم ، مغيث العباد ، ظل الله في البلاد ، ناصر أولياء الله ، قاهر أعداء الله ، معين
خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، معز الإسلام والمسلمين ، عضد الدولة القاهرة ،
تاج الملة الزاهرة ، جلال الأمة الباهرة ، نظام العالم ، أبي الفتح محمد بن سام
قسيم أمير المؤمنين أعلى الله كلمته ، وعقد بالخلاود دولته أن يسدى إليه خدمة ،
ويقدم إليه تحفة حتى لا يكف هذا الداعي بالخير في آية حال عن الدعاء لدولته
وأداء شكر نعمة ذلك الملك العالم العادل وحتى لا تخلو حضرة جلاله وبساط
رفعته وهما موضع سجود الملوك ومقبل سلاطين العالم من تحفة وهدية هذا الداعي
المخلص . وفي كل وقت تعرض فيه لطيفة من تلك الفرائد ودقيقة من تلك الفوائد
الدينية على المسامع الشريفة أسمعها الله المسار والبشارات ، وتحظى بمطالعة الملك

الميمونة والنظر السلطاني فان ذكر هذا الداعى بالخير يتجدد على وجه التشریف وسبيل التعريف فى الحضرة العليا والمجلس الأشرف وهما كعبة الآمال وقبلة الاقبال . وعلى ذلك فمهما مددت يد الطلب إلى زوايا القلب فان كل ما خططته على رقعة هذه الهدية ولو كانت بساط الربع المسكون قد أصبح (ص ١١) ناقصا وصغير كالديدان ازاء هذا البساط الملوكى ، بل كان فى حقيقة أمره مثل ساق الجرادة أمام سايمان . وبحكم تلك المقدمة فان هذا الداعى المخلص رأى أن الدوران حول تلك الهدية والتحفة التى لا نظير لها فى العالم أقرب إلى الأدب ، فمن المحقق أن التبحر الدنيوية فانية فناء الدنيا ولا يمكن أن تتبقى السعادة من مطالعتها . ورغم أنه ليس فى الدنيا بأسرها تحفة أكبر ولا أعز عند هذا الداعى بالخير من هذه التحفة، فإنه قد أرسلها على سبيل الهدية إلى تلك الحضرة وهى أكبر حضرة . ولما كانت حمة السلطان الأعظم مقصورة على إحراز الفوائد الدينية ففى معتقد هذا الداعى المخلص أن هذه التحفة ستقع موقع القبول إذانه وإن كان فى المستطاع تهية الزاد لطريق العالم الباقى فإن متابعة سنة للمصطفى ومتابعة سيرة الاولياء بعد هذه المتابعة وبعد العلم التام على كيفية السير والوقوف على دقائق الآداب والسنن الباقية تتأتى وتتاح .

وبما أن الشيخ أبا سعيد قدس الله روحه العزيز هو شيخ ووالد ورائد ومقتدى . هذا الداعى فإن الخادم الداعى قد كرس أوقاته طوال عمره لطلب فوائد انقاسه ومقالاته ومقاماته فى طريق الشريعة والطريقة ، وبذل وسعه وغاية إمكانه فى أن يجعل من هذه الفوائد مجموعا من أجل السائرین إلى تلك العتبة ومريدى تلك الحضرة . وبما أنه لم يجمع أحد من المريدين قبل هذا الخادم فوائد ومقالات شيخه على نحو أوفى من هذا فإنه أراد أن يرسل هذه التحفة وهى أكمل وأكبر التحف .

إلى حضرة الملك وهي أفضل وأعظم حضرات ملوك الدنيا . وإن الأمل في فضل
وكرم الحق سبحانه وتعالى ، بل اليقين الصادق أن هذا السلطان العادل كما أنه
في الدنيا أعظم ملك من ملوك العصر سوف يأخذ بعدل وباعتقاد بمذهب وبسيرة
أعظم الملوك في سراى البقاء وجنة عدن ، وسيصل إلى درجة القرب في حضرة
العزة وسيصبح أول سلطان من سلاطين الآخرة في الجنة وفقاً لما جاء في الخبر عن
صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : أن ساعة واحدة من عدل
الملك العادل أفضل من عبادة العابد التقي سنوات عديدة . ولما كان المصطفى
صلى الله عليه وسلم قد قال « الدنيا مزرعة الآخرة » . وهذا الملك لم يبذر في الدنيا
سوى بذرة العدل والإنصاف والرعاية والإحسان بالضعفاء والعاجزين ، والمروءة مع
أهل الدين والخير ؛ (ص ١٢) فلاشك أن ريع هذه البذرة لن يكون في الغد إلا
تلك الثمرة فإنه « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » . وأمل هذا الداعي أن يلحظه
وأن يشرفه بالقبول في حضرة العالية ، وأن يعتبر هذا المسكين في كل حال وفي
كل مقام الداعي الخاص لتلك الدولة ، وأن يعرفه كشاكر لنعام تلك الحضرة
وهي ملجأ وملاذ الناس أجمعين . وإذا ما بدرت من هذا الخادم الداعي عشرة أو
هفوة على سبيل النسيان واطلع عليها الملك العادل خلد الله سلطانه بإصابة رأيه الذي
ينظم الدنيا فعليه أن يتجاوز ويعفو عن تلك الهفوة بكرمه الملكي وأن يسترها
بفضله الذي لا ينتهى . وليجعل الخالق تعالى وتقديس ، شمس دولة ظل الحق هذا
مشرقة إلى قيام الساعة وأن يحرسها ويصونها من كسوف الزوال ، وأن يجعل عدل
وانصاف شمس سلاطين الدهر وملوك العصر إلى أبد الآبدين دائمة الاشراف على
رؤوس ضعفاء الرعية وكافة الاتباع ، وأن يقرن ملك تلك الدنيا الفانية بسلطنة
ومملكة الدنيا الباقية ، وأن ييسر بفضله وكرمه كل مافيه صلاح هذا السلطان العادل
والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين وحسبنا الله وحده وهو نعم
المولى ونعم المعين . . .

الباب الأول

في بداية حال شيخنا أبي سعيد بن أبي الخير
قدس الله روحه العزيز

إعلم أن شيخنا قدس الله روحه لم يشر إلى نفسه قط بلفظ « أنا » أو « نحن »
وحيثما ذكر نفسه قال « هم قالوا هذا » أو « هم فعلوا هذا » . وإذا ذكرت أقوال
الشيخ في هذا الكتاب على المنوال الذي جرى به لفظه المبارك واحتفظت بسياق
الكلام تبركا فإنه يكون بعيدا عن فهم العوام . بل أن بعض القراء إن لم يكن
أكثرهم قد يخطئون في نظم الكلام وترتيب المعاني ، ولا يستطيعون أن يذكروا
دائما هذا الأمر وهو أن الشيخ قد أراد بلفظ « هم » نفسه ، ويكون ذلك صعبا
عليهم وخصوصا على من لم يقرأ مقدمة الكتاب ولم يعرف هذا الأمر . وعلى هذا
فأنى لهذه الأسباب حيثما ذكر الشيخ لفظ « هم » سأذكر لفظ « نحن » لأن هذا
اللفظ معروف ومتداول بين الناس ، وهو أقرب إلى فهم القراء . ولكن ينبغي
أدراك هذا الأمر وهو أنه حيثما ذكرنا لفظ « نحن » على لسان الشيخ ، فإن الذي
جرى على لسانه المبارك هو لفظ « هم » والعامل تكفيه الإشارة .

أعلم أن والد شيخنا قدس الله روحه العزيز كان يدعى « أبو الخير » وكانوا
في ميهنة يسمونه « بابو الخير » . وكان عطارا ، ورعا متدينا ، على علم بالشريعة
والطريقة ، يجلس دائما مع أهل الصفة وأصحاب الطريقة .

وقد كانت ولادة الشيخ أبي سعيد قدس الله روحه العزيز في يوم الأحد
غرة شهر محرم لسنة سبع وخمسين وثلاثمائة (٩٦٧) . وكان والد شيخنا يجلس
دائما مع جماعة الصوفية في ميهنة حيث كانوا يجتمعون كل ليلة لمدة أسبوع في
منزل واحد من هذه الجماعة . وإذا ما وفد على المدينة متصوف أو درويش تجمعوا
وبعد أن يتناولوا قليلا من الطعام ، ويفرغوا من الصلاة والأوراد كانوا يقيمون

السمع . وذات ليلة كان بابوبو الخير ذاهبا إلى اجتماع للدراويش فالتفت والدته الشيخ
رحمة الله عليها (ص ١٦) من أبيه أن يأخذه معه لكي ينال بركة الدراويش .
والصوفية فأخذ بابوبو الخير الشيخ معه . وعندما انشغلوا بالسمع أنشد القوال هذه .
الرباعية :

أجل إن هذا العشق هو هبة للدراويش
وان اتحد بهم مع الله لفي إنكارهم ذواتهم ،
زينتهم ليست في الدرهم والدينار
وكل ما يعينهم هو أن يبذلوا أرواحهم

وعندما أنشد القوال هذا الشعر اعترت الدراويش حال من الوجد وأخذوا
يرقصون ويؤدون الذكر على هذا الشعر طوال الليل حتى مطلع الفجر . ولكثرة
ماردد القوال هذه الرباعية حفظها أبوسعيد عن ظهر قلب ، وعندما عاد إلى المنزل
سأل والده عن معنى ما كان يردده القوال وانتشى الدراويش من الاستماع إليه .
فقال له والده : صه ، إنك لا تستطيع إدراك معناه ، ثم ما شأنك به ؟ . وعندما وصل
أوسعيد تلك الدرجة التي وصل إليها فيما بعد ، وكان والده قد توفي ، كثيرا ما كان
يذكر هذه الرباعية في أحاديثه قائلا :

من لي بأبي الخير اليوم لأقول له أنه هو نفسه لم يكن يعلم معنى ما سمعته في
تلك الليلة !! .

وقيل أن والد شيخنا كان يحب السلطان « محمود » حبا جما فبنى في ميهنه
قصرًا - يعرف الآن بقصر الشيخ - ونقش على جدرانها اسم السلطان وذكر خدمه
وحشمه وأفياله ومراكبه ، وكان الشيخ صغيرا في ذلك الوقت فقال لو والده : ابن
لي مكانا في هذا القصر يكون خاصا بي . فبنى له والده حجرة فوق القصر - وهي

صومعة الشيخ . ولما تم بناؤها وطلبت جدرانها ، أمر الشيخ بأن يكتبوا على جدرانها وسقفها كلمة « الله ، الله ، الله » فقال له والده : ما هذا يا بني ؟ . فأجاب الشيخ : كل شخص يكتب على جدران منزله اسم أميره . فسر والده وأصدر أمره بإزالة كل ما كان قد كتب على جدران القصر (ص ١٧) ومنذ تلك الساعة أخذ ينظر إلى ولده نظرة أخرى ، ويهتم بأمره .

وقد تعلم شيخنا أبوسعيد قدس الله روحه العزيز القرآن على أبي محمد العنازي وكان إماما يتصف بالورع والتقوى ، من مشاهير قراء خراسان ، وقبره رحمة الله عليه في نسا .

قال الشيخ : عندما كنت أتعلم القرآن في طفولتي ، اصطحبني والدي بابوبو الخير إلى صلاة الجمعة . وفي الطريق إلى المسجد التقينا بالشيخ أبي القاسم بشر ياسين . وكان من مشاهير علماء عصره وكبار مشايخ دهره ، يقيم في ميهنه . وعندما رأيته سألت والدي : ابن من هذا الصبي ؟ فقال له والدي : إنه ابني . فاقرب مني وجلس القرفصاء أمامي ونظر في وجهي واغرورت عيناه بالدمع ثم قال : يا أبا الخير ، إنني لم أكن أستطيع الرحيل عن هذه الدنيا لأنني كنت أرى مقام الولاية خاليا ، والدراويش ضائعين . والآن وقد رأيت ولدك اطمأنت إلى أنه سوف يكون للولاية شأن على يد هذا الصبي . ثم قال لوالدي : عندما تنتهي من الصلاة أحضره إلى .

ولما فرغنا من الصلاة أخذني والدي إلى أبي القاسم بشر ياسين . وعندما ذهبنا إلى صومعته وجلسنا أمامه كانت هناك كوة مرتفعة جداً في تلك الصومعة فقال أبو القاسم بشر لوالدي : احمل أبوسعيد على كتفك لينزل رغيفا من فوق .

تلك الكوة . فحملني والدي ، ومددت يدي وأنزلت ذلك الرغيف ، وكان رغيفاً
ساخنًا شعرت بسخونته من لس يدي له . فأخذ أبو القاسم الرغيف من يدي وبكى
وقسعه إلى نصفين وأعطاني نصفًا وقال لي : كله . وأكل هو النصف الآخر .
ولم يعط والدي شيئًا . فقال له والدي : أيها الشيخ ، ما السبب في أنك لم تعطني
نصيبًا منه لأتبرك به ! . فقال أبو القاسم بشر : يا أبا الخير . لقد وضعنا هذا الرغيف
فوق تلك الكوة منذ ثلاثين عامًا . وقد وعدنا بأن من يصير هذا الرغيف ساخنًا
في يده سوف تزهو به الدنيا (ص ١٨) ويختم به التصوف . والآن تحققت هذه البشرية
وسوف يكون ابنك ذلك الرجل . ثم قال لي أبو القاسم بشر : يا أبا سعيد احفظ هذه
الكلمات وقل دائماً : « سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك ، سبحانك
وبحمدك على عفوك بعد قدرتك » فحفظت هذه الكلمات وجعلت أرددّها دائماً .

قال الشيخ : وخرجنا من عند أبي القاسم ولم أكن أفهم ما ذا كان يقول
في ذلك اليوم . ثم امتد عمر الشيخ أبي القاسم حتى كبر شيخنا وأفاد منه كثيراً .

قال شيخنا : عندما أتممت حفظ القرآن قال لي والدي : يجب أن تذهب
غداً إلى المؤدب . فأخبرت أستاذي بذلك فقال لي . على بركة الله ، ودعالي
ثم قال : أذكر عني هذا القول : « لأن ترد همتك على الله طرفة عين خير لك مما
طلعت عليه الشمس » فحفظت هذا القول . وقال لي الأستاذ أعفني ! . فقلت :
أعفيناك . فقال : بارك الله تعالى علمك . وفي اليوم التالي أخذني والدي إلى أبي
سعيد العياري ، وكان إماماً وأديباً ومفتياً ، ومكثت لديه مدة كنت خلالها أتردد
على الشيخ أبي القاسم بشر ياسين وأتعلم منه علوم الإسلام .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : قال لى أبو القاسم بشر ياسين يوما :
يا أبا سعيد اجتهد فى أن تطرح الطمع فى معاملاتك (مع الله) لأن الإخلاص
لا يتأتى من الطمع . والعمل مع الطمع هدفه الحصول على الأجر ، وهو مع الإخلاص
عبادة . ثم قال : عليك أن تحفظ ما قاله الرسول عليه السلام . قال عليه الصلاة
والسلام : « قال الله لى ليلة المعراج : يا محمد ما يتقرب المتقربون إلىّ بمثل أداء
ما افترضت عليهم ، ولا يزال يتقرب إلىّ العبد بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته
كنت له سمعاً وبصراً وهدى ومؤيداً ، فبى يسمع وبى يبصر وبى يأخذ » .

ثم قال أبو القاسم : إن أداء الفريضة (ص ١٩) إظهار للعبودية وأداء
النوافل إظهار لحب الله ، ثم أنشد هذا الشعر :

كمال الحب يأتى من حبيب خلا من الطمع
وأى قيمة لما بقدر بالثمن
يقينا ان المعطى خير لك من العطاء
وما العطاء حتى ولو كان عين الكيمياء

وقال شيخنا قدس الله روحه العزيز : كنت يوماً عند أبى القاسم بشر ياسين
فقال لى : يا بنى هل ترغب فى التحدث إلى الله ؟ فقلت : نعم ، وكيف لا ؟ . فقال
« كلما خلوت بنفسك قل هذه الرباعية :

يا حبيبى اننى لا قرار لى بـ____دونك
ولست بقادر على أن أحصى إحسانك علىّ
لو كانت كل شعرة فى جسدى لسانا
ما استطعت أن أفى بواحد على الألف مما تستحق من شكر

فكنت أردد هذا باستمرار حتى فتح لى الطريق إلى الله فى طفولتى .

وقد توفي أبو القاسم بشر ياسين في ميهنة سنة ثمانين وثلاثمائة (٩٩٠). وكما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز يذهب إلى مقابر ميهنة كان يبدأ بزيارة قبره .

وقال الشيخ أثناء حديثه يوما : كان هناك شيخ كفيف مؤمن يأتي إلى هذا المسجد — وأشار إلى المسجد الذي يقع على باب ضريحه — وكان يجلس ويضع عصاه خلف ظهره . وفي يوم كنت عائداً من عند المؤدب ومعى كتبى ، فاقتربت منه وألقيت عليه التحية . فرد على قائلاً : أنت ولد « بابو بو الخير » ؟ قلت : نعم . قال : ماذا تقرأ ؟ قلت كتاب كذا ، فقال : لقد قال المشايخ « حقيقة العلم ما كشف على السرائر » ، ولم أكن أعرف في ذلك الوقت ما معنى الحقيقة وماذا يكون الكشف حتى أطلعنى الله تعالى بعد ستين عاماً على معنى ذلك الكلام (ص ٢٠) وأظهرنى عليه .

وعندما فرغ شيخنا أبو سعيد قدس الله روحه العزيز من تعلم اللغة ورغب في تعلم الفقه قصد مدينة مرو : قال الشيخ يوماً أثناء حديثه : عندما ذهبت من ميهنة إلى مرو كنت قد حفظت ثلاثين ألف بيت من الشعر . وبعد ذلك ذهب الشيخ إلى مرو عند الإمام أبي عبد الله الحضري وكان إمام زمانه ومفتى العصر ، مطالعاً اطلاعاً تاماً على علم الطريقة ، ومن جملة الأئمة الكبار . وكان الحضري تلميذاً لابن سريج ، وكان ابن سريج تلميذاً للمزني ، والمزني تلميذاً للإمام الشافعي ، المطلبى رضى الله عنه .

وكان شيخنا قدس الله روحه العزيز شافعي المذهب ، وكذلك جميع المشايخ الذين عاشوا بعد الشافعي كانوا يعتقدون هذا المذهب . وكل من اعتنق مذهباً آخر قبل السير في الطريق إذا أراد الله سبحانه وتعالى بكمال فضله وعنايته الأزلية .

أن يمنحه يوماً محبته ، ويختصه بالقربى التى لهذه الطائفة فى حضرة عزته ، وجهه إلى المذهب الشافعى ، مثل الشيخ الحضري الذى كان يقيم فى بغداد وغيره من المشايخ الذين إذا ذكروا وذكرت أحوالهم انتهى الأمر بنا إلى التلويل وليس هدفنا ذكر هذه الأمور .

أما المشايخ الذين عاشوا قبل الشافعى فقد كانوا على مذهب السلف أو على مذهب شيوخهم .

وتعتقد جماعة أن الشيخ الكبير بايزيد البسطامي قدس الله روحه العزيز كان يعتنق مذهب الإمام العظيم أبي حنيفة الكوفي رضى الله عنه ، ولكن الأمر ليس كذلك ؛ لأن بايزيد قدس الله روحه كان مريداً وسقياً لجعفر الصادق رضى الله عنه ، وكان جعفر رضى الله عنه يدعو بايزيد السقاء . وقد اعتنق بايزيد مذهب جعفر الصادق ، لأنه كان شيخه ، وإمام أسرة المصطفى المباركة ، صلوات الله وسلامه عليه . وليس له بنفسه أية صفة فى الطريقة ؛ لأن المرید لا يكون إلا على مذهب شيخه ، (ص ٢١) ولا يجوز له مخالفته فى أى شىء من الاعتقاد أو الحركات أو السككنات .

ولكيلا يظن أحد ، بهذه الكلمات التى جرى بها القلم ، أن المشايخ كانوا يعتقدون مذهب الإمام العظيم الشافعى لأن هناك نقصاً فى مذهب الإمام أبي حنيفة رحمة الله عليه ؛ نقول كلا وحاشا ولا يجوز مطلقاً أن يتخيل أحد هذا ، ونعوذ بالله أن يخطر هذا على خاطر أحد لأن عظمتهم وزهدهم أكثر مما يصل إليه علمى وشرحى ؛ فقد كان سراج الأمة ، وقدوة ملة النبي صلوات الله وسلامه عليه . والمذهبان متساويان فى الحقيقة ، وكل ما صدر عن الإمامين من أقوال كانا فيه متابعين لسكلام الله المجيد سبحانه وتعالى ، ومطابقاً لنص حديث المصطفى

صلوات الله وسلامه عليه ، والحق أن كل من ينظر في المذهبين دون تعصب يعرف أن كلا الإمامين في الحقيقة واحد ، وإذا وجد اختلافًا في الفروع وجب عليه أن ينظر إلى ذلك بعين « اختلاف أمتي رحمه » . وإذا كان أحد الإمامين قد تساهل في مذهبه فينبغي أن يراه بعين « ما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وينظر إليه بنظر « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » لا عن طريق التعصب الذي ابتلى به أكثر الناس . ويجب أن يعلم علم اليقين أن كل ما قال الإمامان لا يمكن أن يكون إلا حقًا . وهؤلاء الأئمة الكبار معصومون ومعافون مما فينا من تعصب على النحو الذي ورد بإسناد عن أبي الدرداء فقد قال : « رأيت مالك بن أنس وأبا حنيفة رضي الله عنهما (ص ٢٢) في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء الأخيرة وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما على القول الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعنت ولا تعسف ولا تخطئة لواحد منهما حتى صابا الغداة في مجلسهما ذلك » . ولكن لما كان طريق هذه الطائفة هو الاحتياط ، ولما كان المشايخ قد أوجبوا على أنفسهم في بداية المجاهدة أشياء من أجل الرياضة بعضها سنة وبعضها نافلة، على نحو ما ذكر أبو عمرو البشخواني أنه وفقًا للخبر الذي يقول إن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال « اليد اليمنى لأعلى البدن واليد اليسرى لأسفل البدن » لم تصل يدي اليمنى منذ ثلاثين عامًا تحت سرتي ، ولم تصل يدي اليسرى فوق سرتي إلا السنة .

وبشر الحافي قدس الله روحه العزيز الذي لم ينتعل حذاء في قدمه قط ، وقال إن الله سبحانه وتعالى يقول « والله جعل لكم الأرض بساطا » فالأرض

بساط الله سبحانه وتعالى فلا يليق بي أن أسير عليها بحذاء ونعل . وسار عارى
القدمين طيلة عمره ولهذا السبب لقب بالحافي .

وقد قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : لقد فعلت كل ما قرأت
ورأيت في الكتب وسمعت أن المصطفى صلوات الله عليه كان يفعله . وكل ما سمعت
وطاعت في الكتب أن الملائكة تفعله فعلمته كله في بداية تصوفى . (ص ٢٣)
وسوف يأتي شرح ذلك في مكانه .

كانت سيرة المشايخ جميعا على هذا النحو ، فساروا طوال حياتهم على سنة
المصطفى وأوجبوا على أنفسهم النوافل والأوراد . وجملته القول أن كل ما يتعلق
بإذلال النفس والاحتياط في طريق الدين كان موضع اختيارهم . ولما كان في مذهب
الإمام الشافعى رضى الله عنه ضيق فقد اختارته هذه الطائفة لإذلال أنفسهم
لا لأن هناك فرقا بين المذهبين في حقيقتهم أو أن أحد الإمامين يفضل الآخر ،
وفي رأينا أنهم مثل الخلفاء الراشدين الذين نعرف أنهم جميعا على حق ونحبهم
جميعا من أعماق قلوبنا ونقر بفضائلهم ، ونعتقد فيهم ، ونقيم الدليل على أحقية كل
منهم للخلافة ، ونعترف بهم ولا ننكرهم ، وندعو الجميع ألا يطعنوا بسبب هوى
النفس والعناد والتعصب في صحابة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وأئمة السلف
والشايخ الكبار رضى الله عنهم أجمعين ، وإلا يصدقوا الواقعة وأن يعرفوا
حقهم جميعا .

وقصارى القول أن اعتراف الانسان بأن كل شخص أفضل منه أمر طيب
جدا . والقول بترك الاعتراض في جميع الأحوال طريق حسن جدا . وإنه لمن
الأقرب للصواب لمن يتتبع عثرات الآخرين أن يشتغل بإصلاح نفسه . نسأل
الله سبحانه وتعالى أن يقرب الجميع إلى طريق رضاه بفضل منه وجوده .

وقد قرأ شيخنا قدس الله روحه العزيز على الإمام أبي عبد الله الخضرى خمس سنوات وعندما أتم دروسه (ص ٢٤) أنتقل هذا الأمام إلى رحمه الله تعالى ، وقبره بمرور .

ولما توفي الخضرى اختلف الشيخ على الأمام أبي بكر القفال وقرأ عليه الفقه خمس سنوات أخرى . وكان زملاؤه في درس القفال الشيخ ناصر المروزى والشيخ أبو محمد الجوينى والشيخ أبو على سنجى وكان كل منهم قدوة الدنيا . وفي هذه المدة أتم شيخنا على القفال درسين ثم ترك مرو قاصدا سرخس . وعندما جاء إلى سرخس ذهب إلى الإمام أبي على زاهر بن أحمد الذى كان مفسراً ومحدثاً وفقيهاً ، وقد قام بنشر المذهب الشافعى فى سرخس .

وكان الأئمة الذين تخاص أهل هذه الولاية من بدعة الاعتزال ببركة أنفاسهم ورجعوا بفضلمهم إلى المذهب الشافعى هم : حميد بن محويه فى «شهرستانه» و «فراوة» و «نسا» وأبو عمرو الفراهى فى «استو» و «خوجان» و بولبابه الميهنى فى «ايورد» و «خاوران» وأبو على الفقيه فى «سرخس» رحمة الله عليهم أجمعين .

وكان شيخنا قدس الله روحه العزيز يقرأ التفسير على أبي على الفقيه فى الفجر ، وعلم الأصول فى الظهيرة ، وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فى العصر ، وتعلم على أبي على الفقيه فى هذه العاوم الثلاثة . وقبر هذا الإمام بسرخس .

وبعد أن قضى شيخنا زمنا يطلب العلم على أبي على ، قابل يوماً لقمان السرخسى قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : عندما كنت أطلب العلم على أبي على الفقيه فى سرخس ، كنت أسير يوماً فى الضواحي ، فرأيت لقمان السرخسى جالسا على تل يخطط رقعة على ثوبه [وكان لقمان مجذوبا من عقلاء المجانين ،

وكانت له في بداية أمره مجاهدات كثيرة واحتياط في المعاملة ، وفجأة حدث له كشف أودى بعقله . وقد ذكر الشيخ أن لقمان كان في بداية أمره رجلاً مجتهداً ، ورعاً ، ثم ظهر عليه الجنون وأصبح على هذه الحال . قيل له (ص ٢٥) يا لقمان ، ماذا حل بك ؟ قال : وجدت أنني مهما أكثر من العبادة وجب أكثر منه ، فعجزت ، وقلت يا آلهي عند ما يصبح العبد شيخاً فإن الملوك يعتقونه ، وأنت ملك عزيز ، وقد أصبحت شيخاً في طاعتك فأعتقني . فسمعت نداء يقول : « يا لقمان ، لقد أعتقناك » . والدليل على هذا أن الله أخذ منه عقله . وكثيراً ما كان شيخنا قدس الله روحه العزيز يقول : أن لقمان معتوق الله حرره من أمره ونهيه [(١)] فاقتربت منه وأنا أنظر إليه ، وكان الشيخ قد وقف بحيث وقع ظله على ثوب لقمان ، وعندما خاط الرقعة قال لي : يا أبا سعيد لقد خطبتك مع هذه الرقعة على هذا الثوب . ثم نهض وأمسك بيدي وقادني إلى إقليم توجد به خانقاه الشيخ أبي الفضل حسن ونادى على باب الخانقاه فخرج الشيخ أبو الفضل ، وكان لقمان قد أمسك بيدي ، فوضعها في يد الشيخ أبي الفضل حسن وقال له : يا أبا الفضل ، أرفع هذا الشاب لأنه منكم . وكان الشيخ أبو الفضل حسن رجلاً عظيماً . وقد سئل الشيخ قدس الله روحه العزيز عندما بلغ الكمال وتوفي الشيخ أبو الفضل حسن ، كيف أرتفع شأنك ؟ . فقال : بفضل نظرة من الشيخ أبي الفضل . فعندما كنت أطلب العلم على أبي علي الفقيه في سرخس ، كنت أسير يوماً على شاطئ النهر ، وكان الشيخ أبو الفضل يسير على الشاطئ الآخر ، فنظر إلى نظرة من جانب عينه ، وكل ما أدركته منذ ذلك اليوم حتى يومى هذا كان بفضل هذه النظرة .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : فأخذ الشيخ أبو الفضل بيدي وقادني

(١) العبارات المكتوبة بين الحاصرتين في هذه الصفحة والصفحات التالية تبين استطراد

إلى الخاقاه . وعند ما جلسا فى الصفة (ص ٢٦) أخذ الشيخ أبو الفضل كتابا وجعل ينظر فيه ، فسأت نفسى كما هى عادة طلاب العلم : فى أى فن هذا الكتاب ؟ فأدرك الشيخ أبو الفضل ذلك وقال لى : يا أبا سعيد ، إن المائة والأربعة وعشرين ألف نبى الذين أرسلوا إلى الناس بعثوا ليعظوا بكلمة واحدة . لقد أمروا بأن يقولوا للناس : قولوا « الله » واستغرقوا فيها . فالذين استمعوا إلى هذه الكلمة رددوها حتى صار كيانهم كله هذه الكلمة فلما تغلغت فى نفوسهم واستغرقوا فيها تحرروا وطبعت على قلوبهم فأصبحوا فى غنى عن قولها . قال الشيخ أبو سعيد : ولقد استولى على هذا القول حتى حرمنى النوم طوال الليل . وفى الفجر عندما فرغت من الصلاة والأوراد ؛ استأذنت الشيخ أبا الفضل وذهبت إلى درس التفسير عند أبى على الفقيه ؛ فلما جلست إليه بدأ درس هذا اليوم بتفسير هذه الآية « قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » .

قال الشيخ : عندما سمعت هذه الكلمة فتحت باب فى صدرى وغبت عن نفسى . ورأى الإمام أبو على ما طرأ على من التغير فسألنى اين كنت ليلة الأمس ؟ . قلت عند الشيخ أبى الفضل حسن . فقال لى : انهض وعد حيث كنت ، فحرام عليك أن تترك ذلك الدرس إلى هذا . فعدت إلى الشيخ — أبى الفضل — وقد تملكتنى الحيرة والقلق ، وشعرت بأننى فنت فى هذه الكلمة . وعندما رآنى الشيخ أبو الفضل قال لى : يا أبا سعيد مستك شدة فلا تعرف رأسك من رجلك . قلت : أيها الشيخ ، بم تأمر ؟ فقال : أدخل وافن فى هذه الكلمة فإنها ستفعل بك الكثير .

قال الشيخ : ومكثت عنده مدة مؤديا حق هذه الكلمة . وذات يوم قال : يا أبا سعيد لقد انفتحت لك أبواب حروف هذه الكلمة . والآن تغزو حشود

الألطف الإلهية صدرك ، فترى أودية (ص ٢٧) مختلفة . ثم قال : لقد قبلت !
فأنهض وأبحث لنفسك عن خلوة تعرض فيها عن نفسك وعن الناس ، واستسلم
لإرادة الله .

قال الشيخ : فتركت كل هذه العلوم وعدت إلى ميهننه واعتسكت في محراب
تلك الزاوية — وأشار إلى داره — ومكث سبع سنوات مردداً « الله ، الله ، الله »
وكما غلبت على حال من النعاس أو الغفلة نتيجة لضعف الطبيعة البشرية ظهر لي
من أمام المحراب شيخ في يده حربة من نار ، في صورة مخيفة ومفرعة للغاية ، وصرخ
في قائلاً : يا أبا سعيد قل « الله » . وبسبب ما كان يبعثه في من الخوف والفرع
كانت الحمى والرجفة تتناوبني لعدة أيام وليال حتى لم تعد تأخذني سنة من النوم
أو الغفلة .

وفي النهاية أخذت كل ذرة في وجودي تصرخ قائلة « الله ، الله ، الله » . وبعد
ذلك عدت إلى الشيخ أبي الفضل حسن .

وكان الشيخ أبو الفضل حسن شيخ الشيخ أبي سعيد ، ومريداً للشيخ أبي نصر
السراج الملقب بطاووس الفقراء ، وله مصنفات في علم الطريقة والحقيقة ، وكان يقيم
بطوس ، وقبره بها .

وكان أبو نصر السراج مريداً لأبي محمد بن عبد الله بن محمد المرتعش الذي
كان رجلاً عظيماً ، فريداً في عصره ، وقد توفي ببغداد .

وكان المرتعش مريداً للجنييد ، والجنييد مريداً لسرى السقطي ، وسرى مريداً
لمعروف السكرخي ، وكان هذا مريداً لداود الطائي ، الذي كان مريداً لحبيب العجمي .
وكان العجمي مريداً للحسن البصري ، والبصري مريداً للأمير المؤمنين علي بن أبي

طالب كرم الله وجهه ، وكان على مريداً للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه وابن عمه . وقد كان هؤلاء هم شيوخ شيخنا قدس الله روحه العزيز حتى المصطفى عليه السلام .

وحين ذهب شيخنا قدس الله روحه العزيز (ص ٢٨) إلى الشيخ أبي الفضل حسن أعطاه صومعة في مواجهة صومعته ، وكان يراقب أحواله دائماً ، ويأمره بما يلزم من شروط تهذيب الأخلاق والرياضة .

قال الشيخ : ذات ليلة كان المريدون قد ناموا وأغلقوا باب الخانقاه وباب الرباط . وجاست مع الشيخ أبي الفضل على الصفة ، ودار الحديث في المعرفة ، وعرضت مسألة مشكلة ، فرأيت لقمان السرخسى وقد طار فوق الخانقاه ، ثم جلس أمامنا وأجاب على تلك المسألة . ولما اتضح لنا الأمر ، وزال ذلك الإشكال ، قام ثم طار ثانية وخرج من النافذة . فقال الشيخ أبو الفضل : يا أبا سعيد ، هل ترى مكانه هذا الرجل في هذه الحفرة ؟ . قلت : أجل . قال : إنه لا يصلح قدوة . قلت : لماذا ؟ قال : لأنه لا علم له .

وعندما مارس الشيخ الرياضة مدة في تلك الخانقاه ، أمره الشيخ أبو الفضل بأن ينقل زاويته إلى صومعته . وظل معه مدة في صومعة واحدة ، وكان يراقب أحواله ليلاً ونهاراً ، ويأمره بالرياضات المختلفة . ثم أرسل الشيخ أبو الفضل الشيخ أبا سعيد إلى ميهنه ، وقال له اذهب للعناية بوالدتك . فتوجه الشيخ إلى ميهنه ، واعتكف في تلك الصومعة التي كانت مقراله ، وأخذ يمارس قواعد الزهد ، واعتراه وسواس عظيم ؛ حتى أنه كان يغسل باب الصومعة وجدرانها ، ويصب عدة أباريق في الوضوء ، ويغتسل كل صلاة . ولم يكن يتكئ على باب أو جدار قط ، أو يضع جنبه على فراش . وكان في هذه المدة يملك ثوباً واحداً ، وكلما تمزق خاط

عليه رقعة حتى صار وزنه في النهاية عشرين منا . ولم يخاصم أحدا قط ، ولم يتحدث . إلى أحد إلا في وقت الضرورة ، ولم يتناول في هذه الفترة (ص ٢٩) طعاما قط . في النهار ، وكان يفطر على كسرة من الخبز ، ويستيقظ الليل . وأحدث في جدار صومعته فتحة بمقدار طوله وعرضه وصنع لها بابا ، كان حين يذهب إليها يغلّق بابها وباب المنزل والصومعة جميعا ويشغل بالذكر بعد أن يسد أذنيه بالقطن حتى لا يسمع صوتا يشغل خاطره . وكان يرعى سريره دائما حتى لا يطوف بقلبه شيء سوى ذكر الله سبحانه وتعالى ، وأعرض عن الناس تماما . ولما مضت عليه مدة على هذا النحو أصبح غير قادر على تحمل المجتمع وضاق برؤية الناس . وكان يذهب دائما إلى الصحارى ويتجول في الجبال والقيافي ، ويأكل من نباتات الصحراء . كما كان يختفي في الصحراء لشهر أو أكثر فيبحث عنه والده طيلة الليل والنهار فلا يجده حتى إذا مارآه أحد من أهل ميهنه في برية أو مزرعة ، أو رآته قافلة في مكان من الصحراء أخبروا والده فيذهب ويعيده . وكان الشيخ يعود إرضاء لو الده ، وبعد أن يمكث عدة أيام يضيق بصحبة الناس فيفر ويعود ثانية إلى الجبال والصحارى . وكثيرا ما كان أهل ميهنه يرونه مع شيخ مهيب يرتدى ثوبا أبيض . وعندما بلغت حال الشيخ تلك الدرجة التي بلغها سألوه عن هذا الشيخ فقال إنه الخضر عليه السلام .

وقد رأيت مكتوبا بخط الشيخ أبي القاسم الجنيد بن علي الشرمقاني جاء فيه (ص ٣٠) : كنت أسير مع الشيخ أبي سعيد قدس الله روحه العزيز في طريق ميهنه فقال لي بجوار جبل : يا أبا القاسم . هذا هو الجبل الذي رفع منه الله عز وجل إدريس إلى السماء إذ يقول : « ورفعناه مكانا عليا » وأشار إلى جبل يعرف بصومعة إدريس عليه السلام على بعد فرسخين من « حرو » و« تياران » .

ثم قال: إن الناس يأتون من الشرق والغرب ويجمعون في هذا الجبل ويمضون الليل هنا ويصلون كثيرا . وكثيرا ما حضرت أنا أيضا إلى هنا ، وذات ليلة كنت في هذا الجبل وكان هناك تل بارز منه يفقد من يرقاه الوعي رعبا إذا نظر إلى أسفل ؛ وفي ذلك الوقت فرشت السجادة على التل وفكرت في أن أختم القرآن في ركعتين بتوفيق الله ، وقلت لنفسي أنه إذا غلبني النوم سقطت وتمزقت أربا . وعندما قرأت جزءا من القرآن وسجدت غلبني النوم واستسلمت له فسقطت في الحال . ولما استيقظت رأيت نفسي في الهواء فطلبت الأمان ، فرفعني الله تعالى بفضله من الهواء إلى قمة الجبل .

وكان أكثر مقام الشيخ في الرباط القديم وهو رباط بجوار ميهنه على طريق ابيورد . وقد قام الشيخ فيه بكثير من الرياضات والمجاهدات ؛ وكانت هناك هضبة على طريق مرو بالقرب من بوابة ميهنه يقال لها « زعقل » (ص ٣١) . ورباط آخر في طريق طوس على بعد فرسخين من ميهنه ويقع في سفح الجبل ، وكانوا يسمونه رباط « سركله » ورباط آخر على بوابة ميهنه يؤدي إلى المقابر .

قال الشيخ : ذات يوم كان هناك وحل كثير ، وكنت ضيق الصدر فخرجت وجلست على باب المنزل . فخرجت والدتي إلى الباب وأخذت تقول لي : ادخل . ادخل . فأجبتها بلطف . ولما عرفت أنها ذهبت قمت وأمسكت حذاءي في يدي . وأخذت أسير حتى رباط المقابر . وعندما بلغته كان هناك ماء جار فغسلت أقدامي وانتعلت حذاءي ، وطرقت الباب . فأقبل حارس الرباط وفتح الباب وأخذ ينظر إلى حذاءي وهو يقول : حذاؤه جاف في مثل هذا اليوم ومع كل هذا الوحل ! . وأخذ يتعجب من ذلك . وأغلقت الباب وقلت : ياربى ! . يا إلهى ! . إننى أستحلفك بحقك وبحق ألوهيتك وبحق ربوبيتك وبِعِظَمَتِكَ وجلالك وكبريائك وبسلطانك

وسبحانك وتوفيقك ألا تخفى عني كل ما طلبته منك ومنحته لي ، وما لم أطلبه منك ولم يصل فهمي إليه وخصصتني به ، وكل ما هو مخزون ومكنون في علمك وليس لأحد (ص ٣٢) علم به ولا سبيل لأحد إليه ولا يعرفه أحد ولا يدركه إلا أنت ؛ أن تحقق إربي . وعندما دعوت هذا الدعاء خرجت ثانية وعدت إلى المنزل .

كانت هذه الأمكنة المذكورة كلها أما كن عبادة الشيخ ، إذ أنه كثيرا ما كان يقيم فيها عندما يكون في ميهنه . وهناك أما كن أخرى كثيرة يطول الأمر لو ذكرت وليس في ذكرها فائدة أكثر من هذا . ولو وفق الله أحدا وذهب إلى هذه الأماكن وزارها لعرف أنها كانت مقرا لعظيم الدهر وأوحد الدنيا .

ودأب الشيخ على أن يهرب من الناس ويشغل بالعبادة والمجاهدة والرياضة وحيدا في هذه الأماكن . وكان والد الشيخ يبحث عنه دائما ويعيده إلى المنزل في لطف بعد شهر أو أكثر أو أقل ويرافقه حتى لا يهرب .

وقد حكى والد الشيخ هذه القصة فقال : عندما كنا ننتهي من الصلاة كل ليلة ونعود إلى المنزل ، كنت أغلق الباب بالسلاسل وأنصت حتى ينام أبوسعيد . وعندما يأوى إلى فراشه وأظن أنه استسلم للنوم أنام أنا أيضا .

و ذات ليلة استيقظت من النوم في منتصف الليل ونظرت فلم أر أباسعيد في الحجرة فقممت وبحثت عنه في المنزل فلم أجده . وذهبت إلى باب المنزل فلم أجده بالسلاسل في مكانها فعدت ونمت وأنا أصغى .

وعند (ص ٣٣) الفجر دخل أبوسعيد من باب الدار في هدوء وأغلق الباب بالسلاسل وارتدى ثياب النوم ونام . وجعلت أرقبه كل ليلة فكان يفعل هذا ، ولم أطلع على هذا الأمر وتظاهرت بأنني غافل عنه ، ولكنني كنت أرقبه كل

ليلة . ولما تكرر هذا أخذتني عليه شفقة الأبوة وانتابني الهواجس المختلفة .
« فالصديق مولع بسوء الظن » ، وأخذت أقول لنفسى أنه شاب ولا يبعد وفقاً
لحكمة « الشباب شعبة من الجنون » أن يقطع عليه الطريق إنس أوجن . واستقر
رأى على أن أراقبه ليلة لأرى إلى أين يذهب وماذا يفعل .

و ذات ليلة عندما نهض وخرج قمت أنا أيضاً وسرت فى أثره ، وأخذت أتبعه .
حيثما ذهب وأنا أرقبه من بعيد بحيث لا يشعر بى . وجعل أبو سعيد يسير حتى الرباط
القديم ، وهناك دخل وأغلق على نفسه الباب فصعدت على سطح الرباط فرأيت .
وقد دخل إلى المسجد الذى به وأغلق الباب ووضع خشبة خلفه . وأخذت أراقبه
من طاقة المسجد ، وكان بالمسجد عمود من خشب ربط به حبل ، فأمسك العمود ،
وكان فى ركن المسجد بئر . فسار إليها وربط الحبل فى قدميه ووضع العمود
على فوهة البئر وعلق نفسه بالحبل وتدلى فى البئر ورأسه إلى أسفل ، وأخذ يقرأ
القرآن وأنا أنصت إليه حتى انتهى من تلاوته وقت السحر ثم سحب نفسه من
البئر ووضع العمود مكانه وفتح الباب (ص ٣٤) وخرج وأخذ يتوضأ فى وسط
الرباط . فنزلت من سطح الرباط وعدت متسرعاً إلى المنزل ونمت مطمئناً حتى جاء
أبو سعيد ونام كما يفعل كل ليلة . وعند ما حان الوقت الذى ينهض فيه كل ليلة .
قمت وأيقظته كالمعتاد وذهبت مع الجماعة ، وجعلت أراقبه عدة ليال فكان
يفعل هذا ، وظل يواظب على هذه الرياضة زمناً .

وكان يأخذ المكنسة ويكنس المساجد ويساعد الضعفاء كما كان يذهب
أكثر الليالى إلى تلك الشجرة القائمة على باب روضته المقدسة ويتعلق بغصن من
أغصانها ويشغل بالذكر ، وكان يغتسل فى جميع الأوقات حتى فى البرد القارس
بالماء البارد ، ويقوم بخدمة الدرايش بنفسه .

وقد ورد على لسان شيخنا يوما أثناء الحديث قوله : في يوم من الأيام قلت
لنفسى أننى أملك العلم والعمل والمراقبة جميعا ، وأريد الآن أن أغيب عنها ، وتفكرت .
فوجدت أن هذا الأمر لا يتحقق إلا فى خدمة الدراويش ، لأنه « إذا أراد الله بعبده
خيرا دله على ذل نفسه » . وعلى هذا اشتغلت بخدمتهم ، وكنت أنظف صوامعهم
ودورات مياههم ، وأخذ زنبلا وأقوم بقضاء حاجاتهم ، واحضر الوقود ، فلما
واظبت على هذا العمل أصبح عادة : ثم اشتغلت بالسؤال من أجل الدراويش .
ولم أر على النفس أفسى من هذا العمل . وفى البداية كان كل من يرانى يعطينى
دينارا ، وبمضى الزمن تناقص هذا العطاء حتى بلغ دافقا واحدا . ثم ظل ينقص شيئا
فشيئا حتى وصل إلى حبة من الزبيب أو جوزة . وانتهى الأمر إلى الكف عن إعطائى .
حتى هذا .

وذات يوم (ص ٣٥) كانت هناك جماعة من الدراويش ولم أستطع أن
أسأل أحدا عونا لهم ، فبعت عمامتى من أجلهم ، ثم بعت نعلى ، ثم بطانة الجبة ، ثم
الجبة نفسها . وقد رآنى والذى يوما عارى الرأس والجسد فلم يحتمل هذا ، وقال لى :
يا ولدى ماذا يقال عن هذه الحال ؟ . فقلت له : لا تهتم بما يقول أهل ميهته .

وكان شيخنا يكنس المساجد دائما ، ويبذل ماله وجاهه على الدراويش وغيرهم
من الخلق حتى ولو كان كسرة خبز . وكان إذا ما أشكل عليه أمر ذهب إلى
الشيخ أبى الفضل فى سرخس حافى القدمين فيحل المشكل ثم يعود .

وقد جاء فى رواية صادقة عن الشيخ عبد الصمد ، أحد مریدی الشيخ ، أنه فى
أكثر الأوقات التى كان الشيخ يذهب فيها إلى سرخس على هذا النحو ، كان
يذهب معلقا فى الهواء ، فيما بين الأرض والسماء ، دون أن يراه سوى أرباب التصوف .
وكان للشيخ أبى الفضل مرید يدعى « أحمد » . وذات يوم رأى الشيخ آتيا فى

الهواء فذهب إلى الشيخ أبي الفضل وقال له : إن أبا سعيد الميهني قادم ، وهو يسير معلقا في الهواء فيما بين الأرض والسماء . فسأله الشيخ أبو الفضل : أرايت ذلك ؟ . فأجاب : أجل رأيت . فقال له أبو الفضل إنك لن تموت حتى يكف بصرك . وقال الشيخ عبد الصمد إن « أحمد » كف بصره في أواخر أيامه كما قال الشيخ أبو الفضل .

وعند ما أمضى الشيخ مدة في المجاهدة على هذا النحو رجع إلى أبي الفضل حسن في سرخس ، ولبث معه عاما . وأمره أبو الفضل برياضات أخرى ، ثم ألبسه الخرقة ، وهذه رواية ضعيفة .

أما الرواية الصحيحة فهي أن الشيخ قدس الله روحه العزيز اشتغل أثناء حياة الشيخ أبي الفضل حسن بالرياضة والمجاهدة (ص ٣٦) ولم يتقلد الخرقة . وعندما توفي الشيخ أبو الفضل ذهب شيخنا إلى أبي عبد الرحمن السلمي وتقلد منه الخرقة . وكان الشيخ عبد الرحمن السلمي قد تقلدها من يد أبي القاسم النصرابادي ، والنصرابادي من يد الشبلي ، والشبلي من يد الجنيد ، والجنيد من يد سري السقطي ، والسقطي من يد معروف الكرخي ، والكرخي من يد جعفر الصادق ، والصادق من يد أبيه محمد الباقر ، والباقر من يد أبيه علي زين العابدين ، وعلي زين العابدين من يد أبيه أمير المؤمنين الحسين ، والحسين من يد أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعلي بن أبي طالب من يد محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وعندما تقلد شيخنا الخرقة — وفقا لتلك الرواية الضعيفة — قال له أبو الفضل : لقد تم كل شيء الآن ، وعليك أن تتوجه إلى ميهنه ، وتدعو الناس إلى عبادة الله ، وتعظمهم . وجاء الشيخ أبو سعيد إلى ميهنه عملا بمشورة الشيخ أبي الفضل ، وأكثر من الرياضات والمجاهدات . ولم يكتف بما أشار به الشيخ ، وأخذ يزيد من العبادة والرياضة كل يوم . وفي هذه المرة بدأ الناس يظهرون له التبجيل كما ذكر

هو بلفظه المبارك في أحد المجالس ، فقد سئل قدس الله روحه العزيز عن هذه الآية : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » ، فقال شيخنا قدس الله روحه العزيز : إن هذه الآية صحيحة عن أحوال الصوفية ، فذلك هو المقام الأخير الذي يظهر لهم بعد كل هذه الجهود والعبادات والترحال والإقامة والآلام والامتهان والتحقيق والمذلة التي يمرون بها .

ففي البداية يهتدى الصوفي إلى باب التوبة فيتوب ويسترضي خصمه ، ثم يعمل على إذلال النفس ، ويتقبل جميع الآلام ، ويسعى لراحة الناس بقدر ما يستطيع . ثم يشتغل بأنواع الطاعات (ص ٣٧) فيقوم الليل ، ويجمع النهار ، ويؤدي الفرائض ، ويزيد كل يوم في جهوده ، ويوجب على نفسه أشياء جديدة . وقد فعلت هذا كله فأوجبت على نفسي في البداية ثمانية عشر شيئاً ، وفتحت لنفسي بهذه الأشياء ثمانية عشر ألف عالم ، فداومت على الصوم ، وامتنعت عن اللقمة الحرام ، وواظبت على تلاوة الذكر ، وقت الليل ، ولم اضطجع على الأرض ، ولم أنم إلا وأنا جالس . وكنت أجلس مولياً وجهي إلى القبلة ، ولم أتكئ على شيء ، ولم أنظر إلى شاب أمرد نظرة سوء ، ولم أنظر إلى المحرمات ، ولم أستعبد لأحد ، ولم أسأل أحداً شيئاً . وكنت قانعا مستسلماً لإرادة الله . كما كنت أجلس في المسجد دائماً . ولا أذهب إلى السوق لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إن أسوأ الأماكن الأسواق وأفضلها المساجد .

وكنت متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أفعل ، وكنت أختم القرآن كل يوم وليلة ، وكنت أعمر فيما يبصر وأصم فيما يسمع وأبكم فيما يقال ، وظللت عاماً لا أتحدث مع أحد فأسماني الناس مجنوناً ، وسمحت لهم بأن يطلقوا عليّ هذا الاسم عملاً بالحديث : « لا يكمل إيمان العبد حتى يظن الناس أنه مجنون » .

وقمت بعمل كل شيء قرأت أو سمعت أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قام به
أو أمر به حتى أننى سمعت أن المصطفى صلى الله عليه وسلم جرح في قدمه في غزوة
أحد فلم يستطع الوقوف عليها فكان يصلى واقفا على أطراف أصابعه ، فوقفت
مقلدا له وصليت أربعائة ركعة . وجعلت حركاتي الظاهرة والباطنة وفقا للسنة حتى
تصبح هذه العادة طبيعة في النهاية . وكل ماسمعت أو قرأت أن الملائكة تفعله
فعاتته وقمت به (ص ٣٨) حتى أننى سمعت وقرأت أن الملائكة تعبد الله على
رؤوسها ، فوقفت على رأسى فوق الأرض وأمرت أم أبى طاهر الموقفة أن تربط
أصبع قدمى بحبل وتربطه في مسمار وتغلق على الباب . ولما فعلت قلت : يا إلهى
إننى لا أريد نفسى فنجنى منها . وبدأت أقرأ القرآن . وعندما بلغت قوله تعالى :
« فسيكفيمهم الله وهو السميع العليم » تدفق الدم من عيني وغبت عن الوعي .
ثم تغيرت الأمور .

وقد مرت بي رياضات من النوع الذى لا تصوره العبارات ، وقد أعانى الله
عاليها ووفقنى فيها . وكان ينجيل إلى أننى أقوم بكل هذه الأعمال بنفسى ؛ ولكن
ظهر فضل ربي ، وأوضح لى أن الأمر لم يكن كذلك ، وأن هذه الأعمال كلها
كانت بتوفيق الله وفضله ، فتبت عن هذا الظن ، وتبينت أن ذلك كله كان وها
وغرورا . فإذا قلت الآن أننى لن أسلك هذا الطريق لأنه طريق الغرور ؛ فإننى
أقول لك أن رفضك في حد ذاته غرور ، لألك إذا لم تمر بهذا كله فإن يتكشف
لك الغرور . ولن يظهر لك الغرور حتى تتجاوز الشرع . والغرور موجود في
الدين ، والدين شرع ، والامتناع عن القيام بالفرائض الدينية كفر في الشرع ،
والقيام بهذه الفرائض دون فناء عن النفس شرك . فإذا كنت أنت موجودا وهو
موجود فإنه يكون هناك اثنان وهذا شرك . ولذلك يجب أن تفنى عن نفسك
تماما . وكانت لى صومعة كنت مغرما بإفناء نفسى فيها ، فظهر لى نور بدد ظلمة

وجودى ، وكشف لى الله عز وجل عن أننى لم أكن هذا ولا ذاك ، وإنما هو توفيق
الله وفضله ، ورحمته وعنايته (ص ٣٩) حتى أننى أخذت أردد :

« رباعية »

عندما أفتح عيني أشاهد جمالك كله
وعندما أحدثك بسرى يصبح جسدى كله قلبا
وعندما أتحدث إليك أطيل الحديث
وأشعر أنه حرام على أن أتحدث إلى سواك

ثم بدأ الناس ينظرون إلى بكثير من التبجيل والرضا ، وأخذ المريدون
يتجمعون حولى ويتوبون على يدى . وامتنع جيرانى عن شرب الخمر احتراماً لى
حتى بلغ بهم الأمر أن اشتروا قشرة بطيخ وقعت من يدى بمبلغ عشرين دينارا .
وفى يوم كنت امتطى جوادا فأسقط هذا الجواد بعض الروث فأقبل الناس ومسحوا
به رؤوسهم ووجوههم . وبعد ذلك كشف لى أن ذلك — الاحترام — لم يكن
من أجل . وجاءت صيحة من جانب المسجد تقول « أو لم يكفك ربك » ، فظهر
نور فى صدرى ، وارتفعت أ كثر الحجب حتى رفضنى كل من كان قد تقبلنى من
الناس إلى حد أنهم ذهبوا إلى القاضى وشهدوا بكفرى ، وقالوا أن كل أرض
مررت فيها لا ينبت فيها نبات بسبب ما أجابه لها من الشؤم . وكنت قد جلست
فى المسجد يوما فأقبلت بعض النسوة وألقين القاذورات على رأسى . ومع ذلك
سمعت الصوت يصيح « أو لم يكفك ربك » . وكنت جشود ذلك المسجد عن
الصلاة وأخذوا يقولون إننا لن نصلى جماعة مادام هذا المجنون فى المسجد .
فجئت أردد :

« رباعية »

كنت أسداً وكان النمر صيدى
وكنت مظفراً أينما توجهت
ولكن منذ تملكى عشقك
طردنى الثعلب الأعرج من عرينى !

ومع هذا كله انتابتنى حال من القبض وفتحت المصحف على تلك النية فوقعت عيني على هذه الآية : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » (ص ٤٠) كما لو كان الله تعالى قال لى : كل ما اضع فى طريقك من البلايا أن يكن خيراً فهو بلاء ، وإن يكن شراً فهو بلاء ، فلا تهبط إلى الخير والشر وعد إلى . ثم فنيت عن هذا أيضاً وأصبحت رحمته كل شىء .

« بيت »

— لقد صارت بخارى اليوم مثل بغداد فى كل حال ،
لأن الظفر يحل حيث حل أمير خراسان .

وقد جرى هذا الحديث على لسان شيخنا قدس الله روحه العزيز أثناء مجلس من المجالس .

وفى خلال تلك الأحوال توفى والد الشيخ وأمه فارتفع بذلك قيد كان يقيد من أجل إرضائهما . فتوجه إلى الصحراء الواقعة بين « باورد » و « سرخس » ، وقضى سبع سنوات مشغلاً بالرياضة والمجاهدة بحيث لم يكن أحد يراه إلا نادراً . ولا يعرف مما كان يقتات خلال هذه السنوات السبع . ولقد سمعنا من شيوخنا ومما هو متداول على أفواه الناس ، سواء منهم العامة والخاصة ، أن شيخنا قدس الله روحه العزيز كان يقتات خلال هذه الأعوام بنباتات الصحراء .

وروى أنه عندما بلغ حال الشيخ تلك الدرجة التي بلغها وأصبح مشهوراً ، كان قد جلس يوماً على باب روضته المقدسة ، عمرها الله ، وكان أحد مريديه يأكل بطيخة حلوة وقد رشها بالسكر المسحوق ، فقدمها للشيخ ليأكل منها . ومراً أحد المنكرين على هذا المكان فقال له : أيها الشيخ ، ما طعم ذلك الذي تأكله الآن ، وماذا كان طعم ما كنت تأكله طيلة الأعوام السبعة وأيهما أطيب ؟ فقال الشيخ : أن لكل منهما طعم الوقت ، فإذا كان للوقت (ص ٤١) صفة البسط يكون ذلك العشب والشوك أطيب من هذا - وأشار إلى البطيخ - وإذا كان هناك قبض « لأن الله يقبض ويبسط » ، والمطلوب في الحجاب ، فإن هذا السكر ليس أطيب من ذلك الشوك . ولهذا قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : كل من رآنا في أول الأمر صار صديقاً ، وكل من رآنا في النهاية صار زنديقاً . أى أنه في أول الأمر كانت هناك رياضة مجاهدة .

ولما كان الناس كثيراً ما ينظرون إلى الظاهر ويعبدون الصورة فقد كانوا عندما يرون تلك الحياة ويشاهدون تلك المجاهدات الكثيرة في طريق الله كان تصديقهم لهذا الطريق يتزايد فينالون درجة الصديقين . وفي النهاية تكون المشاهدة وعندئذ تظهر ثمرة المجاهدات فتكون هناك رفاهية وتنعم في كل وقت . وهذه الحال على عكس الأولى ، فكل من رأى هذه الحال وهو يجهل الحال الأولى ينكر ما هو حق ، وكل من ينكر الحق يصير زنديقاً . وهناك أدلة كثيرة على هذا منها أنه إذا أراد شخص أن يتقرب إلى ملك ليكون صاحب أسرارهِ فإنه ينبغي عليه أن يواجه كثيراً من الآلام والبلايا ، وأن يتذوق أنواع المشقات وأن يحتمل الطيب والوضيع ، ويستمع إلى الأقوال الغليظة . كما يجب عليه أن يصبر على هذا كله ، وأن يتقبل كل هذه الآلام بوجه باش وطبع سمح ، ويؤدي

فى مقابل كل جفوة خدمة ، ويقول فى مقابل كل سب ثناء حتى يصل إلى ما يريد ،
ويصبح صاحب سر الملك . ومن كل ألف يستطيع فرد واحد أن ينفذ هذا . وإذا
نفذه فقد يصل إلى هذه المرتبة أو لا يصل . وعندما يشرف برضاء الملك (ص ٤٢)
ويحصل على شرف القرب منه يجب عليه أن يؤدى كثيرا من الخدمات الحسنة
حتى يعتمد الملك عليه . وعند ما يعتمد عليه ويصبح أهلا لمنزلة صاحب السر ، وتكون
جميع المشتقات قد ذهبت وحلت محلها الكرامة والقرب والمنزلة والنعمة والراحة ، فإنه
عندئذ تبدو وجوه اللذة والراحة ، ولا يبقى أى عمل لهذا الشخص سوى ملازمة الملك .
وهو لا يستطيع أن يغيب عن بلاط الملك طرفة عين فى أى وقت من الأوقات سواء
فى الليل أو النهار حتى إذا ما طلبه الملك فى أى وقت ، أو أراد أن يفضى إليه بسر ،
أو يمنحه شرف مناقشته ، وجده بين يديه . وهذه الدرجات واضحة ، والقياس
عليها ظاهر .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : كنت كلما اعترضتنى مشكلة أذهب إلى
الشيخ أبى الفضل ليلا فيحل ما أشكل علىّ ثم أعود .

وبعد أن أقام الشيخ سبع سنوات فى الصحراء على هذا النحو عاد إلى ميهنه .
قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : ثم أخذت استشير الشيخ أبا العباس القصاب قدس
الله روحه العزيز إذ كان آخر من تبقى من المشايخ . ذلك أنه بعد وفاة الشيخ أبى
الفضل ، والذي كنت ألتجأ إليه فى كل إشكال يعترضنى ، لم يكن هناك من
ألتجأ إليه لحل مشاكلى غير الشيخ أبو العباس القصاب . ولم يكن شيخنا أبوسعبد
قدس الله روحه العزيز يدعو أحدا بكلمة « شيخ » سوى أبى العباس القصاب
وكان يدعو الشيخ أبا الفضل بالمرشد (پير) (ص ٤٣) لأنه كان مرشده فى
الطريقة . قال الشيخ : بعد ذلك ذهبت إلى « آمل » بجوار « باورد » و « نسا »

قاصدا زيارة قبور المشايخ ، وكان معي أحمد النجار ومحمد بن الفضل .

وكان محمد بن الفضل مريدا ورفيقا للشيخ منذ البداية حتى النهاية وقبره بجوار
قبر الشيخ أبي الفضل حسن في سرخس .

قال الشيخ : وذهب ثلاثتنا إلى باورد . ثم قصدنا « شاه ميهنه » عن طريق
وادي الكز .

وقرية « شاه ميهنه » قرية من أعمال وادي الكز ، وكانت تسمى قبل ذلك
« شامينه » . وعندما بلغ الشيخ قدس الله روحه العزيز ذلك المكان سأل : ماذا
يسمون هذه القرية ؟ فقالوا « شامينه » . فقال الشيخ قدس الله روحه العزيز :
ينبغي أن تسمى هذه القرية « شاه ميهنه » ومنذ ذلك الوقت وهم يسمونها بهذا
الاسم تيمنا بقول الشيخ ، وعملا بإشارته الشريفة .

قال الشيخ : ذهبنا لزيارة قبر الشيخ أبي علي وكان هذا هدفنا . وعندما اقتربنا
من القبر كان هناك جدول ماء وحجر على شاطئه فتوضأنا عليه وصلينا ركعتين .
ورأينا صبيا يقود ثورا ويقوم بحراثة الأرض . وكان على حاشية الحقل شيخ بنثر
البذور ، وقد بدا مذهولا ؛ لأنه كان ينظر إلى القبر كل لحظة وبصيح ، فتملكني
الاضطراب . وتقدم الشيخ وسلم علينا وقال : هل يمكنك أن ترفع عبئا عن
صدرى ؟ . قلت : إن شاء الله . فقال : كنت أفكر الآن أنه إذا كان الله تعالى
عندما خالق هذه الدنيا لم يخلق فيها أي كائنات ، وملاها بالحب من الشرق إلى
الغرب ومن الأرض إلى السماء ، وجعل فيها طائرا واحدا وقال له أن طعامك كل
ألف سنة هو حبة واحدة من هذا الحب ، (ص ٤٤) وخلق إنسانا واحدا وأشعل
في صدره الوجد ، وقال له إنك لن تصل إلى مرامك حتى يأكل هذا الطائر كل
مافي العالم من الحب ، وستظل تكابد ما أنت عليه من ألم ووجد ، فإن هذا

الأمر سرعان ما ينتهى . قال الشيخ أبو سعيد : فخل ذلك الشيخ ما أشكل على .
وأصبح الأمر واضحاً أمامى .

وعندما بلغنا قبر أبى على فتح الله علينا وحظينا بالنفحات ، ثم قصدنا نسا .
ولما بلغ شيخنا قدس الله روحه العزيز مدينة نسا كانت هناك قرية بجوار
المدينة يسمونها « اندرمان » فأراد أن ينزل بها وسأل عن اسمها فقالوا : « اندرمان » .
فقال : لانكاد نذهب حتى نرحل ، وعدل عن الذهاب إليها . وكذلك لم
يدخل مدينة نسا وسار خارجها . ومر بقري نزل في واحدة منها تسمى « ردان » .
ثم توجه إلى « ييسمة » . وفي ذلك الوقت كان الشيخ أحمد بن نصر من كبار
المشايخ مقيماً في مدينة « نسا » ، وينزل في خانقاه سرواى التى تقع في أعالي
المدينة بالقرب من الجبل حيث قبور المشايخ والعظماء .

[وقد بنى الأستاذ أبو على الدقاق قدس الله روحه العزيز خانقاهاً وفق .
أشارة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنه عندما جاء الدقاق إلى نسا لزيارة
قبور المشايخ لم يكن للصوفية مكان ، فنام تلك الليلة ، ورأى المصطفى صلوات
الله وسلامه عليه فى النوم ، فأمره بأن يبنى للصوفية مكاناً فى هذه البقعة ، وأشار
إلى المكان الذى توجد به هذه الخانقاة الآن ، ورسم خطاً حوله لتبنى فيه .
وفى فجر الغداة نهض الأستاذ أبو على وجاء إلى ذلك المكان فوجد الخط
الذى رسمه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه واضحاً على الأرض ، وكذلك رآه .
الجميع . فبنى الأستاذ أبو على تلك الخانقاه على الخط . وبعد ذلك جاء كثير
من الصوفية والمشايخ إلى تلك البقعة . (ص ٤٥) ولا يزال أساس هذه الخانقاه
باقياً وظاهراً حتى اليوم . ويوجد فى المقبرة التى على طريق الجبل بجوار الخانقاه قبور
أربعائة شيخ من كبار المشايخ ومشاهير الأولياء ؛ ولهذا يسمى الصوفية مدينة .

« نسا » بالشام الصغرى ، فكما توجد قبور الأنبياء فى الشام ، توجد قبور الأولياء فى نسا .

ومدينة نسا أرض كريمة جداً ازدانت دائماً بوجود المشايخ الكبار وأرباب الكرامات وأصحاب المقامات . وقد ذكر المشايخ أن البلايا والفتن التى كانت تظهر فى خراسان ماتلبث حتى تتبدد حين تنبجه إلى نسا . ولقد شاهدنا هذا الأمر بأنفسنا ، فى خلال الثلاثين سنة أو أكثر التى اشتعلت فيها الفتن والغارات والنهب والحرق والقتل فى خراسان دفع الله سبحانه وتعالى بفضل رحمته ولطفه وبركة المشايخ كل كارثة وفتنة اتجهت إلى نسا .

والآن وفى هذا العهد الذى أجذب فيه الدين واضمحل الإسلام ، وخاصة فى خراسان ، بحيث لم يبق فيها أى أثر للتصوف ، بقى فى نسا الكثير من المشايخ والصوفية ذوى التجارب الروحية أطال الله بقاءهم ، فلا جرم أن الأثر الذى يقول « بهم يرزقون وبهم يمحطون » مهما كان الأمر فيه ظاهراً فقد تحقق بصورة أكمل . وقيم فى هذه الولاية كثير من الصوفية أصحاب الخرق ممن لا مثيل لأحدهم فى كثير من الولايات . ورغم أن أكثر الأولياء قد اختفوا عن أبصار العامة خلف ستار « تحت قبابى لا يعرفهم غيرى » (ص ٤٦) إلا أن آثار عهودهم وبركات أنفاسهم كثيرة جداً .

وقد اتخذ الشيخ أحمد بن نصر الذى كان مقياً فى خانقاه سرواى صومعة فى هذه الخانقاه التى يسمونها الآن زاوية الشيخ . وأخرج — الشيخ أحمد بن نصر — رأسه من الصومعة وقال للجماعة الذين جلسوا معه على صفتها : ها هو صقر الطريقة — يقصد أبا سعيد — يمر الآن وعلى كل من يريد أن يراه أن يذهب إلى يسمه لرؤيته .

قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : عندما ذهبنا إلى نسا قصدنا ببسمة إذ كان في نيتنا زيارة قبر أحمد بن علي .

وببسمة هذه قرية على بعد فرسخين من نسا وبها قبر الشيخ أحمد بن علي النسوي ، وكان من مشاهير مشايخ خراسان ومريدا للشيخ عثمان الحيري . ويذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه « طبقات أئمة الصوفية » اسمه علي أنه « محمد عليان النسوي » ، ولكنه معروف في ولاية نسا بأحمد بن علي . وكانت له أحوال شريفة وكرامات ظاهرة منها : أنه عندما رجع الشيخ قدس الله روحه العزيز من ذلك السفر وظهر شأنه في التصوف أرسل ابنه الأكبر أبا طاهر لأمر في مدينة نسا . وعندما بلغها أبو طاهر أصيبت قدمه بحيث لم يعد يستطيع الحركة . وفي أثناء غيابه ولد للشيخ في ميهنة ابن . وعرف الشيخ بفراسته وكرامته مرضن السيد أبي طاهر ، فدعا أحد الدراويش وقال له : ينبغي أن تذهب إلى أبي طاهر في نسا ، فقد بلغنا أنه أصيب في قدمه ، ويجب أن يذهب إلى قبر أحمد بن علي في ببسمة (ص ٤٧) ليشفي من مرضه إن شاء الله تعالى . وكتب الشيخ رسالة إلى أبي طاهر جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سنشد عضدك بأخيك » وعندما وصلت الرسالة إلى أبي طاهر خرج للزيارة ، فحملوه على محفة إلى ببسمة ، وأقام ليلة على قبر أحمد بن علي . وفي اليوم التالي شفاه الله سبحانه وتعالى وزالت آلامه .

قال الشيخ : وزرنا قبر أحمد بن علي ، وفي الطريق صادفنا حادث ، فدخلنا القرية لنخرج من طريق آخر . وكان هناك قصاب شيخ جالس على باب حانوته فتقدم إلينا وحيانا وأرسل صبيه خلفنا ليرى أين نزل . وكان هناك منزل بجوار النهر فنزلنا فيه وتوضأنا وصلينا ركعتين . وأقبل ذلك الشيخ وأحضر طعاماً ، كلنا ، وعندما انتهينا قال القصاب للشيخ : هل بينكم من يجيب على مسألة ؟ فأشاروا

إلى ، فسألتني : ما شروط الطاعة ، وما شروط الأجر ؟ . فأجبته بنصوص من علم الشريعة ، فقال : ليس هناك شيء آخر ؟ فنظرت إليه في صمت فالتفت الشيخ قائلاً في غضب : لا تتحدث عن هذا فقد طلقته . وكان يعني بذلك أنني قد تخليت عن ذلك العلم فلا ينبغي أن أعود إليه .

[وقد حدث ذلك على هذا النحو . فعندما قاد الشيخ لقمان شيخنا إلى أبي الفضل حسن في سرخس وأمره بتلك الرياضات والمجاهدات وتحول الشيخ من علم القال إلى علم الحال ، جمع الكتب التي قرأها والمذكرات التي كتبها ودفنها وشيد فوقها (ص ٤٨) دكاناً وزرع غصنا امتدت فروعه فوق ذلك الدكان ، ونما واخضر في أمد قصير وصار شجرة كبيرة . وقد اعتاد أهل بلدنا عند ولادة الأطفال أو غسل الموتى وتكفينهم أن يستعملوا بعض أغصانها أملاً في الحصول على البركة . وكانوا يحملونها إلى الولايات البعيدة . وظلت خضراء يانعة حتى عهدنا ، وعندما اجتاحت الغز ولاية خراسان وظلوا بها ثلاثين عاماً كان كل يوم منها أسوأ من الآخر ، دمرت تلك الشجرة مثل بقية الآثار المباركة الأخرى .

وقد تحدث الشيخ قدس الله روحه العزيز عن هذا الأمر في أحد المجالس فقال : في بداية تصوفي عندما فتح الله عليّ ، كانت لدى كتب كثيرة وأجزاء عديدة تصفحتها واحداً واحداً وقرأتها جميعاً ولكنني لم أحصل على كل ما كنت أصبو إليه من الراحة والاستقرار النفسي ، فدعوت الله عز وجل قائلاً : يا إلهي إن الأمر لم يتكشف لي بقراءة هذه الكتب ، وما أزال عاجزاً عن الوصول إليك رغم قراءتها فاجعلني اللهم مستغنياً بشيء أجذك فيه . فتفضل الله عليّ ، وأخذت أشعر بشيء من الراحة وأنا أمسك بهذه الكتب واحداً واحداً حتى وصلت إلى تفسير الحقائق ، وأخذت أقرأ القرآن فقرأت الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام حتى وصلت إلى هذه الآية « قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم

يلعبون» - وكنت قد حفظها من قبل - وهنا وضعت الكتاب، وكلما حاولت أن أتقدم في القراءة لم أستطع. (ص ٤٩) وعند ما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز يدفن كتبه ويضع فوقها التراب ويصب عليه الماء. أخبروا والده بذلك فأقبل والد الشيخ وقال له: يا أبا سعيد، ما هذا الذي تفعله؟ فقال له الشيخ: هل تذكر ماذا صنعت يوم جئت إلى حانوتك وسألتك: ما ذا في هذه الخرائط وماذا اخفيت في هذه الأجرة؟ لقد قلت لي حينئذ: ألا تعرف - اللهجة - البلخية؟ قلت أعرفها. فقلت: إن هذه لا تصلح مهنة لك.

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ يدفن الكتب نظر إليها وقال: «نعم الدليل أنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال».

وقد جرى على لسان الشيخ أثناء حديثه هذا القول: «بدا من هذا الأمر كسر المحابر وخرق الدفاتر ونسيان العلوم».

وعندما دفن شيخنا تلك الكتب وغرس الغصن ورواه قال له بعض الناس: أيها الشيخ، أما كان الأفضل أن تعطى هذه الكتب لمن يمكن أن يفيد منها؟ فقال الشيخ: «أردنا فراغة القلب بالكلية من رؤية المنة وذكر الهبة عند الرؤية».

وقال الشيخ أيضاً: كنت أقرأ يوماً في أحد كتب السيد حمدان فقيلى لى: أما تزال تقرأ الكتب؟... أتريد أن أردك إليها؟ فتبت واستغفرت كثيراً حتى عفا الله عني.

وروى أحد أصحاب الشيخ (ص ٥٠) هذه القصة فقال: في إحدى الليالى ظل الشيخ قدس الله روحه العزيز يئن في صومعته حتى الفجر، فبت منها متألماً

حتى الصباح ، ولم أنم من كثرة التفكير . وفي الغداة خرج الشيخ فسأله : أيها الشيخ ، ماذا ألم بك بالأمس مما جعلك تتأوه هكذا ؟ . فقال الشيخ : رأيت بالأمس كتابا في يد أحد العلماء فأخذته منه وقرأت فيه وقد عوقبت طوال ليلة الأمس بألم في أسناني ، وقيل لي لماذا تعود إلى ما طلقت ؟

قال الشيخ : قال لي ذلك القصاب الشيخ : لن تكون عبداً لله ما لم تتحرر من نفسك ، وإذا لم تصير الفاسق ناصحاً مصلحاً فلن تحصل على الجنة « جزاء بما كانوا يفعلون » . قال الشيخ : لقد حل ذلك القصاب الشيخ مشكلتي بقوله هذا .

وبعد ذلك رحل الشيخ عن نسا وقصد آمل عند أبي العباس القصاب ، ولبث معه عاماً . (جاء هذا في رواية وهي أكثر صحة ، وفي رواية أخرى أنه أقام هناك عامين ونصف ولكنها رواية ضعيفة) . وكان للشيخ أبي العباس القصاب زاوية في خانقاه على شاكلة الحظيرة اعتكف فيها واحداً وأربعين عاماً بين تلاميذه . وكان إذا ما أكثر أحد الدراويش من الصلاة في الليل قال له : « نم يا بني فإن ما يفعله شيخك إنما يفعله من أجلك فلا فائدة له فيه ولا حاجة له إليه ، غير أنه لم يقل هذا قط للشيخ أبي سعيد خلال المدة التي قضاها عنده . وكان الشيخ يصلي طوال الليل حتى الصباح ويصوم دائماً . وقد أعطى الشيخ أبو العباس شيخنا زاوية في مواجهة زاويته . وكان أبو سعيد يقيم فيها ويمارس أنواع المجاهدات والرياضة ، ويثب عينيه على ثقب بالباب ، ويراقب أحوال الشيخ أبي العباس دائماً . وفي يوم من الأيام كان الشيخ أبو العباس قد احتجم ، وفي تلك الليلة انزلق الرباط عن يده فانفتح العرق وأدمى ولوث يده وثوبه فخرج من زاويته . ولما كان الشيخ أبو سعيد (ص ٥١) يراقب أحواله دائماً فقد خرج مسرعاً من زاويته وغسل يده وربطها بأخذ ثوب القصاب وأعطاه ثوبه وارتدى ثوبا قديماً ، وغسل ثوب أبي العباس

وجففه في الليل وحمله إليه . فقال له الشيخ أبو العباس : هو لك فالبسبه . فقال له شيخنا : فإلبسني الشيخ إياه بيده المباركة . فالبسبه الشيخ أبو العباس الخرقة بيده ، وكانت هذه هي الخرقة الثانية التي أخذها شيخنا .

[وحتى لا يذهبن أحد إلى القول بأن من يرتدى خرقة من شيخ لا يجوز له أن يلبس خرقة من شيخ آخر ؛ نقول أن الأصل في ارتداء الخرق هو أنه حينما يستحق شيخ من شيوخ الطريقة الخرقة بمعنى أنه أصبح أهلاً للاقتداء به بعد أن عرف علوم الشريعة والطريقة والحقيقة وأداها على وجه الكمال ، ورأى وعرف وجرب المقامات والسير في منازل هذا الطريق ومراحله ، وتطهر من الصفات البشرية فلم يبق له من نفسه شيء على نحو ما ذكر الشيخ أبو الحسن الخرقاني في حق شيخنا فقد قال : في الوقت الذي بلغ فيه الشيخ أبو سعيد ما بلغ من التصوف قال : لم تبق هنا بشرية ولا نفس ، الكل هنا حق ، الكل هنا حق . (وسوف يأتي هذا في مكانه وإنما غرضنا هنا هو الاستشهاد) ، فعندما يقف مثل ذلك المرشد على أحوال مرید أو محب ، ويعلم سره وعلايته عن طريق التجربة ، ويرى لياقة ذلك الرجل بعين البصيرة والبصر ، ويعرف أنه قد ظهر استحقاقه (ص ٥٢) وتقدمه في مقام الخدمة حتى أنه يستطيع أن يجلس بين هذه الطائفة ، ويرى أنه قد تم له الاستعداد . لأن يتقدم في الرياضة والمجاهدة حتى يكون واحداً من هذه الجماعة ، وأنه صار أهلاً لهذا بفضل تربية هذا الشيخ أو تربية وإرشاد وهداية شيخ آخر جدير بتربية المريدین ؛ فإنه يلبسه الخرقة اعترافاً منه بأن هذا المريد لائق للجلوس مع هذه الطائفة . وحين يكون هذا الشيخ مقبول القول بين القوم مرموقاً فإن الجميع يعتمدون على كلمته . ولهذا فإن الصوفية إذا ما جهلوا درویشاً حين يدخل عليهم الخانقاه ، أو يريد مصاحبته سألوه عن شيخه ، وعن ألبسه الخرقة . وهذا الانتساب

محل اعتبار كبير بين أفراد هذه الطائفة ، وليس لديهم في الطريقة نسب أعظم من هذين النسبين . وكل من لاتصح نسبته في ذلك إلى شيخ جدير بالقيادة أبعده ، ولم يمكنوه من صحبتهم .

ولمراتب الشيوخ والمريدين والخرقة والصحبة شرح كثير وليس من غرض هذا الكتاب . وإذا وصل شخص عن طريق التجربة والرياضة إلى درجة عالية ولم يكن له مرشد أو قدوة أنكرته الطائفة . قال شيخنا : « من لم يتأدب بأستاذ فهو بطل ؛ ولو أن رجلا بلغ أعلى المراتب والمقامات حتى تكشف له من الغيب أشياء (ص ٥٣) ولا يكون له مقدم ولا أستاذ فإنه لايجب منه شيء » .

ومدار الطريقة على الشيخ لأن « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » . ومن المحقق أنه لا يمكن لأى شخص الوصول إلى شيء بنفسه . وللمشايع أقوال كثيرة في هذا الأمر ، وفي هذه الأقوال فوائد لاحصر لها وخصوصا شيخنا أبو سعيد قدس الله روحه العزيز وسوف يرد بعضها في مكانه . ولوبدت لشخص تلك الكرامة وتملكه العشق فإن تلك الآلام تجبره على ملازمة الشيوخ ، والاعتكاف في خلواتهم ليكتسب الفائدة ؛ لأن هذا العلم لايتأتى إلا عن طريق العشق « ليس الدين بالتمنى ولا بالتجلى ولكن بشيء وقر في القلب وصدقه العمل » .

« يلت »

— أنت يا من لم تكتو بنار العشق ،

إن العشق هبة وليس تعلمها .

وحتى لايتخذ أحد لنفسه العذر بسبب هذا القول ، ويتعلل بأنه لا يوجد في هذا العهد مثل هذا الشيخ الذى يشترط وجوده ، وأنه لا يوجد الآن واحد من الشيوخ .

والأئمة كالذين كانوا من قبل ، وأن هذا هو السبب في اضطراب النفوس والتكاسل ؛ نقول إن كل من وجد في نفسه القدرة على هذا الأمر ، وعشق هذا الطريق ، وجب عليه أن يكون كما قال الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس الله روحه العزيز : يلزم في البداية عمل شئين ؛ أحدهما السفر ، والآخر الأستاذ . وقد تجولت كثيرا بسبب هذا وصعب على الأمر . وشاء الله تعالى أنه كلما اعترضتني مشكلة وعجزت أمامها أقبل عالم من المذهب الشافعي وناقش معي هذه المشكلة . وعشت ثلاثا وثمانين عاما مع الحق ، فلم أسجد سجدة مخالفة للشرع ، ولم أتنفس نفسا واحدا موافقا للنفس . وفي السفر هياؤا لي في كل خطوة ما يهتز له العرش . وعندما يكون العشق صادقا وتكون الإرادة خالصة (ص ٥٤) تكون ثمرة الحياة طيبة هكذا .

وهناك أصل عظيم متعارف عليه بين هذه الطائفة وهو أن الكل واحد والواحد كل ، ولا يوجد خلاف بين جميع صوفية العالم . ولا يدخل في هذا كل من كان زيفا مظهره كالصوفية ، وإذا كانت ألفاظ الشيوخ تختلف من حيث العبارة فإن المعاني كلها واحدة . ومادام الأمر كذلك فإنه إذا لبس شخص الخرقة من شيخ فإنهم يسمونها الخرقة الأصالية ، ويسمون الخرق الأخرى خرقة التبرك . وإذا تأملت هذا الأمر من حيث معناه فإنه مادام الكل واحد فإن جميع الأيدي تكون واحدة ، وجميع الأنظار واحدة ، ويسرى هذا على الخرق أيضا . وكل من يصبح مقبولا عند شيخ يكون مقبولا لدى الجميع ، ومن يكون مردودا لدى واحد يكون هكذا عند الجميع والعياذ بالله . وكل من يلبس خرقتين يكون كأنه حصل على دليلين صادقين على أهليته هما خرقة المشايخ والتبرك على أيديهم .

وإذا أردت أن تستوثق فاستمع إلى هذه القصة حتى لا تبقى لديك شبهة

« في أن جميع الشيوخ وجميع الصوفية المخلصين متشابهون لا يختلفون في صفة ما .
إعلم أن اتفاق جميع الأديان والمذاهب محقق لدى العقلاء ؛ لأن المعبود والمقصود
جل جلاله واحد ، والحق جل جلاله وتقدسست أسماؤه واحد من كل وجه . وقطعا ليس
هناك مجال للشرك . وإذا كان هناك اختلاف في السلوك أو الطريق فإنه عندما
يصلون إلى الهدف يرتفع الخلاف ويتبدل كله بالوحدانية ؛ لأنه إذا بقي في السالك
شيء من صفات البشرية فلن يصل إلى هدفه ، بل يظهر التلون على حاله أثناء
الطريق . فإذا وصل إلى مطلوبه (ص ٥٥) ومقصوده لا يبقى له من صفاته البشرية
شيء ، بل يقف في وحدة تامة . ولهذا السبب يقول واحد من المشايخ « أنا الحق » ،
ويقول آخر « سبحاني » ، ويقول شيخنا « ليس في جيبى سوى الله » .

الحق إذن أنه إذا لم يصل السالك إلى مقصده ؛ فإنه يصبح غير لائق لأن
يصير شيخا ، بل أنه يكون عندئذ محتاجا إلى مرشد ليدله على الطريق . وكل
من يصل إلى مقصده يصبح جديرا بأن يصير شيخا . إذن فأقوال المشايخ أصبحت
صادقة بالبرهان ؛ لأن ما ذكره من أن الكل واحد ، والواحد كل ، قد أخبروا به
عن الوصول إلى المقصد ، ولا تبقى شبهة في هذا بعد ذلك ؛ لأنه مادام الكل
واحد والواحد كل ؛ فإن أيديهم وخرقهم تكون كلها واحدة . وكل من يقول
أنه لا يجوز أخذ خرقة من شيخين ؛ فإنه يخبر عن نفسه بأنه مازال في عالم الشرك ،
وأنه يرى الشرك ويقره ، ولا يعرف أى شيء عن أحوال المشايخ . وعندما يفتح عينيه
، ويقع نظره على هذا العالم فإنه عندئذ يتحقق من هذا .

وربما يريد شخص من القول بأنه لا يجب أخذ خرقة ثانية ، نية بطلان الخرقة
الأولى . وهذا القول صحيح ؛ فإن الخرقة الثانية بهذه النية لا يكون أخذها صحيحا .
وكل من يفعل مثل هذا يبطل الخرقة الأولى التي ارتداها ، ويصبح ارتداء الخرقة
الثانية حراما عليه ، ويحرم بين الجميع من الخرقتين والعياذ بالله .

ولقد لبس الشيخ أبو العباس القصاب الخرقة من يد محمد بن عبد الله الطبري .
والطبري من يد أبي محمد الجريري ، والجريري من الجنيد ، والجنيد من سري .
السقطي ، (ص ٥٦) والسقطي من معروف الكرخي ، والكرخي من داود الطائي ،
والطائي من حبيب العجمي ، والعجمي من الحسن البصري ، والبصري من أمير
المؤمنين علي رضي الله عنهم أجمعين ، وعلي من يد المصطفى صلوات الله
وسلامه عليه]

ثم ذهب شيخنا أبو سعيد إلى زوايته . وعندما فرغوا من صلاة الفجر نظر
جماعة الدراويش فرأوا الشيخ أبا العباس يرتدي ثوب الشيخ أبي سعيد ، والشيخ
أبا سعيد يرتدي ثوب الشيخ أبي العباس فتعجب الجميع وسألوا أنفسهم كيف حدث هذا .
وأدرك الشيخ أبو العباس بفراسته ما يحول بخواطهم فقال : حقا لقد كانت كل
الهبات بالأمس من نصيب هذا الشاب الميهني باركه الله . ثم التفت الشيخ أبو العباس
إلى شيخنا وقال له : أرجع إلى ميهنه فسوف يدقون هذا العلم على بابك بعد
مدة قصيرة .

قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : فرجعت إلى ميهنه وفقا لأوامر
الشيخ مع مائة ألف مكرمة وفتوح . والتفت حولي المريدون وتم لي الأمر .
وعند ما وصل أبو سعيد إلى ميهنه توفي الشيخ أبو العباس في آمل .

قال شيخنا قدس الله روحه العزيز : عندما كنت في آمل ، كنت جالسا ذات
يوم بين يدي الشيخ أبي العباس القصاب ، فدخل رجلان وجلسا أمامه وقالوا :
أيها الشيخ لقد جرى بيننا حديث فقال أحدهما أن هموم الأزل والأبد أتم ، وقال
الآخر إن سرور الأزل والأبد أتم . فإذا يقول الشيخ ؟ . فمسح الشيخ أبو العباس

«وجهه بيديه وقال : الحمد لله أن مقام ابن القصاب ليس ألما ولا سرورا » لبس عند
«ربكم صباح ولا مساء » . فالألم والسرور صفاتك ، وكل ما هو صفاتك يكون
محدثا ، وليس للمحدث طريق إلى القديم . ثم قال : إن ابن القصاب يطيع الله
في الأمر والنهي (ص ٥٧) ويتابع طريق المصطفى في السنة . وإذا ادعى أحد
أنه يسلك طريق الرجال فدليلة هو هذا الذي قلت وليس سبيل العجائز من
النساء بل منازل الأبطال . وعندما خرجا سألت من يكونان ؟ . فقال : أحدهما
أبو الحسن الخرقاني والآخر أبو علي الدستاني .

قال الشيخ : كنت في خدمة الشيخ أبي العباس القصاب يوما فقال في أثناء
حديثه : نصيبك من التوحيد الإشارة والعبارة ، وليس لوجود الحق تعالى إشارة
وعبارة . ثم التفت إلى وقال : يا أبا سعيد ، إذا سئلت أتعرف الله تعالى « فلا تقل
أعرفه ، لأن هذا شرك ، ولا تقل لا أعرفه ، لأن هذا كفر ، ولكن قل : « عرفنا
الله ذاته وألوهيته بفضله » .

وقال الشيخ : في يوم من الأيام قال الشيخ أبو العباس للجماعة أثناء حديثه .
: إن أبا سعيد محبوب الملائكة .

وقد ذكر جدى - جد المؤلف - شيخ الإسلام أبو سعيد أنه قد تم للشيخ
الكشف في سن الأربعين . ولم يكن في الإمكان سوى هذا ، لأن الأولياء
الذين هم نواب الأنبياء لا يصلون إلى درجة الولاية قبل سن الأربعين . وهكذا
كان المائة والعشرون ألف نبى ، فقد بلغوا النبوة في سن الأربعين « حتى إذا
بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » ، ماعدا يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم صلوات
الله وسلامه عليهما فقد جاءتهم النبوة والوحى قبل سن الأربعين كما قال سبحانه
« وتعالى في حق يحيى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » . وقال عن عيسى

« قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا » . (ص ٥٨) وقد مارس الشيخ
قدس الله روحه العزيز الرياضة والمجاهدة أربعين عاما . ورغم أن الحال والكشف
كان قد ظهر قبل ذلك ؛ إلا أنه قام بها من أجل تمام تلك الحال ودوامها ، كما
جرى على لسانه المبارك في مجلس من المجالس عندما سئل عن هذه الآية :

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » فقال : إن
قالب آدم طرح فيما بين مكة والطائف أربعين عاما ، ووضعت فيه أخلاط كثيرة :
« إنا خلقنا الإنسان من نطقة أمشاج نبتليه » ، وملأنا صدره بهذا الشرك والغرور
والكبر والإنكار والخصومة والوحشة والغيبة والحديث عن النفس والغير « حين
من الدهر » أي لمدة أربعين عاما ، والآن « بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » . وفي
هذه السن نخرج من صدور الأجنة ما وضعناه في أربعين سنة لنطهرهم ، وتتم هذه
العمليات في أربعين سنة . وكل بيان يخالف ما ذكرت باطل ، كما أن كل من
يمارس المجاهدة أقل من أربعين سنة لا يتم له الكشف ويعود إلى الحجاب ، وكل
من يعود إلى الحجاب لا يتم له الكشف . وأنا أقول هذا الكلام لأعن سمع
ورؤية وإنما أقوله عن تجربة .

وقد صدق هذا في حكايات الشيخ ؛ ففي الوقت الذي رأى فيه الشيخ أبو سعيد
الأستاذ أبا علي الدقاق قدس الله روحهما العزیزة ، كانا جالسين معا يوما ، فسأل
الشيخ الأستاذ أبا علي قائلا : أيها الأستاذ ، أياكون هذا الكشف على الدوام ؟
فأجاب الأستاذ : كلا . (ص ٥٩) فأخى الشيخ رأسه فترة ثم رفعها وقال مرة
أخرى : أيها الأستاذ ، هل يكون هذا الكشف على الدوام ؟ . فأجاب الأستاذ
ثانية : كلا . فأخى الشيخ رأسه ثانية ثم رفعها بعد مرور فترة وقال : أيها الأستاذ
هل يكون هذا الكشف على الدوام ؟ . فقال الأستاذ أبو علي : إذا كان دائما

فإن هذا يكون أمراً نادراً جداً. فأخذ الشيخ يصفق وهو يقول : هذه هي إحدى الحالات النادرة ، هذه هي إحدى الحالات النادرة .

وكانت تعترى شيخنا بعد هذا حالات من القبض في بعض الأحيان ليس بسبب الحجاب ، ولكن بسبب الانقباض البشري ، فكان يطالب من كل شخص ويسأل كل فرد حتى يظهر البسط .

وقد روى أن الشيخ قدس الله روحه العزيز اعترته يوماً حال من القبض. فأخذ يطالب من كل شخص، ويسأل كل فرد فلم يحدث البسط. فأمر الخادم بأن يخرج من الدار ويحضر كل من يراه . فخرج الخادم فرأى شخصاً يمر فقال له إن الشيخ يدعوك . فدخل الرجل وحيا الشيخ . فقال له الشيخ : تحدث إلى . فقال الرجل : أيها الشيخ ، إن كلامي لا يليق لسمعتك المبارك ، واست أعرف. كلاماً يمكن أن أقوله لك . فقال له الشيخ : قل ما يتأتى لك . فقال الرجل : سأقول لك حكاية عن نفسي . ثم قال : في وقت من الأوقات قلت لنفسي إن الشيخ أبا سعيد إنسان مثلاً ، وهذا الكشف الذي ظهر له هو نتيجة للمجاهدة والعبادة ، فلأتجه الآن أنا أيضاً إلى العبادة والرياضة حتى تظهر لي تلك الحال . وأخذت أقوم بالعبادة وأنواع الرياضة والمجاهدة . ووقر في نفسي (ص ٦٠) أننى وصلت إلى مقام تجاب فيه دعواتي في كل وقت ولا ترد بأى حال من الأحوال. وفكرت في نفسي أن أسأل الله تعالى أن يحيل الحجر ذهباً من أجل لا قضى بقية عمرى في رفاهية وأنفذ رغباتى . وذهبت وأحضرت عدداً من الأحجار ووضعتها في ركن الزاوية التي أتعبد فيها. واخترت ليلة عظيمة واغتسلت وأخذت أصلي طوال الليل . وعند الفجر ، وهو وقت إجابة الدعاء ، رفعت يدي وقلت في عقيدة وبقين صادق : يا إلهي ، اجعل هذه الأحجار ذهباً ... ! وعندما قلت هذا عدة مرات سمعت صوتاً من ركن الزاوية يقول : فيضه العليم لا يحد . وعندما قال الرجل

هذه العبارة ظهر البسط للشيخ ، وسر كثيراً ، ونهض على قدميه ، وأخذ يهز أكامه وهو يقول : فيضه العميم لا يحد . وظهرت حال طيبة وتحول ذلك القبض بسطا .
وكان الشيخ كلما تزايد القبض ذهب إلى قبر الشيخ أبي الفضل حسن بنى سرخس .

وقال السيد أبو طاهر الإبن الأكبر للشيخ قدس الله روحه العزيز : فى يوم من الأيام كان الشيخ يعظ فى مجلس ، وكان يعتريه قبض فى ذلك اليوم . وبكى الشيخ فى وسط المجلس وبكى جميع الحاضرين . وقال الشيخ : عندما يعترينى قبض أذهب إلى قبر الشيخ أبى الفضل ليتبدل القبض بسطا . فأعدوا الجواد . ثم ذهب الشيخ والناس فى صحبته . وما أن دخاوا الصحراء حتى استولى السرور على الشيخ بتبدل القبض بسطا ، وأخذ الشيخ يتحدث بينما الجميع (ص ٦١) يصيحون ويصرخون وعندما وصلوا إلى سرخس تحول الشيخ عن الطريق الرئيسى ، وذهب إلى قبر الشيخ أبى الفضل حسن ، وطلب من القوال أن ينشد هذا البيت .

— هذا هو معدن الجود والكرم ومعدن السرور ،
وإذا كان الحرم قبلة الناس فقبلتنا وجه الحبيب .

فأخذ القوالون ينشدون هذا البيت ، وأمسكوا بيد الشيخ وأخذ يطوف حول قبر الشيخ أبى الفضل وهو يصرخ . وكان الدراويش يطوفون عراة الرؤوس والأقدام وكانت أرجلهم تغوص فى التراب . وعندما هدأت نفوسهم قال الشيخ : سجلوا تاريخ هذا اليوم لأنكم لن تروا يوماً مثله مرة أخرى . وبعد ذلك كان كل مرید يعتزم الحج يرسله الشيخ إلى قبر الشيخ أبى الفضل ويقول له : يجب عليك أن تزور هذا القبر وتطوف حوله سبع مرات حتى يتحقق مقصودك .

وبعد أن فرغ الشيخ من هذه الرياضات تم له الكشف الكامل . وكان تلاميذه يقولون إنه لم يترك أى سنة ولا أدب من آداب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه دون أن يؤديها سواء في السفر أو الإقامة . واشتغل بالعبادة تماما بحيث كان إذا نام إنبعث من حلقه صوت يردد « الله ، الله ، الله » . ولم يكن أحد يعلم بما يقوم به الشيخ قدس الله روحه العزيز من الرياضة والمجاهدة ، وكان يخفي هذا الأمر عن الناس ولا يتحدث به ، ويجتهد في إخفائه إلا ما كان يستشهد به أثناء وعظه ، ويقول من أجل هداية المريدين وترغيبهم .

قال الشيخ يوما في مجلس من المجالس : كل ما يجب قوله قد فعلته . وكان جميع الأولياء قدس الله أرواحهم هكذا يخفون حالاتهم وكراماتهم عن الناس إلا ما ظهر منها دون تعمد . (ص ٦٢) وقد حدث أن واحدا منهم ظهر شيء من كراماته دون قصد فدعا الله سبحانه وتعالى قائلا : يا إلهي ... لقد اطلع الناس على ما بيني وبينك ، فانزع اللهم روحي فليس لي قدرة على تحمل الناس ؛ لأنهم سوف يشغلونني عنك . فمات في الحال . ومثل هذه الطائفة لا تصلح أن تكون قدوة للناس ؛ إذ أن من يصلح للقدوة لا يهتم بإظهار الكرامات . غير أنها إذا ظهرت منهم دون تعمد فإن هذا لا يؤثر فيهم ، وربما يظهرون كراماتهم في وقت من الأوقات بقصد المصلحة دون أن تكون مشقة الناس حجابا لهم . فهم مأمورون بوعظ الناس وهداية المريدين وإرشادهم وتهذيب أخلاقهم . وهذه الطائفة أكثر نضجا .

ولهذه الطريق مقامات كثيرة . وقد بين شيوخ الصوفية ألفا وواحدا من هذه المقامات التي يطول شرحها . وهدفنا هو القول بأن المشايخ لا يجتهدون في إظهار الكرامات بل أنهم يسعون لإخفائها .

وهناك فرق بين الولي والنبي ، وهو أن الأنبياء أمروا بإظهار المعجزات ،

أما الأُولياء فقد أمروا بكتان الكرامات . وقد كان - أبو سعيد - لهذا السبب .
كثيرا ما يخفى مجاهداته ورياضاته وكراماته ، ولم يكن يطلع احداً عليها . وقد
بالغت في تصحيح ما وصلنى من الثقة وذوى العدل ، أما ما كان بينه وبين الله
فلا يمكن التحدث فيه .

وقد عاش الشيخ ألف شهر ؛ لأنه عمرٌ ثلاثة وثمانين عاما وأربعة أشهر .
وتوفى في مساء يوم الخميس الرابع من شعبان سنة أربعين وربعمائة في مدينة ميهنة .
في صومعة داره ، ودفن في ضحى يوم الجمعة في الروضة المقدسة التى تواجه داره على
نحو ما اشار به . أسأل الله سبحانه وتعالى ألا يقطع بركات همته وأنفاسه عن جميع
الناس ، وأن يثبت قدمى وأقدام الجميع فى متابعتة بحق محمد وآله أجمعين .

الباب الثاني

في أواسط حال شيخنا قدس الله روحه.

العزیز وهو ثلاثة فصول

الفصل الأول

في الحكايات المشهورة عن كرامات شيخنا
قدس الله روحه العزيز وثبتت صحتها

حكاية :

عندما فرغ الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز من الرياضة والمجاهدة وعاد إلى ميته ووصل هذا الحال والكشف إلى الكمال ، توجه إلى نيسابور . وعندما وصل إلى مدينة طوس أرسل قبله أحد الدراويش من قرية « باز » التي تقع على بعد فرسخين من المدينة وقال له : ينبغي أن تذهب إلى المدينة وتسال المعشوق هل يأذن لنا في النزول بولايته ؟ . ولم يكن الشيخ يقول لأحد قط « أفعل هذا » أو « لاتفعل ذلك » بل كان يقول « ينبغي أن تفعل هذا » أو « لاينبغي أن تفعل ذلك » .

وكان المعشوق من عقلاء المجانين ، وشيخا عظيما كاملا ، يقيم في طوس . وقبره موجود بها .

وعندما ذهب ذلك الدراويش ، أمر الشيخ بأعداد جواده ، وذهب خلفه . وفي رفقته جماعة الصوفية . وحين وصل إلى بعد فرسخ من المدينة في موضع يقال له « دو برادران » به مضبتان يمكن منهما رؤية المدينة ، توقف جواد الشيخ وتوقف الجميع معه . ولما وصل ذلك الدراويش عند المعشوق وذكر له قول الشيخ

ابقسم المعشوق وقال : اذهب وقل له يحضر . وعندما تلفظ المعشوق (ص ٦٦)
بهذا القول في المدينة ساق الشيخ جواده من ذلك المكان ، وسار معه الجميع حتى التقى
الدرويش به في الطريق ، وأبلغه قول المعشوق . وجاء الشيخ إلى المعشوق فاستقبله
وعانقه قائلاً : أطمئن فإن هذه الطبول التي يدقونها هنا وهناك سوف يدقونها
جميعاً على بابك أياماً عديدة .

وبعد ذلك رجع الشيخ من هناك ونزل في خانقاه الأستاذ أبي أحمد التي
كانت مقر الأبي نصر السراج . واحتفى الأستاذ أبو أحمد بشيخنا وقام على خدمته ،
واستبقاه في طوس عدة أيام ، وعقد له مجلساً في خانقاه . وعندما سمع أهل
طوس أقوال الشيخ ورأوا كراماته الظاهرة ، أصبحوا من سرّيديه ، ووجد الشيخ
قبولاً كبيراً .

وقد سمعت من الأمير الإمام عز الدين الأيلباشي « طول الله عمره » قوله :
سمعت الأمير أبا علي يقول : عندما جاء الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز
إلى طوس وكان يعظ في المجالس في دار الأستاذ أبي أحمد ، كنت لا أزال شاباً
صغيراً . فذهبت مع والدي إلى المجلس ، وكان قد تجمع به خلق كثير بحيث لم يعد
هناك مكان على الباب أو السطح . وبينما كان الشيخ يتحدث في المجلس ، وقد
أجهش الناس بالبكاء دفعة واحدة ، سقط طفل صغير من حجرأمه بسبب تراحم
النساء على السطح . ولما رآه الشيخ قال : اللهم احفظه . فظهرت يدان في الهواء
وأمسكتا بالطفل ووضعتاه على الأرض دون أن يصاب بأذى . ورأى جميع أهل
المجلس ذلك ، وانبعث الصياح من الناس . وقد أقسم أبو علي أنه رأى
هذا بعينه .

حكاية :

قال عمى كمال الدين بن أبي سعيد : ذهبت إلى سرخس مع والدى السيد
أبى سعيد وجدى السيد أبى طاهر رحمة الله عليهما لتحية نظام الملك فقال لنا :
(ص ٦٧) عند ما جاء الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز إلى طوس كنت
صغيرا ، أقف مع جماعة من الصبية على رأس حى المسيحيين . وأقبل الشيخ مع
الجماعة ، ولما اقترب منا التفت إلى الصوفية وقال : قل لمن يريد رؤية سيد الدنيا
أنظرها هو قد وقف هناك . وأشار إلينا . فأخذ كل منا ينظر إلى الآخر فى تعجب
لكى تتبين من المقصود بهذا القول : فقد كنا جميعا صغارا لا نعرف شيئا . واليوم
مر على هذا الحادث أربعون عاما وقد عرفت الآن أنه كان يشير إلى .

حكاية :

حكى السيد أبو القاسم الهاشمى هذه الحكاية فقال : كنت فى السابعة عشر
من عمرى عند ما جاء الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز إلى طوس ، وكان
والدى رئيسا لها ومريدا للشيخ ، يذهب إلى مجلسه فى خانقة الأستاذ أبى أحمد
كل ليلة ويأخذنى معه . ولم أكن أجلس فى حضرة والدى قط . وكانت لى
معشوقة فى الخفاء كمادة الشبان . وذات ليلة أرسلت إلى تلك المرأة تقول : سوف
أذهب إلى عرس فلا تنم حتى أراك عند عودتى . فجلست على السطح ، ومضى
الليل فى ببطء ، واستولى على النعاس ، فأخذت أقول لنفسى هذه الرباعية
حتى لا أنام .

« رباعية »

قد امتلأت عيونى بالدمع بدلا من النوم
ذلك أنها تتعجب ———— ل رؤيتك
يقولون لى نم حتى تراه فى النوم !
فيا أيها الحق من أين لى النوم

وأخذت أردد هذا الشعر ولكن النوم غلبني ، وبقيت نائما حتى أذن المؤذن.
صلاة الفجر ، فصحوت من نومي ولم أر أحدا .

وفي اليوم التالي ذهبت مع والدي إلى مجلس الشيخ فسألوه عن المحبة في
طريق الله ، فأخذ يقول كلاما في هذا المعنى ثم قال : أنظر طريق البحث عن
آدمي تحبه لترى أية متاعب تكابدها ، (ص ٦٨) وأية حيلة تصنعها لكي تصل
إلى مقصودك أو لاتصل ، لتعرف كيف يمكن للسالك في طريق الحق أن يصل
إلى مقصوده . فهناك محبوب وعد هذا الشاب بالأمس ، وأشار إلى ، فظل بدون
نوم نصف الليل وأخذ يقول : لقد امتلأت عيوني بالدمع بدلا من النوم . ماهي
الشرطة الثانية أيها الشاب ؟ .

قال السيد أبو القاسم : فلم أقل شيئا من الخجل . فقالها الشيخ مرة ثانية
فوقعت مغشيا على . ولما أفقت قال لي الشيخ : مادامت عيونك قد امتلأت
بالدمع بدلا من النوم ، فلماذا نمت حتى عجزت عن بلوغ مقصودك ؟ . ثم قال
الرباعية كلها ، فصاح الناس جميعا ، وغبت عن الوعي ، وأسقط في يدي . وقال لي الشيخ
يكفيك هذا القدر . وتملكت الجميع الأحوال فألقوا بالخرق واشتري لهم
والدي غيرها .

وعندما جاء الشيخ إلى دارنا بعد ذلك ، رجاء والدي قائلا : إذا أردت .
أن تشرب فاشرب من يدي أبي القاسم . ووقفت بجوار الشيخ وفي يدي الكوز
فشرب الشيخ من يدي مرتين وقال لي : سوف تكون رجلا طيبا ، ولم اقترف

حراما قط واحدا وثمانين عاما، فترة عمرى ، ولم أشرب الخمر قط احتراما لقول
الشيخ ، ولم أقم بخدمة مخلوق ، ولم أسيء إلى أحد قط . وكنت صاحب هاتين
الكرامتين من كرامات الشيخ .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد والشيخ أبا القاسم الجرجاني قدس الله أرواحهما كانا
قد جلسا معا على منصة واحدة فى مدينة طوس ، ووقفت جماعة من الدراويش
أمامهما . فتساءل درويش بينه وبين نفسه ما منزلة هذين العظمين ؟ . (ص ٦٩)
فالتفت الشيخ أبو سعيد إلى ذلك الدراويش فى الحال وقال : « كل من أراد أن يرى
ملكين يجلسان معا على عرش واحد وهما متآلفان ، قل له أنظر » فلما سمع الدراويش
هذا الكلام ، رأى فى الحال هذين الملكين ، فقد رفع الحق سبحانه وتعالى الحجاب
عن عينه حتى ينكشف أمام قلبه صدق كلام الشيخ ويعلم عظمته . وجال بخاطره
خاطر يقول هل لله عبد على الأرض أعظم من هذين الرجلين ؟ فنظر الشيخ قدس
الله روحه العزيز إلى الدراويش فى الحال وقال : « إن قليلا من الملوك يمكن أن
يكونوا مثل أبى سعيد وأبى القاسم » ، ثم أخذ يقول : « سبعون ألفا لا يبلغون
منزلته ، سبعون ألفا لا يبلغون منزلته » ثم ذهب فى التفكير .

حكاية :

بعد أن أقام الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز عدة أيام فى طوس قصد
نيسابور ، وكان السيد محمود المريد يقيم بها ، وقد بلغ من عظمته أن الشيخ
أبا سعيد كان يرسل إليه المريدين ، ويقول إنه سالك طيب . وفى يوم من الأيام قال
محمود هذا : رأيت فى نومي أن جبل طوس الذى يقع ناحية نيسابور ينشق ،
ويخرج القمر من وسطه ، وينزل فى خانقاه محلة « عدنى كويان » . وفى هذه اللحظة
كان الشيخ يصل إلى المدينة ، فاستقبلوه وأنزلوه فى خانقاه عدنى كويان . وقال

السيد محمود : سيمضي وقت طويل قبل أن نعد طعاما فعلينا أن نحضر سريعا رأسا مشويا من السوق . وأعدت المائدة وقدموا الرأس المشوى فقال الشيخ : لقد شرعنا في الأكل فليبارك الله لنا فيه . وعندما فرغوا من الطعام قال السيد محمود المريد : أيها الشيخ ، ما رأيك في الحمام ؟ . فقال الشيخ : (ص ٧٠) ينبغي أن نذهب إليه . وذهب الشيخ مع الجماعة إلى الحمام . وعندما فرشوا سجادة الشيخ أحضروا له ازارا نظيفا . ورفع السيد محمود العمامة عن رأس الشيخ وقبلها ووضعها أمامه . فقال له الشيخ : بارك الله فيك . ولما أظهر محمود الطاعة لم تعد هناك أهمية للآخرين . وأخذ الشيخ الازار والتف به وذهب إلى الحمام . وأخلدوا إلى الراحة بقية يومهم . وفي اليوم التالي أعدوا للشيخ مجلسا في محلة عدنى كويان . وحين بدأ المجلس قالوا للشيخ : هنا رجل عظيم يدعى «أبو القاسم القشيري» يقول إن العبد يصل إلى الله بتقديمه فماذا يقول الشيخ ؟ فقال الشيخ : كلا ، أنهم يقولون إن العبد يصل إلى الله بقدم واحدة . وذهب مريدو الاستاذ الامام إليه وأبلغوه هذا القول . فقال لهم : ألم تسألوه كيف يكون ذلك ؟ . وفي اليوم التالي سأله الشيخ : تقدمت قلت بالأمس أنهم يصلون إلى الله بقدم واحدة فقال الشيخ : نعم ، واليوم أقول هذا نفسه . فسألوه : كيف أيها الشيخ ؟ . فأجاب بين العبد وربه قدم واحد ، فلا تكاد تخرج عن نفسك قدما واحدة حتى تصل إلى الله . وعندما قال الشيخ هذا صاح طواف باب الخانقاه قائلا : « نحن ونعمه كلها » . فقال الشيخ : استمعوا إلى قول ذلك العاقل وأعملوا به ، فأخرجوا قليلا بكون الكل أنتم .

« بيت »

— لكي يبقى العشق بيننا خالصا دون عقد ،
علينا بالوفاق وحسن الطبع وألا نغضب أبدا .

وحكى مريدو الاستاذ الإمام له هذه للحكاية فقال الأستاذ : هو كذلك كما يقول الشيخ .

وكما خطر لأحد الاستفسار عن أمر كان الشيخ يوضحه له حتى يتبينه ، ثم يتابع الشيخ الحديث . وأقبل أهل نيسابور على الشيخ واتجهوا إليه . وكان الشيخ يقول الشعر في وسط الحديث ، (ص ٧١) وقيم الولايم الفاخرة . كما كانوا يقيمون السماع بين يديه ؛ ومن ذلك انكره جميع أئمة الفرق .

حكاية :

يقول السيد حسن بن المؤدب رحمة الله عليه : حينما تردد في نيسابور أن شيخ الصوفية قد أقبل من ميهنه ، وأنه يقوم بالحديث في المجالس ويخبر الناس بأسرارهم ، وكنت أحتقر الصوفية ؛ فقلت إن الصوفي لا يعرف العلم فكيف يتحدث في المجالس ؟ ولم يعط الله علم الغيب لأحد ، ولن يعطيه ، فكيف له أن يخبر بأسرار عباد الله تعالى ؟ . وذات يوم ذهبت إلى مجلس الشيخ على سبيل الاختبار ، وجلست أمام منصته وقد ارتديت ملابس فاخرة ، وعقدت شالا طبريا على عمامتي . وجلست بقلب مملوء بالإنكار والخلاف . وأخذ الشيخ يتحدث في المجالس . وعندما أنهى الحديث طلب ثوبا لواحد من الدراويش . فقدم الحاضرون له بعض الثياب . وحدثت نفسي أن أعطيه عمامتي ، ولكنني عدت وقلت لقد جاءتنى هذه العمامة هدية من آمل وقيمتها عشرة دنانير ذهبية فلن أعطيها . ثم طلب الشيخ عمامة . ففكرت أن أعطيه العمامة ، ولكنني عدلت عن هذه الفكرة مرة أخرى ، وعاودني نفس الخاطر الأول . وكان يجلس إلى جانبي أحد الشيوخ ، فسأل الشيخ : هل يقول الله سبحانه وتعالى كلاما للعبد ؟ . فأجاب الشيخ : إنه يقول ، ولكنه لا يقول أكثر

من مرتين من أجل عمامة طبرية ، فقد قال لذلك الرجل الذي جلس إلى جوارك :
مرتين أن أعط هذه العمامة التي على رأسك لذلك الدرويش وهو يقول لن أعطيها
لأن قيمتها عشرة دنانير وقد أحضروها لي هدية من آمل . قال حسن بن المؤدب :
عندما سمعت هذا الكلام ارتعدت ونهضت ، وتقدمت إلى الشيخ وقبلت أقدامه ،
وأعطيت العمامة والملابس جميعها إلى ذلك الدرويش ، وتخللت عن الإنكار والخلاف ،
وأسلمت من جديد ، وبذات كل ما أمتلك من مال ومتاع في سبيل الشيخ ،
ووقفت نفسي على خدمته .

وهكذا أصبح — حسن بن المؤدب — خادما لشيخنا وظل في خدمته بقية
عمره . وقبره بميمنة . (ص ٧٢) .

حكاية :

سمعت من الشيخ محمد الشوكاني خادما الشيخ ، ومن أخيه زين الطائفة عمر
الشوكاني قولهما : سمعنا والدنا يقول : كنت شابا عندما أرسلني أبناء الشيخ أبي
سعيد ، قدس الله أرواحهم العزيزة ورحمهم رحمة واسعة ، من ميمنه للخدمة في خانقاه
الشيخ في نيسابور ، فاشتغلت بخدمة الدراويش . وفي يوم من الأيام ذهبت إلى
الحمام المجاور للخانقاه ، وكان الشيخ يذهب إليه كثيرا ، وعندما دخلت الحمام وحلقت
شعري وجلست ، جاء شيخ وأراد أن يداكني ، فمنعته من ذلك ، وقلت له : أنت شيخ ،
وأنا شاب ، ومن الواجب علي أن أقوم بخدمتك . فقال لي : دعني أدلكك ، وأروى لك
حكاية . فتركته . وبدأ يحكي ، فقال : كنت شابا أملك حانوتا على مفترق الطرق في
في هذه المدينة ، أقوم فيه بصناعة الحلوى . وعندما اشتغلت بهذا العمل فترة وتوفر
لي رأس مال ، استهوتني التجارة ، فنهضت من حانوتي ، وأعددت للسفر . ولم

أكد أخرج من المدينة حتى رأيت قافلة كبيرة تمر بجوار بخارى . فاستأجرت أنا
أيضاً جملاً وسرت في صحبتهم . وعندما وصلنا سرخس وأقمنا بها يومين توجهنا
إلى مرو كعادة القوافل . فتقدمت القافلة ، وقطعت جزءاً من الطريق ، ونمت حتى
تصل القافلة . فلما لحقت بي ، نهضت وسرت معهم ، ومكثت أسير على هذا النظام
حتى جاء يوم أقبل فيه الليل على غرة ، وكنت منهو كامتعباً وقد غلبني النوم ، فسرت
في اتجاه من الطريق وتقدمت مسافة طيبة ونمت . وبقيت نائماً حتى جاءت القافلة
وارتحلت وأنا لا أزال نائماً إلى أن ايقظتني حرارة الشمس . فصحوت من نومي ،
ونهضت ، فلم أر أثراً للقافلة في أى مكان . وكانت الرمال من حولي ، ولم أتبين
الطريق . فأسرعت مسافة ، ثم ضللت الطريق ، ووقعت في حيرة . وفكرت في نفسي
أننى إذا سرت مسافة في هذا الطريق ، أو ذلك الاتجاه فلن أصل إلى أى مكان .
والصواب يقتضى أن اجتهد مع نفسي ، واستحضر قلبي ، حتى يستقر رأيي على اتجاه
أسير فيه . فأجعت أمري ، واجتهدت ، وتخيرت اتجاهاً أخذت أسير فيه حتى جاء الليل .
وكان الحر شديداً ، فأجهدني العطش والجوع . ولما اعتدل الجو تماكنت نفسي
قليلاً ، وقلت : من الأفضل أن أسير ليلاً . وفى تلك الليلة سرت حتى مطلع الفجر .
وعندما أقبل الصباح نظرت من حولي ، فرأيت الصحراء كلها رمالاً وأشواك . ولم
أر أثراً للعمران في أى مكان ، فتعطمت . وأخذت أسير على هذا النحو من العطش
والجوع والعجز ، حتى اشتدت حرارة الشمس وتجاوز العطش مداه ، فسقطت ،
واستسلمت للموت . ثم قلت لنفسي : لا ينفع في مثل هذه الحال غير بذل الجهود ،
ثم يكون الاستسلام للموت بعد نفاذ جميع هذه الجهود . ولم تبق لى سوى حيلة
واحدة ، وهى أن أبحث بين هذه الكشبان الرملية عن كثيب يكون أكثر ارتفاعاً ،

وأتمحيل على أن أرقاه ، وانظر في أرجاء هذه الصحراء ، لعل أرى مكانا عامرا ،
أو نبع ماء ، أو مأوى للبدو ، فإذا كان ذلك فهو المراد ، وإلا حفرت قبري فوقها ،
واستسلمت للموت . ثم نظرت فرأيت مرتفعاً كبيراً ، رفعت نفسي فوقه ، ونظرت
إلى تلك الصحراء ، فرايت سوادا من بعيد ، وامعنت النظر فوجدته عشباً . فقوى
قلبي ، وقلت لنفسي : حيثما يوجد العشب يكون الماء ، وحيثما يكون الماء يمكن
أن يوجد آدمي . وبذلك انبعثت في القوة ، ونزلت وتوجهت إلى ذلك العشب .
وعندما بلغت ذلك المكان (ص ٧٤) وجدت أرضاً صلبة تمتد خلال الرمال
على مسافة مرمى سهم ، بهاعين يتدفق منها الماء الصافي ، ويعمر مساحة من الأرض
حولها ، حتى نما فيها العشب واخضر . رفعت رأسي ، وشربت جزءاً من ذلك
الماء ، وتوضأت ، وصليت ركعتين ، وسجدت شكراً لله على أنه أحياني من جديد .
وقلت لنفسي : ينبغي أن اقيم هنا ولا أرحل عن هذا المكان ، فربما يأتي إليه أحد
في طلب الماء ، وإلا فلا أقل من أن أستريح هنا بجوار الماء يوماً وليلة . ثم
أكلت بعض العشب ، وابتعدت عن تلك العين ، وصعدت فوق الكثبان ، ووضعت
رأسي على الرمال كالثور ، واحطت نفسي بالأشواك لئلا يراني أحد . وجعلت
أنظر من خلال الأشواك خشية أن يفترسني حيوان ، أو يظهر آدمي
لا يخشى الله فيهلكني ، ومازلت محتفياً بين الأشواك وأنا انظر إلى أطراف
الصحراء . ولما حل وقت الظهر ، ظهر سواد من بعيد ، واتجه إلى هذه العين .
وحين اقترب كان رجلاً . فقلت لنفسي « الله أكبر !! » لقد فتح باب لخلاصي .
ولما صار على مقربة ، وجدته رجلاً طويلاً ، أبيض اللون ، ضخيم الجسم ، واسع العينين ،
تصل لحيته إلى وسطه ، وقد ارتدى مرقع الصوفية ، وحمل عصا وأبريقاً في يده ،
وطرح سجادة على كتفه ، ووضع قلنسوة الصوفية على رأسه ، وانتعل خفاً . وكان :

النور يشع من وجهه . وجاء إلى حافة الماء ، وألقى السجادة على نحو ما يفعل الصوفية ، وسحب أبريق الماء ، وذهب خلف مرتفع واستنجد . وعاد وجلس على حافة العين ، وتوضأ ، وصلى ركعتين ، ورفع يديه ودعا دعاء . وأدى السنة ، ثم أقام الصلاة وأدى القريضة . ومشط لحيته . ثم نهض وألقى السجادة على كتفه ، وحمل العصاة والأبريق ، واتجه إلى الصحراء . وكنت لا أشعر بنفسى (ص ٧٥) طيلة وجوده أمامي ، لشدة هيئته ، وانشغالي بطاعته ، وحسن طاعته . وعندما غاب عن عيني ، وعدت إلى وعي لمت نفسى كثيراً وقلت ما هذا الذى فعلته ! لقد كنت أتمنى من الدنيا جميعها آدميا ليخلصني من هذه الصحراء المهلكة ، فوجدت رجلا له مثل هذا النور ومع ذلك لم أطلب منه أن يدلنى على الطريق . ثم قلت : ليس هناك حل الآن سوى الصبر فرجما يعود . وأخذت أنتظر حتى حل وقت صلاة العصر ، فظهر نفس ذلك السواد من بعيد ، فعرفت أنه نفس الشخص ؛ ولما اقترب كان هو فعلا . فأدى صلاة العصر في هذه المرة أيضا .

وكنت قد صرت أكثر جرأة هذه المرة ، فخرجت من بين الأشواك في بطاء ، ونزلت من ذلك المرتفع . وعندما فرغ من الصلاة ، ورفع يديه بالدعاء ، هم بالذهاب . فأمسكت بذيله وقلت له : أيها الشيخ ، اعنى بحق الله .. . أنا رجل من نيسابور ، وكنت قادمًا إلى بخارى مع قافلة ، وقد مضى على الآن يومان وأنا ضال ، وقد ذهبت القافلة وبقيت وحدي في هذه الصحراء ، ولست أعرف لى طريقا . فأخنى رأسه ، ثم رفعها بعد لحظة ، وأمسك بيدي . ونظرت ، فرأيت أسدا آتيا من تلك الصحراء . وجاء الأسد أمامه ، وحياء ، ووقف . فوضع فمه على اذن الاسد ، وهمس فيها شيئا ، ثم أجاسنى عليه ، ووضع شعر رقبة في يدي ، وقال لى : أحكم قدميك تحت بطنه ،

فإذا ما وقف فانزل عنه وسرفى الاتجاه الذى يوجه وجهه إليه . فأغمضت عيني ، وسار الأسد . ومضت ساعة ثم توقفت عن السير . فنزلت عنه ، وفتحت عيني (ص ٧٦) فوجدت طريقا . ولم أكد أسير خطوات حتى وجدت القافلة قد نزلت بذلك المكان . فذهبت معهم إلى بخارى ، وحصلت على ربح طيب من المتاع الذى حملته معى إلى بخارى ، واشترت أمتعة تناسب نيسابور ، وعدت إلى خانوتى أصنع الخلوى مرة أخرى . ومضت عدة سنوات . وذات يوم ذهبت إلى محلة عدنى كويان لعمل ما ، فرأيت جمعا على باب الخانقاه . فسألت عما حدث . فقيل لى : لقد جاء رجل من ميهنة يقال له الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير ، وهو شيخ ، وزعيم للصوفية ، وله كرامات ظاهرة . وقد نزل بهذه الخانقاه ، وسيتحدث اليوم فى هذا المجلس ، وهؤلاء الناس يرغبون فى حضور مجلسه . وهذا هو سبب الازدحام . فقلت لنفسى فلا تدخل أنا أيضا لأرى ماذا يقول . وحين دخلت من باب الخانقاه كان هناك عمود على طرف الرواق ، فوقفت بجواره . وكان الشيخ قد جلس على المنصة وأخذ يتحدث . ونظرت إليه ، فرأيت فيه ذلك الرجل الذى اجلسنى على الأسد فى الصحراء . وكان يتحدث وهو يتجه إلى ناحية أخرى . وعندما سمعت صوته ، عرفته للمرة الثانية . وأردت أن أقول ذلك ، فالتفت إلى فى الحال وقال : إياك . . إياك ، ألم تسمع بأن ما يرى فى الصحراء لا يقال فى العمران ؟ . ولما قال هذا انطلقت منى صرخة ، ولم أشعر بنفسى ، ووقعت مغشيا على . وكان الشيخ قد عاد إلى الحديث وأتم المجلس . وعندما عدت إلى وعيى كان الشيخ قد أنهى المجلس ، وذهب الناس وتفرقوا . وكان أحد الدراويش قد جلس ووضع رأسى على رجليه ، فلما أقفت ونهضت قال لى : لقد أمر الشيخ بأن تدخل معنا . فتقدمت . ركعت

تحت قدمي الشيخ، فإلاطفتني كثير، ومنحني بركاته ، وأمر حسن بن المؤدب أن يحضر لي ملابس جديدة ، فخلع عني ملابس الحلوى ، (ص ٧٧) والبسني تلك الملابس ، ووضع في كمي كيسا من السكر ، وقال لي : أحمل هذا إلى صغارك ، وعاهدني على ألا تقول هذا الكلام لأحد مادمت حيا ، وألا تنفشي السر. فوافقتة، وعاهدته على ذلك . ولم أقل هذه الحكاية لأحد طيلة حياة الشيخ ، فلما رحل إلى دار البقاء قلتها لك .

حكاية :

حكى السيد حسن بن المؤدب خادما الشيخ النخاس هذه الحكاية فقال :
عندما جاء الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز إلى نيسابور في بداية حاله ؛ كان يتحدث في المجالس . واتجه نحوه الناس ، وأصبح له كثير من المريدين . وكان زعيم الكرامية في نيسابور في ذلك الوقت الأستاذ «أبو اسحاق الكرامى» ، ورئيس أصحاب الرأي والرافضة القاضي صاعد . وكان لهما اتباع كثيرون . وكانا ينكران الشيخ انكارا شديدا ، ويظهران العداء لجميع الصوفية . وكان الشيخ يقول الشعر فوق المنبر ، ويقيم الولائم الفاخرة بحيث كان ينفق على الوليمة الواحدة الف دينار . كما كان يقيم السماع دائما . وكان هؤلاء ينكرون ذلك على الشيخ انكارا شديدا ، بيد أن الشيخ لم يهتم بذلك واستمر في عمله . وقد اجتمع هؤلاء ، وكتبوا عريضة شهد عليها أصحاب الرأي . وجاء فيها أنه «قد جاء إلى هنا رجل من ميهنة ، يدعو إلى الصوفية ، ويتحدث في المجالس ، ويقول الشعر على المنبر ، ولا يتحدث في التفسير والاعخبار ، ويأمر بالسماع ، ويرقص ، ويأمر الشباب بالرقص ، ويأكل الجوز

واللوز والطيور المشوية وألوان الفاكهة، ويطعمها للآخرين ، ويزعم بعد ذلك أنه زاهد. وليس هذا شعار الزهاد ولا الصوفية. وقد التف حوله الناس، وضلوا الطريق، ووقع أكثر العامة في الفتنة . فإذا لم يتدارك — السلطان — هذا الأمر سريعاً، ظهرت الفتنة » (ص ٧٨) وأرسلوا تلك العريضة إلى السلطان محمود في غزني . فكتب لهم خطاباً على ظهرها ، بأن يجتمع أئمة الفريقين الشافعية والحنفية لينظروا في أمره، ويطبقوا عليه ما تقتضيه الشريعة. ووصل ذلك الأمر يوم الخميس ، فسر أولئك المنكرون ، وقالوا : غدا الجمعة . وفي يوم السبت نعقد مجلساً ونشلق الشيخ مع جميع الصوفية على مفترق الطرق . وقرروا هذا جميعاً . وانتشر الخبر في المدينة ، وغضب لذلك اتباع الشيخ وتألموا . ولم يجرؤ أحد على أن يخبر الشيخ بهذا الأمر ، إذ أنه لم يكن من الضروري أن يحاط علماً بشيء ، لأنه كان يرى ويدرك كل ما يجري بفراسته وكرامته .

قال السيد حسن بن المؤدب : وحين فرغنا من صلاة العصر في ذلك اليوم ، دعاني الشيخ، وقال لي : يا حسن ، كم عدد الصوفية ؟ فقلت : مائة وعشرون، ثمانون منهم مسافرون، والأربعون مقيمون. فقال: أقم لهم غداً مأدبة ، ماذا ستعد لهم ؟.. قلت : ما يشير به شيخنا . فقال : غداً يجب أن تضع أمام كل واحد رأس حمل مشوية مع كثير من السكر المسحوق ، لينثروه على منخ ذلك الحمل . وأن تضع أمام كل واحد رطلاً من الحلوى ، وتحضر ماء الورد والبخور لكي تحرق العود، ونصب عليهم ماء الورد . وتحضر حبلاً قوية الفتل ، وتضع المائدة في المسجد الجامع ، ليرى أولئك الذين يغتابوننا في الخفاء ماذا يطعم الحق سبحانه وتعالى أعزاء حضرة عزته من حجب الغيب . قال حسن : ولما أشار الشيخ بهذا ، كان

معروفا أنه لم يكن في الخزانة رغيف واحد . ولم أكن أعرف في نيسابور جميعها
من اجترىء عليه بطلب درهم واحد ؛ إذ أن الجميع كانوا قد تغيروا بسبب هذه
الشائعات . ولم أجرؤ أن أقول للشيخ من أين أهبيء هذا . فخرجت من عنده ،
وكانت الشمس قد مالت إلى الغروب ، ووقفت متحيرة على رأس محلة عدني
كويان لا أدري ماذا أصنع حتى انقضى النهار ، واصفرت الشمس وغربت . وكان
الناس يغلقون حوايتهم ، (ص ٧٩) ويتوجهون إلى منازلهم . وحانت صلاة العشاء
وغم الظلام ، ورأيت رجلا في نهاية السوق يسرع عائدا إلى منزله ، فرآني واقفا ،
فقال لي : يا حسن ، ماذا دهاك حتى جعلك تقف حائرا هكذا ؟ مرني بحاجة
أو خدمة . فأخبرته بالقصة ، وبما أمر به الشيخ ، وقلت له أنني لا أعرف لهذا الأمر
مخرجا ، وسأظل واقفا هكذا حتى الفجر ، إذا دعا الأمر ، إذ لا سبيل أمامي لعودة .
ففتح ذلك الشاب كفه في الحال وقال لي : أدخل يدك في كمي وخذ ما يلزمك ،
وانفقه على نحو ما أشار الشيخ . فوضعت يدي في كفه ، وأخذت حفنة من الذهب
الاحمر . وارتاح قلبي وأثنت عليه واتجهت للعمل وأعددت كل ما أمر به الشيخ .
وكان يدي كانت ميزانا لما قاله الشيخ ، فقد أعددت هذا كله بحيث لم ينقص درهم ،
ولم يزد درهم واتممت ذلك كله في تلك الليلة ، وذهبت في الوقت المعين ، وأخذت الحبال
ومددت المائدة في المسجد الجامع على النحو الذي أشار به الشيخ . وحضر الشيخ مع
الصوفية . واشتغل كثير من الناس بالنظر إلى هذا ، وحلوا الخبر إلى القاضي
صاعد والأستاذ أبي بكر أن الشيخ قد أعد ولية للصوفية في المسجد الجامع . فقال
القاضي صاعد : اتركوهم لينعموا اليوم ويأكلوا الرؤوس المشوية فغدا سوف تأكل
الغربان رؤوسهم . وقال أبو بكر اسحاق : اتركوهم يشحمون اليوم بطونهم
لأنهم سوف يشحمون المشنقة غدا . ووصل هذا الخبر إلى آذان الصوفية فاغتم

الجميع وتألّموا . وعند ما فرغوا من الطعام قال الشيخ : يا حسن ، ينبغي أن تحمل سجاجيد الصوفية إلى مقصورة القاضي صاعد لانا سوف نصلي خلفه . وكان القاضي صاعد خطيب المدينة . قال حسن : فحملت سجاجيد الصوفية إلى المقصورة وأنزلت خلف القاضي صاعد مائة وعشرين سجادة وصفقتها صفيين بحيث لم يعد هناك مكان لأحد . ودخل القاضي صاعد وذهب إلى المنبر وخطب خطبة إنكار ونزل . ولما قضيت الصلاة (ص ٨٠) نهض الشيخ ولم ينتظر السنة . وحين سار نظر القاضي صاعد خلفه ، وأراد أن يقول كلاما . فنظر إليه الشيخ باحتقار ، فأخى رأسه في الحال . وذهب الشيخ ، وذهب الجميع في خدمته . وعندما عاد الشيخ إلى الخانقة قال لى : اذهب إلى سوق الكرمانين تجد هناك بائع حلوى وضع كعكا نظيفا محشوا بالفستق ، فخذ منه عشرة أمنان من الكعك ، ثم دعه وسر حتى تجد بائع عنب ، فخذ منه عشرة أمنان من العنب ، وضعهما في فوطتين طبريتين ، واذهب بهما إلى الاستاذ أبي بكر اسحاق ، وقل له : ينبغي أن تفطر عليهما الليلة . قال حسن : فنهضت وذهبت إلى السوق الكرمانين ، ونفذت أمر الشيخ ، وذهبت إلى بيت أبي بكر اسحاق ، وأستأذنت ودخلت وسلمت عليه ، وأبلغته سلام الشيخ ، وقلت له : إن الشيخ يرجو أن تفطر الليلة على هذا الطعام . وعندما رآه تغير لون وجهه ، وعض أصابعه . وأظهر تعجبه ، وأجلسنى . ونادى حاجبه «أبو القسمك» وقال له : اذهب إلى القاضي صاعد وقل له اننى قد عدلت عن الموعد الذى كان بيننا غدا لنذهب ونناظر هذا الشيخ والصوفية ونؤذيه ، وأنت أعلم بهم . وإذا قال لك لماذا ؟ قل له اننى نويت الصيام بالأمس ، واليوم حين وصلت إلى سوق الكرمانين فى طريقى إلى المسجد ، رأيت كعكا نظيفا على باب أحد حوانيت الحلوى ، فرغبت فيه ، وفكرت فى أنى بعد الصلاة سوف أبعث من يشتري لى كعكا من ذلك الحانوت لأفطر عليه الليلة . وحينما تجاوزته ، رأيت بائع عنب

فقلت أن العنب لطيف مع الكعك لأفطر عليهما . وحين عدت إلى المنزل كنت قد نسيت كل شيء عن هذا الأمر، ولم أتحدث به لمخلوق . بل كان مجرد خاطر .
والآن أرسل الشيخ إلى هذين الشيئين من نفس الموضعين قائلًا افطر عليهما الليلة والشخص الذي يكون له مثل هذا الاطلاع على ضمائر الناس ، لا يسعني إلا أن اتجنب مناظرته . (ص ٨١) وذهب الحاجب أبو القسمك ، وعاد برسالة — من القاضي صاعد — يقول فيها : لقد كنت أنا أيضا على وشك أن أبعث إليك بمن يخبرك بمثل ما أخبرتنى به ، فقد صلى — الشيخ — خلفي اليوم ، وعندما أنهى الفريضة نهض ولم ينتظر السنة وسار . فأتبعته بنظري راغبا في الإساءة إليه ، وأسأله . ماذا يكون شعار الصوفية هذا الذي لا يؤدي السنة في يوم الجمعة ؟ فنظر إلى الشيخ في احتقار ، وذابت جرائي ، وتخيلت أنه صقر وأنى عصفور صغير ، وأنه سيفترسني في هذه الساعة . وبذات جهدا كبيرا الأتكام ، ولكني لم أستطع أن أقول شيئا . وقد أظهر لي اليوم هيئته وعظمته ، فلا شأن لي معه . ولقد كنت أنت صاحب الرأي في مخاطبة السلطان في أمره ، والمسئول عن هذا ، والأصل في ذلك ، وكنا نحن أتباع لك . وعندما انتهى الحاجب أبو القسمك من هذه الرسالة التفت أبو بكر اسحاق إلى وقال لي . اذهب وقل للشيخ إن القاضي صاعد ومعه ثلاثة آلاف رجل من أتباعه ، وأبا بكر اسحاق ومعه عشرون ألف رجل ، والسلطان ومعه مائة ألف رجل وسبعائة فيل محارب ، قد اعتزموا جميعا محاربتك اليوم ، وأعدوا القلب واليمينه والميسرة والجناح ، وأرادوا أن يقهروك ، فهزمتهم بعشرة أمان من الكعك ، وعشرة أمان من العنب ، وضربت اليمينه والميسرة والجناح بعضها ببعض .

والآن أنت أعلم بدينك ، ونحن أعلم بديننا « لكم دينكم ولي دين » .

قال حسن : فعدت إلى الشيخ ، وأخبرته بما حدث . فالتفت إلى المريدين وقال لهم : منذ أمس وأنتم ترتعدون خوفاً ، وظننتم أنهم سيشحمون المشانق بدمائكم... كلا... أنهم يشحمون المشانق بدماء الأبطال ؛ مثل الحسين بن منصور ، الذي لم يكن له في عهده نظير في المشرق والمغرب في علوم التصوف ، لا بدماء الجبناء من أمثالكم . ثم التفت إلى القوال وقال له : تعال ، أنشد هذه الرباعية :

تعالى إلى الميدان والبس الدرع والكنانة
ولا تباهى بنفسك وباه بي
وعش سعيدا سواء كان المصير
باردا كالثلج أو حارا كالنار . ١

(ص ٨٢) فردد القوال هذه الرباعية ، وصرخ الصوفية ، وظهرت الأحوال ، وأحرم ثمانية عشر شخصا ولبوا ، وارتدوا الخرق . وفي اليوم التالي أقبل القاضي صاعد للسلام على الشيخ ، واعتذر له قائلا : أيها الشيخ ، لقد تبت ورجعت عن ذلك . وكانوا يسمون القاضي صاعد « قمر نيسابور » لجمال وجهه ، فقال الشيخ هذه الرباعية .

قلت انى قم — نيسابور
فيا قمر نيسابور ، أن نيسابور لك
لك ماتملك وما نملكه نحن أبضا
فها قلت لنا فيم العداوة بيننا

وعندما جرت هذه الرباعية على لسان الشيخ ، وقع القاضي على أقدامه ، وبكى ،

واستغفره ،وصفا الجميع من البغضاء والتشاحن ،ونهمضوا مسرورين . وبعد ذلك لم يجرؤ أحد في نيسابور على أن ينتقص من قدر الصوفية .

حكاية :

كان في نيسابور سيدة يقال لها « ايشى نيلي » ، وكانت زاهدة عابدة ، ومن أسرة كبيرة . وكان أهل نيسابور يتقربون إليها . وظلت لاتغادر قصرها طيلة أربعين عاما . وكان لها مربية تقوم على خدمتها . ولما ذاعت شهرة الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور قالت ايشى لمربيها يوما : انهضى واذهبى إلى مجلس الشيخ واحفظى مايقول لتحديثى به حين تعودين . وذهبت المربية إلى مجلس الشيخ وكان الشيخ يقول كلاما لم تستطع المربية أن تحفظه ، ثم قال هذه الرباعية :

عندى حبة ونصف ، وهو قدر ضئيل
وقد اشتريت قد حين من النبيذ ، وهو قدر ضئيل
لم تبق على عودنا نعمة منخفضة أو عالية
فالى متى تقول إن الفقر غم وهم

وعندما عادت المربية سألتها ايشى عما قاله الشيخ ، وكانت لم تحفظ مما قاله سوى الرباعية ، فروتها لها . فقالت ايشى : أيسكون هذا كلام العلماء والزهاد انهضى وأغسلى فمك . (ص ٨٣) فغسلت المربية فمها . وكان من عادة ايشى أن تصنع للناس مرهما للعين . ونامت في تلك الليلة فرأت في نومها شيئا مخيفاً ، فاستيقظت

وقد رمدت عيناها . وعالجتهما كثيرا، ولجأت لجميع الأطباء دون جدوى. وظلت تصرخ وتتألم عشرين يوما وليلة . وذات ليلة نامت فرأت هاتفا يقول لها : إذا كنت تريد أن تشفى عيناك فذهبي واسترضى الشيخ . وفى اليوم التالى وضعت ايشى الف درهم فى كيس، واعطته للمربية وقالت لها: احمله إلى الشيخ، وعندما ينتهى من المجلس ضعيه أمامه ، ولا تقولى شيئا ، ثم عودى . وذهبت المربية إلى مجلس الشيخ . ولما فرغ من المجلس سلمت عليه ، ووضعت كيس النقود أمامه . وكان من عادة الشيخ عندما ينتهى من المجلس أن يضع أحد المريدين أمامه رغيفا جافا، واعوادا من الخلال، فكان الشيخ يأكل الخبز، ويخلل أسنانه . ولما اقتربت المربية من الشيخ ، كان يخلل أسنانه ، فوضعت النقود أمامه ، وأرادت أن تعود . فقال لها الشيخ : تعالى ، واحملى هذا الخلال إلى سيدتك ، وقولى لها : أغسلى هذا الخلال فى الماء وضعيه فى عينيك حتى تجدين الشفاء ، واخرجى من قلبك الانكار والشك فى هذه الطائفة حتى تشفى بصيرتك أيضا . فقالت المربية هذا الكلام لايشى . ففعلت ما أمر به الشيخ ، وغسلت الخلال فى الماء ، ووضعت فى عينيها ، فشفيت بقدرة الله فى الحال . وقامت فى اليوم التالى ، وأخذت كل ما تملك من الذهب والجواهر والملابس ، وأحضرتة إلى الشيخ ، وقالت له : أيها الشيخ ، لقد تبت واخرجت الانكار والشك من صدرى . فقال لها أن تختار خدمة هذه الطائفة فهضت ايشى ، ولبست الخرقة ، وقامت بخدمة الدراويش ، وانفقت كل ما تملك فى سبيلهم .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد قدس الله روحه العزيز ذهب إلى نيسابور واقام بها

كما كان يعقد المجالس خلاله ويتحدث إلى الناس . وكان الاستاذ أبو القاسم
القشيري (ص ٨٤) لم يعرف الشيخ بعد ، وكان ينكره . وفي خلال
هذا العام كان سبعون رجلا من مريدي الاستاذ الأمام قد ذهبوا إلى
مجلس الشيخ ، ومن بينهم « أبو نصر الحرصي » الذي كان يلح على الأستاذ الأمام
دائما في أن يحضر مجلس الشيخ ولو مرة واحدة ويستمع إلى حديثه ، حتى أجابه
الاستاذ الأمام إلى طلبه بعد عام وقال له : سأحضر غدا . وفي تلك الليلة
ذهب الاستاذ الامام إلى دورة المياه كعادته ، وأخذ في الاستبراء من خارج
الملابس .

وهذه ليست سنة ؛ فالسنة أن تكون اليد من داخل الثوب لكيلا
تكشف عن العورة حتى ولو كنت بمفردك ، وذلك وفق ماورد في الخبر عن
الرسول صلى الله عليه وسلم « واستحيوا من الذين يرونكم وأنتم لا ترونهم » . ولم
يكن الاستاذ الامام من أولئك الذين تفوتهم هذه السنة سهوا .
ثم صعد وأيقظ الجارية وقال لها : نظفي اللجام وأطراف السرج ، ثم شرع في
الوضوء . وفي الفجر ذهب إلى مجلس الشيخ . وأخذ الشيخ في الحديث كعادته ،
وكان الاستاذ الامام ينظر إليه ، ويرى تلك السيطرة والاشراف على الخواطر فقال
لنفسه : أن هذا الرجل ليس أكثر مني فضلا ، ونحن متساويان في المعاملة ، فمن
أين وجد تلك المنزلة ؟ . فالتفت إليه الشيخ في الحال وقال له : أيها الاستاذ ،
أنهم يتساءلون الآن عما حدث في ذلك الوقت ؛ فليس من السنة أن يدخل السيد
الحجرة وهو يستبرئ ، ويوقظ الجارية قائلا لها انهضى ونظفي اللجام وأطراف
السرج . وعندما سمع الاستاذ الامام ذلك القول ، استولى عليه الذهول والفرح .
ولما نزل الشيخ عن المنبر تقدم إلى الاستاذ الامام وعانق كل منهما الآخر (ص ٨٥) ،
وتخلص الاستاذ الامام من الانكار والتحكم .

حكاية :

روى أنه عندما زال الإنكار عن باطن الأستاذ الإمام ، كان لا يزال ينكر السماع الذى يقيمه الشيخ ؛ ذلك أنه كان ينكر السماع فى البداية . و مر يوما على باب خانقاه الشيخ ، وكانوا عندئذ يقيمون السماع فى الخانقاه ، وقد غمرت النشوة الصوفية ، وظهرت الأحوال ؛ فكانوا يرقصون والشيخ معهم . ونظر الأستاذ الإمام فى الخانقاه ، وجال بخاطره أنه فى المذهب لا تسمع شهادة الشخص الذى يرقص ويدور حول نفسه ، لأن ذلك يبطل العدالة . وفى اليوم التالى كانوا يرافقون الشيخ إلى وليمة ، وكان الأستاذ الإمام ذاهبا إلى مكان ما فتقابلا على مفترق الطريق ، وتبادلا التحية ، فقال الشيخ : يا أستاذ ، متى رأيتنا فى صف الشهود ؟ فأدرك الأستاذ الإمام أن هذا جواب على ذلك الخاطر الذى خطر له بالأمس ، ففتحلى عن ذلك أيضا . وفى يوم آخر مر الأستاذ الإمام على باب الخانقاه وكان الشيخ قد أمر بالسماع ، وقد تملكه حال من الوجد ، وشملت النشوة جميع الدراويش ، وأخذ القوال يأنشد هذا البيت :

— لا عار عليك إذا أصبحت وثنيا من أجل صنم ،
لأنك إذا لم تصبح وثنيا لا يكون الصنم صديقا لك .

فأنكر الأستاذ الإمام ذلك البيت وقال لنفسه : لو أمكن تأويل جميع الأبيات على وجه من الوجوه ؛ فإن هذا البيت يكون من الأبيات التى لا يمكن تأويلها ، ومع هذا فالشيخ على هذا القدر من السرور . وقد جال هذا الخاطر فى نفس الأستاذ الإمام ولم يظهر عليه أحدا وسار . وبعد ذلك دخل الأستاذ الإمام على الشيخ يوما ولما جلس التفت الشيخ إليه وقال : يا أستاذ .

« بيت »

— ألا يلحق بك العار إذا أصبحت وثنيا من أجل صنم؟

وإذا لم تكن وثنيا هل يكون الصنم صديقا لك.

(ص ٨٦) قال الشيخ البيت هكذا على وجه الاستفهام . وعندما سمع الاستاذ

الامام طريقة تفسير هذا البيت الذي لم يستطع أن يفسره ، ورغم ماله من علم ودراية
في التصوف ورغم أنه فكر فيه كثيرا ؛ أقر بأن السماع مباح للشيخ ، ومسلم به ،
وتاب وعزم على ألا ينكر على الشيخ شيئا . وبعد ذلك ظل يختلف عليه كل يوم ،
أو يذهب الشيخ إليه .

حكاية :

كان الشيخ أبو أحمد صاحب سر الاستاذ الامام ، قدس الله أرواحهما
العزيزة ، رجلا عظيما جدا . وقد روى أنه ولد للاستاذ الامام ذات ليلة ولد ، فابلغوه
الخبر سرا ، ولم يكن أحد من الدراويش قد علم بذلك ، ولم يكن الاستاذ قد اختار
له اسما بعد . وأمسك شخص بحلقة باب الخانقاه ، فقال الاستاذ الامام ، إنه الشيخ
أبو سعيد . وفتحوا الباب فكان هو . فدخل وقال للاستاذ الامام : لقد علمنا
أن الله وهب لكم غلاما ، وقد بقي أن نسميه ، فوهبنا له اسما « أبو سعيد » . وأقام
الاستاذ الامام ثلاث ولائم تعبيرا عن شكره لهذا الحادث ، كما أقام صهره
السيد أبو عمر ، وكان رجلا عظيما ميسور الحال ، أربعين وليمة أيضا .

حكاية :

قال السيد أبو بكر بن المؤدب إن الشيخ أبا سعيد كان يعظ في المجلس
يوما ، وفي اثناء الحديث قال : لقد تأخر الاستاذ الامام .. ثم عاد وقال : عجبا ،
عجبا . ثم تحدث مرة أخرى وقال : إن قلبي مشغول على الاستاذ الامام ؛ لأنه

كان مريضاً بالأمس . وعندما قال الشيخ هذا دخل الاستاذ الامام من الباب ،
فصرخ الناس ، والتفت الشيخ إليه وقال : يا استاذ ، أننا لم نغفل عنك بالأمس ،
وسوف أقول حكاية أثبت بها عيادتي لك . ثم روى الشيخ هذه الحكاية :

كان أحد القرويين جالسا ذات يوم ، فاحضر له أحد مزارعيه خيارا ظهر
حديثا . فاحصى القروي أهل بيته وأعطى كل واحد خيارا . وأعطى واحدة لخادمه .
ولم يبق له شيء . وأخذ الغلام يأكل الخيارا . ومالت نفس السيد إليها فقال
لغلامه : (ص ٨٧) أعطني جزءا من هذه الخيارا . فاعطاه الغلام قطعة منها .
وعندما ذاقها السيد وجدها مرة فقال له : أيها الغلام ، أتأكل خيارا على هذا
القدر من المراحة بكل هذه اللذة ؟ . فأجاب الغلام : أي عذر لي حين أرد .
شيئا واحدا مرا وأنا آكل من يد الله أشياء حلوة سنين عديدة . ثم قال الشيخ :
أيها الاستاذ :

« قطعة من الشعر »

- كيف تألم من الحبيب لشيء من الأشياء ،
والحب هكذا ، تارة سرور وتارة ألم وعناء .
- وإذا أذلك العظيم فليس ذلك الذل عيبا ،
فإنه حين يعود ويلاطفك تذوب في ملاطفته آلام الجفاء
- وسيئة واحدة لا يمكن أن تنسيك مائة حسنة ،
وإذا ظننت التمر صلبا فلن تأكل منه واحدة .
- ومن شأن الحبيب أن يغضب فعليك مداومة الاعتذار ،
فليس من الممكن أن تجد حبيبا جديدا بين ليل ونهار .

وحين سمع الاستاذ الامام هذا القول صرخ وغاب عن الوعي . ولما انهى الشيخ المجلس وتفرق الناس ودخل المنزل ، اقترب مشايخ الصوفية من الاستاذ الامام . وسألوه عما حدث بالامس فقال : حدث أمر عجيب ؛ فبالامس تكاسات عن أداء الورد الذى تعودت أدائه ؛ وكنت مضطربا لذلك ، فقلت لنفسي : سوف أذهب إلى المسجد يوم الجمعة ، وأغتسل فى الحوض ، وأذهب إلى قبور المشايخ وأؤدي هذا الورد . وعندما وصلت إلى المسجد الجامع ، نزلت إلى الحوض ، ووضعت السجادة والملابس على حافظته ، وأخذت أصب الماء على رأسي ، فدخل رجل وسرق ثوبي ونعلي . فتألمت لذلك ، وزل لسانى فى حق السيادة ، وخرجت من الماء ، وذهبت عاريا إلى الخانقاه ، ولبست ملابس أخرى ، وقلت يجب إتمام الأمر . وخرجت قاصدا الزيارة ، وعندما وصلت إلى باب المسجد الجامع ، عثرت قدمي بحجر وجرحت ، ووقعت عمامتي عن رأسي ، وأقبل رجل واختطفها . وبقيت حائرا ، فرفعت رأسي إلى السماء وقلت : يا الهى ! .. إذا كنت لا تريد أبا القاسم فإنه لا قبل لي بصفعاتك ، وجراحك ، فالورد والزيارة كانا من أجلك ؛ فإذا لم تردهما أبقيتهما لنفسي ! .. . ولم يدر أحد قط بما حدث لي . واليوم يقول الشيخ : (ص ٨٨) لقد كنت معك بالامس ؛ فإذا كان قد أطاع على هذا السر فما أشد عارى لو أنه عرف عنى ما حدث .

حكاية :

سمعت عن السيد أبى الفتوح الغضائرى إنه قال : كان فى محلة عدنى كويان دكان بجوار زواية الشيخ ، فكانوا يذهبون إليه كل يوم عند العصر ، ويرشون الماء ، ويعدون المكان . وقد اعتاد الشيخ أن يجلس هناك ، ويجلس الشيوخ بين يديه ، ويقف الشبان من خلفهم . وكان المكان بهيجا طلقا طيبا . وذات يوم

كان الشيخ قد جلس كعادته فقال : هل تريدون أن تروا جاسوسا من جواسيس الله تعالى ؟ إذا كنتم ترغبون في ذلك ، فانظروا إلى هذا الرجل . فنظر الجميع ولم يروا أحدا . وفي الحال ظهر الأستاذ الامام أبو القاسم القشيري من نهاية الطريق ، فلما اقترب ، ألقى عليهم بالتحية ، ثم مضى . فنظر الشيخ خلفه وقال : إنه أستاذ ، إنه أستاذ حقا .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا القاسم القشيري فكر ذات ليلة وقال لنفسه : غدا اذهب إلى مجلس الشيخ أبي سعيد ، وأسأله ما الشريعة ، وما الطريقة ؟ ، وأرى بماذا يجيب . وفي اليوم التالي ذهب إلى مجلس الشيخ وجلس ، وبدأ الشيخ الحديث ، وقبل أن يتسأل الأستاذ الإمام سؤاله قال الشيخ : أيها الرجل الذي تريد أن تسأل عن الشريعة والطريقة ، إعلم أننا جمعنا العلوم كافة في هذا البيت :

— جاءت رسالة من الحبيب أن أحسن العمل ، وهذه هي الشريعة .
وقدم الحب من قاربك وتجنب الفضول ، وتلك هي الطريقة .

وقد قال إمام الحرمين أبو المعالي قدس الله روحه العزيز : إن كل ما أثبتناه في الكتب ، وصنفناه ، قد بينه سلطان الشريعة والطريقة الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه - العزيز في هذا البيت الواحد . (ص ٨٩)

حكاية :

روى السيد أبو الفتوح الغضائري رحمه الله عليه هذه الحكاية ، فقال : طلبت السيدة فاطمة ابنة الأستاذ أبي علي الدقاق ، زوج الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري ،

من الأستاذ الإمام الإذن في الذهاب إلى مجلس الشيخ أبي سعيد ، فلم يمنعها
الأستاذ الإمام هذا الإذن. ولما كررت الطلب ، قال لها : قد أذنت لك ، ولكن
تنكرى وتخفى ، وألقى قناعاً على رأسك بحيث لا يعرف أحد من أنت . ففعلت فاطمة
ما أشار به الأستاذ ، وجاءت إلى مجلس الشيخ ، وجلست بين النساء على السطح .
وعندما بدأ الشيخ الحديث إستله بحكاية عن الأستاذ أبي علي الدقاق وقال : ها كم
جزءاً من أجزائه هنا ، وشطبية من شطائبه حاضرة . وعندما سمعت السيدة فاطمة
هذا القول ، تمالكها حال ، وغابت عن الوعي ، ووقعت من السطح . فقال الشيخ :
يا إلهي . لا تكشف سترها . فظلت معلقة في الهواء حتى مدت النسوة أيديهن
ورفعنها إلى السطح . ولما عادت إلى المنزل ، أطلعت الأستاذ الإمام على ما حدث .

حكاية :

سمعت عن زين الطائفة الشيخ عمر الشوكاني أنه قال : سمعت عن الإمام أحمد
ابن مالك أنه قال : ذهب الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز يوماً إلى سوق
نيسابور ومعه الأستاذ الإمام وجماعة من كبار المتصوفة . وكان هناك حانوت وضع
على بابه لفت مسلوق . فوقع نظر أحد الدراويش عليه ، وهفت نفسه إليه .
وأدرك الشيخ بفراسته ذلك ، فاستدار وقال لحسن بن المؤدب : اذهب إلى حانوت
بائع اللفت ، واشتر كل مالدیه منه ، وأحضره . وكان هناك مسجد ، فدخل الشيخ هذا
المسجد ومعه الأستاذ الإمام وجماعة الصوفية . وذهب حسن إلى حانوت الرجل ،
وأحضر اللفت ، ودعى إلى الأكل ، فأخذ الدراويش يأكلون (ص ٩٠) والشيخ معهم ،
ولكن الأستاذ الإمام رفض ، وأنكر ذلك في نفسه ؛ لأن المسجد يقع وسط السوق ؛
كما أن بابه كان مفتوحاً . وبعد ذلك بأيام قليلة دعى الشيخ والأستاذ الإمام إلى

وليمة فاخرة . وكانت المائدة مجهزة بألوان كثيرة من الاطعمة ؛ إلا أن ذلك الطعام الذى كان يشتهيه الاستاذ الإمام ، فقد كان بعيداً عنه ، وكان الحجل يمنعه من أن يمد يده إليه . فالتفت الشيخ إليه وقال : يا أستاذ عندما يعطونك إياه ترفضه ، وعندما تريده يمنعونك . فاستغفر الاستاذ على ما جال بخاطره وتنبه .

حكاية :

روى الشيخ أبو نصر عن حسن بن المؤدب أنه قال : حدث يوماً في نيسابور ، أن نزع الاستاذ الإمام عن أحد الدراويش خرقته ، وأساء إليه ، وطرده من المدينة ؛ لأن ذلك الدراويش كان ينظر إلى السيد اسماعيل الدقاق نظرة سيئة ، وكان إسماعيل هذا من أقارب الاستاء الإمام . وكان الدراويش قد قال لأحد أصدقائه : ينبغي أن تقيم لنا وليمة الليلة ، وتدعو إليها إسماعيل ، حتى يقضى الليل في صحبتنا ؛ لنستمتع بجماله ، ونضج وجداء ، فقد احترقنا شوقاً إليه . فنفذ ذلك الصديق رغبة الدراويش ، وأعد الوليمة . ودعا القولين والسيد اسماعيل . وفي اليوم التالى بلغ الخبر الاستاذ الامام ، فنزع عن الدراويش خرقته ، وسبه ، وطرده من المدينة . وحملوا هذا الخبر إلى زاوية الشيخ ، فغضب الدراويش . وقال الشيخ لحسن بن المؤدب : ينبغي أن تعد لنا الليلة وليمة فاخرة ، وتدعو إليها جميع أهل المدينة ، والاستاذ الامام ، وأن تشعل شموعاً كثيرة . قال حسن : فذهبت وهيات كل ما أمر به الشيخ ، ودعوت الاستاذ الامام . وأحضرت أهل المدينة . وجاء الاستاذ الامام ، فأجلسه الشيخ معه على المنصة ، (ص ٩١) وجلس الصوفية فى ثلاث صفوف أمام منصة الشيخ ، فى كل صف مائة رجل . ومددنا المائدة ، وكان السيد أبوطاهر يقوم بالخدمة عليها . وكان عندئذ لا يزال شاباً أمرد ، بارع الجمال ، يرتدى سترة موشاة ، ويروح ويغردو

على المائدة كالشمعة المضيئة . وعندما حل ميعاد الحاوي، وضعت شراب اللوز أمام الشيخ الاستاذ الإمام ، وبعد أن شربا عدة كؤوس ، كفا أيديهما . وقال الشيخ .

يا أبا طاهر تعال، واحمل هذه الكأس ، واذهب بها إلى ذلك الدرويش — مشيراً إلى أبي على الترشيزي — واشرب نصفها ، واسقه النصف الآخر . فحمل السيد أبوطاهر كأس شراب اللوز، وذهب أمام ذلك الدرويش ، وركم على ركبتيه في احترام شديد ، وشرب نصف الكأس ، وسقاه النصف الآخر . وفعل أبوطاهر هذا مرة أخرى ، فصرخ ذلك الدرويش ، ومزق ثوبه ، وخرج من زاوية الشيخ ملبياً وهو يجرى ويصرخ .

وقال الشيخ للسيد أبي طاهر: يا أبا طاهر ، قد وقفتك على خدمة ذلك الدرويش ، فاذهب إليه ، واحمل عصاه وإبريقه ، وسر خلفه ، وقم بخدمته ، واتبعه حيثما ذهب حتى يصل إلى الكعبة . فحمل السيد أبوطاهر عصا الدرويش وأبريقه ، وسار خلفه . ونظر أبو على فرأى السيد أبوطاهر يتبعه ، ولما وصل إليه سأله : إلى أين تذهب ؟ فأجاب أبوطاهر : لقد أرسلني والدي لخدمتك ، وحدثه بالامر . فرجع أبو على إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ . بحق الله أرجع أبوطاهر من خلفي . فدعا الشيخ أبوطاهر ، فأدى التحية لذلك الدرويش وذهب . وعندما انصرف أبو على التفت الشيخ إلى الاستاذ الإمام وقال له : أيها الاستاذ .. الدرويش الذي يمكن إخراجه من المدينة ، وإرساله إلى الحجاز بنصف كأس من شراب اللوز ، فيم الغضب عايه ، وانتزاع خرقة ، والإساءة إليه ؟ . لقد فعلنا هذا من أجلك ، ولم فقد كان هذا الدرويش مصاباً بحب ولدنا أبي طاهر منذ أربع سنوات ، ولم

نكن نظهر ذلك ، (ص ٩٢) ولو لم يكن الامر متعلقا بك لما قلته لأحد .
فهمض الأستاذ واستغفر ، وعم السرور الجميع ، وظهرت الاحوال للصوفية .

حكاية :

روى أنه عندما زال انكار الأستاذ الامام شيخنا ، رجاء قائلا : ينبغي أن
تعقد مجلسا في زاويتي مرة كل أسبوع . فأجابه الشيخ إلى طابه ، فكان يعظ عنده
مرة كل أسبوع . وحل ميعاد مجلس الشيخ يوما ، وكانوا قد صفوا المقاعد ، وأخذ الناس
في الحضور ، والجالوس في أماكنهم . ودخل الشيخ عبد الله باكو ليسأل الأستاذ
الامام في ذلك ، فلما رآه قال له : ما هذا ؟ فأجاب الأستاذ الامام : إنه من أجل الشيخ
أبي سعيد ، فسوف يتحدث في المجلس ، انتظر لتستمع إليه . فقال عبد الله : انني
أنكره ، أي لا أعتقد فيه . فقال له الأستاذ الامام : لقد قلت أنا أيضا مثل
ما تقول الآن ، ولكن عندما عرفت الحقيقة أصبحت مريدا له . ثم قال له : انتبه
فإن هذا الرجل مشرف على الخواطر ، فإذا صنعت حركة ، أو فكرت في شيء
فسوف يظهره في الحال . ثم دخل الشيخ أبو سعيد ، وارتقى المقعد ، وقرأ المقرئون
القرآن ، وقام الشيخ بالدعاء ، ثم بدأ في الحديث . فنفيخ الشيخ عبد الله بقمه في الخفاء ،
وقال لنفسه في صوت منخفض : كثير من الأنفاس في الريح . ولم يكذب كلامه
حتى التفت الشيخ إليه وقال : في الريح معدن الانفاس ، قال هذه الكلمة وعاد
إلى الحديث . فقال الأستاذ الامام للشيخ عبد الله : ماذا فعلت ؟ قال : قلت هكذا .
فقال له الأستاذ : ألم أقل لك لا تقل شيئا لأن هذا الرجل مطلع على كل ما تصنع
وتفكر فيه ؟ .

وعندما استرسل الشيخ في الحديث ، وظهر عليه الانفعال ، قال الشيخ أبو عبد الله .

لنفسه لما شاهد حال الشيخ: بعد وقت متجردا في كثير من المواقف، (ص ٩٣)
ورأيت كثيرا من المشايخ، وقمت بخدمتهم، وأمضيت أكثر من تسعين عاما في
خدمة المشايخ؛ فما السبب في أن يظهر كل هذا على الشيخ دون أن يظهر على؟
فالتفت إليه الشيخ في الحال وقال له: أيها السيد:

« بيت »

— أنت هكذا وحظك هكذا ،

وأنا كذلك وحظي كذلك .

وصلى الله على محمد وآله أجمعين. ثم مسح وجهه بيديه، ونزل عن المقعد، وتقدم
إلى الأستاذ الإمام وعبد الله باكو. ولما جلسوا قال الشيخ للأستاذ: قل لهذا السيد
اجعل قلبك سعيدا. فقال الشيخ عبد الله: سأكون سعيدا إذا أتيت إلى زاويتي
كل خميس. فقال الشيخ: لقد وقعت عليك أنظار كثير من العظماء والمشايخ،
وسوف آتى من أجل هذه الانظار، لامن أجلك أنت. وحين قال الشيخ هذا
القول، بكى الناس وصاحوا، وتخلى الشيخ أبو عبد الله عن أنكاره، وعم
الصفاء الجميع.

وكانت حالهم هكذا، فساروا على جادة الصدق، ولم تكن هذه الرعاية بينهم
رياء ولا نفاقا، فلا جرم أن ظهر الصفاء والسرور من تلك الكلمة الغايضة التي
صدرت عن صدق، بعيدة عن المداينة في طريق الدين. وفي عهدنا هذا لا تظهر
ذرة من الصفاء من ألف كلمة نقولها في لطف ورعاية، لأنها مشوبة بالرياء والنفاق
والمداينة. وإنى أرجو الله تعالى أن يوقظنا من نوم الغفلة قبل الموت، وأن يكرمنا
بمتابعة الصدق، وآداب المشايخ المتقدمين.

حكاية :

روى أنه عندما زال ذلك الافكار والتحكم عن الشيخ عبد الله ، كان يذهب كل وقت للسلام على الشيخ ، ويتحدث معه ، ولكنه كان ينكر السماع والرقص على الشيخ أبي سعيد ، ويجهر بذلك أحيانا ، حتى رأى في منامه ذات ليلة أن هاتفا يصيح (ص ٩٤) به قائلا : « قوموا وارقصوا لله سبحانه وتعالى » فاستيقظ وقال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، لقد أظهر الشيطان لى هذه الرؤيا السيئة . ونام مرة أخرى فرأى الهاتف يقول : « قوموا وارقصوا لله » فاستيقظ وقال : لاحول ولا قوة إلا بالله ، ثم ردد الذكر ، وقرأ سورتين أو ثلاث من القرآن ونام . ورأى الرؤيا نفسها ، فأدرك أن هذا لا يمكن أن يكون سوى هاتف من عند الله . واستيقظ عند الفجر ، وذهب إلى الخانقاه لزيارة الشيخ ، فرآه يقول من داخل المنزل « قوموا وارقصوا لله » . فزعر الشيخ عبد الله الإنكار من قلبه .

وحدث في الوقت نفسه أن ذهب الشيخ عبد الله باكوا إلى الشيخ أبي سعيد ، وكان الشيخ يجلس متكئا على أربع وسائد ، فأنكر عليه ذلك ، فقال له الشيخ : لا تنظر إلى الخلق بالأربع وسائد ؛ بل بالخلق والطبع . وعندما وضع الشيخ هذه المسألة بهذه العبارة الموجزة ؛ زال الإنكار عن الشيخ عبد الله وتاب قائلا : لن أعارض على الشيخ مرة أخرى .

حكاية :

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني قدس الله روحه : أنه عندما جاء الشيخ أبو سعيد إلى نيسابور ، كان والدي ينكره إنكارا شديداً ؛ بحيث لم يكن أحد يستطيع أن يتحدث عنه في حضرته . وذات يوم قال لى والدى ، بعد أن فرغ من

صلاة الفجر: البس ملابسك لكي نذهب لزيارة الشيخ أبي سعيد ، فعجبت لذلك كثيرا . ثم ذهبنا إلى زاوية الشيخ . ولما دخلنا من باب الزاوية قال الشيخ : ادخل يا خليل الله عند حبيب الله ؛ (ص ٩٥) فعجبت لهذا الكلام أيضا . ودخل والدي ، وكان الشيخ وحيداً في الصومعة ، فنادى المريدون قائلاً: تعالوا وارفعوني .

وكان الشيخ في أواخر عمره ينهض بصعوبة ؛ بسبب كثرة الرياضة التي قام بها في أوائل عهده ، وتعليقه نفسه من أقدامه . وكثيراً ما كان يجلس على المنصة ويدلى قدميه ، ويعتمد بيديه عليها ، حتى ينهض دون معونة أحد .

وأسرع اثنان من المريدين ، وأمسكا به ، فعانق الشيخ والدي ، وجلسا يتحدثان برهة . ولما مضى بعض الوقت ؛ دخل الاستاذ الإمام . وتحدثوا بعض الوقت ، ثم نهض الاستاذ الإمام وانصرف . وأتبع والدي الاستاذ الإمام بنظره ، فوضع الشيخ فمه على أذن والدي وأسر له شيئاً ، فقبل والدي فخذ الشيخ ؛ فازدت تعجباً من هذه الحركة . ثم نهض والدي وخرجنا .

ولما وصلنا إلى المنزل قلت لو والدي : لقد عجبت اليوم ثلاث مرات ، الأولى : أنك كنت تنكر الشيخ أبا سعيد ، وفي الفجر أمرتني أن أنهض لنذهب لزيارته . والثانية : أننا عندما ذهبنا إلى الشيخ قال : أدخل يا خليل الله عند حبيب الله . والثالثة : أنه حين أنصرف الاستاذ الإمام نظرت خلفه ، فهمس الشيخ في أذنك ، فقبلت فخذ . فقال والدي : رأيت بالأمس في نومي أنني أذهب إلى مكان عزيز مبارك ، وموضع طيب ، فنظرت الشيخ أبا سعيد يتحدث في مجلس في ذلك المكان ، وكان هناك أناس كثيرون يستمعون إليه . ولشدة ما كنت عليه من الانكار للشيخ ، حولت وجهي عن ذلك المكان ، فسمعت هاتفاً يقول لي : أتحول وجهك عن شخص في منزلة حبيب الله في الأرض ؟ . فلما سمعت هذا

أحسست بالغيرة ، وقلت لنفسي : (ص ٩٦) : إذا كان هو في منزلة حبيب الله ،
فماذا تكون منزلتي ؟ . فسمعت الهاتف يقول : أنت بمنزلة خليل الله . فاستيقظت
ولم يبق في قلبي شيء قط من الانكار للشيخ ، وظهر في قلبي في مقابل كل شك
ألف محبة . واليوم ذهبنا لزيارة الشيخ فقال : أدخل يا خليل الله عند حبيب الله ؛
فأوضح أنه بفراسته وكرامته مطلع على ما رأيت في نومي أمس . ولما نهض الاستاذ
الامام أخذت أنظر خلفه وأنا أقول لنفسي : إذا كان الشيخ في منزلة حبيب الله ،
وأنا في منزلة خليل الله ، فماذا تكون منزلة الاستاذ الامام ؟ فوضع الشيخ فمه على
أذني وقال : إنه في منزلة كلیم الله . فتعجبت من قول الشيخ ، ومن أشرف خاطره
على ضمائر عباد الله سبحانه وتعالى ، وأحذيت رأسي وقبت فخذه الشيخ . فقلت
لو الذي : كيف يمكن معرفة حال هذه المنازل ؟ . فروى لي والذي هذا الحديث
الذي ورد باسناد صادق عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « علماء امتي كأَنْبياء بني
إسرائيل » . وبعد ذلك كنت أذهب دائماً مع والذي للسلام على الشيخ .

حكاية :

روى عن عميد خراسان أنه قال : إن سبب حبي للشيخ أبي سعيد وأبنائه
مبعثه أني عندما ماجئت إلى نيسابور لأول مرة ، كنت فارساً أدعى محمد الحاجب .
وكنت كلما مررت بباب زاوية الشيخ عند الفجر ، ورأيت الشيخ بها أصبح ذلك
اليوم مباركا . وذات ليلة قلت لنفسي : غدا أذهب للسلام على الشيخ ، وأحمل له
معي شيئاً . وأعددت ألف درهم من الدراهم التي كان الواحد منها في ذلك
الوقت يساوي تسعة عشر ، أي أن الثلاثين منها تساوي ديناراً . ولففت الألف درهم

فى لفافة من الورق ،حتى إذا ما جاء الصبح ، ذهبت لتهية الشيخ ، ووضعت النقود أمامه . وكنت وعندئذ حيدا بالمنزل ، ولم أطلع أحدا على ذلك . ثم عدت وفكرت فى نفسى أن هذا المبلغ كثير وتكفى خمسمائة درهم . (ص ٩٧) فقسمت النقود إلى نصفين ، ووضعت خمسمائة درهم خلف الوسادة ، وحملت الخمسمائة الأخرى إلى الشيخ ، وسلمت عليه ، وأعطيتها لحسن بن المؤدب . فقال حسن للشيخ بصوت منخفض : لقد أحضر الحاجب محمد بعض النقود . فقال الشيخ : باركه الله ، ولكنه لم يحضر المبلغ تاما ؛ فقد ترك المصنف خلف الوسادة . إن حسنا مدين بألف درهم ، فلبعطها له حتى يطمئن . قال العميد : عندما سمعت هذا دهشت ، وأرسلت خادما فأحضر بقية النقود ، وأعطها لحسن . ثم قلت للشيخ . أيها الشيخ ، تقبلنى . فأخذ الشيخ بيدي وقال : لقد تقبلناك ، فاذهب مصحوبا بالسلامة . قال العميد : بعد ذلك لم أتعرض لأذى ، وسلمت من كل مكروه ، وكنت إذا بذلت شيئا بذلته عن طيب خاطر . ولم أمس بسوء بعد ذلك ، وكان شأنى فى ارتفاع دائما . وحين غادرت الشيخ أتبعنى بنظرة قاثلا : ما أكثر المهام التى تقع على عاتق هذا الرجل .

حكاية :

قال أبو سعيد الخشاب الذى كان خادم الشيخ الخاص إن الشيخ قدس الله روحه العزيز خرج يوما من خانقاه محملة عدنى كويان ليذهب إلى الحمام . وكان عميد خراسان يسير ممتطيا جواده ، ولم يكن قد أصبح عميدا بعد ؛ بل كان حاجبا يدعى محمد الحاجب . ولما وقعت عينه على الشيخ ، ترجل عن جواده

وسلم وقال للشيخ : هل تَأْذَن لِي فِي أَنْ أَقُول شَيْئاً ؟ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : تَكَلِّمْ .
فَقَالَ الْعَمِيدُ : أُرِيدُ أَنْ يَمْنَحَنِي الشَّيْخُ مَكَاناً مِنْ قَلْبِهِ . فَقَالَ الشَّيْخُ : قَدْ مَنَحْنَاكَ .
فَعَظَمَهُ الْعَمِيدُ وَمَضَى . وَذَهَبَ الشَّيْخُ إِلَى الْحَمَامِ وَهُوَ يَقْصُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ . وَلَمْ
أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْنَعْ نَفْسِي فَقُلْتُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، كَيْفَ تَحْدِثُ إِلَيْكَ ذَلِكَ الرَّجُلُ هَكَذَا
وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلَبِهِ ، وَأَيُّ مَكَانٍ يَكُونُ لَهُ ؟ . فَقَالَ : إِنْ لَهُ مَعَ اللَّهِ مِرَا ، فَلَا عَجَبَ
أَنْ يَجِدَ مَا يَرِيدُ . وَمِنْذَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَخَذَ شَأْنَهُ يَرْتَفِعُ حَتَّى أَصْبَحَ بَعْدَ أَمَدٍ قَصِيرٍ
عَمِيداً خُرَاسَانَ . وَقَالَ السَّيِّدُ الشَّيْخُ أَبُو الْفَتْحِ : كُنْتُ أَقِفُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ
الشَّيْخِ ، (ص ٩٨) وَكَانَ عَمِيدُ خُرَاسَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَحْمَدُ الدَّهْستَانِي ، وَكَانَ
لَهُ حَاجِبٌ يَدْعَى مُحَمَّدًا . فَحَضَرَا يَوْمًا لَزِيَارَةِ الشَّيْخِ . وَتَقَدَّمَ الْحَاجِبُ مُحَمَّدٌ ، وَكَانَ
شَابًا جَمِيلًا ، وَدَخَلَ وَأَدَّى التَّحِيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : أَدْخُلْ يَا عَمِيدُ خُرَاسَانَ . فَقَالَ
الْحَاجِبُ مُحَمَّدٌ : هَآكِ عَمِيدُ خُرَاسَانَ يَدْخُلُ ، وَكَانَ أَحْمَدُ الدَّهْستَانِي يَسِيرُ خَلْفَهُ ،
فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنَّهُ لَيْسَ عَمِيدُ خُرَاسَانَ ، بَلْ أَنْتَ . إِنَّهُ كَلْبٌ وَسْتَمْرَقَةُ السِّكَلَابِ ،
وَلَمْ يَحْفَلِ الشَّيْخُ بِالْعَمِيدِ أَحْمَدَ الدَّهْستَانِي . وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى قَتَلَ أَحْمَدُ الدَّهْستَانِي ،
وَمَزَقَ إِرْبًا ، وَاصْبَحَ الْحَاجِبُ مُحَمَّدُ عَمِيداً لَخُرَاسَانَ . وَظَلَّ سَتِينَ عَامًا يَأْخُذُ خِرَاجَ
خُرَاسَانَ ، وَيُدِيرُ أُمُورَهَا بِكَفَاءَةٍ ، وَكَانَ يَبَاهِي بِذَلِكَ دَائِمًا وَيَقُولُ : لَقَدْ نَصَبَنِي
الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ عَمِيداً لَخُرَاسَانَ .

حكاية :

قال السيد أبو الفتح بن عباس : ذهبت مع والدي إلى اصفهان عند نظام
المالك ، رحمة الله عليه ، وعندما دخلنا عليه دعا له والدي ، فقال نظام الملك : أيها

السيد الامام ، لقد وجدت ما وجدت بنضل الشيخ أبي سعيد . فقال له والدي :
كيف ؟ فقال : ذات يوم كنت أركب جوادى فى نيسابور ذاهبا إلى محلة عدنى
كويان ، فلاحق بى رجل وقال لى : أنهم ينادونك . فقلت : من الذى ينادينى ؟
فقال : هم ينادونك هنا . فسرت ودخات إلى الخاقاه فرأيت الشيخ أبا السعيد
فسأنى عن حالى ورحب بى ، وكنت قد ذهبت عند الشيخ قبل ذلك - كما فى
الحكاية التى ورد ذكرها فى موضعها - وأمسك بيدي وقال لى : سوف تكون
رجلا عظيما . فأديت له التحية ورجعت . وفى اليوم التالى ذهبت إلى مجلس الشيخ ،
وكان هناك حجر متوار عند الباب فجلست عليه بحيث لم يكن الشيخ يرانى ، وأخذ
الشيخ يتحدث ، وعندما أنهى المجلس قال : إن على حسن ديننا . وكنت ألبس
حزاما كعادة الشباب الأرعن ، (ص ٩٩) فخلت الحزام وأعطيته له . فقال
الشيخ لحسن : أحضر هذا الحزام . فقدم حسن الحزام للشيخ ، فأخذه ووضع أصبعه
فى حلقتة وأداره عدة مرات وقال : لن يمضى وقت طويل حتى يعقدوا أمامك
أربعة آلاف حزام من الذهب . واليوم استعرضت أربعة آلاف رجل فى خدمتى
يرتدون أحزمة ذهبية ، فكل ما ادركته إنما هو من بركات الشيخ أبي سعيد .

حكاية :

كان فى مرو شيخ يقال له محمد الختنى ، وكان واحدا من شيوخ ماوراء النهر ،
وعندما إعتزم يغراخان قتل صوفية ما وراء النهر ، جاءت جماعة من شيوخهم
واختفوا فى مرو وكان محمد الختنى هذا من بين هؤلاء . ولم يكن قد رأى
شيخنا ، إذ أنه كان فى نيسابور حين جاء الختنى إلى مرو . وكان فى مرو
إمام يدعى أبا بكر الخطيب ، من تلاميذ الإمام القفال ، وكان قد رأى الشيخ

عنده . وفي يوم اعتزم أبو بكر الذهاب إلى نيسابور في مهمة ، فجاءه محمد الـخـتـنـي هذا وقال له : سمعت أنك تقصد نيسابور ، ولي حاجة هناك . فقال له أبو بكر : ماهي ؟ . قال : أريد أن تسأل الشيخ أباسعيد هذا السؤال دون أن يعلم أنني طلبت إليك ذلك أو تحدثه عني . وهو : هل تمحى الآثار ؟ . قال أبو بكر : فقلت له لا أستطيع أن أتذكر هذا ، فاكتبه لي . فكتبه وأعطاني الورقة . وذهبت إلى نيسابور ، ونزلت في رباط القوافل ، فرأيت اثنين من الصوفية يدخلان من الباب في الحال ويسألان : من السيد أبو بكر الخطيب ؟ قلت : أنا . فاقتربا مني وقالوا : إن الشيخ أباسعيد يقرئك السلام ويقول لك إننا غير مطمئنين لنزولك في رباط القوافل وينبغي أن تحضر إلينا . فقلت لهما : انتظرا حتى أذهب إلى الحمام (ص ١٠٠) واغتسل ثم أحضر . وتخيرت من ذلك السلام وتلك الرسالة ؛ إذ أنني كنت أعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يكون أحد قط قد أخبره بمقدمي بهذه السرعة ، وإنما أدرك ذلك بفراسته وكرامته . وذهبت إلى الحمام سريعا واغتسلت . وعندما خرجت من الحمام رأيت الدرويشين يقفان على بابي ومعهما العود وماء الورد . وذهبت في محبتهم إلى الشيخ ، ولما وقع نظره على قال :

بيت من الشعر العربي

أهلا بسعدى والرسول وحبذا وجه الرسول لحب وجه المرسل

فسامت عليه ، فرد السلام وقال : إذا كانت رسالة شيخك خفيفة عليك فإن كلامه عزيز لدينا ، ومنذ غادرت مرو ونحن نعد المنازل واحدا واحدا . قال أبو بكر الخطيب : فشعرت بالانهيار ، ثم قال الشيخ : هات ما عندك لنرى

ماذا قال ذلك الشيخ . قال أبو بكر الخطيب : لقد نسيت كل العلوم في تلك اللحظة لهيبة الشيخ ، وقلت له : ايها الشيخ ، اننى لا أتذكر شيئاً وقد كتبتها على ورقة ، وهى في الثوب الذى كنت ارتديه اثناء السفر . فقال الشيخ : ألم تستطع ان تحفظ سؤال الشيخ ؟ . فازداد شعورى بالانهيار . وقال الشيخ : إذا قلت لك السؤال هل تتذكره ؟ . قلت : الأمر للشيخ . قال انه : هل يمكن ان تمحى الآثار ؟ قلت : هو كذلك . فقال الشيخ : إذا اجبتك الآن على هذا السؤال وجب عليك ان تقفل راجعاً ، فاذهب لما جئت من أجله وعندما تحين عودتك سأنبئك بالجواب . قال أبو بكر الخطيب : وكنت اختلف إلى الشيخ كل ليلة طوال أقامتى في نيسابور ، وكان الشيخ يحتفى بى كثيراً ويكرمنى . وعند العودة ذهبت إلى الشيخ وقلت له : أجبنى على سؤال الشيخ . فقال : قل له : « لا تبقى ولا تذر » إن العين لا تبقى فكيف يبقى الأثر ؟ . قال أبو بكر الخطيب فأحيت رأسى وقلت : فليفضل الشيخ بايضاح ذلك . فقال الشيخ : أنه لا يتأتى فى بيان عالم (ص ١٠١) . . فاحفظ هذا الشعر :

« رباعية »

لقد بكت عيناي وأصبح جسدى كله دموعا
وفى عشقك ينبغى أن تكون الحياة بغير جسد
لم يبق منى أثر . . فإذا يكون عشقك هذا ؟
ومادمت أنا المعشوق ، فمن يكون العاشق ؟

فقلت فليفضل الشيخ بكتابة هذا . فأمر حسن بن المؤدب فكتبه وأعطاه

لي . وعندما وصلت إلى مرو حضر محمد الختني فقلت له : لقد أرسلتني إلى سلطان
وضعت جميع أسرار العالم أمامه على طبق . وحدثته بكل ماجرى ، وأعطيته الورقة ،
وعندما قرأها صرخ وسقط مغشيا عليه ، فحملناه من ذلك المكان إلى منزله بمعونة
رجلين ، ثم توفي رحمه الله عليه بعد أسبوع من ذلك .

حكاية :

روى أنه عند ما كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز في نيسابور ،
كان هناك أمام من أصحاب أبي عبد الله الكرام يدعى أبو الحسين التوني ، ينكر
شيخنا ، وبلغ من أنكاره له أنه كان يلعنه إذا ذكر أمامه ، ولم يذهب إلى
محلة عدني كويان حيث توجد زاوية الشيخ طوال إقامة الشيخ في نيسابور . وذات
يوم قال الشيخ : أعدوا الجواد لنذهب لزيارة أبي الحسين التوني . فاعترض الصوفية
والمريدون اعتراضا شديدا وقالوا : أیذهب لزيارة رجل لا يمكن الحديث عنه
أمامه ، وإذا سمع اسمه لعنه ؟ . وركب الشيخ ، وذهب المريدون في صحبته . وفي الطريق
خرج رافضی من منزله ورأى الشيخ مع الصوفية فأخذ يلعنه . وأراد الصوفية أن
يسيئوا إليه ، فقال لهم الشيخ : هونوا عليكم فربما رحمه الله بسبب هذه اللعنة . فقال
الجميع : كيف يرحم الله شخصا يلعن مثلك ؟ . فقال الشيخ : معاذ الله ، إنه
لا يلعن ؛ وإنما يظن أنني (ص ١٠٢) على باطل وهو على حق ؛ فهو يلعن ذلك
الباطل من أجل الله . وكان الرجل واقفا يسمع كلام الشيخ ، فسقط في الحال على
أقدام الشيخ وقال له : أيها الشيخ ، لقد تبت وأنت على حق وأنا على باطل ،
فأعرض على الإسلام لأسلم من جديد . فقال الشيخ للمريدين : أرايتم أي أثر

يكون للعنة تلعنونها من أجل الله ؟ . وعندما اقتربوا أرسل حسن بن الثوب درويشا قبلهم ليخبر الإمام أبا الحسن أن الشيخ قادم لتحيته . فأبلغ الدرويش أبا الحسن ذلك ، فلعن الشيخ وقال : ماذا يريد منا ؟ ينبغي أن يذهب إلى كنيسة المسيحيين . فلما سمع الدرويش ذلك عاد إلى حسن وأخبره بما حدث . وتصادف أن كان اليوم يوم أحد ، وكان الشيخ قد علم بما حدث بنفسه ، وسأل حسن : ماذا حدث ؟ فأعاد عليه حسن ما سمعه . فقال الشيخ . لننفذ الآن ما أمر به الشيخ . واتجه إلى كنيسة المسيحيين وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، لننفذ الآن ما يأمر به الشيخ . وعندما وصل إلى الكنيسة كان المسيحيون قد اجتمعوا وأخذوا في الصلاة . ولما رأوا الشيخ تجمعوا حوله ، وأخذوا ينظرون إليه ليروا لأي أمر أتى . وكانوا قد اصطفوا أمام المحراب ، وعلقوا صورة عيسى ومريم على الحائط ، واتجهوا إليهما وأخذوا يسجدون لهما . فنظر الشيخ إلى تلك الصورة وقال : « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ » ، إذا كان محمد ودين محمد حقا فاسجدوا لله في هذه اللحظة . ولما قال الشيخ هذا وقعت الصورتان على الأرض في الحال بحيث كان وجهاهما إلى الكعبة . وعندما رأى المسيحيون ذلك صرخوا ، وخلع أربعون منهم الزنار ، وأسلموا (ص ١٠٣) ، واغتسلوا ، ولبسوا المرقعات . فالتفت الشيخ إلى جماعة الصوفية وقال : كل من يسير وفق إشارة الشيوخ يكون هكذا ، وهذا كله بركة إشارة ذلك الشيخ . وأبلغوا أبا الحسين التوني بما حدث للشيخ وما قاله ، فتملكه حال وقال : أحضروا الحفة وضعوني فيها ، وأحلووني إلى خانقة الشيخ أبي سعيد . فأجلسوه في الحفة : ولما وصل إلى خانقة الشيخ قال : أخرجوني من الحفة ، فأخرجوه منها ، ودخل من باب الخانقاء متكئا على الاكتاف

ولمّا يصيح ويصرخ حتى وصل إلى منصة الشيخ ، وسقط أمام الشيخ . وظهرت الأحوال للجميع ، ومزق أبو الحسين ثوبه ، وصفح الشيخ والصوفية عنه ، واستغفر عن أفعاله ، وأصبح من مريدى الشيخ .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، كانت جماعة من الدراويش يمرون بالسوق يوما ، وكان القوالون قد حضروا من طوس وأقاموا السماع هناك ، فلما عاد الدراويش إلى الخانقاه قالوا للشيخ : لقد وصل القوالون من طوس ، وهم يقيمون السماع في السوق ، وزيد الاستماع إليهم . فقال الشيخ لحسن بن المؤدب : اذهب إلى سوق نيسابور ، وانظر من أجل وجهها هناك ، وقل له : لقد وصل المقرئون من طوس ، ويريد الصوفية أن يستمعوا إليهم ، فهيء لهم الليلة أسباب الطعام والراحة . فخرج حسن وطاف بسوق نيسابور ، ثم رجع إلى الشيخ وقال له : لقد طفت جميع نيسابور فلم أر من هو أجل وجهها من الشيخ . ولما سمع الشيخ هذا القول ، (ص ١٠٤) رفع عباءة من خلفه وقال له : أحمل هذه إلى حانوت أبي جعفرنا وقل له : يقول الشيخ أعطنا خمسين ديناراً لنهيء بها طعاماً الليلة حتى يستريح مقرئو طوس ، ويتفرغوا للمجاهدة ، ويطمئن قلبك من أجلهم . قال حسن : فذهبت إلى حانوت أبي جعفر وفق إشارة الشيخ وحدثته بالأمر . فقال أبو جعفر : هل تعطى دليلاً على أنه جرى على لسان الشيخ قوله « أبو جعفرنا » ؟ فقلت له : سوف أكون مسئولاً على ذلك يوم القيامة . فأخرج خمسين ديناراً ولقها في ورقة وأعطائها لى . ثم أعطاني عباءة الشيخ قائلاً : ردها له . ولما ذهبت ووضعت ما أعطاه لى أمام الشيخ ، دخل أبو جعفر فى أثرى وأحضر خمسين ديناراً

أخرى، ومن خلقه غلام يحمل طعاماً مغطى، ووضعها أمام الشيخ وقال : ان يا بعثته مع حسن كان حسب ما أشرت به ، وما أحضرته الآن تعبير عن شكرى لقولك « أبوجعفرنا » ؛ فسوف تكون تلك الكلمة شفيعى يوم القيامة .

حكاية :

وأيضاً عندما كان الشيخ أبو سعيد فى نيسابور ، كان حسن بن المؤدب خادم الشيخ الخاص قد اقترض مالا وأنفقه على الدراويش ، وأخذ يؤجل قضاءه، والغرماء يطالبون به . وفى يوم حضر الجميع إلى باب زاوية الشيخ ، فقال الشيخ لحسن : قل لهم ليدخلوا . فأدخلهم حسن . وعندما دخلوا ، حيوا الشيخ . ومر صبي على باب الخانقاه وهو ينادى على « ناطف » فقال الشيخ : أحضر ذلك البائع . فأحضره حسن . وقال له الشيخ : زن كل مالك . فوزنه، ووضعها أمام الدراويش ، فأكلوه . وقال الصبي : أريد الثمن . فقال الشيخ : سوف يأتى . ومرت ساعة ، وطالب الصبي بالثمن مرة أخرى ، فأجابه الشيخ بنفس الجواب . (ص ١٠٥) فقال الصبي : إن أستاذى يضرب بنى من أجله ، قال هذا وأجهش بالبكاء . وفى الحال دخل رجل من باب الخانقاه ، ووضع صرة من الذهب أمام الشيخ ، وقال له : لقد أرسلنى فلان إليك ، وهو يرجو أن تذكره بدعائك . فقال الشيخ لحسن : خذه ، وأعط لسكل ذى دين دينه . فأخذ حسن الذهب ، وأعطى الجميع نقودهم ، كما أعطى لذلك الغلام ثمن الناطف ، دون أن يبقى شيء أو يلزم شيء . وقال الشيخ : لقد جاء هذا المال من أجل دموع ذلك الغلام .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : كان للشيخ محب في نيسابور اسمه أبو عمرو وحسكو، وكان رجلاً موسراً، يعمل بالتجارة في نيسابور . وذات يوم دعاني وقال لي : لقد أصبحت مريداً للشيخ بكل كياني ، وإنني أرجو منك أن ترجع إلي في كل ما يلزم الشيخ ، ولا تخش مهما كان كثيراً . قال حسن : وفي يوم من الأيام أرسلني الشيخ إليه سبع مرات لقضاء أمور مختلفة ، فأداها جميعها . وفي المرة الثامنة ، وكانت الشمس تميل إلى الغروب ، قال لي الشيخ : يا حسن ، اذهب إلى أبي عمرو، واحضر ماء ورد وكافورا وعودا . فذهبت وأنا خجل من الذهاب إليه مرة أخرى ؛ لأنه كان علي وشك أن يغلق حانوته . ووقعت عيته على من بعيد فقال : يا حسن ، ماذا حل بك حتى وقفت متردداً هكذا ؟ فقلت له : أيها الأستاذ ، أنا خجل لكثرة ما جئت إليك اليوم . فقال : ماذا يريد الشيخ ؟ إنني في خدمته . فقلت إنه يريد ماء ورد وكافورا وعودا . ففتح الحانوت ، وأعطاني ما طلبت وقال لي : مادمت تخرج من الرجوع إلى في مثل هذه الأشياء التافهة ، فإنني سأهبك غدا رباطاً وحماماً بألف دينار، حتى تستطيع أن تنفق من ريعهما، وتشترى مني ما هو أعظم من ذلك . قال حسن : فسررت ، وقلت لنفسى : لقد تخاضعت من ذل السؤال . وعدت إلى الشيخ في سرور بالغ وقد أحضرت العود وماء الورد . فنظر الشيخ (ص ١٠٦) إلى مستنكرا وقال : يا حسن ، أخرج وطهر باطنك من حب الدنيا حتى أتركك تجالس الصوفية . قال حسن : فخرجت ووقفت على باب الخانقاه حاسر الرأس ، عاري القدمين ، وبكيت كثيراً ، ومرغت وجهي في التراب ، ورجعت . ولم يقل الشيخ لي شيئاً في تلك الليلة . وفي اليوم التالي خرج إلى المجلس ، وكان قد تعود أن يلتفت

أثناء حديثه إلى أبي عمرو حسكو ، فلم ينظر إليه في هذا اليوم .
ولما فرغ الشيخ من المجلس جاء أبو عمرو حسكو إلى وقال: يا حسن ماذا حدث
حتى أن الشيخ لم ينظر إلى اليوم ؟ قلت لا أعلم ، وحدثته بما جرى بالأمس .
فذهب أبو عمرو إلى منصة الشيخ وقبلها وقال له : يا عزيز الدهر... إن حياتي رهن
لفتة منك، وأنت لم تنظر إلى اليوم قط !. ماذا حدث مني لأستغفر وأطلب المَعذرة
عنه ؟. فقال له الشيخ : لقد أنزلت صقر عزتنا من أعلى عليين إلى أسفل سافلين
وقيدته بألف دينار . وإذا كنت تريد أن يصفو قلبنا لك فادفع الألف دينار لترى
كم تساوى في ميزان همتنا . فذهب أبو عمرو ، وأحضر صرتين في كل واحدة
خمسائة دينار نيسابوري ، ووضعها أمام الشيخ . فقال الشيخ: يا حسن ، ارفع هذه ،
واشتر بقرا وخرافا، وأفرى البقر، وزعفران الخراف وعطرها ، وأحضر كثيرا من شراب
اللوز ، وأشعل الشمع في النهار ، وأحضر كثيرا من العود وماء الورد ، وهي
المائدة غدا في « بوشنك » ، وهي قرية جميلة جدا بجوار نيسابور، وناد في المدينة
أن كل من يريد طعاما بدون منة في الدنيا ، أو أذى في الآخرة فليأت . قال
حسن : فأعددت هذا كله ، وبعثت مناديا في المدينة ، فجاء أكثر من ألفي شخص
إلى بوشنك .. وجاء الشيخ ومعه جماعة الصوفية ، وأجلس الخواص والعوام على
المائدة ، (ص ١٠٧) وأخذ يرش عليهم ماء الورد بيده المباركة ، ويحرق العود
والناس يتناولون الطعام . وحدث أحد منكرى الشيخ نفسه قائلا: ما هذا الإسراف
الذي يفعله هذا الرجل ؟ ، وإشعال الشمعة في النهار إسراف ولا شك ، فمر الشيخ
من بين الناس جميعا ، ووقف أمام ذلك الرجل وقال له: أيها الرجل ، انزع الانكار
والتحكم من صدرك ، فإن كل ما تفعله من أجل الله لا يكون إسرافا ، أما إذا

أنفقت درهما واحدا من أجل نفسك ، فإن هذا هو الإسراف . فسقط الرجل على
أقدام الشيخ ، وأصبح من مريديه ، وجعل كل أمواله تحت تصرف الشيخ . قال
حسن : وعندما فرغوا من الطعام ، ونفدت الأموال ، رفعت الموائد ، وعدت إلى
المدينة . ولما جاء الليل وآوى الشيخ إلى فراشه ، ناداني قائلا : يا حسن ، أنظر ماذا
بقي بالخزانة فأنا لا أستطيع النوم . فبحثت في الخزانة فلم أجد شيئا ، فعدت إليه
وقلت : لا أجد شيئا قط . فقال : ابحث جيدا . فبحثت مرة ثانية فلم أجد شيئا ،
وقلت : أيها الشيخ ، إننى لا أجد شيئا . ثم بحثت مرة أخرى ، فوجدت رغيفا ،
فحملته إليه . فقال لى : اذهب واخرجه لىكى ننام . فأخرجته ونام الشيخ .

وهكذا كان شأن الشيوخ جميعا يخرجون كل ما يأتهم من رزق فى نفس
اليوم ، دون أن يبقوا منه قليلا أو كثيرا للغد ، وفقا لسنة المصطفى صلى الله عليه
وسلم الذى ذهب إلى زاوية بلال الحبشى رضى الله عنه ، فرأى نصف رغيف
جاف على كوز مكسور ، فقال له : يا بلال ، ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، لقد
كان رغيفا جافا أفطرت بنصفه أمس ، وأبقيت النصف الآخر لهذه الليلة . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنفق يا بلال ولا تخشى من ذى العرش إقلالا »
حكاية :

وأیضا عندما كان الشيخ فى نيسابور كان كثير من المريدين يجيئون إليه ،
ومنهم المذهب وغير المذهب . وكان أحد المريدين قد تاب (ص ١٠٧) وأخذ
يمتثل إلى الخانقاه دائما . وكان له حذاء دق فيه قضباناً من الحديد ، بحيث أنه كلما
دخل إلى الخانقاه ، أحدث الحذاء صوتا يتألم منه الدراويش . فدعا الشيخ ذلك

الدرويش وقال له : ينبغي أن تذهب إلى « درمون » (وهو واد يقع بين جبلي طوس ونيسابور وعلى الطريق بينهما ، وهناك نهر ينبع من هذا الوادي ويصب في نهر نيسابور) ، وعندما تصل إلى ذلك الوادي وتسير قليلا تجد حجرا ، فينبغي أن تصلي عليه ركعتين ، وتنتظر هناك حتى يأتي إليك صديق من أصدقائك ، فتبلغه سلامنا . وذكر الشيخ لذلك الدرويش كلاما كثيرا قائلا : قل له لأنه صديق عزيز علينا ، وقد عاشرنا سبع سنوات . فسار ذلك الدرويش بشوق كبير ، وأخذ يفكر طوال الطريق قائلا لنفسه : أنا ذاهب لزيارة ولي من أولياء الله ، إلى واحد من الرجال الأربعين الذين هم مدار العالم ، وقوام أمر بني آدم ، وقد يقع نظره المبارك على ، فتتصلح أمور ديني ودنياي ببركته . وعندما وصل إلى ذلك المكان الذي مر ذكره ، توقف برهة ، ثم ظهرت أصوات طرقات شديدة اهتز لها الجبل . ونظر الدرويش مرة أخرى ، فرأى حية سوداء هائلة ، لامثيل لها في الضخامة ، حتى لقد امتلأ بها الفراغ بين الجبلين . فلما وقع عليها نظر ذلك الدرويش ، لم يبق فيه روح ، ووهنت أطرافه ، بحيث لم يعد يستطيع الحركة مهما حاول . وجاءت الحية ، (ص ١٠٩) واقتربت من ذلك الحجر ، ووضعت رأسها عليه ، وتوقفت . وعندما تمالك الدرويش نفسه ، ورأى الحية قد وضعت رأسها على الحجر في تواضع ولم تتحرك ، قال لفرط ذهوله وخوفه : لقد بعث لك الشيخ بسلامه . فمرغت الحية وجهها في التراب ، وأظهرت تواضعها . ولما رأى الدرويش ذلك ، أدرك أن الشيخ كان يقصدها برسالته فأبلغها ما قاله الشيخ ، فزداد تواضعها وعندما أتم الدرويش كلامه ، تراجعت الحية . ولما غابت عن نظره ، نزل من الجبل وسار قليلا ، ثم جلس ، وأخذ حجرا وانزع القصيان الحديدية من حذائه ، وسار في

هدوء حتى وصل إلى الخانقاه . ولما دخلها لم يشعر به أحد ، وألقى التحية في صوت خافت سمعه الدراويش بصعوبة . وعندما رأى الصوفية تغير حاله أرادوا أن يعرفوا أى شيخ هذا الذى تركت صحبته لنصف يوم فى نفس ذلك الدراويش من الأثر ما لم يتحقق له بالرياضة والمجاهدة سنين طويلة ، فسألوه : من ذلك الذى بعثك الشيخ إليه ؟ فذكر لهم القصة . فتعجب الجميع ، وسألوا الشيخ عن ذلك . فقال الشيخ : لقد رافقتنا هذه الحية سبع سنوات ، وكان كل منا يرتاح إلى الآخر .

وقصارى القول أنه لم ير أحد من ذلك الدراويش حركة غليظة بعد ذلك اليوم ولم يسمع منه صوتا عاليا ، ولم يبق فيه شيء من هذا ، وأصبح مؤدبا مهذبا بافتة واحدة من الشيخ .

حكاية :

قال الأستاذ عبد الرحمن مقرى شيخنا إن الشيخ كان يتحدث يوما فى مجلس فى نيسابور ، وكان فى المجلس رجل علوى ، فقال لنفسه : نحن نملك النسب وهذا الشيخ يملك العزة والدولة . فالتفت الشيخ إلى ذلك العلوى فى الحال ، وقال له : أيها السيد ، يلزم أفضل من هذا وذاك . ثم التفت إلى الجمع وقال . اتعلمون ماذا يقول هذا السيد ؟ إنه يقول . نحن نملك النسب ، وهنا توجد الدولة والعزة . إعلموا أن كل ما أدركه محمد عليه السلام إنما أدركه بالنسبة لا بالنسب ، أما نحن فقد أسلمنا إليه أنفسنا فى النسبة ، والآن لا نقنع بذلك ، فلا جرم أن جعل الله لنا نصيبا من تلك الدولة والعزة التى كانت لذلك العظيم ، وأوضح أن الطريق إلى حضرتنا يكون بالنسبة لا بالنسب .

حكاية .

قال جدى شيخ الإسلام أبو سعيد رحمة الله عليه ان الشيخ أبا سعيد كان يتحدث يوما فى مجلس فى نيسابور، وكان فى ذلك المجلس عالم فاضل، فأخذ يفكر فى نفسه قائلا: إن هذا الكلام الذى يقوله الشيخ لا يوجد فى اسباع القرآن السبعة. فالتفت الشيخ إلى ذلك العالم فى الحال وقال له : ايها العالم ، ان هذا الكلام الذى نقوله فى السبع الثامن . فقال العالم : أى سبع ثامن ايها الشيخ ؟ . فقال الشيخ : السبع السابع هو : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل إليك » ، والسبع الثامن هو : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » . أتظنون أن كلام الله عز وجل محدود ومعدود؟ إن كلام الله ليس له نهاية ؛ لأن المنزل منه على محمد هو هذه الاسباع السبعة ، اما الذى يوصله إلى قلوب عباده ؛ فإنه لا يدركه عد ولا حصر ، كما أنه لا ينقطع ابدا ، فى كل لحظة يصل منه رسول إلى قلوب العباد ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، ثم قال الشيخ :

(ص ١١١)

« بيت »

— أيها الحبيب، انت راحتي فى المعاينة لافى الخبر،

ومتى كانت المعاينة ، فبم يفيد الخبر ؟ .

ثم قال: ورد فى الخبر أن اللوح المحفوظ من الاتساع بحيث لا يستطيع الجواد العربى أن يصل من احد اطرافه إلى الآخر فى أربعة آلاف عام ، وأدق من شعرة الشارب ، وفيه نبأ جميع الخلق من لدن آدم إلى يوم القيامة .

حكاية :

وايضا عند ما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور، كان له كثير من المنكرين أحدهم القاضي صاعد الذي مر ذكره . ورغم أنه لم يكن ينكر الشيخ علانية ؛ فقد كان بينه وبين نفسه لا يخرج عن اصحاب الرأي الذين ينكرون كرامة الأولياء ، بل انه كان زعيمهم في هذا . وذات يوم قالوا للقاضي صاعد إن أباسعيد يقول إذا احل لجميع الناس الدماء ؛ فإننا لا نأكل إلا الحلال . فقال القاضي صاعد: سوف اختبر هذا الرجل اليوم. وأمر باحضار حملين ممتلئين متشابهين، ودفعوا ثمن احدهما من مال حلال، وثمن الآخر من مال حرام. وزينوها على صورة واحدة، وقاموا بشيهما حتى صارا في لون واحد، ووضعوهما على طبقين متشابهين. وقال القاضي - لخدمه - سأذهب لتحية الشيخ، وبعد ساعة من وصولي احضروا هذين الحملين خلفي، وضعوهما أمام الشيخ أبي سعيد لأرى هل يفرق بكرامته بين الحلال والحرام أم لا . وحمل الخدم الحملين وساروا بهما ، وعندما وصلوا إلى مفترق الطريق، خرج عليهم غلمان سكارى من الأتراك، وضربوا خادم القاضي، وسابوا الحمل الحرام . وبعد ذلك دخل غلمان القاضي من باب الخانقاه، (ص ١١٢) وأحضروا حملا واحدا ، ووضعوه أمام الشيخ . فنظر القاضي إليهم غاضبا . وعندئذ التفت إليه الشيخ وقال: أيها القاضي ، الميتة للكلاب والكلاب للميتة ، والطعام الحرام للحرام، والحلال للحلال ، فلا تغضب. فتخلى القاضي عن إنكاره للشيخ ، وانتزع الإنكار من قلبه ، وأخذ يعتذر ، وعاد إلى الاعتقاد في الشيخ .

حكاية :

روى أن تاجرا في نيسابور أحضر للشيخ حزمة من العود وألف دينسار

نيسابورى . فامر الشيخ حسن بن المؤدب أن يعد وليمة ، وأن ينفق عليها الألف دينار كعادته . ثم وضعوا موقدا وقال لهم الشيخ ضعوا العود فيه حتى يكون لجيراننا نصيب من رائحته الطيبة . وأمرهم أن يوقدوا كثيرا من الشموع فى النهار . وكان هناك محتسب جبار متشدد فى ذلك العهد ، ينكر الشيخ والصوفية . فدخل من باب الخانقاه وقال للشيخ : ما هذا الذى تفعله ؟ ليس من الصواب إيقاد الشموع فى النهار وإطلاق البخور . إن أحدا لم يفعل هذا من قبل . فقال الشيخ : لم نكن نعرف أن هذا خطأ ، فاذهب واطفئ الشموع . فتقدم المحتسب نحوها ليطفئها ، ونفخ فيها ، فهبت النار فى وجهه وشعره وملابسه ، وكاد يحترق . فقال الشيخ :

« بيت »

— من أراد ليطفئ شمعاً أوقده الله ، احترق به .

فتقدم المحتسب على قوله وتاب .

حكاية :

(ص ١١٣) كان فى نيسابور درويش يحب الدنيا ، ويفرط فى جمع المال والادخار . وذات ليلة دخل لص منزله ، وسرق كل ما فيه ، ماعدا المرقع الذى كانت فيه نقوده . وفى اليوم التالى ذهب الدرويش إلى مجلس الشيوخ حزيناً منهراً ، ولم يكن قد أخبر أحداً بذلك ، فالتفت إليه الشيخ أثناء حديثه وقال له :

« بيت »

— أجل أيها الحبيب ، لقد زرت بيتك بالأمس ، قلت « لص » ، لم يكن لصاً ، بل كان أنا !!

فصرخ الدرويش، وتقدم إلى الشيخ، ووضع أمامه ما تبقى من النقود، فقال له
الشيخ: هكذا ينبغي أن يكون كل شيء للجميع.

حكاية:

كان الشيخ أبو القاسم الروباهي من كبار الصوفية في نيسابور، وزعيماً لعشرة
من مشاهير الصوفية من مريدي الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري. وعندما
وصل الشيخ إلى نيسابور، حضر هؤلاء العشرة إلى مجلسه، وانخرطوا في خدمته
وأصبحوا من مريديه.

قال أبو القاسم الروباهي: لقد ظلت أمداً طويلاً أطلب من الله سبحانه
وتعالى أن يبين لي درجة الشيخ أبي سعيد، وأخذت أتضرع من أجل هذا ليال
عديدة، حتى رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في نومي ذات ليلة، وفي أصبعه خاتم
به فصوص من الفيروز، وقال لي: أتريد أن تعرف درجة الشيخ أبي سعيد؟ قلت: نعم
يا رسول الله. فأراني أصبعه وقال: إنه كالفصوص من الخاتم. فارتعدت واستيقظت
من النوم. وفي اليوم التالي (ص ١١٤) جلست في مجلس الشيخ، فالتفت إلى
وقال: كيف كان الحديث عن ذلك الخاتم؟ ولما سمعت قوله، سقطت على
أقدامه قدس الله روحه العزيز.

حكاية:

رأيت بخط السيد أبي البركات مكتوباً جاء فيه: سمعت عن السيد اسماعيل
ابن عياس أنه قال: كان أبو عثمان الحيري من مشايخ نيسابور يقيم في محلة
« ملقباد »، وكان مريداً لشيخنا، فأعد للشيخ مجلساً في زاويته بملقباد، وطلب
إليه أن يتحدث فيه مرة كل أسبوع، فأجابه الشيخ إلى طلبه. وقال أبو عثمان الحيري

رأيت في منامى ذات ليلة أن الشيخ يتحدث في زاويتي ، وكان صاحب الشرع
المصطفى صلوات الله وسلامه عليه جالسا على الجانب الآخر من المنبر ، ولم يكن
الشيخ يلتفت إليه . وجال بخاطري إنه لأمر عجيب ألا ينظر الشيخ إلى صاحب
الشرع ، فالتفت إلى الشيخ في الحال وقال لي : « ليس هذا وقت النظر إلى
الأغيار ، هذا وقت الكشف والمكاشفة » .

ولما اختتم الشيخ المجلس التفت إلى صاحب الشرع وقال : « ولقد أوحى
إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك » وصلى الله على محمد وآله
أجمعين . ثم مسح وجهه بيديه ونزل عن المنبر . فاستيقظت وبقيت حائرا .

حكاية :

قال أبو بكر محمد بن أحمد الواعظ السرخسي : بعد وفاة الشيخ أبي سعيد قدس الله
روحه العزيز ، نظمت قصيدة في تلك الحادثة الكبيرة ، وقالت فيها هذين البيتين :

— من قال بأن الله مكانا ،
فبسببك التبس عليه الأمر ، إذ رآك في مكان مكين .
— ومن أجل الناس أظهرك الحق في مكان ،
لأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا ما وراء إدراكهم .

(ص ١١٥) وعندما أنشدت هذه القصيدة على ضريحه المقدس في حفل من
أبنائه ومريديه ، قال الشيخ عبد الصمد بن الحسين الصوفي السرخسي ، وكان من
خاصة مريدي الشيخ وأصحاب عشرته : هذان البيتان صدق . فاستمع إلى هذه
الحكاية . ثم قال على قبره الطاهر في حضور الجميع : كنت في خدمة الشيخ في
نيسابور ، وذات ليلة رأيت الشيخ في نومي جالسا في مكان لم يكن من عادته

الجلوس فيه . وعندما قالت له : ما هذا أيها الشيخ ، لماذا لم تجلس في مكانك .
قال لي : أنا في مكاني . فقلت مرة أخرى : لماذا لم تجلس في مكانك أيها الشيخ ،
لعله خير ؟ . فقال الشيخ : ليس لي مكان ، لا تحت ولا فوق ، ولا عن يمين أو شمال ،
ولا في أى جهة من الجهات ، ولكننا نتخذ مكانا من أجل الناس لتقضى
حوالهم وتصلح أمورهم . فاستيقظت من نومي مشغولا بذلك . وفي الفجر كنت
في مجلس الشيخ ، وعندما خرج من صومعته وجلس على المنبر كعادته ، أطرق لحظة ،
ثم رفع رأسه وقال : تعالى يا عبد الصمد وقص الرؤيا التي رأيتها فيها بالأمس .
فعببت لأننى لم أكن قد ذكرت هذه الرؤيا لأحد . وأدريت فمى من أذن الشيخ
وأخذت أقصها ، وأنا أحاول ألا يسمعونى أحد . ولم أكد أبدأ حتى صاح الشيخ :
ارفع صوتك ليسمع الناس ، إننا نجلس هنا من أجلهم وإلا لما كان لنا مكان .
وظهرت على الجميع أحوال . والآن ورد هذان البيتان على لسانك بعد وفاته
(ص ١١٦)

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : وقعت يوما بين يدي الشيخ في نيسابور ، بعد أن
فرغ من المجلس وتفرق الناس . وكانت قد تجمعت على قروض كثيرة ، وكنت
لذلك مهموما ، إذ كانوا يطالبوننى بها ، ولم أجد سبيلا لأدائها . وكنت في أمس
الحاجة لأن يطرق الشيخ هذا الموضوع ، واسكنه لم يفعل . وأشار الشيخ إلى قائلا :
انظر خلفك ، فلما نظرت رأيت سيدة عجوزاً تدخل من باب الخانقاه . وتقدمت
إليها ، فأعطتني صرة من الذهب وقالت لي : احمل هذه المائة دينار إلى الشيخ ،
واطلب إليه أن يذكرنا بدعائه . فأخذتها مسروراً ، وقلت لنفسى الآن أوفى
الدين . وحملتها ووضعتها أمام الشيخ ، فقال لي : لاتضعها هنا ، بل احملها واذهب بها

إلى مقابر الحيرة، وهناك تجد أربع قباب نصف محطمة، وشيخا نائما في ذلك المكان، فأبلغه سلامنا، وأعطاه صرة الذهب، وقل له عندما تصلك هذه تعال إلينا لنعطيك غيرها .

قال حسن : وذهبت فرأيت شيخا ضعيفا نائما، وقد توسد طنبورا . فأيقظته، وأبلغته سلام الشيخ، وأعطيته الذهب . فصرخ الرجل قائلا : قدنى إلى الشيخ . فسألته عن حاله فقال: أنا رجل مهنتي كما ترى نفخ الطنبور . وفي شبابي كنت محبوبا من الناس جميعا، ولم يكن يجتمع في هذه المدينة اثنان إلا وكنت ثالثهما . وكان لى تلاميذ كثيرون، وعندما تقدمت بى السن انفضوا من حولى، ولم يعد هناك من يدعونى . والآن وبعد أن ضاقت فى وجهى سبل العيش، طردتنى زوجى وأبنائى قائلين إننا لا نستطيع الاحتفاظ بك، فدعنا لله . ولم أعرف لى مكانا، فجيئت إلى هذه المقبرة، (ص ١١٧) وجعلت أبكى فى ألم، وناجيت الله تعالى قائلا : يا إلهى ! إننى لا أجيد حرفة، ولا أملك شبا باولاقوة، وقد طردنى الجميع، واليوم طردتنى زوجى وأبنائى أيضا، والآن بقيت أنا وأنت، وسوف أطربك ليلا لتمنحنى القوت فى الصباح . وأخذت أنفخ فى الطنبور وأنا أبكى، حتى عجزت عند الفجر، فاستسلمت للنوم حتى هذه الساعة التى أيقظتنى فيها .

قال حسن : فقدته إلى الشيخ، وكان لا يزال جالسا فى المكان الذى تركته فيه، فسقط ذلك الرجل على أقدام الشيخ، وتاب. وقال له الشيخ : أيها الرجل، إن تأوهاتك فى المقبرة لم تذهب سدى، فامض وغن لله أيضا، وكل من هذه النقود . ثم التفت إلى وقال : يا حسن، إن كل من لم يخطئ فى حق الله يتحقق له ما يطلب، وسوف يتحقق طلبك أنت أيضا .

قال حسن : وعندما فرغ الشيخ من الجلاس فى اليوم التالى، دخل رجل

وأعطاني مائتي دينار لأحملها إلى الشيخ. ولما قدمتها له، قال لي: اقض بها دينك،
فأنفقتها في هذا الأمر .

حكاية :

وأيضاً قال حسن بن المؤدب : في وقت من الأوقات ؛ تراكت على ديون
كثيرة في نيسابور، كنت قد استدنتها من أجل الصوفية . وأخذت أصبر لأرى
ما يأمر به الشيخ . وذات يوم أدى الشيخ صلاة الفجر وقال لي: يا حسن ، احضر
لي دواة وقطعة من الورق . قلت لله أكبر، وأحضرت الدواة والورقة ، ووضعتهما
أمام الشيخ فكتب :

« بيت »

— تريد أن تذهب إلى مرو وإلى هراة ،

وحيثما تذهب ستجد بقرتين وحمارا .

وقال لي : خذ هذه الورقة ، واخرج من باب الخانقاه ، وقف على البمين ،
وأعطها لمن يتقدم إليك. قال حسن : وعندما خرجت تقدم إلى شاب ، فسلمت
عليه (ص ١١٨) وأبلغته تحية الشيخ ، وأعطيته الورقة . فقبلها وقربها من عينه ،
وكان الظلام حالكا فلم يستطع القراءة ، فذهبنا إلى باب الحمام ، ودخل الشاب
الحمام ، وقرأ الورقة ، فإذا بها عن حاله. فقال لي : قدنى إلى الشيخ. فقدمته إليه ، فسلم
عليه ، ووضع أمامه مائة دينار ذهبي، وناجفة من المسك ، وحزمة من العود. فقال له
الشيخ : اطمئن فسوف يتحقق مقصودك هنا. وخرج الشاب وقال لي : تعال معي .
فذهبت معه إلى رباط القوافل ، فأعطاني مائة دينار أخرى ، وقال لي : وف بها
ديون الشيخ ، وإذا تحقق مقصودي هنا، فسوف أعطيك مائة أخرى. فسألته عن
أمره ، فقال : كان لي منذ ثلاث سنوات شريكان ، أحدهما في « بلغار » ، والآخر

« نهر واه » . وقد جاءني بالأمس رسول من مرو يخبرني أن أحد شريكي جاء إليها ، فعزمت على السفر إلى مرو ، وفي الليل جاء آخر وأخبرني أن الشريك الثاني قد وصل إلى هراة . وأخذت أفكر طوال الليل : هل أذهب إلى هراة أو إلى مرو ؟ . وفي السحر خطر لي أن أذهب إلى الشيخ عند الفجر ، وأحمل إليه مائة دينار ، ومقدارا من العطر الزكي ، وأسأله هل أذهب إلى مرو أو إلى هراة ؟ ثم أعمل بمشورته . وقد جئت في الفجر ، فاستقبلتني وأعطيني تلك الورقة . والآن قال لي الشيخ إن مقصودي سيتحقق هنا . وسوف انتظر لأرى ماذا يحدث . قال حسن وفي الظهر رأيت ذلك الشاب فقال لي : لقد وصل شريكي الذي كان قد جاء إلى هراة . وفي العصر خرجت إلى السوق فرأيت مرة أخرى ، وأسرع نحو قائلها : لقد وصل شريكي الآخر من مرو ، وكنت قادمًا في طابك . لقد تم مرادى هنا كما قال الشيخ . ثم أعطاني مائة دينار أخرى . فعدت إلى الشيخ فقال لي : وف الديون بهذه الثلاثمائة دينار ، ولا تشك بعد الآن ؛ (ص ١١٩) لأن ما يأكله هؤلاء القوم لا يرقى إليه شك ، فالحق تعالى هو الذي يقضى دينهم .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب: مضت أيام لم يحضروا خلالها لهما إلى الخانقاه ، لاني لم أكن أملك ثمنها ، وكان القصابون يطالبونني بثمان ما كنت قد أخذت من اللحم . وذات يوم كان الشيخ يتحدث في المجلس فقال لي : انهض يا حسن ، واذهب إلى ذلك الشاب — وأشار بأصبعه إلى رجل — وقل له أعطني ذلك الدينار المعقود في سلسلتك ، فهو يساوي أكثر من دينار . فذهبت إلى ذلك الشاب ، وقلت له : أيها الشاب ، لقد قال الشيخ أعط ذلك الدينار الذي في سلسلتك

للدراويش فهو يساوى أكثر من دينار . ولما سمع الشاب ذلك بكى ، وفتح الحلقة ، وأعطاني الدينار . فأحضرتة إلى الشيخ ، فقال لى : اذهب إلى سوق الحدادين ، وهناك تجد قصابا علق حملا رضيعا مزينا ، فاشتره منه ، واذهبها معا إلى « بشوله » ، وألق بذلك الحمل فى الحفرة ، لتأكله حيوانات تلك المقبرة . فذهبت وأنا أنكر هذا طوال الطريق ؛ لأنه مضت عدة أيام لم يدخل اللحم فيها الخافاه ، على حين يبعث الشيخ بالحمل إلى الكلاب . وعندما ذهبت إلى ذلك المكان ، رأيت ما ذكره الشيخ . واشتريت ذلك الحمل ، وأعطيت القصاب الدينار ، وأخذته معى ، وألقيت بالحمل إلى الكلاب . وقف الناس ينظرون إلى عملى هذا فى استنكار . وانفجر القصاب باكيا ، وقال لى : قدنى إلى الشيخ ، فقدته إليه ، فسقط على أقدامه تائبا . وقال الشيخ : يا حسن ، منذ أربعة شهور وهذا الشاب يتجشم المتاعب فى تربية هذا الحمل ، وأمس مات الحمل ، فأسف على القائه . ونحن نخشى أن تصل تلك الميتة إلى أفواه الناس ، فبأكل منها مسلم . (ص ١٢٠) وقد حقق هذا الرجل غرضه ، وتمتعت الحيوانات أيضا بأكل الدسم . فلماذا تشك أنت ؟ إن هؤلاء الدراويش أطهار لا يأكلون إلا الطاهر . فنهض ذلك الشاب وقال للشيخ : لدى كبش حلال غير مطهى ، وقد وهبته للصوفية . فقال الشيخ : كان ينبغى هذا لكى تنعم الكلاب بأكل الدهن ، ويصل ذلك الرجل إلى غرضه ، وتحصل أنت على لحم حلال .

حكاية :

عندما كان الشيخ أبو سعيد فى نيسابور ، كان مؤذن مسجد المطرز يقرأ القرآن على المئذنة ذات ليلة . وكان فى ناحية المسجد رجل تركى مريض ، فاستطاب صوت المؤذن ، وتأثر به حتى بكى . ولما طلعت الشمس ، أرسل شخصا واستدعى .

المؤذن وقال له : هل كنت تقرأ القرآن على هذه المؤذنة أمس ؟ . قال نعم . فقال له اقرأه مرة أخرى . فقرأ المؤذن خمس آيات ، وأعطاه التركي ديناراً . وأخذ المؤذن الدينار ، وخرج وجاء إلى مجلس الشيخ ، وكان الشيخ يتحدث . وفي أثناء الحديث دخل اثنان من رعاة الكلاب ، وطلبا من الشيخ احساناً . فالتفت الشيخ إلى المؤذن وقال له : أعط ذلك الدينار الذي أخذته من التركي إلى هذين الرجلين . وقال المؤذن لنفسه : لقد أعطاني التركي الدينار على انفراد ، ولم يكن هناك أحد معنا ، فكيف عرف الشيخ ذلك ؟ فقال الشيخ : لا تفكر كثيراً لأن ماء الحمام يليق للموس . فسر المؤذن ، وأعطاهما الدينار .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : دعاني الشيخ يوماً وقال لي : اخرج من الباب ، (ص ١٢١) واتجه يمينا ، ومد يدك لكل من يأتي أمامك قائلاً : ضع كل ما تملك هنا . فخرجت وفق إشارة الشيخ ، ورأيت وثناً ، فذهبت إليه ، ومددت يدي . فقال الوثني : سأسلم أولاً ، فقدني إلى الشيخ . فقدته إليه ، فقال له : أيها الشيخ ، أعرض على الإسلام . ثم أسلم ، وسلم كل ما يملك للشيخ .

حكاية :

ذات يوم في نيسابور ، استدعى الشيخ قدس الله روحه العزيز حسن بن المؤدب وقال له : ينبغي أن تذهب إلى الشحنة ، وتطلب إليه أن يعد مائدة للدرأويش . وكان شحنة المدينة منكر للصوفية . قال حسن : فذهبت إليه ، وأخذت أقول لنفسى طوال الطريق إنه ليس بنيسابور من هو أكثر منه ظلاماً ، وأشد انكاراً للشيخ ، فكيف يتحقق هذا ؟ . وعندما ذهبت إليه ، رأيته يضرب رجلاً

بالعصا ، والناس ينظرون إليه من بعيد . وبقيت حائراً . ونجاة وقعت عين الشحنة على فقال : ماذا يفعل ذلك الصوفي هناك ؟ . وجاء شخص وسألني لماذا تقف هنا ؟ . فاقتربت من الشحنة ، وابلغته سلام الشيخ ، وقلت له : إن الشيخ يأمر أن تقيم مآدبة للصوفية . فأخذ يسخر مني ، ثم رفع يده ، وأخذ كيساً من الفضة ، وألقاه إلى قائلاً : لعل الشيخ يريد أن يقيم مآدبة بمال حرام ، قل لشيخك إنني أخذت هذه النقود من هذا الرجل بعد ضربه بالعصا . فحملت النقود ، وذهبت إلى الشيخ ، ووضعتها بين يديه ، فقال الشيخ : خذها (ص ١٢٢) ثم هيء بها المآدبة . وعندما حان الموعد ، وضعت المائدة . فخذ الشيخ يده ، وأخذ يتناول الطعام والجميع شاركوه وهم مستنكرون . وفي اليوم التالي كان الشيخ يتحدث في المجلس ، فمض شاب وجاء بين يدي الشيخ ، وبكى ، وقبل أقدامه وقال له : سامحني لأنني خنتك ، وقد نلت جزاء خيانتى . فقال الشيخ : أى خيانة حدثت ؟ يجب أن تحدث الدراويش بها . فقال الرجل : دعاني والدي عند وفاته ، وأعطانى كيسين من النقود قائلاً : أعط هذه النقود للشيخ بعد وفاتي ، لينفقها على الدراويش . فلم أنفذ وصيته ، وقلت لأن أنفقها على نفسي أولى من أن أعطيها للشيخ ، لأنها ميراث حلال لي . وقد قبض على الشحنة بتهمة الكذب ، وعاقبني ، وضربني مائة عصا ، وأخذ مني الكيس . وكنت هناك عندما جاء خادمك وأبلغه رسالتك ، وأعطاه الشحنة النقود ، فهذه النقود مال حلال لك ، وها أنا قد أحضرت الكيس الثانى . ووضع الكيس أمام الشيخ قائلاً : سامحني على ما فعلت . فأجابه الشيخ : اطمئن أيها الشاب ، فقد وصل إلينا مالنا ، ووصل إليك مالك ، فانصرف . ثم التفت الشيخ إلى الدراويش وقال : إن كل ما يصل إلى هذه الجماعة لا يكون إلا حلالاً . وبلغ الخبر الشحنة ، فجاء

إلى الشيخ في الحال ، وتاب وأقلم عن الظلم ، وأصبح من مريدي الشيخ ، والمعتقدين في هذه الطائفة ، وبذلك تخلص الناس من ظلمه .

حكاية :

(ص ١٢٣) روى أنه عندما كان الشيخ في نيسابور قال رجلان معروفان أحدهما للآخر : ينبغي أن نمتحن الشيخ ، لنرى هل يدرك بكرامته ما سنقوم به أم لا ؟ . وقال : لنذهب إليه ، ونأخذ منه شيئا ، ونفريه ونرى ماذا يقول في ذلك . ولفقا حكاية ، وجاءا إلى الشيخ وقالاه : هناك بجوارنا فتاة يتيمة ، وقد عقدنا قرانها على رجل ، وطلبنا لوازما من جميع الناس . واليوم تم جهازها ، وسنرفها الليلة إلى زوجها ، ونريد أن نقودها إلى منزل زوجها بنور الشيخ ، حتى تكون أيامهما مباركة . فدعا الشيخ حسن بن المؤدب وقال له : يا حسن ، أحضر شمعتين كبيرتين وأعطهما لهما ، لأنهما أعدا مفرمة كبيرة . ولما سمع الرجلان هذا الكلام ، سقطا على الأرض ، وقبلا قدمي الشيخ ، وتابا وأصبحا من ملازمي خدمته .

حكاية :

روى أن الشيخ مرض يوما فأحضروا طبيبا لعلاج . وكان الطبيب مجوسيا . وعندما تقدم إلى الشيخ ، وأراد أن يحس نبضه ، قال الشيخ : يا حسن ، أحضر مقص الأظافر ، وقلم أظافره وقص شاربه ، ولفهما في ورقة ، وأعطاها له ؛ لأنه ليس من عادتهم أن يتخلصوا من هذه الأشياء . وأحضر ماء ليغسل يديه . وأخذ الطبيب ينظر في حيرة ، ولم يجرؤ على مخالفة الشيخ . قال حسن : وعندما نفذت أوامر الشيخ ، وضع الطبيب يده على يد الشيخ ، فقلب الشيخ يده ، وأمسك بيد الطبيب واحتفظ بها بعض الوقت ، ثم تركها . ونهض الطبيب ليخرج ، ولما وصل إلى باب الخانقاه ، أخذ

ينظر خلفه . فصاح فيه الشيخ : لماذا تنظر خلفك هكذا ؟ ألم نتركك لتذهب ؟
فرجع المجوسى ، وأسلم على يد الشيخ ، وأسلم معه جميع أقاربه .

حكاية :

(ص ١٢٤) كان الشيخ أبو صالح الدندانى مريدا خاصا للشيخ ، يقدم له
الخلال ، ويحلق له شاربه . وقد قال أحد الدراويش للشيخ ابى صالح هذا : علمنى
الحلاقة . فضحك أبو صالح وقال له : أيها الدراويش ، يلزم لك علم سبعين عالم
لكى تتعلم كيف تحلق لصوفى . إن هذا العمل ليس سهلا . وقد قال الشيخ
أبو صالح : لم يكن قد تبقى للشيخ فى أواخر أيامه إلا سن واحدة ، وعندما كان
يفرغ من الطعام كل ليلة ، كان يأخذ منى عودا من الخلال ، ويحركه حول السن .
وعندما يغسل يديه يخلله بالماء . وذات ليلة عندما أخذ الشيخ الخلال ، جال
بخاطرى ، كما هى عادة البشر فى الاعتراض على الآخرين ، أنه ليس للشيخ أسنان ،
وهو فى غير حاجة إلى الخلال ، فلماذا يأخذه منى كل ليلة ؟ . فرفع الشيخ رأسه ،
ونظر إلى وقال : عملا بالسنة ، وطابا للرحمة ، لأن الرسول يقول : رحم الله الخللين
من أمتى فى الوضوء وفى الطعام » . فاستولى على الخجل وبكيت .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ أبو سعيد فى نيسابور ، أرسل السيد « عليك »
الذى كان مريدا للشيخ وأثيرا لديه ، ومعه السيد حسن بن المؤدب ، لأداء مهمة
فى ميهنة . قال السيد عليك : عندما وصلنا إلى نوقان ، قال لى حسن : تعال لنذهب
لرؤية السيد المظفر ، وكان رجلا عظيما . فقالت له : لقد أرسلنا الشيخ إلى ميهنة ،
فلن نذهب إلى مكان آخر . وألح على حسن دون جدوى . وذهبنا إلى ميهنة

وأبجزنا المهمة التي أمرنا بها الشيخ . وفي طريق عودتنا ، وصلنا إلى نوقان ، فقال حسن : سأذهب إلى السيد المظفر ، فينبغي أن توافق ، وإلا ذهبت وحدي . فوافقت . ولما جلسنا إلى السيد الامام المظفر (ص ١٢٥) بدأ الحديث . وكان حسن يصغي إليه وقلبه يميل إلى البقاء عنده . وأتم السيد الامام المظفر الحديث ، ثم أخذ في حديث آخر . ودار بخلد حسن أن يبقى هناك . ولما أكمل السيد الامام المظفر حديثه قلت له : لقد انتهيت من حيث بدأ شيخنا فحجل السيد الامام المظفر ورجع إلى نفسه . ونهضنا وخرجنا من عنده . وقال حسن : أي خاطر ذلك الذي طرأ لي .. ! ولكنك لم تكذب تقول ذلك الكلام حتى تخلصت منه ، وأدركت خطئي . ثم عدنا إلى نيسابور ، وذهبنا إلى الخانقاه ، فلما رأنا الشيخ ، التفت إلى حسن بن المؤدب وقال له : لو لم يفهم « عليك » ذاك الرجل للمأجبةتك بالاحاديث . فسقط حسن على الأرض واستغفر .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، مرض السيد أبو منصور الوراقاني وزير السلطان طغرل . ولما ساءت حاله ، دعا الشيخ أبا سعيد والاستاذ الامام أبا القاسم القشيري وقال لهما : لقد أحببتكما ، وانفقت الكثير من مالي من أجلكما ، وقد استدعيتكما الآن لأمر وهو : أن تحضرا جنازتي ، وتقيما على قبري ، حتى أخرج بما لكما من قوة من عهدة السؤال . فعاهده كلاهما على ذلك . وعندما لحق برحلة الله تعالى ، ذهب الشيخ والاستاذ الامام للوفاء بهذا العهد . ولما وصلا إلى المقابر ، لم يكن القبر قد تم بناؤه بعد . فقال الاستاذ الامام للشيخ : إن القبر لم يتم بعد ، والشمس شديدة الحرارة ، فانتظر حتى أرد الناس . فألقى الشيخ سجادته فوق القبر وجلس . وعندما استكمل القبر ، ودفنوا السيد أبا منصور ، وأغلقوا القبر . نهض

الشيخ وقال : لقد تم كل شيء ، ثم مضى . ولما لحق به الاستاذ الامام سألته :
ماذا فعلت بالوصية التي أوصى بها ؟ . فأجاب الشيخ : (ص ١٢٦) لم تكن
هناك حاجة لشيء . وسمع الناس ذلك ، ففسأءلوا عن تلك الوصية . فقال الاستاذ
الامام : كيف تمت أيها الشيخ ؟ . فقال الشيخ : لقد جاء الرسولان ليسألا ، فقال
أحدهما للآخر : ألا ترى من الذى يجلس على قبره ؟ ثم انصرفا . فانصرفت
أنا أيضا .

حكاية :

كان إبراهيم ينال، الأخ الاصغر للسلطان، شحنة على نيسابور ، وكان ظالما
طاغية . وكان أهل نيسابور يطلبون من الشيخ الدعاء عليه ، فلم يفعل ، وكان
يقول : سوف يصبح رجلا طيبا . وفى يوم من أيام الجمعة ، كان الشيخ يتحدث فى
المجلس ، فجاء إبراهيم ينال إلى مجلس الشيخ ، وبكى كثيرا . وحين انتهى المجلس
جاء أمام منبر الشيخ ووقف . فقال له الشيخ : ماذا تريد ؟ . فقال إبراهيم : أريد
أن تقبلنى . فقال الشيخ : لا أستطيع . فقال : إننى فى حاجة إلى ذلك . فقال
الشيخ : لا أستطيع . فكرر ذلك للمرة الثالثة . فنظر إليه الشيخ فى حدة وقال :
ستزول عنك النعمة . فقال : ليكن . فقال الشيخ : سوف تقتل . قال :
ليكن . قال الشيخ : لن تكون أميرا . قال : ليكن . فقال الشيخ : أحضروا
الدواة وورقة . فأحضروهما . فكتب الشيخ — هذه العبارة — « إبراهيم منّا ،
كتبه فضل الله » . فأخذ إبراهيم ينال الورقة وقبلها ، ووضعها فى حافظته وخرج .
وذهب فى نفس الليلة إلى العراق ، وجلس على العرش فى همدان ، وأعلن عصيانه .
فذهب إليه السلطان ظفرل ، وحاربه وأسره . فأرسل إليه رسالة قال فيها : إننى أعلم
أنك سوف تقتلنى ، ولى حاجة عندك وهى أنه عندما تفعل ذلك ، ستجد ورقة

بخط أبي سعيد في حافظتي ، وأرجو أن تضع هذه الورقة في يدي عندما أدفن ، فلقد
تبدأ لي الشيخ بذلك ، وسوف تكون هذه الورقة شفيعي .

حكاية :

(ص ١٢٧) روى أن الشيخ كان قادما من مكان في نيسابور مع جماعة من
الصوفية . ووصل كمادته إلى رأس محلة عدني كوبان . وكان هناك قصاب على
رأس الحى ، فلما اقترب منه الشيخ والصوفية ، قال لأمه وزوجه : ها كم جماعة من
المخرفين ، انظروا إلى رؤوسهم ورقابهم ، أنها تشبه ذيول الحيوانات . وقال كثيراً
من السباب القبيح بصوت منخفض لم يسمعه مخلوق . وأدرك الشيخ هذا بفراسته ،
فقال : يا حسن ، احضر ذلك القصاب . فذهب حسن إليه وقال له : إن الشيخ
يدعوك . فخاف الرجل وجاء وهو يرتعد . وأرسل الشيخ صوفيا إلى حسن ، وقال :
اذهب به إلى الحمام . فذهب به حسن ، وعاد إلى الشيخ ، فقال له : اذهب إلى
السوق ، واشتر كر باسار قيقا ، وزوجا من الأحذية ، وعمامة من الكتان الطبرى ، واذهب
بها إلى الحمام . وخذ معك اثنين من الصوفية ، ليدلكا هذا الرجل . فأرسل حسن
اثنين من الصوفية إلى الحمام لخدمته ، وذهب سريعا إلى السوق ، وأحضر ما أمر به
الشيخ . وقال الشيخ للصوفية : خيطوا ثوبا وسترة على عجل . فلما خاطوها ، قال
الشيخ لحسن : اذهب وألبسها لذلك الرجل ، واعطه مائة دينار ، وقل له : أعد
ما كنت تقول ، وحين تنفذ تقودك تعال إلينا لنعطيك غيرها . فذهب حسن
ونفذ أوامر الشيخ . فبكى القصاب ، ووقف نفسه على خدمة الشيخ ، وصار
من مريدته .

حكاية :

قال : العالم أبو بكر الشوكاني إن والده العالم محمد قال : عندما كنت أطلب العلم في نيسابور كان الشيخ قدس الله روحه العزيز بها . (ص ١٢٨) وكنت إذا ما فرغت من الدرس كل يوم ، ذهبت إلى خدمة الشيخ ، ومكثت عنده حتى أؤدي صلاة العصر ، ثم أعود إلى المدرسة . وبقيت هكذا حتى جئت الشيخ يوما ، فرفع طرف السجادة ، وأخرج من تحتها قبضة من الزبيب وقال لي : لقد جاء رزق الى الصوفية ففرقوه . واحتفظنا لك بنصيبك منه ، لكل واحد سبع ، سبع ، سبع ، سبع . وكان لي زميل واحد في المدرسة ، ولكن الشيخ قال سبع ثلاث مرات . وقدمت تحيتي للشيخ وانصرفت . وفي الطريق عددت الزبيب فوجدته ثلاث سبعات . وعندما وصلت إلى المدرسة ، كان قد حضر من العراق شقيق لزميلي ، وجلس في حجرتي . فسألت عليه ، وسألته عن حاله ، وقسمت الزبيب ، فأخذ كل منا سبع حبات كما قال الشيخ .

حكاية :

قال السيد الإمام أبو علي الفارمدي قدس الله روحه العزيز : كنت في بداية شبابي طالب علم في مدرسة « سراجان » في نيسابور . ومضت مدة ، وذاع في المدينة خبر فخواه أن شيخا جاء من ميهنة ، وهو يعقد المجالس ويتحدث فيها ، وقد ظهرت كراماته بين الناس ، واعتقد فيه أهل نيسابور ، وأئمة المذاهب . فذهبت لأراه . وعندما وقعت عيني على جماله ، أصبحت له عاشقا ، وزادت محبة هذه الطائفة في قلبي . وكنت أترقب طوال اليوم حتى يخرج الشيخ إلى المجلس لأراه . وجعلت أختلف إلى مجلسه متخفيا ، ولم يقع في نفسي أن الشيخ يعرفني ، حتى جاء يوم كنت أجلس فيه في حجرتي بالمدرسة ، فأحسست بشوق شديد لرؤية الشيخ . ولم يكن من عادة

الشيخ أن يخرج في ذلك الوقت ، فأردت أن أصبر فلم أستطع . ونهضت وخرجت ،
ولما وصات إلى مفترق الطرق ، رأيت الشيخ (ص ١٢٩) يسير مع جمع كبير ، فسرت
خلفهم دون وعي . وكانوا يصحبون الشيخ إلى وليمة . وعندما وصلوا إلى قصر
المضيف ، دخل الشيخ ، ودخل الجميع معه . فدخلت أنا أيضاً ، وجلست في ركن بحيث
لم يرني الشيخ . وعندما انشغلوا بالسماع ، انتشى الشيخ ، وظهر عليه الوجد ، ومزق
ثوبه . وحين انتهى السماع ، تناول الشيخ الثوب ، ومزقه أمام الجميع ، وفصل كُما وشريطا
ونادى قائلاً : يا أبا علي الطوسي ، أين أنت ؟ . فلم أجب ، وقلت لنفسي إن الشيخ
لا يعرفني ، ولم يرني ، وربما كان من مريديه من يدعى «أبو علي الطوسي» . ونادى
الشيخ مرة أخرى ، فلم أجب أيضاً . وقال الجميع : لعل الشيخ يقصدك بهذا القول .
فنهضت وتقدمت إليه ، فأعطاني السكم والشريط ، وقال لي : أنت منابثة هذا السكم
والشريط من الثوب . فأخذت السكم وقبلته ، وجعلت أذهب دائماً إلى خدمة
الشيخ ، وأجد توفيقاً كبيراً . وعندما رحل الشيخ عن نيسابور ، ذهبت إلى الأستاذ
أبي القاسم القشيري وحدثته بحالي فقال لي : اذهب يا بني واطلب العلم . فانشغلت
بتحصيل العلم نحواً من ثلاث سنوات ، حتى جاء يوم أخرجت فيه القلم من المحبرة ،
فوجدته أبيضاً . ثم تكرر هذا ثلاث مرات ، فنهضت وذهبت إلى الأستاذ الإمام
وحدثته بالامر ، فقال لي : مادام العلم قد كف يده عنك ، فكف يدك عنه ،
واذهب واشتغل بالمعاملة . فذهبت وأخذت متاعاً من المدرسة ، وذهبت إلى الخاتمة ،
واشتغلت بخدمة الأستاذ الإمام . وذات يوم ذهب الأستاذ الإمام إلى الحمام
وحده ، فذهبت وصببت عدة أباريق (ص ١٣٠) من الماء في الحمام . وخرج الأستاذ
الإمام وصلى وقال : من الذي صب الماء في الحمام ؟ . فقلت لنفسي ربما كان

ما صنعتها مجافيا للأدب ، فالتزمت الصمت . فقال ذلك مرة أخرى ، فلم أجب أيضاً .
وعندما سأل للمرة الثالثة قلت : أنا . فقال : يا أبا علي ، إن ما لم يدركه أبو القاسم
في سبعين سنة أدركته أنت بدلو من الماء . وبقيت في خدمته أمدا مشغولا
بالمجاهدة . وذات يوم ظهرت لي حال تهيأت في أمرها ، فأخبرته بها ، فقال لي :
يا أبا علي ، إن سلوكي ليس أعلى من هذا ، وكل ما هو أعلى من ذلك لا أستطيع
معرفة . فقلت لنفسي أنا في حاجة إلى من يرشدني إلى الطريق ، ويرفعني إلى مقام
أعلى من هذا . وأخذت تلك الحال في الازدياد . وكنت قد سمعت بأبي القاسم
الرجائي ، فنهضت وتوجهت إليه في طوس . ولم أكن أعرف مكانه . ولما وصلت
إلى المدينة ، سألت عنه ، فقليل إنه يجلس في مسجد بمحاة « رودبار » بين مريديه ،
فذهبت إلى ذلك المسجد . وكان الشيخ أبو القاسم جالسا هناك ، فصليت ركعتين
وتقدمت إليه ، وكان قد أحنى رأسه ، فرفعها وقال : تعال يا أبا علي ، ماذا بك ؟ .
فسألت عليه ، وأخبرته بما حدث لي . فقال : بركات الله ، ولتبدأ من الآن ، وإذا
وجدت التربية الواجبة وصلت إلى مقام عظيم . فقلت لنفسي : هذا شيخي ، وأقامت
في خدمته . وبعد أمد طويل ، أقبل عليّ الشيخ أبو القاسم ، وعقد لي عهده ، وأخذ
شأنى بعد ذلك في الارتفاع .

ورغم أن هذا الشرح بعيد عن غرض الكتاب ؛ فقصدنا هو حادثته مع
الشيخ أبي سعيد وقصة إعطائه الخرقة ، لكن مادام قد خاض في ذكر بداية حاله
فلم نشأ أن نترك ذلك الحديث .

قال السيد الإمام أبو علي الفارمدى : عندما كنت لدى الشيخ أبي القاسم
(ص ١٣١) اشتغلت بالرياضة والمجاهدة ، ولم يكن الشيخ أبو القاسم قد أجاز لي

عقد المجلس، وبعد أمد وصل الشيخ أبو سعيد إلى طوس، وذهبت إليه فقال لي :
يا أبا علي ، سوف يأذنون لك بالحديث سريعاً مثل البغاء . ولم يمض وقت طويل
حتى أذن لي الشيخ أبو القاسم بعقد المجلس ، وما لبثت حتى أجدت الحديث في
زمن وجيز .

حكاية :

قال السيد الإمام أبو نصر العياضي السرخسي : كنت في نيسابور لتعلم الفقه ،
واحتملت المتاعب مدة في طلب العلم على يد السيد الإمام أبي محمد الجويني ،
وأجدت الخلاف ومذهب التعليق . وسمعت أن الشيخ أبا سعيد جاء من «ميهنة» ،
ويعقد المجلس ، فذهبت إلى مجلسه على سبيل المشاهدة والاختبار . ولما وقع عليه
بصري ، تعجبت لهيبته ولباقتة . وعندما أخذ في الحديث ، أثر في كلامه حتى أنني
قلت لنفسي : ليس لي حيلة في الله وطريق الله الذي يتحدث عنه هذا الرجل ، رغم
كل ما بلغت من علم . وعلى أيضاً أن أسلك هذا الطريق . وعندما طاف بنفسي
هذا الخاطر ، قال الشيخ علي المنبر : يجب البدء . فعجبت لكلام الشيخ ، وتساءلت
لم قال ذلك ، وظننته من قبيل المصادفة . وعندما انشغل الشيخ بالحديث مرة
أخرى ، جال هذا الخاطر بنفسي ثانية ، فقال الشيخ : لا ينبغي تأجيل هذا الأمر .
فلما تكرر هذا ، أدركت أنه من كرامات الشيخ ، وزال الشك . (ص ١٣٢)
وحينما أنهى الشيخ المجلس ، ونهضت وذهبت إلى المدرسة لأحضر أمتعتي ، وأقطع
لخدمة الشيخ ، ذهب رجل إلى السيد محمد الجويني ، وأخبره بالأمر ، فجاء إلى في الحال
وقال : إلى أين تذهب ؟ فحدثته بالأمر . فقال لي : إنني لا أمنعك عن خدمة
الشيخ ، ولكنك ذهبت إلى مجلسه ، ورأيت مبالغ إطلاعه وهيبته ، وسن حديثه

وكراماته، وسوف ترى أكثر من ذلك حينما تزداد به علما. وإذا كنت تظن أنك سوف تستطيع أن تكون أباسعيد آخر فأنت مخطئ؛ لأنك لا تعرف ما قام به من رياضة ومجاهدة. ونحن نعلم ماذا صنع حتى أدرك هذه الدرجة؛ ولو أن مائة رجل قاموا بما قام به من الرياضة والمجاهدة، ما أعطاهم الله ما أعطاه. وستترك علمك طمعا في هذا، وسوف تفقد علمك دون أن تدرك منزلته. فلما تمنعت قوله، رأيت أن الأمر كما يقول. وظللت على اعتقادي في الشيخ، وواصلت تحصيل العلم، وكنت أذهب إلى خدمة الشيخ، وأفيد منه، وكان الشيخ يكرمني كثيرا.

حكاية :

قال الأستاذ إسماعيل الصابوني: كان النوم قد استولى على ذات ليلة، ولما حان وقت النهوض لأقضي ورداً تعودت أدائه؛ أحسست بتراخ. وكنت قد وضعت كوزا بجوار الفراش، فأوقعه قط. وتحيّرت، وتراخيت مرة أخرى، ثم استغرقت عيني في النوم. وسقط حجر من السطح على (طشت) كان في وسط الدار، ففزع أهل بيتي وصاحوا: لص. فاستيقظت، ثم أخذت في قراءة الورد. وفي اليوم التالي ذهبت إلى مجلس الشيخ، فالتفت الشيخ إلى أئناء الحديث (ص ١٣٣) وقال: عندما ينام المرء طوال الليل، ويتأخر في النهوض، يسقط قط على فأر ليسقطا كوز الماء، حتى يذهب عنه النوم. ويؤمر بإلقاء حجر في وسط داره، فيقال لص؛ إنه لم يكن لصاً؛ بل كان رسولنا إليك، ليوقظك من النوم، حتى نتحدث إلينا ساعة.

« بيت »

— أيها الحبيب ذو الوجه الجميل، لقد كنت فوق سطحك بالأمس، فقلت « لص »، إنه لم يكن لصاً، بل كنت أنا.

ولما قال الشيخ هذا الكلام بكيت ، وأدركت أن الشيخ لا يغفل عنا في أى حال من الأحوال .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح إن الشيخ موسى حدثه بأن الشيخ أبا سعيد قال له يوما في نيسابور : تقدم وصل ركعتين لنقتدى بك ، واقرأ كل حمد في القرآن . ولما انتهينا من الصلاة قال الشيخ : يا موسى لقد كنت عاجزاً عن شكر الله فقامت عنى بذلك ، أحسن الله إليك .

حكاية :

قال أبو بكر مكرم : كان في نيسابور حاكم يحاسب الشيخ دائماً . وذات يوم أحضروا للشيخ سफطا من العود ، وألف دينار . فقال الشيخ لحسن : أعد بعض ال «زيرد با»^(١) والحلوى ، وضع صفيط العود في النار دفعة واحدة ، حتى يصل نصيب من رائحته الطيبة إلى جيراننا أيضا . وأعدوا وليمة فاخرة . وأقبل هذا الحاكم ليحاسب الشيخ وقال له : هل ترى أى إسراف يكون هذا في مثل هذا الوقت من الضيق والشدة ؟ . وأخذ يأومه (ص ١٣٤) ويزجره ، فلم يجبه الشيخ . وغضب الصوفية لذلك . ورفع الشيخ رأسه ونظر إليه ، وقال له : ادخل . فدخل الحاكم خطوتين . فقال الشيخ : تقدم أكثر . فتقدم خطوتين آخرين وبقى هكذا . ثم رجع في عسر ، وجلس في مسجد بجوار الخانقاه . فأرسل إليه الشيخ درويشا ليقوم بمساعدته ، وظل مريضا هكذا لمدة عامين ونصف ثم توفي بعد ذلك . ومن هنا قال العلماء والعظماء إنه لا ينبغي الجرأة والتطاول على الشيخ والصوفية ، ولا ينبغي الذهاب إليهم إلا في الوقت المحدد ، وفي أدب واحترام ، إذ أنهم تتملكهم أحوال

(١) نوع من الطعام .

فإذا كانوا في حال من القبض ونظروا إلى أحد في قسوة، حل به الدمار والعياذ بالله.

حكاية :

قال السيد إسماعيل بن مكرم : كنت أسير في طريق نيسابور يوماً، وكان الشيخ أبوسعيد يتقدمني، فسأمت عليه، ورد علي رداً طيباً. وأخذت أسير خلفه وأنا أنظر إلى أقدامه وركابه، وقالت لنفسى ليت الشيخ يأذن لي فأقبل قدمه . فأمسك الشيخ بعنان جواده حتى وصات إليه، وأخرج قدمه من الركاب، وقربها مني، فقبلتها . ثم ساق جواده وذهب .

حكاية :

ذكر رشيد الطائفة عبد الجليل أنه كان بنيسابور رجل صوفي، محب للشيخ، لا يملك من متاع الدنيا سوى كرمه . وجاء يوماً ليدعو الشيخ والصوفية ليأكلوا من كرمته، فاعتذر الشيخ بأنه لا يستطيع . وكرر الطالب عدة مرات فلم يجبه الشيخ . وبعد إلحاح شديد، ركب الشيخ إليه ومعه الصوفية. ولم يكن لدى الرجل سوى قليل من الكرم، والصوفية كثير، فأكلوا العنب كله. وأخفى الدراويش عنقودين من العنب في سجادة، (١٣٥) ووضعها في الكرمة بحيث لم يظهر منهما شيء . وعندما أتى الدراويش على العنب كله، نظر الرجل إلى الكرمة فلم يجد شيئاً. وقال له واحد من الدراويش : بارك الله لك . فقال لنفسه لقد مضت بركة هذا العام . وحين انصرف الشيخ، ورأى الرجل الكرمة خالية، غادرها وأغلق الباب ساخطاً، ولم يعد إليها طيلة ذلك الشتاء، ولم يذهب أيضاً إلى مجلس الشيخ . وفي السنة التالية عندما حل موعد إعداد الكرم، وأخذ الناس يصلحون كرماتهم، أحس

الرجل بالخطأ ، وقال لنفسه : يجب أن أعمر الكرمة ، ومادمت ساخطاً عليها فلن يتحقق غرضي ، وإذا كنت قد أذنت فقد أذنت في حق نفسي . ثم نهض وذهب إلى الكرمة ، وأخذ يطوف بها ، فرأى سجادة جديدة في ركن من أركانها ، ولما فتش فيها ، رأى عنقودين طازجين من العنب أوراقيهما خضراء . فسر بهما كثيراً ، وقال لنفسه : سأحمل هذا العنب إلى السلطان لينعم على وعلى أطفالي . ثم وضع العنب في (طبق) وحمله إلى السلطان سوري . فسر به السلطان ، وأمر بأن يملأ له الطبق ذهباً . ففرح الرجل ، وأدرك أن ذلك كان بسبب مقدم الشيخ المبارك إلى كرمته ، فذهب إليه ليستغفره عما كان قد تملكه من السخط . ولما وقع نظر الشيخ عليه قال له : لو لم يأكل السلطان سوري من كرمك ، لفاتك خير كثير . فسقط ذلك الدرويش على أقدام الشيخ ، وتاب عما مضى ، وعاد إلى محبته للشيخ . (ص ١٣٦)

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، وكان يقيم تلك الولاثم الفاخرة ، جاء مقرر دعى وقال له : أيها الشيخ ، أريد أن أعتكف معك أربعين يوماً . ولم يكن ذلك المسكين قد علم بما زاوله الشيخ من الرياضة في البداية ، وكان يظن أن الشيخ قد عاش على هذا النحو طيلة عمره ، فقال لنفسه : فلأجبر الشيخ على الجوع ، وأفضحه أمام الناس ، وأصل أنا إلى القمة . وعندما قال الدعى هذا الكلام للشيخ ، قال له الشيخ : باركك الله ، وألقى سجادته . وألقى ذلك الدعى سجادته بجوار الشيخ ، وجلس الاثنان . وكان ذلك الدعى يأكل قليلاً ، كما هو شأن المعتكفين ، أما الشيخ فلم يكن يأكل قليلاً أو كثيراً ، وكان يقيم الولاثم الفاخرة في مقره . وبينما كان الشيخ يزداد نضارة وصحة كان ذلك الدعى يزداد كل يوم ضعفاً ونحولا ، وكان يرى تلك الولاثم الشهية

فينطوى على نفسه . وأخذ يؤدي الصلاة في جهد لما اعتراه من الضعف ، وندم على هذا التحدى ، وأدرك أنه لم يكن يعرف شيئاً . وعندما تمت الأربعون يوماً قال له الشيخ : لقد نفذت لك رغبتك ، والآن يجب أن تفعل ما أقول . فقال الدعى : الأمر للشيخ . فقال الشيخ : نأكل أربعين يوماً ، ولا نذهب إلى دورة المياه . واتفقا على هذا . وأمر الشيخ بأن يحضروا طعاماً شهياً ، وأخذوا يأكلان . وأقبل الدعى على الطعام بجوع أربعين يوماً ، واستوفى نصيبه منه . وصرت ساعة ، وشعر بحاجته إلى الذهاب إلى دورة المياه ، وكان الشيخ ينظر إليه في سكون . ولم يستطع الصبر أكثر من ساعة ، فسقط على أقدام الشيخ تائباً عن كل ما فعل . فقال الشيخ : بسم الله ، اذهب الآن إلى دورة المياه ، وافعل ما تريد ، (ص ١٣٧) واجلس معى حتى ننفذ ما اتفقنا عليه . وجلس الدعى مع الشيخ أربعين يوماً كاملة ، وكان يذهب إلى دورة المياه كلما أراد ، ولم يذهب الشيخ إليها أربعين يوماً كاملة ، وكان يأكل ويرقص ويقيم السماع كعادته . ولما شاهد الدعى تلك الحال ، استغفر لما صدر عنه ، وأصبح مريداً للشيخ .

حكاية :

كان فى نيسابور محتسب من أصحاب أبى عبد الله الكرام ، وكان منكراً للشيخ . وذات يوم أخذ عدة أثواب ليعطيها للغاسل ليغسلها . وفى الطريق مر بمجلس الشيخ ، وكان الشيخ يتحدث ، فقال المحتسب لنفسه : سوف أعود الآن ، وأقول له ما يجب أن يقال لهؤلاء . وذهب وأعطى الأثواب للغاسل ، وأعطاه درهما . فقال له الغاسل : اعطنى أكثر ، لأن هذا ثمن الغاسول والصابون ، وقد تنازلت عن أجر الغسل . فلكه المحتسب عدة لكيات ، فبكى الرجل ، ورجع المحتسب . وتصادف أن الشيخ

كان لا يزال يتحدث، فدخل من باب خانقاه الشيخ وقال له: أيها الشيخ ، إلى متى النفاق والتظاهر بالورع ؟. فقال الشيخ : ماذا يجب أن نفعل ياسيدى المحتسب؟ فقال : يجب ألا نتحدث في المجلس ، وألا نقول الشعر . فقال الشيخ : أنا سنفعل ما تريد، ولكن يجب ألا يفعل السيد المحتسب أيضا ما فعل وقت الفجر، فيأخذ الملابس، ويحملها إلى الغاسل، ويعطيه درهما، فيقول له أعطنى ثمن الغاسول والصابون كاملا فقد تنازلت عن الأجر ، فيلكه حتى يتألم ذلك الشيخ . إذا كان يلزمك غسل ملابسك فأحضرها، وأعطيها لحسن ليغسلها ويعطرها ويبعث بها إليك، حتى لا يتألم منك مسلم، ولا تقترف معصية . وعندما سمع المحتسب هذا الكلام خجل ، وسقط على أقدام الشيخ ، وتاب عن إنكاره وشكه .

حكاية :

(ص ١٣٨) قال السيد أبو الفتوح العياضى : سمعت من السيد حسين بن عباد الويشى قوله : كنت فى مجلس الشيخ فى نيسابور، وكان الشيخ يتحدث، وفكرت فى والدتى وبلدى سرخس . وفى الحال التفت إلى الشيخ وقال :

بيت من الشعر العربى

لتعجل على أم عليك حفية تنوح وتبكي من فراقك دأبا

فخرجت من المجلس، وتوجهت إلى سرخس ، فوجدت والدتى فى مرض الوفاة ووصلت وأدركتها ، وتوفيت فى اليوم التالى . وأدركت أن هذا كان السبب فى قول الشيخ « لتعجل » .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث يوماً في مجلس في نيسابور، وكان في المجلس تاجر، كان قد فكر في نفسه أن يقود الشيخ إلى منزله ، ويقدم إليه شيئاً من الحلوى « والزيره با » . وفي أثناء المجلس التفت الشيخ إلى هذا التاجر وقال له : أيها الرجل أعط الحلوى و« الزيره با » التي أعدتها لنا إلى جمال ، ومره أن يسير بها في الطريق، ويضعها حيث يدركه التعب . فذهب الرجل ، وأعطى الجمال وعاء الحلوى، وظل يسير حتى أدرك الجمال التعب . وكان ذلك أمام باب منزل ، فاتجه إليه وطرق الباب . فخرج شيخ وقال له : إذا كان معك « زيره با » وحلوى بالسكر فادخل . فقال التاجر إن هذا لمن أعجب كرامات الشيخ . ثم سأله : كيف عرفت ان معي « زيره با » وحلوى ؟ . فقال الشيخ : مضت عدة أيام لم نجد فيها طعاماً ، ودعا طفل لنا في المهد قائلاً : يا إلهي امنح أبي وأمي وإخوتي « زيره با » وحلوى بالسكر ، فاستجيب دعاؤه . وقد عرف الشيخ أبو سعيد بذلك فأرسلها لنا .

حكاية :

(ص ١٣٩) قال الشيخ أبو الحسن السنجاري : سمعت الشيخ أبا مسلم الفارسي يقول : عندما توفي الشيخ عبد الرحمن السامي في نيسابور ، ذهبت إلى مiehة لزيارة الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قدس الله روحه العزيز وأرواحهم ، وكان ذلك في بداية أمره . ولما وصلت مiehة ، ذهبت إلى الشيخ في المسجد ، وكان الشيخ هناك ، فأكرمني ، وقال لأحد الدراويش : أنظر هل يوجد شيء ليأكله ؟ . فذهب الدراويش وعاد يقول : لم أجد شيئاً . فقال الشيخ : يا فقير ما أفقرك . وأقيمت عنده يوماً ، ولما عزمتم على العودة ، طلبت من الشيخ

أن يكتب لى شيئا بخطه المبارك ، ووضعت أمامه ورقة ، فكتب بخطه :

« بيتان من الشعر العربى »

تقشع غيم المهجر عن قمر الحب وأشرق نور الصبح فى ظلمة العتب

وجاء نسيم الاعتذار مخففا فصادفه حسن القبول من القلب

فأخذت الورقة وودعت الشيخ . وعندما كنت أذهب للعودة قال الشيخ :

« وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » . ورجعت وجئت إلى فارس ، ومرت على

هذا مدة طويلة . وفى وقت من الأوقات ذهب درويش من أصحابنا يدعى محمد

بن كوهيان لزيارة الشيخ أبى سعيد فى خراسان ، فقلت له : عندما تصل إلى الشيخ ، بلغه

سلامى ، وقل له : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » . وذهب ذلك

الدرويش ، وزار الشيخ . وعندما رجع قال لى : عندما وصات إلى نيسابور كان الشيخ

أبو سعيد هناك ، ولما ذهبت للسلام عليه وقلت : « السلام عليكم » قال :

وعليك السلام ، « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » .

حكاية :

قال الأستاذ الإمام إسماعيل الصابونى : عندما كان الشيخ فى نيسابور كنت

ذاهبا لزيارته يوما ، وفى الطريق سألت نفسى : ماتلك الأخبار التى كنت قد

قرأتها مع الشيخ عند أبى على زاهر فى سرخس ؟ (ص ١٤٠) وفى أى جزء

هى ؟ وأخذت أفكر فى هذا . ولما دخلت على الشيخ وسألت ، نهض وضمنى إلى

صدره . ثم جلست فقال : يا أستاذ ، ما الخبر الأول من الجزء الأول من تلك

الأخبار التى سمعناها عند أبى على زاهر فى سرخس ؟ فقلت : لا أدري ما دمت لم أطلع

على هذا الجزء، فقال الشيخ : أول حديث هو «حب الدنيا رأس كل خطيئة» .
ثم قال الشيخ : ما الحديث الثاني ؟ قلت : لا أذكر . فقال : الحديث الثاني هو
«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» . ثم قال : ما الثالث ؟ قلت : لا أذكر . قال
الشيخ : الحديث الثالث هو «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لعدو» .
قال الأستاذ اسماعيل الصابوني : عندما قال الشيخ هذه الأحاديث تذكرت
أنها كذلك كما قال ، وعرفت أن تلك الخواطر التي طافت بنفسي في الطريق قد
أظهرها لي الشيخ بكرامته كما إنما يقول : هذا هو ما كنت تفكر فيه وأنت قادم
إلينا . وأيقنت أن الشيخ يقف على أسرارنا تماماً .

حكاية :

قال الشيخ اسماعيل الساوي : جاء الشيخ إلى نيسابور، وكنت أحضر مجالسه
دائماً ، وكان يردد فيها كثيراً من الشعر ، وطالما أنكرت عليه هذا . وذات يوم
نظر إلى الشيخ أثناء المجلس وقال : أنا أقول لك هذه : «قد عشقنا وكلنا يفنى»
فزال عني ذلك الانكار . وفي اليوم التالي ذهبت إلى مجلس الشيخ ، وكان المقرء
يقراً : «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الإيمان» ، وردد الشيخ هذه الكلمة «ما كنت تدري» ، فتملكني حال بسبب
هذا، وهممت بالاعتراض عليه ، ولكنني منعت نفسي . (ص ١٤١) ولما عدت إلى
المنزل انتابتنى حمى ، فقلت لنفسي : سأبعث بشيء للشيخ . ولما فارقتني الحمى في اليوم
التالي ، ندمت على هذا الخاطر . وبعد أن مضت عدة أيام ، ذهبت إلى مجلس الشيخ
ومعني غطاء قد أخفيت به . وفي المجلس طلب أحد الدراويش ثوباً ، فنظر الشيخ إلى
وقال : الحمد لله ، إذ اصطحبت معك هذا الغطاء للدرويش ، ولن تندم على ذلك

كما ندمت في ذلك اليوم . فتملكتنى الحيرة ، وأعطيت الغطاء وجميع ملابسي
للدرويش .

حكاية :

وأيضاً حدث عندما كان الشيخ في نيسابور؛ أن كان جمع من الصوفية يسرون
بصحبتته ، وكان اليوم سبتاً . وكان هناك رجل يهودى يسير إلى الكنيسة ، وقد
ارتدى طيلساناً وملابس حسنة ، فرأى الشيخ من بعيد يسير مع الجماعة . ووهب الله
تعالى لليهودى البصيرة ليرى عزة الشيخ وذل نفسه ، ففر من أمام الشيخ لفرط خجله .
وسار الشيخ خلف اليهودى ، وظل يتبعه حتى بلغ اليهودى جبلاً ، ولم يجد طريقاً ،
فاضطر للتوقف . ولحق به الشيخ ، ووضع يده المباركة على مفرقه وقال :

« بيت »

— يجب على الراعى ألا يشكو من برودة الجو ،

إذا أراد أن تطيب له الغربة والسير في الليل .

أيها المسكين ، أطل الله بقاءك ، كيف أنت بدونك ، وكيف ستكون؟ وعندما
قال الشيخ هذا ورجع ، صرخ اليهودى ، وأخذ يجرى خلفه وهو يقول: « أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » ولما أدرك الشيخ سقط على أقدامه ، وجاء
معه إلى الخانقاه ، وأصبح من مريديه .

حكاية :

(ص ١٤٢) روى أنه عندما كان الشيخ أبو سعيد في نيسابور، كان كثير
من اليهود والمسيحيين يسمون على يده ، كما كان كثيرون يسمون أيضاً على يد

أئمة نيسابور ، وخاصة الشيخ محمد الجويني الذي كان شيخ ذلك العهد . وكان له وكيل يهودي ، طالما عرض عليه الإسلام ، فلم يستجب . وذات يوم قال له : إذا أسلمت أعطيتك ثلث مالى . فقال اليهودي : لا أبيع ديني بالدنيا . وألح عليه في ذلك قائلا : إذا أسلمت أعطيتك نصف مالى . فقال : لا أبيع ديني بالدنيا . وفي المرة الثالثة قال له : إذا أسلمت أعطيتك ثلثي مالى . فلم يقبل أيضا . فيئس الشيخ أبو محمد الجويني منه . وتصادف أن مر يوما بمحلة عدني كوبان ، وكان هذا الوكيل في صحبته . وكان الشيخ أبوسعيد يتحدث في المجلس في ذلك اليوم ، فدخل الشيخ أبو محمد إلى المجلس . وقال الوكيل اليهودي لنفسه : فلأدخل أنا أيضا إلى المجلس ، وأسمع كلام هذا الرجل ، وأرى ماذا يقول حتى جعل الناس يتزاحمون هكذا للاستماع إليه ، وأعرف سر مايلقاه من قبول لدى الناس . ولا يبدو على مايجعل الشيخ يظن أنني يهودي . وعندما دخل أبو محمد ، دخل الوكيل خلفه ، وجلس مخفيا خلف حجر . ولما بدأ الشيخ في الحديث التفت إلى ذلك الحجر الذي يحاس الوكيل خلفه وقال : أيها الرجل اليهودي ، اخرج من خلف الحجر . ولم يستطع اليهودي أن يمنع نفسه من الاستجابة إليه ، فنهض دون وعي ، وتقدم إلى الشيخ ، فقال له : قل (ص ١٤٣) أيها اليهودي . فقال الرجل ماذا أقول ؟ . قال الشيخ قل هذا :

« بيت »

— كنت وثنيا وأصبحت الآن مسلما ،

وكنت سىء العهد وأصبحت عبداً طائعا .

فقال اليهودي هذا البيت . ثم قال له الشيخ : اذهب إلى السيد الإمام أبي محمد

ليعلمك الإسلام ، وقل له إنك لم تعرف أن الأمور موقوفه على أوقاتها فإذا دخل الوقت لا يحتاج إلى ثلث المال ولا إلى نصفه ولا إلى ثلثيه ؛ لأن الأمور متوقفة على الوقت ، فإذا ما حان الوقت لا يلزم إعطاء ثلث المال أو نصفه أو ثلثيه . فسر الشيخ أبو محمد وتاب عن تلك الرغبة .

حكاية :

كان أبو نصر الشيرازي رجلا ثريا من مشاهير التجار في نيسابور ، يملك أموالا طائلة . وعندما ارتفع شأن شيخنا أبي سعيد قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، وأصبح جميع أهلها يعتقدون فيه ، صار أبو نصر أيضا من جملة المعتقدين في الشيخ ، وأخذ يدعو إلى الاعتقاد فيه . وكما ذهب إلى الشيخ ورأى كراماته الظاهرة ازداد اعتقادا . وذات يوم ذهب الشيخ مع جماعة الصوفية إلى الحمام في محلة عدني كوبان ، وكان من عادته أن يتردد كثيرا على ذلك الحمام ، وفي ذلك اليوم كان يرتدي عباءة صوفية ، وقد عقد على رأسه عمامة فخمة أحضرها له أحد المريدين . ولما دخل الحمام كان هناك حلاق . وأسرع صاحب الحمام ، وأحضر للشيخ إزارا نظيفا ، وقدم له خدماته ، وأظهر كثيرا من التواضع ، وجلس على قدميه حتى خرج الشيخ من الحمام . وعندما رأى الحلاق ما قدم صاحب الحمام للشيخ من تقدير وتبجيل ، ورأى الجميع يشاركون صاحب الحمام ذلك ، سأل صاحب الحمام ، (ص ١٥٤) بعد أن نزل الشيخ مع الصوفية إلى الحمام : من هذا الرجل الذي كان يتزين ؟ . فقال صاحب الحمام : إنه الشيخ أبو سعيد شيخ الصوفية ، وصاحب الكرامات العظيم . وكان الحلاق من أولئك الذين ينكرون هذه الطائفة فقال :

إذا كان حقاً من أصحاب الكرامات فليعطني هذه العبادة الصوفية التي يلبسها ،
وهذه العمامة ، لأنني تقدمت إلى عروس ، وهم يريدون مني الصداق وأسباب العرس
ليزوجوها لي ، وأنا لا أملك شيئاً . ومضت ساعة ، وحان الوقت لكي يخلق الشيخ
شعره ، وأقبل الخلاق لذلك . فقال له الشيخ : أيها الفتى خذ عني هذه الأشياء
الثلاث ، أولاً : عندما تخلق لشخص أغسل يديك وسترتك ، ثانياً : عندما تخلق
الشعر ابدأ من اليمين ، ثالثاً : أن ترفع الشعر والقذارة التي وقعت على السترة حتى
لا تقع عليها عين شخص . فنفذ الخلاق جميع أوامر الشيخ . ولما فرغ الشيخ من
الحلاقة قال لحسن بن المؤدب : أعط تلك العبادة الصوفية والعمامة لهذا الفتى حتى
يتأهب للزفاف . فسقط الشاب على أقدام الشيخ وبكى كثيراً

قال حسن بن المؤدب : فتقدمت وأعطيته العبادة وأنا أفكر في أن الشيخ
لا يملك ثياباً غيرها ، وأنه قد خلعها على الخلاق وسبقت عارياً في الحمام . وعندما
أعطيته العبادة عدت إلى الحمام وأنا مشغول حائر . وقال الشيخ ، يا حسن لن نقول
لك حتى يقال لنا ، فسر واذهب إلى باب الحمام ، فإن أبا نصر الشيرازي في انتظارك
قال حسن : فخرجت ورأيت أبا نصر الشيرازي على باب الحمام ، وقد لف ثوباً نظيفاً
في سجادة صلاة ، وسألني : يا حسن ، هل الشيخ في الحمام ؟ قلت : نعم ، وقد أعطى
ملابسه (ص ١٤٥) للخلاق وبقي عارياً هناك . فقال أبو نصر : سبحان الله ، لقد
كنت أقرأ القرآن هذه الساعة فاستولى على النوم ، فرأيت في نومي شخصاً اقترب
مني وقال لي : انهض لأن الشيخ في الحمام ، وقد منح ثيابه لشخص ، وبقي عارياً ،
فاذهب واحمل إليه ثوباً . ولما استيقظت قلت إن هذا لا يمكن أن يكون إلا وهماً ،
وعدت إلى قراءة القرآن . واستولى على النوم مرة أخرى ، ورأيت نفس الشخص

وقال لي نفس الكلام ، فلم أصدق مرة أخرى . ثم غلبني النوم ، فسحبت الوسادة ونمت ثانية . ولما استولى على النوم ، جاء الشخص نفسه وصاح في قائلته : يا أبا نصر أنت تدعى محبة الشيخ وأقول لك ثلاث مرات احمل ثوبا إليه لأنه عار في الحمام فتعافل ؟ إنك إذا توانييت حل بك الدمار . فقفزت من شدة الخوف وأعددت الثوب وأحضرتة . وجلس أبو نصر على باب الحمام ، ودخلت أنا وكان الشيخ يتوضأ ، فأتم وضوءه ، فتقدمت لمساعدته ، وخرج الشيخ من الحمام ولبس الثوب . وكان أبو نصر يحمل ألف دينار ذهبي ، فقال له الشيخ : ينبغي أن تعطى هذه النقود لصاحب الحمام ، ولا يجب أن تقل عن هذا لأن صبيته سيتزوج ، كما أن الاستاذ سيعد الحلوى أيضا . فأعطينا النقود لصاحب الحمام . وسار الشيخ وفي صحبته أبو نصر حتى جاء إلى الخانقاه ، ووقف أبو نصر نفسه لخدمة الشيخ ، وأنفق كل ما يملك من مال وعقار في سبيله ، وظل في خدمته طيلة إقامته في نيسابور . ولما رحل الشيخ عنها إلى ميهنه أعطى جبته الصوفية الأخضر للشيخ أبي نصر الشيرازي (ص ١٤٦) وقال له : ينبغي أن تكون خليفة لي ، وأن تدق علمي في ذلك المكان . فذهب أبو نصر إلى شروان وفق إشارة الشيخ ، وبنى زاوية لا تزال قائمه إلى اليوم ، وتعرف باسمه ، ووضع خرقة الشيخ في تلك الزاوية ، وأصبح شيخا وزعما للصوفية تلك الولاية . ولا تزال خرقة الشيخ باقية في تلك الزاوية ، وعندما يخرج الناس من المسجد يدخلون إلى الزاوية لزيارة تلك الخرقة . وعندما يظهر قحط أو وباء ، يخرج الأولياء تلك الخرقة إلى الصحراء ، ويقومون بالدعاء ، فيكشف الله سبحانه وتعالى بلطفه وعنايته وبركة الشيخ ذلك البلاء عنهم . ويسمى أهل الولاية تلك الخرقة « الترياق الأكبر » . وقد أقيمت في تلك الولاية أربعائة زاوية معروفة بفضل بركة الشيخ قدس الله روحه العزيز .

حكاية :

جمعت هذه الحكاية بروايات كثيرة صادقة ؛ فقد رواها البعض عن السيد أبي طاهر الخاتوني ، والبعض عن السيد حسن بن المؤدب ، وآخرون عن السيد أبي الفتح رحمة الله عليهم ، وهي أنهم كانوا يقيمون السماع يوما في خانقاه الشيخ في نيسابور ، وظهر حال السيد أبي طاهر أثناء السماع ، فتقدم إلى الشيخ ملبيا ، وأحرم للحج . وعندما فرغوا من السماع ، عزم السيد أبو طاهر على السفر إلى الحجاز ، وطلب الإذن من الشيخ . فقال الشيخ للجماعة : سنرافقه نحن أيضا . وقال العظماء والمشايخ وما حاجة الشيخ إلى هذا ؟ فقال الشيخ : للسعي إلى تلك الجهة . (ص ١٤٧) وصاحب الشيخ كثير من الصوفية . وعندما خرجوا من نيسابور ، قال الشيخ : لو لم نسر ما استطاع أولئك الأعزاء تحمل ذلك الألم . ونظر الجميع إلى بعضهم متساثلين لمن يقول هذا الكلام . ولما وصلوا إلى الحى والمقر ، أخبر رجل الشيخ أبا الحسن الخرقاني قدس الله روحه العزيز أن الشيخ أبا سعيد في طريقه إليه وسوف يصل غدا ، فسر كثيرا . وكان للشيخ أبي الحسن ولد اسمه أحمد ، يعزه كثيرا . وكان أحمد هذا قد طلب يد فتاة ، وتحدد موعد الزفاف في الليلة التي يصل فيها الشيخ إلى خرقان . وفجأة قتل أحمد ، وفصلت رأسه عن جسده ، ووضعت على باب صومعة أبيه . وعندما حان وقت الصلاة ، خرج الشيخ أبو الحسن من الصومعة ، فعثرت قدمه برأس ولده . فنادى ابنه ليحضر مصباحا . فأحضرت زوجته المصباح . ورأى الوالد رأس ولده فقال : ياروح أبيك .. ماذا فعلت .. وماذا لم تفعل !! . وفي الحال أحضر بعض الناس ، فغسلوا أحمد ، وكفنوه ، وتركوه حتى يصل الشيخ . وتأخر الشيخ . وعند المضحى رأى الشيخ أبو الحسن درويشا قادمًا فسأله عن الشيخ ، ولماذا

تأخر ؟. فقال الدرويش انهم تأخروا لأنهم ضلوا الطريق أمس وإلا لوصلوا في نفس الليلة. فصاح فيه الشيخ أبو الحسن قائلاً : صه ، إنهم لا يضلون الطريق ؛ بل كانت هناك بقعة محرومة من السعادة ، ظمأى إلى أقدامهم ، فتضرعت إلى الله أن ابعث إلى بأقدام الحبيب ، حتى أفخر بذلك غدا على جميع البقاع. فحقق الله سبحانه وتعالى مطالب تلك البقعة ، وأرسل الأعزة ليسكوا بعنان ذلك العظيم ، ويقودونه (ص ١٤٨) إلى تلك البقعة ؛ لينعموا عليها بحضوره ، وفصلوا رأس ابننا عن جسده في غيبته . وعندما سمع الدرويش ذلك ، عاد وأخبر الشيخ بالأمر . فقال الشيخ « الله أكبر » . وأدرك الدراويش أن ما تفوه به الشيخ على باب نيسابور ، كان إشارة إلى هذه الحادثة .

ولما وصل الشيخ إلى خرقان ، وذهب إلى الخانقاه ، كان هناك مسجد ، وكان الشيخ أبو الحسن فيه ، فنهض وتقدم لملاقاة الشيخ في منتصف المسجد ، وتعاثقا . وقال الشيخ أبو الحسن : لقد كان يلزم ذلك الجرح مثل هذا البلم ، وكانت روح أحمد تليق قربانا لهذا المقدم . ثم أمسك الشيخ أبو الحسن بيد الشيخ ليجلس مكانه ، فلم يفعل . وجلسا كلاهما في وسط المسجد . وتحدث الشيخ أبو الحسن إلى الشيخ ، وقرأ المقرئون القرآن ، وبكى الجميع وصرخوا . ثم أعطى أبو الحسن الخرقاني خرقته للمقرئين ، وقال : لقد حان وقت الصلاة ، والأحبة في انتظار . فأخرجوا النعش ، وصلوا عليه ، ودفنوا أحمد ، وظهرت الأحوال في المقبرة . واختلف الصوفية الغرباء مع المقرئين قائلين لقد أعطانا الخرقه لنزقها . وأخبر خادم الشيخ أبي الحسن سيده بذلك فقال : ساموا لهم هذه الخرقه وسأعطيكم خرقه أخرى . وأعدوا مكاناً للشيخ أبي سعيد ليختل فيهِ . وأخذ الشيخ أبو الحسن يوصي أهل بيته واحداً واحداً (ص ١٤٩) ويقول لهم : إن هذا الرجل معشوق الحضرة

الإلهية، ومطاع على الصدور، فاحترسوا حتى لا تحدثوا فضيحة. وظل الشيخ أبو سعيد في هذه المرة ثلاثة أيام عند الشيخ أبي الحسن لم يعقد خلالها مجلساً قط. وكان أبو الحسن يعرض عليه أن يتحدث فيقول له: لقد أحضرنا لنسمع فتحدث أنت. وقال أبو الحسن للشيخ: أنت من أحتاج إليه. ولقد طلبت من الله تعالى أن ابعث إليّ واحداً من أحبائك، حتى أفضي إليه بأسرارك. ولما كنت شيخاً ضعيفاً لا أستطيع القدوم إليك، وكنت أنت قوياً عزيزاً، فقد أرسلوك إلينا، ولم يتركوك تذهب إلى مكة، فأنت أعز من أن يبعثوا بك إلى هناك، وأحضروا لك الكعبة هنا لكي تطوف بها.

وكانت أم أبي طاهر ترافق الشيخ في هذا السفر، وقد ذكرت أن الشيخ أبا الحسن كان يأتي كل صباح إلى باب المنزل، ويسلم عليها، ويقول لها: خذي حذرك فأنت تتحدثين إلى من اختاره الحق، لم تبقى هنا يشرية ولا نفس، هنا الحق، هنا الحق. وكان يأتي في منتصف النهار إلى خلوة الشيخ، ويرفع الستار ويقول: هل تأذن لي بالدخول؟ فكان الشيخ أبو سعيد يقول له ادخل. وكان أبو الحسن يقسم على الشيخ أن يظل كما هو، ثم يدخل ويجلس على ركبتيه بين يديه، ويقول له: إنني أشعر بالآلام يعجز الأنبياء عن تحملها، وإذا أطلقت نفساً واحداً منها؛ لما استطاعت السماء والأرض أن تحتمله. ثم يضع رأسه على وسادة أبي سعيد ويقول كلاماً خافتاً ويبكيان معاً. وكان الشيخ أبو الحسن يضع يده تحت ثوب الشيخ ثم يضعها على صدره وهو يقول: انني أنزل يدي بما بقي من نور.

(ص ١٥٠) وذات يوم جاء قاضي تلك الناحية لتعزية الشيخ أبي الحسن. وكان الشيخ أبو سعيد هناك فقال: فلأذهب وأسلم عليه. وقال له الشيخ أبو الحسن

اذهب وكن على حذر . فذهب القاضى ، وسلم على الشيخ ، وراه جالسا بين أربع وسائد مثل السلطان ، وقد جلس درويش عند قدميه واحتضنهما ، وأخذ يدلكهما . فقال القاضى لنفسه : أين يوجد الفقر هنا ؟ وكيف يمكن أن يكون هذا الرجل من الفقراء مع مثل هذه النعم ؟ إنه ملك وليس بصوفى أو درويش . وعندما جال هذا الخاطر فى نفسه ، رفع الشيخ رأسه عن الوسادة وقال : أيها الفاضل ، من كان فى مشاهدة الحق هل يقع عليه اسم الفقر ؟ . فصرخ القاضى صرخة ، وفقد الوعى ، فأخرجوه . وقال له أبو الحسن : لقد قلت لك احذر لأنك لن تقوى على نظرتة . فقال الرجل : لقد تبنت ، ثم فقد الوعى مرة أخرى ، وظل هكذا يوما وليلة . وبعد ذلك دخل الشيخ أبو الحسن على الشيخ أبى سعيد وقال له : أيها الشيخ ، لقد نظرت إلى القاضى نظرة هيبية ، فانظر إليه نظرة رحمة حتى يفيق . فأجابه الشيخ إلى طلبه ، وتلطف إلى القاضى قبل أن ينصرف .

وقال الشيخ أبو الحسن للشيخ : إننا نرى الكعبة تطوف حولك كل ليلة ، ولست فى حاجة إلى الذهاب إليها ، فعد لأنك أحضرت لى تدركنا . ولقد حججت الآن وعبرت بادية هموم أبى الحسن ، وسمعت تلبية ضراعتة ، وذهبت إلى عرفات ورأيت رجم نفسه ، وقدم أبو الحسن القربان لجمالك ، وصليت على يوسفه ، وسمعت تأوهات أحزان المحترقين ، فعد لأنك لو لم تفعل ذلك لما بقى أبو الحسن ، فأنت معشوق العالم . وقال الشيخ : سنذهب إلى بسطام ونقوم بالزيارة ثم نعود . فقال أبو الحسن : لقد قمت بالحج ، وسوف تقوم بالعمرة . (ص ١٥١)

وذهب أبو سعيد بعد ثلاثة أيام إلى بسطام . وعندما وصل إليها وجد مرتفعا يمكن رؤية قبر بايزيد البسطامى قدس الله روحه العزيز من فوقه . ولما وقعت عين الشيخ على القبر توقف ، وطأ رأسه ساعة ، ثم رفعها

وقال : كل من فقد شيئاً يعطى له هنا . ثم زار بسطام . ويقول حسن بن المؤدب :
عندما وقف الشيخ على قبر بايزيد كنت واقفا خلفه ، فطأ رأسه ساعة أمام القبر
ثم رفعها وقال : هنا مكان الأطهار لا مكان الأشرار .

وأقام الشيخ في بسطام يوماً وليلة ، ورجع من هناك إلى دامغان ، وظل
فيها ثلاثة أيام ، ثم أخذوا أهبة الطريق . وكان في خدمة الشيخ مائة رجل
أقاموا في رباط حتى رحلوا عن هذه الناحية ، كما كان معه أيضاً كثير من
الشيخوخ . وبعد أن فضوا صلاة العصر ، أقاموا السماع حتى الليل ، وكان القوال
ينشد هذه الرباعية :

لقد انبعث صوت ، تأمله . . إنه صوت حبيبي
فأنا أعرف من الذي يتألم لألى
ها هو وعلى وجهه ثلاثمائة وردة حمراء
وسوف أقطفها لأن قطاف الورد صناعتى

وكان للشيخ جوادان يركب أحدهما ويحمل متاعه على الآخر ، فأرسل للقوال
يقول له لك أحد الجوادين . وعندما أدوا صلاة العشاء طلب الشيخ الجواد وقال
للسيد أبي طاهر : ادع الصوفية إلى « صلاة » ، وهى قرية بجوار خراسان .
وركب الشيخ وقال للصوفية : اتبعونا غدا . وذهب هو وحسن بن المؤدب في صحبته
(ص ١٥٢) ومعهما صاحب الركاب ودرويشان . ولما وصلوا إلى بوابة المدينة
وجدوها مغلقة . وكان المفتاح في قصر أمير المدينة ، وقال لهم الحارس يلزم جواز
المرور وإحضار المفتاح من قصر الأمير . ولم يكذ الشيخ يسمع ذلك حتى صاح
في حسن بن المؤدب قائلاً : إنزع القفل . ونزع حسن القفل ، فسقط طرفه ، وفتحت
البوابة ، وخرجوا . ولما وصلوا إلى الصحراء ، كان القمر لا يزال مختفياً ، والظلام سائداً .

قال حسن بن المؤدب : وكان الخوف يملأ قلبي فقال الشيخ : يا حسن ، قل شيئاً
فقلت هذه الأبيات :

« شعر عربى »

وعد البدر لى بالزيارة ليلاً فإذا ما وفى قضيت نذورى
قلت ياسيدى ولم تؤثر اليبس لى على بهجة النهار المنير
قال لا أستطيع تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع البدور
فاندمج الشيخ فى السماع ، وأخذ يصرخ حتى مضت ساعة من الليل ، ثم هدأ ،
وطاب الطعام . لم يكن معنا شئ . . وبدأت قلعة من بعيد فقلت : لأذهب وأحضر
بعض الطعام . وذهبت وطرقت باب القلعة . وجاء رجل إلى السور وقال : ماذا تريد ؟
فقلت : هل من طعام ؟ فربط ثلاثة أرغفة فى شال عمامة وأدلاها ، فأخذتها وأسهرت
حتى لحقت بالشيخ ، فقال : ماذا أحضرت ؟ فقلت : أحضرت هذا ، وكسرت رغيفا
وأعطيته كسرة منه ، فأخذ لقمات ثلاث وأكلها وقال : دع الباقي لك . وعندما بلغ
الليل منتصفه قال : لنم ساعة . فقلت : الأمر للشيخ .

وانتهينا ناحية من الطريق (ص ١٥٣) ونزل الشيخ عن جواده . ولم يكن مع
أحدنا سجادة صلاة لينام عليها ، فسحبنا غطاء السرج ، وألقيناه على الأرض ، فوضع الشيخ
كفيه عليه ، ووضع رأسه على حجرى ، وقدمه على ذيل الدرويش ، واستراح بعض
الوقت . ثم طلع النهار فذهبنا إلى قرية ونزلنا فى قصر كبيرها . وقال الشيخ : قل لكبير
القرية سيصل ضيوف الليلة . وحانت صلاة العشاء ، ووصل الدراوش . وكان كبير
القرية قد أعد لهم وليمة فاخرة ، وأمضوا الليلة فى ذلك المكان . ولم يقل الشيخ شيئاً
سوى هذه العبارة : « لقد تعبتم وتألتم » . وفى اليوم التالى أدوا الصلاة ، وفرغوا من

الأوراد ، ثم طلعت الشمس ، فجلس الشيخ والجميع بين يديه ، والتفت إلى السيد أبي طاهر وقال له : لقد جئنا معك حتى هنا ، وقد تم مرادنا ، وإن نسعى أبعد من هذا ، فما رغبتك ؟ قال السيد أبو طاهر : مادام مراد الشيخ قد تم فقد تم مرادى أيضا . وأخذ الشيخ يسأل الجماعة واحدا واحدا قائلا : من يريد الذهاب من هنا ؟ ومن يريد العودة معنا ؟ . ولم يكن هناك حرج على أحد فكان كل واحد يقول ما يريد . ثم قال الشيخ لمن أراد الذهاب إلى مكة : البسوا نعال مرتفعة ، وأعد لهم معدات الطريق ، وسيرهم مسرورين .

ودعا الشيخ كبير القرية وقال له : نريد مكانا طيبا . وكان له بستان جميل فأقام فيه مأدبة دعا إليها الشيخ والصوفية ، وأمضوا اليوم هناك في بهجة ، وفي اليوم التالي رحلوا عنه . واجتازوا قريتين يقال لهما « ارزيان » و « نوشاد » ليصلوا إلى صحراء « سبزوار » لأن الشيخ كان قد اعتزم ألا يعرج على « بسطام » و « خرقان » في عودته . وعند القرية الثانية استأجروا الدواب ، ودفعوا بعض الأجر ، وأعدوا معدات السفر على أنهم سوف يقضون أربعة أيام أو خمسة في الصحراء ، (ص ١٥٤) وكان مع الشيخ جمع كبير .

وعلم الشيخ أبو الحسن بعودة الشيخ ، ولما كان يخشى ألا يمر بخرقان ، فقد أرسل إليه ثلاثة من الدراويش ، وصلوا هذه القرية عند صلاة العشاء .

وكان الإتفاق قد تم على أن تأتي الدواب في وقت السحر ، ويسيروا إلى الصحراء ، ونام الدراويش جميعا على هذه النية . وفي الليل ، سمع حسن طرقا منخفضا . وفتح الباب ، فرأى الدراويش الثلاثة ، فرحب بهم وأجلسهم . وسأل الشيخ : من الطارق ؟ فأجاب حسن : دراويش خرقان . فقال : ماذا يقولون ؟ قال حسن : لم أسألهم . فقال الشيخ : أحضر ضوءا . فأشعل حسن شمعة ووضعها أمام الشيخ

وقال له الشيخ : ادعهم . فتقدم الدراويش وسلموا عليه ، وأبلغوه سلام الشيخ أبي الحسن . فقال الشيخ : وعليه منا السلام ، ثم قال : بم يأمر الشيخ ؟ قالوا : لقد أقسم أنك لن تسافر حتى تراه . فقال الشيخ أبو سعيد : سأنفذ أمره . ثم قال لحسن : أعطهم شيئاً ليأكلوا فقد جاءوا من بعيد ، وبعث باثنين منهم ليطمئنا الشيخ ، واستبق واحد ليذهب معنا . وإذا حضر أصحاب الدواب في الليل ، فاعتذر لهم وأعطهم الأجوالة . فقال حسن : لقد جاءوا ، وأعطيتهم الأجوالة ، ولم أطاب منهم الأجر ، وتركت لهم نفقات الطريق في الأجوالة ؛ لأن الشيخ لم يأمرني بشيء في هذا الأمر . وكان الصوفية يجهلون ما حدث ، ويظنون أنهم سائرون إلى الصحراء في اليوم التالي .

وتوجه الشيخ إلى بسطام وخرقان ، وجاء فارس فاضل من بسطام ، فركب الشيخ معه . وكان مسروراً جداً في ذلك اليوم ، وأخذ ينشد الشعر العربي . وقد ذكر ذلك الفارس أنه قد جرى على لسان الشيخ في ذلك اليوم (ص ١٥٥) أكثر من ألفي بيت .

وفي الطريق تشاجر الدراويش مع حسن وقالوا له : هل تركت لأصحاب الدواب الأجر أيضاً ؟ فقال حسن : نعم ، لأن الشيخ لم يأمرني بشيء في هذا الأمر . وظلوا يجادلون في هذا حتى مر بهم الشيخ ، فسألهم : ماذا حدث ؟ . فقال حسن : إن الدراويش يقولون لماذا اعتذرت إلى أصحاب الدواب مادمت قد تركت لهم الأجر والنفقات . فقال لهم الشيخ : كان يجب الاعتذار إليهم ؛ لأن الله تعالى كان قد أظهر لهم فضلاً ولكن هذا الفضل لم يتم ؛ إذ كانوا يريدون أن يصحبوكم ، ويسيروا معكم ، فلما لم تتم لهم هذه النعمة ، أصبح كل ماسوى ذلك لاقيمة له ، فكان لابد من الاعتذار إليهم . وكان الشيخ مسروراً جداً طوال اليوم الذي توجه فيه إلى بسطام وقال : « كل من أضاع وقته في القدوم إلى هذا المكان وأراد به وجهه الله فإن الله تعالى يشيبه

عليه . وزار الشيخ بسطام ، ثم توجه إلى خرقان ، وأقام عند أبي الحسن يومين أو ثلاثة . وذات مرة سأل الشيخ أبو الحسن الشيخ أبوسعيد : هل هناك عروس لولايتكم ؟ فقال الشيخ : نعم ، وهناك كثير من النظارة لهذه العروس لأنهما أظهر عروس ، ولكن بين هؤلاء النظارة عرش يتجلى فيه واحد فقط . وصرخ الشيخ أبو الحسن وقال : لقد كان كسرى يرى جميع أحواله في كأس الوهم .

وذات يوم كان الشيخ أبو الحسن والشيخ أبوسعيد قد جلسا معا ومعهما جماعة من العطاء فالتفت إليهم الشيخ أبو الحسن وقال : في يوم القيامة يحضرون جميع العطاء ، ويضعون كل واحد مقعدا تحت العرش ، (ص ١٥٦) ويسمع نداء ينقل للناس كلام الله سبحانه وتعالى . ويضعون مقعداً للشيخ أبي سعيد حتى يسمع الله ، ويتحدث إليه دون واسطة .

وبعد أن مضت ثلاثة أيام طلب الشيخ أبو سعيد الإذن بالرحيل في اليوم الرابع ، فقال الشيخ أبو الحسن : اذهبوا من طريق « جناشك » لأن هذا الطريق به بعض القرى ، فيكون ذلك أيسر على الدراويش . وبعث ثلاثين درويشا ليقوموا بخدمة الشيخ حتى يصل إلى نيسابور ، وليحدثوه عن أحوال الشيخ في كل منزل . وخرج الناس وأبناء الشيخ أبو الحسن دفعة واحدة لتوديع الشيخ . وفي وقت الوداع قال الشيخ أبو الحسن للشيخ أبي سعيد : إن طريقك على البسط والفتح ، وطريقي على القبض والحزن ، فاهنأ الآن وعش سعيداً ، ولنحتمل نحن الآلام والهموم ، فكل منا يقوم بمهمته . ثم أرسل الشيخ أبو الحسن من الرجال بقدر ما يستطيع في صحبة الشيخ ، ليعودوا إليه بأخباره في كل منزل ينزل به حتى « جاجرم » .

وفي اليوم التالي لرحيل الشيخ ، كانوا ينظفون المكان في زاوية أبي الحسن ،

ويرفعون الأغطية ، فوجدوا في المكان الذي كانت به زاوية حسن بن المؤدب ورقة مطوية تحت الفراش ، وفيها شيء . فحملوها إلى الشيخ أبي الحسن قائلين : لقد وجدنا هذه في ذلك المكان . فسألهم : ماذا بها ؟ قالوا : لا نعرف . فقال لهم انظروا إليه . فوجدوه ذهباً . فسألهم : في زاوية من وجد هذا ؟ قالوا : في زاوية حسن بن المؤدب خادم الشيخ أبي سعيد . فقال : زنوه ، فلما وزنوه وجدوه عشرين ديناراً . فقال لهم ، قدروه جيداً لنعرف مقدار الدين . فوزنوه ثانية فوجدوه عشرين ديناراً . فقال الشيخ أبو الحسن : لننقله فإن ماله مالنا ، ومالنا ما له . ورأى أبو سعيد قرية في الطريق ، فزّلوا بها . وذهب الشيخ إلى الحمام ، وكان من عادته عندما يذهب (ص ١٥٧) إلى الحمام أن يأمر للحارس بشيء ، وكان حسن يحتفظ معه ببعض النقود لهذا الأمر . ولما أراد إعداد النقود ، لم يجد تلك الورقة التي تركها في خرقان ، فاستولى عليه الاضطراب . ولما رأى الشيخ ذلك سأله عما حدث ، فأخبره بالأمر . فقال الشيخ : حيثما أنفق هذا المال فقد أنفق من أجلبنا . وفي اليوم التالي وصل الخبر من خرقان عما وجدوه هناك ، وما قاله الشيخ أبو الحسن بشأن ذلك ، فقال الشيخ أبو سعيد : إن الأمر كما يقول الشيخ أبو الحسن .

وظل مريدو الشيخ أبي الحسن في خدمة الشيخ أبي سعيد حتى جازم كما أمرهم شيخهم . ولما وصلوا إليها أعادهم الشيخ أبو سعيد وقال لهم : سنذهب من هنا إلى نيسابور ، فبلغوا سلامنا للشيخ ، واطلبوا إليه أن يذكرنا . وعندما وصل الشيخ أبو سعيد إلى ولاية « كوروني » صادقهم قرية ، فأرادت الجماعة أن ينزلوا بها ، فسأل الشيخ : ما اسم هذه القرية ؟ قيل : « كلف » . فقال الشيخ : لا ينبغي النزول بها . ثم ذهبوا إلى قرية أخرى فسأل الشيخ عن اسمها فقالوا : « دريتد » فقال : لا ينبغي النزول بها . ووصلوا إلى قرية ثالثة فسأل الشيخ

ماذا يسمون هذه القرية؟ قيل: « خد اشاد » (١)، فقال: ينبغي أن يكون المولى مسرورا، وزلوا في ذلك المكان. وكانت هناك خانقاه خالية، فتقدم خادمها واستقبلهم كما هي العادة، وقام على خدمتهم، وذبج لهم الخراف، وقال: سأشوى لكم الكبدة أولا حتى ينضج الطعام. وأعدت المائدة. وقال الشيخ: ينبغي أكل الكبدة أولا. (ص ١٥٨) وعندما قال الشيخ هذا الكلام، عظمه الخادم وقال: أبقى الله الشيخ، فلقد قطعت القلب مع الكبدة. فسر الشيخ وقال: إذا قطع القلب يكون طيبا، فأبو سعيد يطلب القلب. وأمضوا اليوم هناك، وفي اليوم التالي قصدوا نيسابور.

وعندما وصلوا نيسابور، كان بعض الصوفية يقولون: منذ رحل الشيخ إلى خرقان انقطعت أحاديثه ومقالاته وأحواله.

وكانوا يقولون ذلك الكلام؛ لأنه عندما ذهب الشيخ إلى خرقان لم يتحدث قط؛ بسبب أن الشيخ أبا الحسن كان قد قال له: أنت من احتاج إليه، وقد دعوت الله تعالى أن ابعث إلى واحد من أحبائك أحدثه بأسرارك؛ فلما بعث شيخنا لهذا الأمر، تخلى عن الحديث. والدليل على هذا أنه حينما وجد الشيخ أبو الحسن، كان شيخنا يرفض الحديث، ويقول له: تحدث أنت، فقد أحضرنا لنستمع.

ولما لم يكن الدراويش مطلعين على هذا الأمر؛ فقد كانوا يقولون هكذا. ولما علم الشيخ بمقالة الدراويش قال: « اشتاقت تلك التربة إلينا، فلما التقينا فبينما في تلك التربة ». وقد قال الشيخ هذا القول رداً على ذلك الاعتراض. وفي الحقيقة أنه عندما تتأمل هذا القول يتضح لنا ذلك.

هذا ما وصلنا عن ذهاب الشيخ إلى خرقان، وعودته إلى مدينة نيسابور.

(١) « سرور المولى »

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح رحمة الله عليه إن مجيء الشيخ من نيسابور إلى ميهنه آخر مرة ؛ كان بسبب أن اثنين من مريديه اختصما . (ص ١٥٩) وكان من عادة الشيخ أن يصمت إذا تشاجر اثنان ، حتى يخرجنا ما يصدر بهما ، ثم يتحدث ويصالح بينهما ، ويتم الصالح بما يقول .

وكان أبناء الشيخ وأحفاده جميعا معه في نيسابور منذ أمد بعيد . وكانوا يريدون الرغبة في الذهاب إلى ميهنه . فلما وقع النزاع بين الدرويشين ، واصالح الشيخ بينهما ، قال لأبي طاهر : انهض وهىء شئون الصغار لنذهب إلى ميهنه ؛ فقد ضاق صدرى . فنهض أبو طاهر واقترض قرضا كبيرا ، وهىء جميع الأمور ، وأعد أربعين حمارا وأربعين رحلا لأربعين درويش ؛ بحيث يتعهد كل درويش رحلا ، ويحافظ عليه . وكلف ثمانية من الدراويش باستطلاع الطريق . وأمدهم أهل نيسابور بالكثير ، طامعين في أن يتمتعوا برؤية الشيخ أكثر بعد أن يذهب ابناؤه ، وتقل مشاغله .

وفي اليوم الذى سیر الشيخ فيه أبناءه ، ركب هو جوادا ، ووضع على ظهره عباءة ، وفوق رأسه مزدوجة ، وتقدمهم إلى بوابة « شوخنان » ، ووقف هناك حتى مرت جميع الركائب أمامه واحدة بعد الأخرى . وأخذ يسأل عن صاحب كل رحل ، ويوصيه بالحذر ، حتى استعرضهم جميعا . وكان آخر شخص مرأمامه هو السيد أبو الفتح . قال السيد أبو الفتح : كنت حينئذ في الثامنة عشر ، وجئت بين يدي الشيخ فسألتني : أين دابتك ؟ (ص ١٦٠) فقلت سأذهب مترجلا . فقال الشيخ : بلغ سلامنا لو الدتك ، وقل لها أكرمي الاولاد ، وسوف نكون معكم بعد أربعين يوما إن شاء الله . فقبلت أقدام الشيخ ومضيت . قال السيد أبو الفتح : لقد شهدت بنفسى

هذا الجزء من القصة حتى هذه المرحلة . ولما جاء الشيخ إلى ميهنه ، سمعت بقيتها من خواص خدمه . وقال السيد أبو الفتح : لم يأت معنا والدى السيد أبو طاهر ، ورجع مع الشيخ من مكان الوداع ، وذهبا إلى مدينة نيسابور .

وعندما وصل الشيخ إلى الخانقاه ، لم يتحدث في المجلس في ذلك اليوم ؛ لأن الوقت لم يكن مناسباً . وفي اليوم التالي أخذ مكانه في المجلس ، وكان من عادة أبناء الشيخ أن يجلسوا على يمينه فوق المنبر ، كما كان من عادة الشيخ أن يخرج من زوايته مع طلوع الشمس . وفي هذا اليوم خرج الشيخ ، ووقعت عينه على مكان أبناءه فقال : أبناؤنا ، أ كبادنا ، لا أستطيع النظر إلى مكانهم خاليا منهم . وكان أبو طاهر قد اقترض قرضا ، فقال له الشيخ : يجب أن تعمل على رد القرض لتلحق بهم . وعندما تفوه الشيخ بهذا ، ضاق صدر المريدین ، وكذلك أهل نيسابور ؛ إذ كانوا لا يودون فراق الشيخ . وبعد ذلك قضى الدين ، وأخذوا أهبة الطريق ، ودفع الشيخ القروض في الموعد الذى كان قد حددته من قبل ، واستقامت الأمور .

وعندما هيا الشيخ جميع الامتعة ، واستقر عزمه على الذهاب ، جاء عطاء نيسابور وأتمتها ودراويشها ليتوسلوا إليه أن يبقى بينهم دون جدوى .

ولما آن موعد الرحيل ، أقبل الشيخ محمد الجوينى والاستاذ (ص ١٦١) الامام اسماعيل الصابونى للشفاعة . ووصل الاثنان إلى باب الخانقاه ، وأخذ كل منهما يطلب إلى الآخر أن يتقدم أولا ، وفي النهاية أمسكا ببعضهما ودخلا معا . وكان الشيخ قد جلس في مواجهة الباب ، ولما دخلا وساما عليه ، أجلس أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وقرب الثلاثة رؤوسهم بعضها إلى بعض ، وأسروا بينهم بعض الحديث . ولم يعرف أحد قط ماذا دار بينهم ، وتحدثا كثيرا ، وتشفعا كثيرا لعل الشيخ يعدل عن رأيه ويؤجل السفر ، فلم يقبل الشيخ . وبعد أن طال

الحديث قال الشيخ : حقا إن هنا كثيرين يحتاجون إلينا، وهناك أيضا كثيرون، وقد سامت نفسي هنا حتى فاضت اليد بالخير. نقلا : أيها الشيخ إن ميهنه قرية صغيرة جدا ، وقد قصرنا في حقلك . فقال الشيخ : أنا الذي قصرنا في حقلك ، فحجلا، وأدركا أن الشيخ لا يريد البقاء، فودعاه ورجعا . وانجز الشيخ أعماله وذهب.

وكان بجوار الخانقاه دكان، وعندما كانوا يهيئون جواد الشيخ، خرج ووقف على باب الخانقاه ، وقال للدراويش : لقد تركنا هذه البقعة كما وجدناها ، ولم نفعل بها شيئا قط . ثم قال هذا البيت :

— جلس طائر على رأس جبل ثم طار ،

فماذا زاد على الجبل أو نقص منه ؟ !

فقال جميع المريدين : لقد ازدانت هذه البقعة بجمالك ، ووجد الجميع الراحة في ظلك، فعين واحدا يتولى أمر الخانقاه ، ليجد الغريب الراحة بها . فقال : افتحوا الخانقاه، وأعدوا كل شيء ، ومن أتاه رزق منكم فليحمله معه . أنا لم أترك لكم شئنا معلوما ، والله تعالى يرزقكم بكل ما تحتاجون إليه .

وكان الأمر كما قال الشيخ، فلم يكن لهذه الخانقاه رزق معلوم قط . ومع ذلك فقد كان روادها أكثر دائما من الخانقاها (ص ١٦٢) الأخرى في نيسابور، وكانت عامرة دائما ، وأكثر بركة وفتوحا من جميع الخانقاها ، بفضل انفس الشيخ وهمته المباركة . وظلت هكذا حتى غزا الغز مدينة نيسابور فخرّبوها .

وعندما ساق الشيخ جواده، وسار مسافة ، قال للدرويش كان يسير في ركابه :

هناك هيكل فوق الخانقاه فعد وألق به بعيداً . وسمع جميع أئمة نيسابور وشيوخها
— الذين كانوا في وداع الشيخ — منه هذا البيت :

— إن المكان الذي أراك فيه ،
أذهب إليه واعتكف به .

ثم ودع الشيخ الجميع ، وسار صوب « عقبة رشك » . وعثر جواده في حطام
صندوق ، فضغطت فخذ الشيخ تحت كتف الجواد وجرح . ففرشوا له ثوبا ، وأناموه
عليه ، وأمسك أربعة افراد بأطراف الثوب ، وانزلوا الشيخ إلى عقبه ، ووضعوه في
هذا المنزل الوعر . وكان احد الدراويش قادم من مدينة طوس ، فلما رآه الشيخ
استدعاه وسأله : من أين جئت ؟ . فقال : من طوس . فقال الشيخ : وإلى أين
تذهب ؟ . قال : إلى نيسابور . فقال له : اذهب إلى زاوية الصوفية ، وبلغ
الدراويش سلامنا ، فقد الحوا علينا كثيرا بالبقاء ، وقل لهم إن الجواد قد عثر
في الطريق ولكنه لم يسقطنا ، وأنتم سوف تنسبون إلينا الكرامات . وحملوا
الشيخ من عقبه إلى طوس على الأيدي أيضا ، لأنه لم يكن يستطيع ركوب الجواد .
وكان الأستاذ أبو بكر من ولاية الأمر في طوس ، فقال لأهل قرية يقال لها
« رفيقان » : سأعفيكم من الخراج هذا العام لتصنعوا محفة للشيخ تحمله إلى ميهنه .
وصنعوا المحفة ، وحملوا الشيخ فيها إلى ميهنه ، وظل مريضا عدة أيام ثم تماثل
للشفاء .

حكاية :

(ص ١٦٣) حكى عن أبي الفضل محمد بن احمد النوقاني أنه قال : كان

الشيخ أبوسعيد قادما من نيسابور إلى ميهنه . وعندما بلغنا الجبل ، كان في صحبتنا رجل فقال لنفسه : ماهؤلاء الناس الذين يأكلون الكعك والحلوى والأطعمة الطيبة يزعمون أنهم صوفية . فاطلع الشيخ بكرامته على سر ذلك الرجل . ولكيلا يحدث له شر بسبب ما أضمر في نفسه من اعتقاد في حق هذه الطائفة ، أو يتطرق الخلل إلى دينه ، دعاه الشيخ وقال له : اذهب خلف هذا الجبل وزودنا بالأخبار . فنهض الرجل ، وذهب إلى حيث أشار الشيخ ، فرأى حية ضخمة ، فخاف وفر عائدا إلى الشيخ ، فسأله : ماذا رأيت ؟ فحدثه الرجل بما رأى . فقال الشيخ : لقد كانت هذه الحية رفيقة لنا سنين طويلة . فحجل الرجل وسقط على أقدام الشيخ ، وتاب عن ذلك القول .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ أبوسعيد قادما من نيسابور إلى ميهنه ، نزل بمنزل في الطريق ، وتناول الدراويش شيئا من الطعام ، وناموا . وعندما حان وقت الصلاة ، وأذن المؤذن ، توضأ الدراويش ، وأدوا السنة . وأقام المؤذن الصلاة ، فوقف الجميع وانتظموا في الصفوف ، ماعدا دريش كان لا يزال نائما يسبب مشقة الطريق . ولما استيقظ ، كان الجميع قد شرعوا في صلاة الفرض ، فمنعه الخجل من أن يقوم وظل نائما ، وانتظر حتى يتفرق الجمع . وكان هناك لص قد دخل ليسرق شيئا ، ولما رأى الدراويش قد انشغلوا في الصلاة ، وابتعدوا عن أمتعتهم ، ورأى الملابس ملقاة ، تقدم (ص ١٦٤) ليسرق منها شيئا . ولما توسط الأمتعة ، كان ذلك الدراويش مستيقظا ، فرفع حجرا وقذفه به . فأدرك اللص أن شخصا يراه ، وفر هاربا ، ولم يستطع

أن يسرق شيئاً . وكان الجميع يجهلون هذا الأمر ؛ لأن ظهورهم كانت للأمتعة أثناء الصلاة . وعندما سلموا ، ورأوا الدراويش نائمًا ، أنكروا عليه ذلك قائلين : انظروا إلى هذا الذى لم يؤد الصلاة . فقال الشيخ : كان يجب ألا يصلى حتى يحرس ملايسكم إلى أن تنتهى الصلاة . ولم يفهموا قول الشيخ . ولما اقتربوا من الأمتعة ، واطلعوا على حقيقة الأمر ، أدركوا أن الشيخ قد قال ما قال عن طريق كرامته ؛ أى أنه كان يقول لهم : لو لم يظل ذلك الدراويش نائمًا لسرق اللص الملابس ، وبقي الجميع دون ثياب . فتأبوا عن ذلك الإنكار .

حكاية :

روى عن جدى شيخ الإسلام أبى سعيد رحمه الله عليه أنه قال : كان الشيخ أبوسعيد يتحدث يوما فى المجلس فقال خلال حديثه « العلماء ورثة الأنبياء » وسوف أقول لكم كلاما بحكم هذا الخبر . ثم قال : فى هذه الساعة يأتى إلى ميهنه رجل يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله . أى أن كلام المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى قاله فى حق أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه سنقول نحن أيضاً بحكم ميراث النبوة . ومرت ساعة وقال الشيخ : يا أباطاهر أنت خادم للدراويش فقم واستقبل يحميانا . فقام السيد أبو طاهر وقام معه جماعة من الدراويش ، وذهبوا للاستقبال . وأقبل دراويش من نهاية الحى ، يرتدى ثيابا ملوثة ممزقة . ويحمل على كتفه قربة وكوزا . وكان الشيخ جالسا على المنبر . ولما رأى « يحيى » الوافد من ماوراء النهر الشيخ ، جعل يحببه حتى وصل إلى دكان على باب روضته المقدسة . وكان منبر الشيخ على هذا الدكان ، فلما وصل إليه (ص ١٦٥)

دعاه الشيخ للجلوس ، فجلس . وأخذ الدراويش وجميع أهل المجلس ينظرون إليه في
ذهول . وعندما أنهى الشيخ المجلس قال : ينبغي أن يغتسل . فقادوا يحيى إلى
شاطئ النهر ليغتسل ، وأمر الشيخ بإحضار ثوب ليا بسه ، وأقام لدى الشيخ ثلاثة
أيام . وكان يجلس بين يديه كل يوم ، والشيخ ينظر إليه أثناء الحديث ، ويقول
كلما آخر ، ويحيى يقوم بتحيته . وفي اليوم الرابع نهض وقال للشيخ : أيها الشيخ
إننى أفكر فى المسير ، يعنى الحج ، فقال له الشيخ : على بركة الله ، أبلغ سلامنا
لتلك الحضرة . فحيى الشيخ ، ومضى وهو يتراجع إلى الخلف ، حتى لم يعد يرى
الشيخ ، فاستقام فى السير . وأشار الشيخ للجميع ولأبنائه أن يخرجوا الوداعه ، ففعلوا .
وقال السيد أبوبكر المؤدب الذى كان يؤدب أبناء الشيخ ، لقد قال لى الشيخ :
إصحب الأبناء ، واجتهد أن تسير معه وتنال تلك السعادة . فأسرعت ولحقت به ،
وسرت معه ، وكنت آخر من ودعه ، ثم رجعت . وفى السنة التالية فى نفس
الفصل ، وفى نفس الموعد ، قال الشيخ أثناء المجلس : انهضوا واستقبلوا يحيانا . فخرج
السيد أبوطاهر مع الجميع إلى البوابة للاستقبال ، فرأوا يحيى آتيا ، وعلى كتفه نفس
القربة والكوز . وعندما رأى أبناء الشيخ حياهم ، وجعل يحيى حتى مثل بين
يدى الشيخ . وكان الشيخ على منبره فوق الدكان ، فقبل يد الشيخ ، وقبل الشيخ
رأسه . ولما جلس قال الشيخ : يا يحيى ، لا يمكن التخلّى عن فتوح تلك الحضرة ،
فحدث الجماعة عنها ، وأفدهم . فرفع يحيى رأسه وقال (ص ١٦٦) أيها الشيخ : لقد
ذهبنا وسمعنا ورأينا ووجدنا ولم يكن الحبيب هناك . فصرخ الشيخ وقال : قل هذا
مرة أخرى . ففعل . وصرخ الشيخ ثانية ، وقال : قل مرة أخرى . فقال يحيى مرة
ثالثة . فصرخ الشيخ ثم التفت إلى الجماعة وقال : ليس هناك صدق أعظم من صدق

هذا الرجل فاستمعوا إليه . ثم قال : يا يحيى لا ينبغي أن يكون هذا الفتوح دون شكر ، فليكن شغلنا أن نشكر هذه الليلة ، فأعدوا الزبيب والجزر المقلّى وحلوى من الفانيذ المزعفر . فنهض حسن بن المؤدب والسيد أبو طاهر ويحيى ثلاثتهم وساروا وهم يفكرون في أنه من المتعذر أن تتوفر مثل هذه الأشياء بميكنه ، وهناك ما يزيد على المائة شخص . قال حسن : عندما وصلنا إلى بداية السوق ، كان هناك شخص يقول لآخر : هاك خادما الشيخ والصوفية الذين تبحث عنهم . فتقدم شاب وسلم علينا ، وقال : كنا قادمين من بوشنج هراة مع قافلة كبيرة ، فسطا علينا لصوص ، ونذرت أن أعطى صوفية ميكنه حملا من الزبيب إذا نجوت من أيديهم ، فتعالوا وخذوه . فذهبنا معه . وجاء رجل آخر وسلم علينا ، وقال : لقد نذرت أنا أيضا أن أعطى خمسة دنانير ذهبية . فأخذنا الزبيب والفانيذ والذهب ورجعنا . وقابلنا السيد حموية رئيس ميكنه ، وكان مريدا للشيخ ، فسألنا . من أين أتيتم ؟ . فحدثناه بقصة الشكر . فأعطانا هو الآخر مائتي م^١ من الخبز . وعدنا إلى الشيخ بعد ساعة ، وهياأنا المأدبة وفق ما أشار به ، وعم السرور الجميع . وأقام يحيى هناك ثلاثة أيام ، ثم رجع إلى ماوراء النهر .

حكاية :

(ص ١٦٧) كان الشيخ عمرو البشخواني رجلا عظيما ، على جانب كبير من الفضل ، وقد جاور في مكة ثلاثين عاما .

قال : طبقا للخبر الذي يقول : « اليد اليمنى لا على البدن واليد اليسرى لاسفل البدن » لم تصل يدي اليمنى تحت السرة طيلة ثلاثين عاما ، ولم تصل

(١) وزن يساوى ثلاثة كيلو جرامات .

يدى اليسرى أعلى السرة إلا السنة . وله أعمال فيها احتياط أمثلتها كثيرة .

قال : عندما وصلت شهرة الشيخ أبي سعيد من خراسان إلى مكة ، قال أهل الحرم من المشايخ : ما أخرجنا إلى شخص يخبرنا بأحواله ، لنعرف أى رجل هو . ثم قالوا : ينبغي لهذا الأمر رجل ناضج ، عالم ، متصوف ، من ذوى الأحوال . واتفق الجميع على الشيخ أبو عمرو ، ثم طلبوا منه الذهاب إلى ميهنه ، واستطلاع الاخبار عن أحوال الشيخ .

فسار الشيخ أبو عمرو حتى وصل إلى مدينة طوس ، ثم غادرها إلى ميهنه ، وكان قد اغتسل سبع مرات ؛ فقد كان يغتسل من كل خاطر دنيوى يطوف بقلبه . ولما اقترب من ميهنه ، كان الوقت ظهرا ، وقد أذن للصلاة . وأدت الجماعة السنة ، وكان المؤذن ينتظر إشارة الشيخ ليقم الصلاة . وقال الشيخ للمؤذن : هناك شخص قادم فانتظر لنعرف من أين ، وإلى أين ، وليدرك صلاة الجماعة .

وكان الشيخ عمرو قد خلع نعليه حين صار على بعد فرسخ من ميهنه . فقال الشيخ لأبنائه : اخلعوا نعالكم ، واذهبوا لتستقبلوا شخصا لم يصل إلى ميهنه من هو أعز منه . فخرج الدراويش وأبناء الشيخ لاستقباله .

ودخل الشيخ أبو عمرو ، وصلى السنة ، وحيى الشيخ ، وقضيت الصلاة جماعة . واختلى الشيخ به ثلاثة أيام وليالى ، وتحدثا كثيرا . وبعد ذلك (ص ١٦٨) استأذن الشيخ أبو عمرو فى العودة ، فقال له الشيخ : ينبغي أن تذهب إلى بشخوان ، وتكون نائبا لنا فى هذه الولاية . فرجع أبو عمرو إلى بشخوان عملا بإشارة الشيخ . وعندما حان وقت الوداع ، أعطاه الشيخ ثلاثا من الخلال ، كان قد قلمها بنفسه ، وقال له : إذا أرادوا أن يبتاعوا منك واحدا من هذه الخلال الثلاث بعشرة دنانير فلا تبعه ، وإذا طلبوه بعشرين دينار فلا تبعه أيضا ، وإذا أرادوه بثلاثين ديناراً ،

وهنا أمسك الشيخ . وودع الشيخ أبو عمرو الشيخ أبا سعيد ورحل . ولما وصل بشخوان نزل في الخانقاه — وحيث توجد الآن خانقاته كانت هناك حجرة جعلوها خانقاه — وتقرب إليه أهل بشخوان ونسا . وكان يقيم في كل خميس خاتمة في هذه الخانقاه ، وكان مريدوه وأهل القرية يتجمعوا هناك ، كما كان جميع المعارف من القرى القريبة من بشخوان يظهرون له محبتهم . وقد ألفوا حين تنتهى الخاتمة ، أن يطلب أبو عمرو كوزا من الماء ، ويغسل فيه واحدا من الخلال التي أعطاه له الشيخ . وكانوا يحملون ذلك الماء إلى مرضى الولاية ، فيمن الله تعالى عليهم بالشفاء ببركة هذين الشيخين .

وفي ذلك الحين كان في بشخوان رئيس مصاب بمرض القولون . وذات ليلة آلم ذلك الداء رئيس بشخوان ولم يهدأ الألم ، ف جاء شخص إلى الشيخ أبي عمرو وقال له : يقال إن لديك خللا تغسله ، فيجد المرضى في مائة الشفاء ، فاعطني قليلا منه لآحمله إلى الرئيس . فبعث إليه الشيخ أبو عمر بقدر من الماء ، ولما شربه وجد الشفاء . وفي اليوم التالي ذهب الرئيس إلى الشيخ أبي عمرو وقال له : من المعروف أن لديك ثلاثا من الخلال (ص ١٦٩) فبغنى واحدا . فقال الشيخ : بكم تشتريه ؟ . فقال الرئيس : بعشرة دنانير . فاجاب : إنه يساوى أكثر . فقال : بعشرين دينارا . فقال لأبيع . فقال : بثلاثين دينارا . فقال إنه يساوى أكثر . فصمت رئيس ميهنه ولم يزد على ذلك . فقال الشيخ أبو عمرو : لقد توقف شيخنا أبو سعيد عند هذا . وأخذ منه الثلاثين دينارا ، وهدم تلك الحجرة ، وبني بذلك المبلغ الخانقاه الموجودة الآن . وظل الرئيس يحتفظ بالخلال طيلة حياته . ولما أشرف على الوفاة ، أوصى بأن يكسروا ذلك الخلال ، ويضعوه في فيه وبدفنوه به . أما الخلالان الآخران اللذان كانا في حيازة الشيخ أبي عمرو فقد

أوصى عند وفاته بأن يدفنوها معه ، فدفنا مع الشيخ أبي عمرو في قبره المبارك
تنفيذا لوصيته .

حكاية :

كان السيد أبو القاسم الزراد من مريدى الشيخ ، وقد قام بكثير من الاسفار
والرياضات . قال : خرجنا من الكوفة قاصدين الحجاز مع جماعة من الصوفية .
وعندما خرجنا قال البعض : نسير على التجرد . وقال البعض الآخر : نسير على
التوكل . وقلت لنفسي : يا أبا القاسم كن يقظا وسركا تريد . وعزمت على ان
ارجع كل خطوة لأخطوها على اليقظة ، وتركت البادية على هذا العزم . ولما
عدت ، قضيت الليل واقفا في مسجد الشيخ ، وكنت أؤدى الصلاة خلفه ، بحيث اضع
وجهي وراء قدميه . وحينما اقبل الليل ، توضأت ، فألفيت نورا في باطني ، وسررت
لذلك سرورا عظيما . وفي وقت السحر توضأت مرة ثانية ، وتضاعف ذلك النور ،
فازددت سرورا ، وقلت لنفسي : لقد وجدت ما كنت أبحث عنه . وعند الفجر
خرج الشيخ من الخانقاه ، فتقدمت إليه على نية (ص ١٧٠ ان أحدثه بما حدث لى
فى الفجر ، فقال : هل تقول أم نقول نحن ؟ . قلت : ليتفضل الشيخ فقال : ليس
ذلك الشيء هو الذى يرون به الطريق ، إنما هو من بركة الوضوء ؛ لأن الرسول
صلى الله عليه وسلم قال : « الوضوء على الوضوء نور » فذلك هو نور الوضوء
فلا تغتر . فعدت إلى وعي ، وتبت عن ذلك التفكير .

حكاية :

عندما خرج آل سلجوق من نور بخارى ، وجاءوا إلى خراسان ، واستقروا فى
باورد وميهنه ، تجمع حولهم كثير من الناس ، واستولوا على أكثر خراسان ، بسبب

غفلة مسعوء ، سلطان ذلك العهد ، عن الملك ، وانشغاله بالملذات والمفاسد .
وتلك قصة مشهورة ، وليس غرضنا ذكرها ، وإنما الغرض هو ذكر شيخنا ؛ لأن
في شرح هذه القصة طولا للكتاب ، وبعداً عن الغرض .

وأرسل السلطان مسعود إليهم رسولا يتهددهم ، فكتبوا له رسالة يقولون فيها
إن الأمر لله وهو يفعل ما يريد . وعرف الشيخ ذلك بكرامته . ولما جاء الاخوان جفري
وطغرل لزيارة الشيخ في ميهنه ، وكان جالسا مع جماعة من الصوفية في روضته ،
تقدما إلى منبره ، وساما عليه ، وقبلا يده ، ووقفا بين يديه . فأخى الشيخ رأسه
إلى الأمام لحظة ثم رفعها وقال لجفري : لقد منحنك ملك خراسان ، ومنحننا
طغرل ملك العراق . فحياه الاثنان ورجعا . وبعد ذلك قاد السلطان مسعود جيشه
وذهب لقتالهما . وحين وصل إلى ميهنه ، أقام على باب القلعة . وذهب الشيخ والناس
(ص ١٧١) إلى القلعة . وكان في ميهنه خلق كثير بحيث علق البائع أربعين ميزانا في
رباط القوافل . كما كان بالقلعة واحد وأربعون رجلا من مهرة الرماة الذين يصيبون
الهدف دائما ، ولا يخطئون قط ، فأهلكوا وجرحوا كثيرا مشاهير جيش السلطان .
قال حسن بن المؤدب : ذات ليلة بعد أن أدينا صلاة العشاء ، قال لي الشيخ :
اذهب إلى « بادنه » ، وهي قرية صغيرة على بعد فرسخين من ميهنه ، وبلغ
سلامنا إلى السيدة العجوز « فلانة » ، وقل لها ابعتي بذلك القدر من الزيت الذي
تحتفظين به لنا .

قال حسن : فأنزلوني عن حائط القلعة بمجل ، وتسالت من بين — العدو —
بحيث لم يرني أحد . وذهبت إلى بادنه ، وأحضرت الزيت . وفي وقت السحرة
إلى أسفل القلعة ، ورفعوني إليها بمجل ، وذهبت بالزيت إلى الشيخ . وصلى الشيخ الفجر

ثم خرج وجلس على مقعد ، وأمر بأن توضع المواقد في وسط القلعة . ووضعت الآنية فوقها ، وصبوا في كل أناء جزءا من الزيت . وأخذ الزيت يغلي دون أن يعرف أحد ما غرض الشيخ من ذلك . وظل القتال مستمرا ، ثم عرض الصلح ، وقبله الفريقان . وخرج رئيس ميهنه من القلعة ، فأنعى عليه السلطان . ثم دخل الرئيس ، وأخرج الرماة الواحد والاربعين من القلعة ، وأصدر السلطان أمره بقطع اليد اليمنى لكل منهم . فكانوا يتقدمون ، ويضعون أيديهم المقطوعة في الزيت المغلي ، والشيخ يبكي ويقول : لقد قطع مسعود يد ملكه . وبعد أن أصدر السلطان أمره بهذا العقاب رحل إلى مرو . وعلم آل سلجوق بمجيئه إليها ، فذهبوا إلى هناك ، (ص ١٧٢) وقاتلوه وانتصروا عليه ، وبذلك انتقل الملك من أسرة مسعود إلى آل سلجوق . وجلس جفري على العرش في خراسان ، وملك طغرل العراق على نحو ما قال الشيخ .

وقد جرى على لسان الشيخ في مجلس من المجالس قوله : جاء الأمير طغرل إلى ميهنه يوما ، ونزل في هذه الصحراء . وكانت وسادته سرج جواده ، وفرشه لبد السرج . وأرسل شخصا إلى هذه القرية يقول : نحن أناس غرباء ، وقد نزلنا ضيوفا عليكم في هذا المكان ، فابعثوا إلينا ببعض الدقيق . ولما أحضروا له الدقيق ، أخذه وذهب إلى سرخس . وكان في سرخس جماعة من أتباعه فقال لهم : نأخذ منكم أولا ، فكان ينزل كل من يتقدم إليه ، ويستولى على جواده . وقد انقاد له الآخرون .

وفي ذلك الوقت بعث إليه سوري برسالة يقول فيها : ما هذا الذي تفعلون ؟ إنكم بذلك تضطروننا للحضور ، والقبض عليكم . فأرسلوا إليه رسولا يقول له :

ليس الأمر لنا أو لكم ، إنما الأمر لله عز وجل ، وسوف يكون ما أراد الله .
فقلنا : سوف يكون لهذا الرجل العزة في الدنيا . والآن تم له الأمر واستولى
على جميع خراسان .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : كان الشيخ يسوق جواده يوما في أحد الطرق ،
وكنت أسير ممسكا بركابه كهاتى ، فسمعت الشيخ يقول لنفسه بصوت منخفض :
إننى شيخ ضعيف ، ولا قدرة لى ، فاشملنى بفضلك ، واعف عنى . ولم يكذ الشيخ
يقول هذا حتى عثر جواده ، ووقع عن الجواد ، ولكنه لم يصب (ص ١٧٢)
بأذى . فقال : الحمد لله اننا سقطنا خلف الجواد . قال حسن : أدركت حينئذ
أن الشيخ كان يتضرع إلى الله من أجل هذا ، لأنه كان قد توقع هذا البلاء قبل
أن يحدث ، فأخذ يتضرع حتى سهل الأمر ، ومر بسلام .

حكاية :

قال جدى شيخ الإسلام أبوسعيد : سمعت والدى السيد الشيخ أباطاهر يقول :
كان لأمى خال مسن فى ميهنه يدعى « شويى » وكان شيخا معمرًا ، قصير
القامة ، كثيف اللحية ، فقيرا ، يعول كثيرا من الأولاد ، ومشغولا دائما
بكسب قوته ، ولم يكن يترك مجلس الشيخ قط . وكان شيخنا كثير التألم والبكاء .
وذات يوم اعتراه حال فى مجلس الشيخ . ولما أنهى الشيخ المجلس ، وانصرف
الناس ، جلس فى وسط المكان كصيد علق من حلقه . فقال له الشيخ أبوسعيد :
أيها الشيخ ، ماذا ألم بك ؟ . فقال : لا أعرف . فقال الشيخ : ينبغى أن تعرف .
وفى اليوم التالى قال الشيخ : اربطوا وسط الشيخ شويى ، وارفعوا أكمامه ، وأعطوه

جاروفا ليكنس المسجد وبنظفه . وأخذ شبوي الجاروف ، وذهب إلى المسجد .
وكان رئيس ميهنة السيد حمويه عند الشيخ ، قال : لقد خطر لي أنه لو فعل هذا
العمل شاب لكان أكثر لياقة . وأدرك الشيخ ذلك بفراسته فقال لي : أيها
السيد ، إن هذا الشيخ يرغب في أن يكون صوفيا ، وإذا لم يسلك الطريق فلن
يصل إلى مقصوده . فبكي شبوي وقال : أيها الشيخ ، انني رجل مسن ضعيف كثير
الأولاد فارحمي . فأحني الشيخ رأسه (ص ١٧٤) ثم رفعها بعد برهة وقال :
اترك ذلك الجاروف فقد تم الأمر . وقال والدي السيد أبوطاهر : وفي وقت الظهر
أرادوا حمل قمح الصوفية إلى الطاحون ، ولم يكن الأمر مستتباً في ذلك الوقت ؛
إذ كانت فتنة التركان في بدايتها ، فسألت الشيخ : من الذي أبعث به إلى
الطاحون ؟ . فقال الشيخ شبوي . فبعثت به مع عدد من الدراويش . ولما ذهبوا
إلى الطاحون ، وأخذوا يطحنون القمح ، جاء التركان إليها ، وطرقوا الباب ، فلم
يفتحوا لهم . ووقف الشيخ شبوي خلف الباب ، وأغلقه بظهره . فأطلق أحد التركان
سهمه ، فاخترق الباب ، ودخل في ظهر الشيخ ، وخرج من صدره ، فاستشهد في الحال .
وحملوه على حمار ، وأحضره إلى ميهنة ، ووضعوه على باب منزل الشيخ أبي سعيد .
ولما رأى الشيخ لحيته البيضاء وقد تخضبت بالدماء ، بكى وأخذ يقول : « فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر » ثم أقبل على جنازته . وفي اليوم التالي عقد الشيخ
مجلساً على قبر شبوي .

قال رئيس ميهنة السيد حمويه : لقد خطر لي أثناء مجلس الشيخ ، لماذا
كان مقتل هذا الشيخ ؟ . فأدرك الشيخ أبو سعيد ذلك بكرامته ، والتفت إلى وقال
أيها السيد :

« رباعية »

لماذا تجيل النظر في الميسدان
وفيه جراح الفيلة وأنفاس الأفاعي
وكل من ينزل إليه يسلم القلب والروح
فماذا يريد الأعزل من الطواف بقصر السلطان

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ثم مسح وجهه بيديه ونزل عن المنبر .

حكاية :

روى أنه كان في ما وراء النهر جماعة من الصوفية والشيوخ العظام ،
يعقدون المجالس دائماً ، ويقولون أقوالاً طيبة في الطريقة . وكان لهم مقدم
(ص ١٧٥) له كثير من المريدين ، لكل مرید منهم محب من أهل الدنيا ،
وقد أعد لهم جميعاً مكاناً في قصره . وقد اعتادوا حين يؤدون صلاة العشاء ،
يفرغون من الأوراد ، أن يجلسوا على السجاجيد ، ويقضون الليل في التفكير حتى
يطلع النهار . وعندما يذهبون من صلاة الفجر ، كان الشيخ يبدأ الحديث ، ويجيب على كل
مشكل ، أو خاطر خطر لهم في تلك الليلة ، ويقول ما ينبغي قوله . وكان خادم ذلك
الجمع رجلاً يدعى عمران ، وكان سالكا متحمساً . وذات ليلة أخذ عمران يقول
لنفسه : إنه لأمر عجب حقاً ، إذا طلبته يقول : أيها الوضيع إلى أين تسرع ؟ أتظن
انك تلحق بي ؟ . وإذا لم أطلبه يقول : « وسارعوا » . وإذا طلبت غيره يقول :
« مشرك » . وإذا تحولت عنه يقول : « مرتد » . وامضى الليل في هذا التفكير
حتى طلع النهار . وفي الفجر بدأ الشيخ الحديث ، وأجاب على مشأكل المريدين ، ولما وصل

إلى عمران، نهض وعرض مشكلته فقال: تراءى لشخص طلب، فقضى عمره في الطلب تارة، وفي المجاهدة تارة، وأفنى أكثر عمره في الخدمة، ولم يظهر لذلك الطلب الذي لاح له مكان أو معنى؛ فما سبب ذلك؟ فأطرق الشيخ ولم يعرف جواباً لذلك المشكل. وفكر كثيراً، وفي النهاية رفع رأسه وقال: يا عمران، انتظر حتى يوم الجمعة عندما يحضر الشيوخ، (ص ١٧٦) فيتحدث كل منهم في هذا الأمر، فربما يتضح الجواب. وفي يوم الجمعة اجتمع شيوخ الولاية، وعرض عمران عليهم ذلك المشكل. وقال كل شيخ قولاً، ولكن الجواب لم يتضح، ولم يجد السائل شفاءً، وتضاربت جميع الأقوال. وانتهى اليوم ولم يجب أحد على سؤال عمران، وصمت جميع الشيوخ. وصرخ السائل قائلاً: لقد أفنيت عمري في هذا الجنون، واليوم رأيت عظماء طريقكم، فمزقت حجبى، وأظهرت دأى، لأعرف طيب طريقكم، فتركتموني لهذا الداء، وقد تمزق حجابى. فتعالى الصباح من الجميع، وأمضوا تلك الليلة وهم جالسون يفكرون في ذلك الأمر، وظلوا في حيرة حتى الصباح. ولما طامع النهار، قال كل شخص مراءى له في تلك الليلة، فلم يجد السائل الشفاء أيضاً، ولم يتضح أى حل. وقال كبيرهم: ليس لدينا دواء لهذا الداء، إن دواءه عند رجل ظهر في خراسان يدعى الشيخ أباسعيد بن أبي الخير، فاذهب إلى هناك، واطلب شفاء ذلك الداء، ولن نتفرق حتى يصلنا جواب المشكل. فنهض عمران، واتجه إلى الطريق، وأخذ يسير دون وعى؛ حتى أنه لم يفكر في طعام. ولم تقبل تلك الجماعة الصادقة الطلب أن ينشغلوا بشيء، ما لم يرتفع ذلك المشكل من الطريق. وعندما وصل عمران إلى ميهنه، كان الوقت صباحاً، وكان الشيخ يتحدث في المجلس. فلما اقترب عمران، وراه الشيخ، رفع رأسه وقال من أعماقه: ادخل يا عمران

فقد جلسنا اليوم من أجلك . فحياء عمران ووقف بعيدا . وقال الشيخ : أدخل
يا عمران فقد جئت من مكان بعيد . فتقدم عمران إلى الشيخ ، فقال له : أيها
الدرويش ، ليست جميع الأحوال متشابهة ، فأنت إما أن تطلبه أو تطلب منه .
وقد طلب منه أكثر من مائة وعشرين ألفا من الرسل ، ولو لم يأت محمد إلى
الدنيا لما طلبه أحد . لقد كان محمد أول طالب له ، والله تعالى (ص ١٧٧) شكره
في ذلك المعنى فقال : « مازاغ البصر وماطغى » فإذا طلبته ، فالطلب رد ،
والسبيل سد ، والمطلوب بلاحد . وإذا طلبت منه ، فلا تيم لك ماضى حتى تقول
كلامه ، وتجلس مع أحبائه ، وتسرع إلى تلبية ندائه . وقد ترك الآخرين في غفلة ،
وتركك على بابه . وجعل الآخرين ينشغلون بطلب الغير ، وجعلك مشغولا به
وبأحبائه . فقال عمران : أيها الشيخ ، أليس هو الكريم ؟ . فقال الشيخ : إنه
الكريم الذى يعطى قبل السؤال ، ويعفو قبل الاعتذار . عد يا عمران فإن الجماعة
في انتظارك . فحياء عمران ورجع . وسأل سائل الشيخ : وما حالنا نحن المذنبين ؟ .
فقال الشيخ : أيها الشاب ، إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله
وملائكته يترحمون على المقربين على أنفسهم بالذنوب » . وأخذ عمران يسير
حتى وصل إلى الشيوخ ، فوجدهم قد جلسوا على حالهم فى انتظاره . فأخبرهم بما كان
من الشيخ ، فاستمعوا إليه ، ونهضوا وتوجهوا صوب مiehne ، وسجدوا على الأرض
تعظيما للشيخ .

حكاية :

روى أن درویشا خرج من العراق وجاء إلى الشيخ . ولما وصل مiehne كان

الشيخ في قرية « بادنه » على بعد فرسخين من ميهنه . فلم ينتظر الدرويش في ميهنه وتوجه إلى بادنه . ولما مثل بين يدي الشيخ ، قبل قدميه ، وسار في ركابه . وفي الطريق سأل : أيها الشيخ ، ماحق الشيخ على المريد ، وماحق المريد على الشيخ ؟ . فلم يجبه الشيخ في تلك الساعة . وعندما وصلا ميهنه ، وخرج الشيخ في اليوم التالي ليتحدث في المجلس ، قال لذلك الدرويش : ينبغي أن تسير الآن (ص ١٧٨) إلى غزنين ، وتذهب إلى فلان ، وتطلب منه مائة دينار ذهبي ، ومنين من العود ، من أجل الصوفية . فنهض الدرويش في الحال ، واتجه إلى الطريق ، وأبلغ رسالة الشيخ ، وأخذ المائة دينار والعود ورجع . ولما وصل إلى مدينة هراة ، ذهب مع درويش هروى إلى الحمام . وكان في الحمام غلام جميل ، فتطاع إليه ذلك الدرويش ، وأخبر الهروى بالأمر . فقال الهروى : يلزمنا شيء لنحضره إلى المنزل ونختلي به . فأعطاه الدرويش دينارين . ورتب الهروى الأمر ، وأحضر الغلام . وجاء الدرويش ، وأكلوا شيئاً واختلوا به . وعند ما أراد الدرويش أن يقصد الغلام ، رأى الشيخ أباسعيد يدخل من الزاوية ، ويصيح فيه ، فصرخ الدرويش ، وفقد الوعي . وعندما عاد إلى رشده ، نهض وتوجه إلى ميهنه . ولما وصل إليها ، كان الشيخ يتحدث في المجلس . فأسرع الدرويش إليه ، ولما رآه الشيخ قال له : حق الشيخ على المريد هو أن تذهب إلى غزنين متى أشار إليك بذلك ، لصالح الدراويش . وحق المريد على الشيخ هو أنه إذا وقعت في خطأ في الطريق ، منعك عما لا يليق . فحجل الدرويش واستغفر .

حكاية :

قال السيد «عليك» : كنت في نيسابور، واشتقت لرؤية الشيخ ، فأسرعت بالخروج منها ، وسرت حتى أتيت ميهنه في يوم وليلة . وعندما اقتربت من المدينة رغبت في أن أتوضأ ، وأذهب إليها بوضوئي . ولما وصلت إلى نهر بجوار ميهنه ، رأيت درويشاً مقبلاً . ولم أكّد (ص ١٧٩) أنزع نعلي حتى قال لي الدرويش : إن الشيخ يطلب منك أن تحضره كذا . قال السيد عليك : فذهبت إلى الشيخ عارى القدمين ، وكان قد جلس على دكان في الروضه ، فقال : أحضروا مقعداً حتى يضع نعله المنزع فوقه . فأحضروا مقعداً ، ووضعوه أمام الشيخ ، ووضعوا النعل فوقه . وقال الشيخ : أحضروه . فحملوه إليه . وقبل الشيخ النعل ، ووضعوه فوق رأسه ، وأمسك به ، ومسح وجهه فيه وقال : كل من يخطو خطوة في هذا الطريق يكون عظيماً . ثم قال : لقد أحضرناك قبل أن تفكر في الحضور إلينا .

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد كان يعظ في المجلس يوماً . وحضر أحد الادعياء إلى المجلس ، وجلس خلف حجر ، وأخذ ينظر إلى الشيخ . وراه جالسا على المنبر بين أربع وسائد ، وقد بدت كراماته واضحة للعيان . وأخذ الدعوى يشاهد حال الشيخ في الخفاء ، وينكر عليه ذلك . فالتفت الشيخ إليه قال : أيها الرجل الذي يجلس خلف الحجر ، انزع الانكار من قلبك وتقدم إلينا . فخرج الرجل من خلف الحجر وهو يصيح قائلاً: أي اله هذا . فرد عليه الشيخ قائلاً : لا تخطيء ، بل قل : أي انقياد هذا . فصرخ الناس جميعاً ، وتاب الرجل ، وأصبح من مريدي الشيخ .

حكاية :

قال السيد أبو الفتح: عندما قمت بخدمة الشيخ ، وكنت أشاهد حاله ، وأسمع عن الرياضات التي مارسها ، وأتصور أن هذه الحال ثمرة لتلك المجاهدات ، فكرت في أن أمارس الرياضة في الخفاء . وقالت لنفسى : فلا مارس الاحتياط في اللقمة أولا ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى (ص ١٨٠) قال للرسول : « يا أيها الرسول كلوا من الطيبات وأعمالوا صالحا » ، ولما كان العمل الصالح نتيجة للقمة الحلال؛ فإن من صالحى أن آكل من كسب يدي، ولا آكل من طعام الصوفية. وم أكن أعرف طريقا للكسب ، أو أجيد عملا. وكان بجوار الشيخ رجل طحان يدعى « مير » ، فذهبت إليه في الخفاء ، وتعمت منه نسج المكاتل. وفي ظهر كل يوم ، عندما كان الشيخ يخلد إلى الراحة وقت القيلولة، وينام الصوفية أيضا ، كنت أخرج في الخفاء إلى الصحراء ، وأحضر مقداراً من الخوص، وأقوم بنسجه ، وأبيعه وأشتري بثمانه شعيراً، أطبخه على الرحى ، وأصنع منه خبزاً. وأخذت أصوم دائماً، وعند الإفطار أجلس على المائدة مع الصوفية ، وأخرج رغيف الشعير من كفى ، وأكل منه في الخفاء ، وأنا أحاول دائماً أن أبتعد عن مكان الشيخ على المائدة ، حتى لا يطلع على هذه الحال . وأخذت أكثر من الوضوء والصلاة ، وأنا أظن أنه لا يوجد شخص قط يطلع على سرى هذا . ولم يحدثنى الشيخ في هذا الأمر قط ، حتى جاء الوقت الذى ترك فيه الشيخ ميهنه إلى نيسابور. وحين وصل إلى طوس ، كان بها سيد يقال له السيد « أبوطالب الجعفرى » يحبه الشيخ كثيراً ، ولا يتناول طعامه إلا معه . وعندما غادر الشيخ طوس إلى نوقان وفي رفقته السيد أبوطالب،

حدث أن كانا جالسين يوما على المنبر يتناولان الطعام ، وكان في طوس زاهد ، فلما سمع بمقدم الشيخ إلى نوقان ذهب لتحيته . ولما دخل عليه وحياء ، أجابه الشيخ دون أن ياتفت إليه . فتألم الزاهد كثيرا لأنه أهين أمام الناس ، وخرج حزينا من عند الشيخ . فقال السيد أبو طالب للشيخ : أيها الشيخ ، إنك لم تلتفت إلى زاهدنا . فقال الشيخ (ص ١٨١) لاجابة بنا إلى زاهد ، لاجابة بنا إلى زاهد . ثم قال : ياسيد ، لاتتحدث إلى القراء لأنهم غمازون ، والله لا يأخذ الناس بأقوالهم ، ولكنه لا يتركهم بأقوالهم . ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء القوم يسيئون إلى الناس . ثم التفت إلى وقال : إذا ذهبت إلى الآخرة فلا تقل اني مرید شیخی ، لأنك تسير في طريق الزهد ، وتعمل عملا دون متابعة الشيخ . قال السيد ابو الفتح : عندما تفوه الشيخ بهذا سقطت على الأرض مغشيا على من هول ذلك الكلام ، واخذت استغفر الشيخ حتى ساعحنى وقال لى : ارجع عن ذلك . فقلت : رجعت . وسألنى الجميع عما حدث ، فقصصت عليهم قصتى . وتعجبوا كثيرا ؛ إذ أن أحدا قط لم يقف على تلك الحال ، باستثناء الشيخ الذى ادركها عن طريق كرامته .

حكاية :

كان السيد ابو القاسم الحكيم رجلا عظيما في سرخس ، محترما من الجميع ، له كثير من المريدين . وعندما وصل صيت الشيخ إلى مدينة سرخس ، أراد أهلها أن يتعرفوا مكانة الشيخ . وكانوا قد جاسوا يوما ، واخذوا يتحدثون عنه ، فقال واحد منهم إنه رجل عظيم ، وقال آخر إنه يملك دارا خلف الجبل — أى أنه

قروى والقروبون ليس لهم شأن . وكان يحيى التركى رجلا عظيما فقال : ليس
اسمكم ان تتحدثوا عنه دون علم ، وسوف اذهب إلى ميهنه لأراه ، واعرف أى رجل
هو . ثم توجه إلى ميهنه . وخرجت الجماعة لوداعه وقالوا له : تأمله جيدا لتعرف
اى رجل هذا الذى يصل صيته إلينا دائما . وجاء يحيى إلى ميهنه ، ولما وصل
إليها كان الوقت فجرا، وكان الشيخ على المنبر . فلما دخل يحيى من باب المسجد،
ووقع عليه نظر الشيخ، قال له : مرحبا يا يحيى، هل جئت لترانا ؟ (ص ١٨٢) ينبغي
عليك الآن أن تتأملنا جيدا ، ماذا قال لك دراويشك فى تلك الساعة التى اتيت
إلينا فيها؟ . قال يحيى : ليقول الشيخ . فقال الشيخ : لقد قالوا لك تبين اى رجل هو .
ثم قال الشيخ : اذهب وقل لهم انى رايت رجلا ليس لحافظته قفل ، وليس فى خلقه
غرور . فصرخ يحيى وغاب عن الوعى . وعند ما عاد إلى رشده ، نهض مسرورا ،
وذهب إلى أبى القاسم ، وذكر تلك الحال للجماعة ، فسروا جميعا ، وتوجهوا إلى
ميهنه ، وانخرطوا فى خدمة الشيخ .

حكاية :

روى أن الشيخ قصد مدينة مرو . وكان السيد على الخباز خادما للصوفية
هناك ، وكان الشيخ أبو على سياه شيخ الجماعة . وعندما سمعا بوصول الشيخ قال
احدهما للآخر : سيصل ذلك الطائر ويلتقط الحبة من امامى وامامك . وتحدثا ساعة
ثم قالوا : يجب اعداد الترتيبات اللازمة ، والذهاب لاستقباله . وهيا الشيخ أبو على
من الترتيبات ما يليق لتعظيم الشيخ ، لدرجة أنه اشترى من أجل كلاب البلد حمارين
ممتلئين وذبحهما . ولما سأله الخادم لماذا ذبحت الحمارين ؟ قال : عندما يحضر

مثل ذلك العظيم ، فلا أقل من أن تنعم كلاب البلد أيضا . ثم خرجا لاستقبال الشيخ . وكان الشيخ يرغب في أن ينزل في رباط عبد الله مبارك ، فقال الشيخ أبو علي سياه : نحن نخدم في كل سنة ألف بومة على أمل أن ينزل لدينا صقر ، والآن نزل ذلك الصقر فان ندعه ينزل في مكان آخر . وقال الشيخ : المروءة واجبة ، (ص ١٨٣) والكل صقور ، ولا يوجد بوم . فقال الشيخ أبو علي : لو لم يبين الشيخ لنا خطأنا لحل بنا الدمار . ودخل الشيخ المدينة ، ونزل في الخانقاة ، ثم صعد على المنبر ، ووقف الشيوخ بين يديه ، بينما اصطف الشباب أيضا . وبدأ الشيخ الحديث ، وشعر السيد على الخباز بالغيرة . ثم دخل أبو علي سياه ، ونظر إلى رجاله ، ورأى شيخنا واقفا على المنبر في عظمة وهيبة ، فقال لنفسه : لو رآه الناس على هذه الحال ، وسمعوا كلامه ، لذهبت ولا يقنا ، وانفض عنا أهل مرو . فالتفت الشيخ إليه في الحال وقال له : أيها السيد ، أخرج إلى هذا السوق ، فهم يطهون هناك « شاباطيا » طيبا ، فاحضر واحدا طيبا مثل وجهك . فخرج على الخباز سريعا وأحضر الشاباطى . فأخذه الشيخ ، والتفت إلى الشيخ أبي علي سياه وقال له : لقد بعنا لك مدينة مرو وولايتها بهذا الشاباطى ، ومنحناه لك أيضا . وأعطاه الشاباطى ، وخرج في الحال ، ولم ينتظر قط . وألحوا عليه كثيرا لينتظر فترة ، إذ كانوا يعدون المائدة ، فلم يقبل . وذهب إلى رباط عبد الله مبارك . ووضع السيد على الخباز المائدة في الصحراء ، ولما فرغوا من الطعام ، رجع الشيخ إلى ميهنه .

حكاية :

قال والدى - والد المؤلف - نور الدين بن المنور : سمعت من السيد أبي

الفتح أن الشيخ أبا سعيد كان يعظ يوما فوق دكان الروضة . وفي أثناء الحديث قال : يهب نسيم من الخلد الأعلى ، ولا يكون ذلك إلا في أقدام الدراويش ، وانشغل بالحديث . ثم قال مرة أخرى : يهب نسيم من الخلد الأعلى ولا يمكن أن يكون ذلك إلا في أقدام الدراويش . (ص ١٨٤) ثم قال ذلك للمرة الثالثة . فنهض السيد حسن بن المؤدب وجماعة من الصوفية ؛ لأنهم أدركوا أن هناك دراويشا على وشك الوصول . وأخذوا يسرون حتى وصلوا مدخل القرية . وكان الشيخ قد أشار عليهم أن يتجهوا إلى اليمين ، فساروا وفق إشارة الشيخ ، فوجدوا الدراويش قادمين من ناحية مرو . وعندما رأهم الصوفية ، عانقوهم وعادوا معهم . ولما وصلوا إلى مكان الشيخ ، قال لحسن : أحضر نعالهم . فأحضر حسن النعال إلى الشيخ ، فأخذها ووضعها على رأسه وقال :

« بيت »

هذه هي التي ينبغي أن يحملها الإنسان ويضعها على رأسه ،
وهذه هي التي تجعل الكبير أمامها صغيرا .

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ومسح وجهه بيديه ، وختم المجلس . وانطلق الصياح من الناس .

حكاية :

قال السيد أبو بكر المؤدب : كنت في خدمة الشيخ في ميهنة . وفي يوم من أيام الربيع ، سقط مطر كثير وسيل قوى . وعندما حدث هذا ، خرج شيخنا وقت العصر وقال : يجب أن نصلي صلاة الاستسقاء . وخرج إلى الصحراء ، وسرت

مع الشيخ حتى شاطئ النهر . وقال الشيخ : إنزلوا إلى الماء . فقفز الجميع في الماء .
وبقيت واقفا لخدمة الشيخ ، ومعى ملابس نظيفة ، وأخذت أنظر إليه . وفي أثناء
ذلك ، جاء حسن بن المؤدب من خلفي ، ووضع رأسه بين ساقى ، وحماني حتى شاطئ
النهر ، وألقاني في الماء . وتجاوز عمق الماء رأسى ، ولم أكن أعرف السباحة .
وحمل الماء عما متى ونعلى ، وبلى جميع ثيابى ، (ص ١٨٥) وفقدت الوعى ، ولم أشعر
بنفسي أو بالدنيا . وأخرجونى من الماء وخفضوا رأسى ، فخرج الماء من حلقى . وقال
الشيخ : ينبغي صلاة الجنازة . فأحضرونى ، ووضعونى أمام الشيخ . وأخفى الشيخ
وجهى بسجادة ، وأصطفت الجماعة ، وكبر الشيخ على أربع تكبيرات ، وصلى صلاة الجنازة .
ثم جلس عند رأسى ، ورفع طرف السجادة عن وجهى ، وقال : يا أبا بكر ، قم بعد
الموت وتحدث . وعندما قال هذا نهض ، وأركبوه حمارا . وذهبت معه وحول وسطى
مئزر ، وتركت الجمع فى ذلك المكان . وذهب الشيخ إلى الدار ، ولم يخرج للمائدة
فى تلك الليلة . وفى اليوم التالى ، جلس على المنبر ليتحدث . وقبل أن يبدأ الحديث ،
قال لحسن بن المؤدب : انهض . فهض حسن . وقال له الشيخ : ينبغي أن تذهب
إلى بلخ ، فتذهب فى اثنى عشر يوما ، وتعود فى اثنى عشر يوما ، وتظل فى بلخ يوما
واحدا ، فتعود إلى هنا بعد خمسة وعشرين يوما . وسوف يأتى أبو عمرو خشكويه
من نيسابور إلى بلخ ، فبلغه سلامنا ، وقل له : نريد ثلاثة أمان من العود ، وقرضا
قدره مائة دينار من أجل الصوفية ، وخذها وأحضرها إلينا . فذهب حسن بن
المؤدب . وعندما وصل « زردك » ، وكان ذلك فى وقت غارة التركمان ، فقبضوا
على حسن ، وضربوه ، وهزأوا به ، وقالوا له أنت جاسوس ، وقيدوه بالاغلال يوما

وليلة، وصاحبوه. قال حسن: وقد أحدثت على نفسي بسبب البرد والعناء، وتضرعت إلى الشيخ في منتصف الليل وقالت: أيها الشيخ، انقذني. فلما قلت هذا، خرج قائد التركان من الدار في الحال، وفك القيد عن يدي، وبعث بي إلى خيمة، وأحضروا لي ماء ساخنا لاغتسل، وبعثوا إلى بثيابي لارتديها. (ص ١٨٦) وقادني القائد إلى خيمته، وقال لي: أيها الجاسوس، عند من تعمل؟ فقلت: أنا تلميذ لزاهد ميهنه الشيخ أبي سعيد. فقال لي: صفة. فوصفت له الشيخ. فقال القائد: إن هذا الشيخ كما وصفت، لأنني رأيته في نومي الآن، وقد سحب سيفه، وقال لي: اترك هذا الرجل وإلا أهلكتك. فخفت وخلصتك، فاذهب حيثما تريد. فذهبت إلى بلخ، وكان أبو عمرو خشكويه قد ذهب إلى غزنين، فرجعت إلى ميهنه بعد الخمسة والعشرين يوما التي أشار إليها الشيخ. وكان الوقت فجرا، والشيخ على المنبر، فقال للجماعة: لقد جاء حسن، فأخرجوا لاستقباله. واستقبلني أبناء الشيخ وجماعة المتصوفة في الصحراء. وجئت بين يدي الشيخ، فقال لي: مرحبا يا حسن، هل تقول أم نقول نحن؟ قلت: ليتفضل الشيخ. فقال: لقد كنا نعرف أنك لن ترى أبا عمرو، ولكنك ذهبت، وقبض عليك التركان في الطريق، وقيدوك، وتألمت، ولجأت إلينا فخلصناك. ثم ذهبت إلى بلخ، ولم تر أبا عمرو. قال حسن: فقلت أيها الشيخ، مادمت قد عرفت أن هذا سوف يحدث، فلماذا أردت لي أن أتألم؟ فقال الشيخ: يا حسن، إننا لم نستطع أن نفرق بذلك الذي ألقى أبا بكر في الماء في ذلك اليوم، فكانت تلزم عصا التركان لتعاقبه. قال حسن: وقد كانت كل هذه التعبئة من أجلى.

حكاية :

روى أن الشيخ أباسعيد ذهب في وقت من الأوقات إلى سرخس ، ونزل في خانقاه الشيخ أبي الفضل حسن . وكان خادم الخانقاه في ذلك الوقت يسمى أبا الحسن (ص ١٨٧ ، ولم يكن للخانقاه رزق معين . قال الخادم : قلت لنفسى أينجىء شخص بهذه المرتبة ، وجمع بهذه الكثرة ، وليس لدى شيء أطعمهم أياه ! . وعندما جالت هذه الأفكار بخاطري ، دعاني الشيخ وقال لي : يا أبا الحسن ، اذهب إلى حانوت فلان الصراف في السوق ، وقل له إن أبا سعيدة ول لك أرسل ثلاثين دينارا . فذهبت إلى الصراف ، وقلت له إن الشيخ يطلب ثلاثين دينارا . وعندما سمع الصراف ذلك ، أعطاني في الحال ثلاثين دينارا نيسابوريا ، وأمرني بالعودة . وفي اليوم التالي قال لي الشيخ : يا أبا الحسن ، اذهب إلى الصراف ، وخذ منه ثلاثين دينارا أخرى ، وأنفقها . ففعلت . وفي اليوم الثالث قال لي : اذهب إلى الصراف ، وخذ منه ثلاثين دينارا وحدها ، وعشرة دنانير وحدها ، وأنفق الثلاثين دينارا ، واستأجر بالعشرة دنانير حمرا حتى نيسابور . فذهبت إلى الصراف وقلت له : أعطني ثلاثين دينارا وحدها ، وعشرة دنانير وحدها . فقال الصراف : ماهذا ؟ إنك لم تقل مثل هذا القول كل يوم . فقلت له : إن الشيخ ذاهب إلى نيسابور ، وإذا كنت ستطلب النقود مني غدا ، فانهض واطلبها من الشيخ الآن قبل أن يرحل . فجاء الصراف معي إلى الشيخ ، وكان الصوفية قد أعدوا الركائب وربطوا الأحمال ، ووقف الصراف أمام الشيخ ، فلم يقل له الشيخ شيئا ، وركب حصانه وسار . وأخذ الصراف يسير خلفه حتى بوابة المدينة . فلما خرج الشيخ من البوابة ضاق قلب الصراف . وعندما وصلوا إلى طريق نيسابور

رأيت قافلة قادمة منها، وكان هناك رجل يسير أمام القافلة ، فلما اقترب من الجماعة حياهم ، وسأل : من هذا ؟ . فقالوا له إنه الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير . فتقدم الرجل إلى الشيخ ، وحياه . (ص ١٨٨) فرد الشيخ تحيته ، وقال له على الفور : أعط تلك المائة دينار ، إلى الصراف . فأخرج الرجل صرة من الذهب ، وأعطى الصراف المائة دينار ، فأخذها . وقال له الشيخ : هل وصلت لك نقودك ؟ قال : أجل . فقال له الشيخ : اذهب . فقال الصراف : إنني لن أتحول عنك حتى تتقبلني . فقال له الشيخ : لقد تقبلتك . وانصالح أمر الصراف . ورجعنا من صحبة الشيخ .

حكاية :

كان القاضي سيف من جماعة القضاة والأئمة الكبار في سرخس ، ينكر جميع أصحاب الرأي ، والصوفية ، والشيخ أبا سعيد إنكارا شديدا . وكان قاضيا لولاية سرخس ، يتمتع بمكانة كبيرة ، وهيبة تامة ، عندما كان شيخنا بهذه المدينة . وقد عرض أموالا كثيرة على بعض الناس ، ليقوم أحدهم بالقضاء على الشيخ ، ولكن واحدا منهم لم يجرؤ على التفكير في هذا الأمر . وكان الشيخ يجهل ذلك . وقبل رجل هذا العمل يوما ، فأعطاه القاضي مبالغاً من النقود . وفي يوم من الأيام قرروا إهلاك الشيخ ، وكان يعقد مجلسا في ذلك اليوم ، كما كان هذا اليوم نفسه موعد انعقاد مجلس القاضي . وأخذوا ينادون من فوق المآذن أن القاضي سيف سيعقد مجلساً في المكان الفلاني فأحضروا . ولما سمع الشيخ صوت المنادى قال : توضأوا لنصلي على القاضي صلاة الجنازة . فتعجب الناس لأن القاضي سيف في صحة جيدة ، وسوف يتحدث في المجلس ، بينما الشيخ يقول توضأوا لنصلي عليه

صلاة الجنائز. وبعد أن قال الشيخ هذا ، استمر في الحديث ، وفي ذلك الوقت كان القاضي سيف يغتسل في الحمام ليذهب للحديث في مجلسه . وقبل ذلك بعدة أيام (ص ١٨٩) كان أحد المزارعين قد أقسم يمينا بالطلاق وخالفه ، فأصدر القاضي حكمه بالتفرقة بينه وبين زوجته ، وحبسها فترة ، وأخذ منه النفقة ، ومؤخر الصداق ، وأمر بجلده . وكان المزارع قد أتى إلى المدينة ، وأحضر منجلا لحداد ، فسنهله ، وأخذه وسار عائداً إلى قريته . ورأى القاضي خارجاً من الحمام بمفرده ، ولما كان قلبه مملوءاً بالحق على القاضي ، فقد ضربه بالمنجل ، وطعنه في بطنه طعنة تمزقت لها أحشاؤه ، وهلك في الحال . وانطلق الصياح معلناً قتل القاضي ، وكان الشيخ لا يزال يعظ في المجلس ، فتعجب الناس كثيراً لما سبق من قول الشيخ . وقال الشيخ : يا إلهي ! لقد حكم علينا ، فمن كان هو بالنسبة لنا ؟ . وحكمنا عليه فمن كان هو بالنسبة لله ؟ .

حكاية :

قال الشيخ عمر الشوكاني إن السيد محمد والد الإمام مالك الشوكاني كان يملك أيام شبابه قباء وقلنسوة . وذات يوم كان الشيخ أبو سعيد جالسا ، فمر عليه مرتديا القباء والقلنسوة . وراه الشيخ فقال : إن ذلك الشاب وديعة في هذا القباء . فأخبروه بذلك ، فقال : إن الأمر كما ذكر الشيخ ، فمنذ أمد بعيد وهذا الأمر يُلح على ويؤلمني . ولم يمض وقت كثير حتى تاب ، وحول قصره الكبير إلى خانقاه ، وأنفق أموالا كثيرة في سبيل الصوفية والشيخ . واستضاف في خانقاته في شوكان أربعين صوفيا ينفق عليهم من ماله . كما شيد القبة العالية والمنارة الموجودتين في المسجد الجامع في شوكان ، وملا مخزنا فوق قصره بالقمح ، وأخذ يخرج منه على

نواحي البناء والتعمير . وكان يقول لنفسه إن هذا القمح لن يكفي لهذه الأمور .
وتمت العمارتان والقمح لازال باقيا . فتمعجب كثيرا (ص ١٩٠) لأنه كان على
يقين من أن ما أخرجه منه أضعاف ما كان قد اختزنه . وبعث برجل إلى الخزن
وقال له : اخرج القمح الذي بالخزن لنعرف مقداره . فذهب الرجل إلى الخزن ،
وكان فيه قمح كثير ، قازدادت دهشته لأن القمح الموجود به أكثر مما كان قد
اختزنه من قبل ، علما بأنه أخرج من أجل العبارة كميات كبيرة . وأخذ الرجل يخرج
القمح ، فنفذ صبره وسأله : ما مقدار ما تبقى من القمح في الخزن ؟ . فقال الرجل :
ياسيدي ، لا يزال الخزن مملوءا بالقمح . ولم يستطع — السيد محمد — إخفاء
هذه الكرامة . وكان قد عين مؤدبا لتعليم أولاده ، فذهب إلى ذلك المؤدب ، وهو
المقرئ عبد الملك بن شاذان من أهل طوس ، وحدثه بالأمر . فبكى المؤدب
وقال له : إن هذا ليس بالأمر الغريب ؛ فهو من كرامة ذلك الشيخ الذي أصبحت
مريدا له ، وأرشدك إلى هذا الطريق ، وأمرك بهذه الخدمة . ولو أنك لم تقل لي هذا
الأمر ، ولم تخبر به أحدا ، لبقى ما في الخزن حتى يوم القيامة ، مهما أخرجت منه أنت
وأولادك ، بفضل بركة الشيخ ، ونظرة الطاهر قدس الله روحه العزيز .

حكاية :

سمعت أيضا من الشيخ عمر الشوكاني أن الشيخ كان ذاهبا يوما إلى مدينة
طوس عن طريق « سرداوه » ، لينزل بقرية « رفيقان » . وأرسل درويشا قبله
ليخبر أهل القرية بقدومه ، وليرى ما إذا كان بها خانقاه يمكن أن ينزل بها .
ولما وصل الدرويش لم يجد هناك خانقاه ، إذ كان جميع أهل القرية من قاطعي الطريق .
وكان في تلك القرية معلم صالح ، أدى فريضة الحج ، ينفق من النقود التي يتقاضاها

من الصبية لقاء تعليمهم . وعندما علم المعلم بوصول الشيخ ، تقدم لخدمته ، وأرجع معه الدرويش وقال له : إن جميع الناس هنا مفسدون ، من قاطعي الطريق ، ولا توجد خانقاه ، (ص ١٩١) وأموال أهل القرية جميعاً حرام . وأنا الرجل الوحيد الصالح في قرىتي ، ومالي حلال . ولن تجد شخصاً آخر يملك درهما واحداً حلالاً ، أو فيه نفحة من صلاح . ولما خرجا إلى الصحراء ، وقطعا مرحلة طيبة ، لحقا بالشيخ . فقال له المعلم : ياسيدي الشيخ ، لقد جئت لأنني سمعت بوصولك سالماً ، والناس في هذه القرية اصوص مفسدون ، وليس في القرية جميعها درهم واحد حلال إلا أموال التي أخذها من تعليم القرآن للصبية . وليس بالقرية خانقاه ، ولن تجد فيها شخصاً صالحاً سواي ؛ فأنا رجل صالح ، أديت فريضة الحج . وأريد الآن أن ينزل الشيخ في منزلي . فقال له الشيخ : سأنزل في دار رئيس القرية . فقال المعلم : إنه هو نفسه أسوأ من الجميع . كما أنه يشرب الخمر دائماً ، ولا يوجد في منزله فراش طاهر يمكن أن يجلس الشيخ عليه . فلم يهتم الشيخ بذلك . ورجع المعلم ، وقال لرئيس القرية إن الشيخ قادم ، وسوف ينزل بدارك . وعندما سمع الرئيس هذا ، أمر بأن يجمعوا فراش المنزل ويطهروه . وأخذ يفكر في أنه لا يملك شيئاً حلالاً ليقدمه للشيخ . وكانت له أم عجوز فسألته : ماذا دهالك حتى أنك مهموم هكذا ؟ . فقال لها : إن الشيخ أبا سعيد قادم من ميهنة ، وسيحل ضيفاً علي ، ويشرفني مثل هذا العظيم . وكما فكرت في جميع ممتلكاتي ، لأجد بينها شيئاً واحداً حلالاً ، لا قيم له به مادية . وأنا مهموم حائر لهذا السبب . وكانت والدته سيدة صالحة ، فخلعت من يدها سوارين ، ووضعتهما أمام ولدها وقالت له : خذ هذه فهي (ص ١٩٢) ميراث حلال لي عن والدتي ، وقد ورثتها هي أيضاً عن والدتها . وسوف يأتي الشيخ إلى منزلك بفضل هذه

اللقمة الحلال . فأخذها الرئيس ، وقد أثرت فيه كلمات والدته ، وأنفقها على ضيافة الشيخ والصوفية . ولما رأى الشيخ وسمع كلامه ، تاب على يديه ، كما تاب أكثر أهل القرية . وكان الرئيس يضع في حسابه أن ينفق على الصوفية من ثمن السوارين بحيث لا يحتاج لشيء أو يتبقى شيء . وعندما نفذ المال ، عزم الشيخ على الرحيل ، وأمر بإعداد جواده . وألح عليه الرئيس أن يبقى يومين أو ثلاث ، فلم يقبل ورحل . وبعد مضي فترة اشترى نظام الملك قرية رفيقان وأوقفها على أبناء الأستاذ أبي أحمد الذين كانوا أحفاد الشيخ من ناحية أمهم . وهكذا بقيت القرية ببركة لفظ الشيخ

حكاية :

سمعت أيضاً من السيد عمر الشوكاني أنه كان في قرية « ازجاه » درویش يدعى حمزة يعمل في صناعة السكاكين . وكان مريداً للشيخ أبي سعيد ، ورجلاً طيباً للغاية ، وعاشقاً محترقاً باكياً ، وسالكا متحمساً . وكان في كل يوم يعقد فيه الشيخ مجلساً ، يخرج من ازجاه في وقت السحر ، بحيث يصل إلى المجلس في الوقت الذي يخرج فيه الشيخ من صومعته ليغظ . وإذا ما أنهى الشيخ وعظه ، عاد إلى قريته . ولم يكن يترك مجلساً قط من مجالس الشيخ . وكان رجلاً كثيراً الأولاد ، رقيق الحال ، يعطف عليه الشيخ . وفي يوم من الأيام كان قادماً إلى مجلس الشيخ في ميهنة ومعه دينار ذهبي ربطه في رباط . ولما وصل إلى مشارف ميهنة قال لنفسه : لو أنني حملت هذا الدينار معي ، وطلب شخص من الشيخ شيئاً ، فسيعرف الشيخ أنني (ص ١٩٣) حملت ذهباً . ثم قال : من الأفضل لك يا حمزة أن تخفيه خلف الحائط . وأخفى الدينار ، وذهب إلى مجلس الشيخ . وعندما وصل الشيخ إلى

منتصف الحديث، التفت إليه وقال: يا حمزة، انهض وارفع الدينار الذي أخفيتـه خلف الحائط، لأن هناك لصا يسرقه. فنهض حمزة، وذهب إلى المكان الذي أخفى فيه الدينار، فوجد رجلا يحفر الأرض، وقد أوشك أن يسرق الدينار. فتقدم حمزة، وأخذ الدينار، وجاء به إلى الشيخ، ووضعه أمامه. وبعد هذا لم يعد قادرا على البعد عن الشيخ، فحمل أمتعته وأولاده، وجاء إلى ميهنه، وظل في خدمة الشيخ طيلة حياته. ولما توفي الشيخ، رجع إلى ازجاء، وقبره بها، وهو قبر عظيم مبارك.

حكاية:

كان نظام الملك رحمة الله عليه قد شيد خانقاه في أصفهان. وعين الأمير سيد ابن محمد، وكان علويا فاضلا، خادما لها. وكانت العادة المتبعة أن يجتمع العلماء والصوفية وأصحاب الحاجات وأرباب الإدارات من جميع الأطراف في تلك الخانقاه كل عام. وعندما يأتي شهر رجب، يستدعى نظام الملك سيد بن محمد هذا، ليعرض عليه حاجة كل فرد، ويأمر لكل منهم بما يليق له من عطاء أو صلة أو ادرار. ثم يعود الجميع إلى منازلهم، وقد قضوا حوائجهم، ويأخذون في الدعاء له بالخير. وفي سنة من السنين جاء شهر رجب، ولم يحقق شخص مقصوده. وانتهى شهر شعبان، ولم يقض نظام الملك حاجة أحد. وأقبل شهر رمضان أيضا، ولم يستدع نظام الملك واحدا من هؤلاء الجمع، ولم يتكلم في شأنهم. وأخذ الجميع يتحدثون في هذا الأمر، (ص ١٩٤) ويقول كل منهم قولا. وقالت جماعة إن نظام الملك ملّ هذا، وقالت جماعة أخرى ربما أوقع شخص بنا عنده. ولما

انتهى شهر رمضان، وشوهد هلال شوال، أرسل نظام الملك في تلك الليلة رجلا إلى سيد بن محمد وقال له: عند ما تنتهى من العشاء، احضر إلينا عشرة أشخاص من كبار الصوفية والأئمة، لأن هناك أقوالا وأمورا نريد أن نتحدث فيها.

قال سيد بن محمد: وحين فرغنا من العشاء، أخذت عشرة أشخاص من الشيوخ، وذهبت إلى نظام الملك، وأنا أفكر فيما عساه قد حدث. ولما دخلت عليه، وجدته جالسا في المحراب، وقد أوقد شموعا أمامه. وسألت عليه، فرحب بي كثيرا وقال: اعلما أننى كنت مشغولا في أوائل شبائى بطلب العلم، ولم أوفق في هذا الأمر على نحو ما كنت أرجو، فقلت لو الذى: ينبغي أن تبعث بى إلى مرو لآتمكن من الدراسة هناك. فقبل والذى، وأرسل معى غلاما وحمارا، وقال لى: عندما تصل إلى ازجاء، اطلب من رؤساء القوافل أن يترشوا يوما من أجلك. واذهب إلى الشيخ أبى سعيد فى ميهنه، وقدم له الطاعة، واصغ لما يقول لك، وتذكره، وسر على نحو ما يأمر بك به، وأطلب منه أن يدعو لك. وعندما وصلت القافلة إلى ازجاء طلبت إليهم التوقف يوما حتى اذهب وأحيى الشيخ، فأجابونى إلى طلبى. ووصلت إلى مشارف ميهنه عند الفجر. ولما وقعت عيني عايتها رأيت الصحراء كلها زرقاء من كثرة الصوفية ذوى الاردية الزرقاء الذين خرجوا إلى الصحراء، وانتشروا فى كل مكان. وتعجبت، وتساءلت ماذا عساه حدث حتى خرج كل هؤلاء الناس وانتشروا هكذا فى كل مكان؟. وعندما وصلت، ووقعت عيونهم على، نهضوا (ص ١٩٥) وتقدموا إلى، وأخذوا يسمون على واحدا واحدا، ويعانقونى. وسألهم: ماذا حدث؟ ولأى سبب خرجتم؟. فقالوا: أبشر، فعندما أدينا صلاة الفجر قال لنا الشيخ: كل من يريد أن يرى شابا سوف تدين له الدنيا

وينال ثواب الآخرة ، فليخرج ويستقبله في طريق ازجاءه . فخرجنا جميعا لتحتيك . فتأثرت لهذا القول ، وبكيت ، وسرت مع الجمع حتى وصلت إلى الشيخ . وقادوني إليه على هذا النحو ، فعظمته ، وسلمت عليه ، وقبلت يده . فنظر إلى وقال : مرحبا ، بارك الله فيك يا بني ، سوف تسلم إليك سيادة الدنيا ، فاعمل فإن العمل يطلبك . وإن يعود عليك شيء من هذا الطريق الذي تسير فيه ، ولكن سرعان ما يحقق طلبة العلم منك الكثير . ثم قال : هل تعاهدني على أن تعز هذه الطائفة ؟ . فعاهدته على النحو الذي جرى به لفظه المبارك ، أن أكون ترابا لإقدامهم . وأحنى الشيخ رأسه وأنا واقف بين يديه في احترام ، ثم رفعها وقال لي : ألا تزال واقفا يا بني ؟ . قلت ياسيدي الشيخ ، أريد أن أسأل سؤالا . قال : سل . قلت : ياسيدي الشيخ ، هل يوجد لهذا الأمر دليل حتى أعمل على تداركه ؟ . قال الشيخ : أجل فالوقت الذي ينالون فيه مطالبهم منك يكون نهاية عمرك . ثم بكى نظام الملك وقال : أيها الاعزاء ، لقد كان حسن - يقصد نفسه - يعتزم كل يوم منذ أول شهر رمضان أن يحقق مقاصد الجميع ، ويمنحهم الارادات والمعاشات المقررة في كل عام ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يمنحني التوفيق . والآن مضت ثلاثة أيام لم أنهض فيها من هذا المكان ، وأخذت أتعبد وأتضرع إلى الله كل ليلة حتى الصباح ، وأطلب منه تعالى أن يهيني (ص ١٩٦) التوفيق مرة أخرى ، حتى أقضى حاجات الجميع ، وأنا أعلم أن هذا نهاية عمري ، على نحو ما ذكر الشيخ بلفظه المبارك . والآن عندما تؤدون صلاة العيد في الغد ، عليك ياسيد بن محمد أن تأخذ الجميع إلى الخزانة ، وتعرض حاجة كل فرد ، حتى يتحقق للجميع رغباتهم ، وتجدد رسائل الادرار إلى الديوان ؛ فلم يبق لحسن من العمر ما يكفي لأن يصل كل شخص

إلى بلده . قال سيد بن محمد : وفي اليوم التالي أدينا صلاة العيد . ورحل السلطان ، وبقى نظام الملك وأخذت النقود من الخزانة ، وجددت رسائل الارادات . وفي اليوم الرابع ، رحل نظام الملك خاف السلطان . وعندما وصل إلى نهاوند اغتاله الملاحده خذ لهم الله ، وبقى الجميع محرومون من شفقتة رحمة الله عليه .

حكاية :

قال السيد أبو علي الفارمدى قدس الله روحه العزيز : عندما ذهبت إلى خدمة الشيخ أبي القاسم الجرجاني ، وأمرني بالرياضات المختلفة ، وأصبحت مهذبا مؤدبا ، أمرني أن أذهب إلى أبي بكر بن عبد الله الدراوردي ، وبعث بنا نحن الاثنين إلى الشيخ أبي سعيد في ميهنة . ولما وصلنا إليها ، وأدينا السنن والفرائض ، ذهبنا إلى الشيخ . فأمر حسن بن المؤدب أن يحضر أزارا ، وأعطا لي ، وأمرني الشيخ بتنظيف الغبار عن الحائط بهذا الأزار . وأمر أبا بكر بن عبد الله بتنظيف أحذية الدراويش . وبعد أن أقمنا عنده ثلاثة أيام تؤدي هذه الخدمة ، أمرنا في اليوم الرابع بالعودة إلى خدمة الشيخ أبي القاسم . وذهبنا إلى الشيخ أبي القاسم . ومضت مدة على هذا النحو ، ومات كل من الشيخين . (ص ١٩٧) وانكشف لي الأمر ، والتف حولي المريدون ، وصادفت قبولا عظيما ، وذاع صيتي وشهرتي في العالم . ولم يحدث هذا بالنسبة للشيخ أبي بكر ، فلم تنتشر شهرته بين الناس بهذا القدر ، ولم يسر ذكره . وذات يوم قال الشيخ أبو عبد الله : لقد أمر الشيخ أبو سعيد الشيخ أبا علي بإزالة الغبار عن الجدار بالأزار ، لينزيل طوال عمره أزار الكلام غبار المعصية عن جدران قلوب عباد الله ، وأمرني بتنظيف أحذية الدراويش ، لا ظل طيلة عمري في المؤخرة ، لا يعرفني أحد ، أو يذكروني أحد .

حكاية :

كان الأمير مسعود من الأمراء والسلاطين الكبار . ولم يكن هناك من حكام الاطراف من هو أعظم منه . وذات يوم احتاج الشيخ إلى قرض من المال للاتفاق على الدراويش . فأرسل حسن بن المؤدب إلى — الأمير مسعود — يقول له : إرع الدراويش بشيء من المال . ولما ذهب حسن إليه وأبلغه رسالة الشيخ ، لطفه كثيرا وقال له : سوف أريح قلب الشيخ من هذه الناحية . ولما ذهب إليه حسن مرة أخرى قال إنه سوف يدفع . وذهب إليه عدة مرات ، فكان يكرر الوعد ، حتى تجاوز الأمر الحد . فكتب الشيخ هذا البيت على ورقة ، وأعطاهما لحسن ليوصلها إلى مسعود :

« بيت »

إذا لم تنفذ ما وعدتنا به ،
فلن تنجو من يدنا ولو كنت أسدا .

وسلم حسن الورقة إلى مسعود . فلما قرأها غضب وقال : ما هذا ؟ . وطرده حسن من أمامه ، وأعادته خائبا . وجاء حسن إلى الشيخ ، وذكر له ما سمع . وكان من عادة مسعود أن يقتنى كلابا غورية ، تمزق كل من تمسك به في الحال . وكانوا يقيدونها في النهار ، (ص ١٩٨) ويتركونها حول خيمته في الليل . ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب من الخيمة . وحين رجع حسن إلى الشيخ غاضبا ، وذكر له تلك الحكاية ، لم يقل الشيخ شيئا . وفي تلك الليلة ، خطر لمسعود أن يتجول حول خيام خدمه وحشمه ، جريا على عادة الملوك ، يرى ماذا يقولون ، وماذا يفعلون

ونَهَضَ في منتصف الليل، وارتدى قميصاً، وأسدل شعره حتى لا يعرفه أحد. وكان جميع خواصه وغلماؤه وحراسه قد ناموا، فخرج من الخيمة. وولما سار عدة خطوات، رآته الكلاب ولم تعرفه، فجرت خافه، وصاح فتنبه، غلماؤه، وخرجوا من هنا وهناك. ولما اقتربوا منه، كانت الكلام قد مزقته وقضت عليه.

حكاية :

روى الشيخ عبد الصمد بن محمد الصوفي السرخسى مريد الشيخ النخاس هذه الحكاية فقال: كنت قد غبت عن مجلس الشيخ مدة، وأسفت على ما فاتني من الفوائد. وعندما وصلت إلى ميهنه، كان الشيخ يتحدث في أحد المجالس، فلما وقع بصره عليّ قال: يا عبد الصمد لا تأسف فلو أنك غبت عنا عشر سنوات فإننا لا نقول إلا كلمة واحدة. وتلك الكلمة يمكن كتابتها على هذا الظفر — وأشار إلى الأصبع الأكبر من اليد اليمنى — وهي: « ذبح النفس وإلا فلا ». وعندما قال الشيخ هذه الكلمة، صرخت وغبت عن الوعي.

حكاية :

روى أنه جاء وقت في ميهنه لم يتناول الصوفية لحماً لعدة أيام. ولم يكن حسن يستطيع إحضاره، لأن جميع القصابين كانوا يطالبونه بأثمان لحومهم. وذات يوم نهض الشيخ، وسار الجميع في رفقة حتى (ص ١٨٩) خرج من البوابة المؤدية إلى طريق مرو، وأصبح على هضبة زعقل بصحراء مرو. (وقد سبق ذكرها من قبل، فعندما كانت تعترى الشيخ حال من القبض كان يذهب إلى ذلك المكان). ولما اعتلى الشيخ الهضبة، وقف وتريث برهة، وظهر غزال في الصحراء، وظل يتقدم حتى اقترب من الشيخ، وسقط على الأرض. فامتلات عيني الشيخ بالدمع، وأخذ

يردد : لا ينبغي ! . لا ينبغي ! ، والغزال يتمرغ في التراب . والتفت الشيخ إلى الصوفية وقال لهم : هل تعرفون ماذا يقول هذا الغزال ؟ . إنه يقول : أتيت لتجعلنى فدية للدراويش ، فتسعد قلوبهم . وأنا أقول له لا ينبغي ذلك ؛ لأن لك صغاراً ، وهو يلح . ثم بكى الشيخ والصوفية ، وارتفع صياحهم ، وظهرت الأحوال . وظل الغزال يتمرغ في التراب . فأرسله الشيخ إلى حانوت القصاب ، قائلاً لحسن : قل له يذبحه بسكين حاد ، ويسمى عليه ليتم المراد للصوفية هذه الليلة . وذهب حسن وفق إشارة الشيخ ، وأعد الأمر ، وتمتع الدراويش بلحم ذلك الغزال .

حكاية :

قال السيد أبو علي الفاردمدى : فى وقت من الأوقات خرجت من طوس إلى ميهنه مع جمع كبير فى رفقة الشيخ أبى سعيد . وفى الطريق وصلنا إلى جبل . وتقدمت إلينا حية كبيرة ، فحفظنا وهربنا . وتوقف الشيخ على صهوة جواده ، وعندما اقتربت الحية منه ، ترجل . وأخذت الحية تتمرغ فى التراب بين يديه ، وكنت أقرب الجميع إلى الشيخ . ومرت فترة ثم قال لها الشيخ : لقد تجشمت المتاعب فعودى . وعادت الحية واتجهت إلى الجبل . وتقدم الجميع إلى الشيخ وسألوه قائلين : ماهذا أيها الشيخ ؟ (ص ٢٠٠) فقال الشيخ : لقد رافق أحدنا الآخر عدة سنوات فى هذا الجبل ، ورأى كل منا كثيراً من الفتح على يد الآخر . والآن عرفت أننى أمر من هنا ، فجاءت وجددت العهد « حسن العهد من الإيمان » . ثم قال الشيخ : كل من لديه خلق يتحقق له كل شىء بالخلق ، مثل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان طريقه الخلق ، فلا جرم أن ارتدت النار عنه بالخلق .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث يوماً في أحد المجالس ، فنهض درويش وطلب مناً من اللحم . وكان في مجلس الشيخ رجل تركي ، فقال أنا أعطيه له . وعندما أنهى الشيخ المجلس ، تقدم الدرويش إلى الشيخ وعظه ، فقال له الشيخ : أيها الدرويش ، ماذا ستفعل باللحم ؟ . فقال : سأصنع منه حساء (شوربة) (١) فقال الشيخ : لماذا قلت : (شوربه) فأشعلت الفتنة في نفسك ! . وبعد ذلك أعطاه التركي اللحم ، فحمله الدرويش إلى منزله . ورأى رجلاً غريباً يجلس مع زوجته ، ففقد صوابه ، ولم يستطع أن يمالك نفسه ، واستقل سكيناً ، وقتل الرجل والمرأة في الحال ، وترك اللحم ، وفر هارباً .

حكاية :

رأيت مكتوباً بخط الإمام مالك رحمه الله عليه . جاء فيه : اعترت سيدة حال في مجلس الشيخ ، فألقت بنفسها من سطح مرتفع . وأشار الشيخ ، فبقيت معلقة في الهواء . ومدت النسوة أيديهن وجذبنها إلى السطح ، ونظرن فوجدن أن ذيلها تعلق في مسمار صغير .

حكاية :

رأيت بخط أشرف بن أبي اليمان رحمه الله عليه أنه كان هناك صديقان من منكرى الشيخ ، أحدهما خياط والآخر نساج . وكانا عندما يلتقيان ، يقولان إن أمر (ص ٢٠١) هذا الشيخ لا يعتمد على أصل . وذات يوم قال أحدهما للآخر : إن هذا الرجل يدعى الكرامة ، فلنذهب إليه نحن الاثنين ، فإذا عرف عمل كل منا

(١) د شرر ، فتنه ، اضطراب

عرفنا أنه على حق ، وأن ما يفعله يعتمد على أصل . ثم ذهبنا إلى الشيخ : وعندما وقع بصره عليهما قال :

« يلت »

لقد كتب القدر على هذين الرجلين ،

أن يكون أحدهما خياطاً والآخر ناسجاً

ثم أشار إلى الخياط قائلاً : هذا لا يخيط إلا قباء الملوك ، وأشار إلى الناسج وقال : وهذا لا ينسج إلا « الكليم » الأسود . وعندما سمع الرجلان ذلك تملكهما الخجل ، وتابا عن انكارهما .

حكاية :

قال السيد عماد الدين محمد بن العباس رحمه الله : كنت في السابعة من عمري عندما سمعت والدي يقول : قالت السيدة « ماهك » ابنة السيد حمويه رئيس ميهنه : كان الشيخ أبوسعيد يتحدث يوماً في مجلس ميهنه . وكان في ذلك اليوم يرتدي عباءة حمراء وعبامة بيضاء ، وقد احمر وجهه وهو يتحدث . فأخذت أنظر إليه وأنا أقول لنفسى إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق فى الدنيا شخصاً مثل الشيخ . وعندما جال هذا بخاطرى ، التفت الشيخ إلى وقال : تنبهى لما تفكرين فيه ، وإذا أردت أن تعرفى فانظرى لبرى ، وأشار إلى تلك الشجرة التى تقع على باب روضته المقدسة . فنظرت ورأيت شاباً يقف تحت الشجرة ، أسوداً ، ضامراً ، هزيلًا على عكس صورة الشيخ . وكان ينظر إلى الشيخ جيداً ، وينصت إلى أقواله ، فنظرت إليه وأنا أقول لنفسى : أى مكانة لهذا الشاب حتى يشير الشيخ إليه ؟ . وأخذت

أفكر في هذا . فقال الشيخ : تنبهي وعودي إلى رشديك . فتنبعت . وقال الشيخ :
إن ذلك الذي ترينه شعرة واحدة منه أعز على الله من الدنيا والآخرة ، فلا يغرنك
اللوث .

حكاية :

قال السيد الإمام عماد الدين محمد أيضاً : في يوم من الأيام كان الشيخ
أبوسعيد يتحدث في مجلس . فدخل السيد الإمام حسن السمرقندي ، وسمع كلام
الشيخ ، وقال لنفسه : أي كلام هذا الذي يقوله الشيخ ؟ . فالتفت الشيخ إليه في
الحال وقال : لقد قرأت الصحيح خمس عشرة مرة ، فما هو آخر خبر قرأته في
الصحيح ؟ . وكان السيد الإمام حسن قد قرأ الصحيح خمس عشرة مرة ، ولكنه
رغم إطالة التفكير ، عجز عن أن يتذكر ذلك الخبر . فقال الشيخ : « كلمتان
خفيفتان على اللسان ، ثقيتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن » سبحان الله وبحمده ،
سبحان الله العظيم » ، فحجل السيد الإمام ، وانهارت كبرياؤه . وعندما خرج قال :
لقد حفظت الصحيح خمس عشرة مرة ، وقرأته مرارا ، ولكنني حاولت كثيراً فلم
أستطع أن أتذكر هذا الخبر .

حكاية :

قال السيد عماد الدين محمد أيضاً : سمعت جدي الأستاذ أبا بكر النوقاني يقول
في يوم من الأيام كان الشيخ أبوسعيد والسيد حمويه وأنا جالسين في مسجد
الشيخ في ميهنة . فدخل شاب من الأتراك وسأل : من كبير ميهنة ؟ . فأشار الشيخ
إلى السيد حمويه ، فقال له الشاب : اعرض علي الإسلام . فقال السيد حمويه

للشيخ : اعرض عليه الاسلام . وقلت أنا : لاتتمهلوا وحرروه من قيده . فقال لي
الشيخ : اعرض عليه الإسلام أنت . فعرضته عليه ، وأسلم الشاب . وسألته ماذا حدث
لك ؟ . فقال : لقد كنا أخوين ذاهبين إلى تاجر في طبرستان ، ورأيت في نومي
هاتفا يقول لي : انهض واذهب إلى ميهنه ، وأسلم على يد كبيرها . فاستيقظت
وأخذت أفكر في هذا الكلام . وراق الإسلام قلبي ، (ص ٢٠٣) وظهر لي أن
ذلك الحلم كان حقيقة ، فقلت لأخي : أنت أدري بالمال . وتركت الجميع وسرت
وجئت إليكم ، وأسلمت على هذا النحو . فالتفت الشيخ إلى وقال : لقد حسبنا في
عداد العلماء ، وغرامة ذلك أن تعلمه قدرا من القرآن لتصح صلاته . فعلمت الشاب
حتى سورة « الضحى » . ولما عاد السيد حمويه إلى منزله ، أرسل كل ما كان
يلبسه من الملابس ، من عمامة ودراعة وقميص وإزار وحزام وحذاء وجورب ، إلى
الشيخ قائلا : انفق هذه من أجل تطهير الشاب . وأمر الشيخ حسن بن المؤدب
ببيعها ، وإقامة مأدبة للدراويش ، وطهروا ذلك الشاب ، وأصبح من خيرة الرجال .

حكاية :

قال السيد عبد الكريم خادم الشيخ الخصاص . كان أحد الدراويش قد
استوقفني لأكتب له بعض حكايات الشيخ .. فأقبل شخص وقال لي : إن الشيخ
يدعوك . فذهبت إليه . ولما اقتربت منه سألتني : ماذا كنت تفعل ؟ . فقلت : لقد
طلب مني أحد الدراويش بعض حكايات الشيخ ، فكنت أكتبها له . فقال الشيخ :
يا عبد الكريم ، لاتكن كاتباً للحكايات ، ولكن كن بحيث يحكون
الحكايات عنك .

وفي هذا الكلام غدة فوائد ، أولا : أن الشيخ أدرك بفراسته ماذا كان

يُفعل السيد عبد الكريم . ثانياً : كيف يكون تأديبه له . ثالثاً : أنه لم يرغب في أن يكتب حكايات كراماته فيحملونها إلى أطراف العالم ويصبح مشهوراً على نحو ما ذكرت في بداية الكتاب من أن الشيوخ كانوا يخفون أحوالهم .

حكاية :

كان في قرية ازجاه درويش يدعى حمزة السكان . وكان مريداً للشيخ ، يحضر إلى ميهنه في كل يوم يعقد فيه الشيخ مجلساً ، ثم يعود عندما ينهى الشيخ المجلس ، ماعدا يوم الخميس ، إذ كان عندما ينتهى المجلس يظل في ميهنه حتى يوم الجمعة ويمضى اليوم في خدمة الشيخ ، ويعود بعد أن يؤدي الشيخ صلاة (ص ٢٠٤) الجمعة ، وكان حمزة هذا رجلاً طيباً ، حياً ، وإن كان يبدو جباناً . وفي ذلك الوقت كان لجماعة الصوفية زاوية في مسجد دار الشيخ ، يقيمون بها . وذات يوم جاء حمزة هذا عند الظهر ، ودخل المسجد ، وأحدث ضجة ، وفتح باب المسجد في خشونة كبيرة ، بحيث تألم الدراويش جميعاً واضطربوا . وكان الشيخ قد اطعم على هذا الأمر ، فخرج من صومعته ، ولم يكن من عادته أن يخرج في مثل هذا الوقت ، وشمل الاضطراب الجميع ، وشكوا حمزة إلى الشيخ قائلين إنه تسبب في إفلاقهم . فأمرهم الشيخ باستدعائه . وكان قد ذهب إلى السوق ، فذهبوا إليه وأحضره . وقال له الشيخ : يا حمزة ، إن الدراويش يشكون منك ، فأنت تبدد أوقاتهم ، ولا تتمسك بالعقل . فبم تجيب ؟ . فقال حمزة : أيها الشيخ ، ماداموا لا يستطيعون تحمل متاعب حمزة فلينزعوا ثياب الجمالين ، لأن ثياب الجمالين هذه إنما هي من أجل من يتحملون . فتمسكت الشيخ حال من البسط ، وصرخ قائلاً : قل ذلك ثانية يا حمزة . فكرر حمزة قوله . فصاح الشيخ مرة أخرى وقال : قل مرة أخرى

فقال حمزة ، وصرخ الشيخ ، وأمر بإحضار السكر . فأحضر حسن طبقاً من السكر
ووضعه أمام الشيخ ، فأخذ ينثره بيده المباركة على رأس حمزة ، وهو يصيح قائلاً :
« من لم يطق احتمال الأذى فعليه أن ينزع ثوب الجمالين » .

حكاية :

روى أنه عندما جاء الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز إلى ناحية
« باورد » أراد أن يمر من هناك . وكان في باورد لص قد تاب ، فجاء إلى الشيخ
وقال له : أيها الشيخ : ماذا يحدث لو أنك أقمت في باورد بضعة أيام ، ليطمئن
الناس إليك . فقبل الشيخ ، وأقام هناك ثلاثة أيام (ص ٢٠٥) . وكان هذا العريف
يعطى حسن ديناراً كل يوم ويقول له أنفقه على طعام الدراويش . وكان حسن
ينفق الدينار والدراويش يعترضون على ذلك ، ويقول كل منهم قولاً ، ويتساءلون
أهو مال حلال ؟ . وكان الشيخ كعادته لا يقول شيئاً . وبعد مضي ثلاثة أيام عزم
الشيخ على الرحيل وقال أمام الجميع : أين العريف ؟ نادوه . ففعلوا . وعندما دخل
الرجل سأله الشيخ : من أين كانت النقود التي أنفقتها على طعام الدراويش ؟ .
فأجاب : كان قد بقي لي من ميراث جدتي قلادة بها ثلاث حبات من الذهب ،
وقد وصلت إلى عن طريق الميراث الحلال . وكنت اتفق كل يوم حبة من هذه
الحبات . وقد نفذت الحبات اليوم ، وعزم الشيخ على الرحيل . ولما سمع الناس
كلامه ، زال شكهم ، وازداد اعتقادهم في الشيخ .

حكاية :

كان للسيد الإمام أبي عاصم العياضي ولدان . فقال له أخوه أبو نصر العياضي

أرسلهما إلى الشيخ — يقصد أبا سعيد — ليأمرنا بالبركة ، ويدعوا لهما . فذهبا إليه .
ولما اقتربا من الشيخ ، ووقع بصره عليهما ، قال من بعيد : « وصل ، وفهمت ، أنبتهما
الله نباتا حسنا » .

* * *

اعلم أن حكايات كرامات الشيخ أكثر من أن (ص ٢٠٦) يحتملها هذا
الكتاب . ولما كنا قد اشترطنا على أنفسنا الإيجاز والاختصار ، فقد اقتصرنا
على هذا القدر ، بعد أن بذلنا في تصحيح الأسانيد وصدق الرواية أقصى ما يمكن
أن نبذله من الجهود ، وقمنا بأدق الاحتياط والاستقصاء . وكل ما يذكر أكثر
من هذا ، يخرج بنا عن حد الاختصار ، وينتهي إلى السأم والملل . وإذا طالع شخص
عشر هذا المقدار ، طلباً للفائدة ، فسوف يتم مقصوده .

أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في الاستماع إلى الحق ، وأن يكرمنا
بالصدق ، وأن يبقى يركة أنفاس ذلك العظيم وأوقاته وأحواله حتى قيام الساعة ،
بحق محمد وعترته الطاهرين .

الفصل الثاني

في الحكايات التي تتأتى منها فائدة ، وبعض حكايات الشيوخ التي جرت
على لفظ الشيخ المبارك من أجل الفائدة

حكاية :

روى أن الشيخ أباسعيد قدس الله روحه العزيز كان في دورة المياه يوما .
وعندما كان مشغولا بالاستبراء، دعا حسن بن المؤدب ، وقال له : تعال ، واخلع غني
هذا الثوب ، وهيء بعض الجلوى للدراويش . فذهب حسن وفق إشارة الشيخ ،
وقال له : أيها الشيخ ، ماذا كان يحدث لو أنك تريثت حتى تفرغ من الوضوء ؟
فقال الشيخ : لا يجب أن يقطع الشيطان الطريق .

وقد أظهر الشيخ له بهذه المسألة الدقيقة أنه إذا خطر له خاطر من عند الله
بفعل شيء فإنه ينبغي التعجيل فيه .

ولا تغتر بحياتك ؛ لأن المشايخ الكبار، مع ما تهيا لهم من الكشف ، والأنبياء
مع كل أحوالهم، لم يكونوا في مأمن من مكر الشيطان . قال تعالى : « وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته » .

حكاية :

كان في عهد الشيخ قدس الله روحه العزيز درويش يقوم بكل المهام الخشنة ، وأينما وجد عمل شاق قام به . وفي وقت من الأوقات كان يزيل الوحل ، وكانت يداه ورجلاه مלוثة به ، فخرج من عمله على هذا الحال ، وجاء إلى الشيخ ، وقال له : أيها الشيخ ، إنني لا أستطيع أن أقوم بكل هذه الأعمال الشاقة من أجل الله ، (ص ٢٠٨) وإنما أطمع في أن يرثي الشيخ عليّ ، ويشجعني بشئائه . فسر الشيخ من صدق الدرويش وقال له : سأفعل هكذا . وبعد ذلك أخذ الشيخ كلما رأى الدرويش يقوم بعمل أثني عليه . وكان — الدرويش — يسرب ذلك الثناء ، ويستمد منه القوة .

حكاية :

عندما كان الشيخ في طوس ، كان قد جلس يوما مع السيد الإمام أبي الحسن الرواقى ، وأخذا يتحدثان . وكانت هناك مشكلة اعترضت الشيخ ، فتحدثا فيها ، حتى حل إشكال الشيخ . وقال الشيخ : إن الله يهيء لنا الأمور . ثم قال : « الحمد لله رب العالمين » . وسأله السيد أبو الحسن الرواقى : أيها الشيخ ، إذن فهو الله الذى يهيء أمورنا ؟ . فقال الشيخ : لا ولكن تدخلوا في أعمالكم ، وقولوا لقد فعلت كذا ، وسأفعل كذا ، وينبغي أن أفعل كذا ، والله يهيء لكم الأمر . قولوا هانحن أولاء ؛ وإن كان لادخل لنا في عملنا .

حكاية :

كان السيد الإمام المظفر حمدان يقول في نوقان يوما : أنا والشيخ أبوسعيد مثل مكيال من الذرة ، الشيخ أبوسعيد حبة منه ، والباقي أنا . وكان أحد مريدى

الشيخ أبي سعيد في ذلك المكان ، فلما سمع هذا القول ، أخذه الحماس ، ونهض وأسرع إلى الشيخ ، وأخبره بما سمع من السيد الإمام المظفر . فقال له الشيخ : اذهب وقل للسيد الإمام المظفر إنه هو تلك الحبة أيضاً ، أما أنا فاست شيئاً .

حكاية :

كان الشيخ أبوسعيد قدس الله روحه العزيز في طوس ، وعندما عزم على الرحيل ، خرج معه الأستاذ أبو بكر لوداعه . وحاول الشيخ كثيراً أن يعيده ، فلم يستجب له . وقال له الشيخ : يجب أن تعود . فقال الأستاذ : أيها الشيخ ، لن أعود دون أن (ص ٢٠٩) تدلني على الطريق . فقال الشيخ : انهض من طريق التدبير ، واجلس في طريق التقدير :

حكاية :

توفي للشيخ ابن صغير ، وكان الشيخ يحبه كثيراً . وعندما حملوه إلى المقبرة ، وضعه الشيخ في القبر بيده . ولما خرج من القبر ، انهمر الدمع من عينيه ، وأخذ يقول لنفسه هذا الشعر بصوت منخفض :

(شعر)

— ينبغي أن ترى الشر وتخليه خيراً ،
وأن تتجرع السم وتخليه شهيداً .
— ولقد صنعت لجأماً ، ولم أكن أعرف ،
انه سوف يصبح أقوى بال جذب .

ثم توفي للشيخ ابن صغير آخر فقال : لقد طلب منا أهل الجنة تذكارات ، فأرسلنا لهم نفحتين من عطرنا حتى نصل .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، قال يوماً : ينبغي إعداد الجواد ، فأعد .
وخرج الشيخ ، وفي رفقة عدد كبير من الصوفية ، ووصلوا إلى قرية على باب نيسابور .
وسأل الشيخ : ماذا يسمون هذه القرية ؟ قالوا «باب الحبيب» . فنزل الشيخ بها ،
وأمضى اليوم فيها مع الجماعة . وفي اليوم التالي سأله الصوفية : أيها الشيخ : هل
نرحل ؟ فقال : إن الشخص يسير طويلاً ليصل إلى باب الحبيب ، ومادامنا قد
وصلنا إلى هنا فإلى أين نذهب ؟ وأقام في ذلك المكان أربعين يوماً ، وظهرت
كثير من الكرامات ، وتاب أكثر أهل القرية على يد الشيخ ، وأصبحوا من
مريديه ، وجاءوا إلى نيسابور في رفقة .

حكاية :

كان الشيخ أبوسعيد قد احتجم يوماً ، فقال لحسن : يا حسن ، كيف تراني ؟
فقال حسن هذا البيت :

— عندما يحتجم الناس تسيل منهم الدماء ،

وعندما تحتجم أنت يسيل منك العشق .

وقال الشيخ للفصاح : امسك يدي واربطها . وربطوا يد الشيخ ولم تنزف
ثانية .

حكاية :

كان الشيخ أبوسعيد يتحدث يوماً في مجلس ، فدخل السيد أبوعلى بن
سينا من باب الخانقاه . ولم يكن أحدهما قد رأى الآخر قبل هذا (ص ٢١٠)
ولو أنه حدث بينهما مكاتبات . وعندما دخل أبوعلى من الباب ، التفت إليه

الشيخ وقال : لقد جاء حكيم . ودخل السيد أبو علي وجلس ، واستمر الشيخ في الحديث ، وأنهى المجلس ، وذهب إلى المنزل . وذهب معه أبو علي بن سينا ، وأغلقا الباب عليهما ، واختليا معا ثلاثة أيام وليال ، وتحدثا أحاديث لم يعرفها أحد ، ولم يدخل عليهما إلا من سمحا له ، ولم يخرجوا إلا لصلاة الجماعة .

وبعد ثلاثة أيام رحل السيد أبو علي بن سينا . وسأله تلاميذه : كيف وجدت الشيخ ؟ . فقال : إنه يرى كل ما أعرف . وسأل مريدو الشيخ الشيخ قائلين : أيها الشيخ : كيف وجدت أنا علي ؟ . فقال : إنه يعرف كل ما أرى .

وقد مال أبو علي إلى شيخنا ، وكان يأتي إليه كثيرا ، ويرى كراماته . وذات يوم دخل من باب دار الشيخ ، وكان الشيخ قد أمر بإعداد الجواد لزيارة « اندرزن » وهو موضع بجوار نيسابور ، يقع على الجبل ، حيث كان يوجد غار إبراهيم وصومعته ، فقال الشيخ : إننا نعزم القيام بزيارة . فقال أبو علي : سنسير في محبتك . وسارا ومعهما جمع كبير من الصوفية ، ومريدي الشيخ ، وتلاميذ أبي علي . ووجدوا في الطريق الذي كانا يسيران فيه نائيا ملقى على الأرض فقال الشيخ : ارفعوا هذا الناي . فرفعوه ، وأعطوه له . وأمسك الشيخ بالناي ، ووصلوا إلى مكان به حبر صلد ، فوضع الشيخ الناي على ذلك الحجر ، وثبته فيه . وعندما رأى أبو علي ذلك ، سقط على أقدام الشيخ ولم يعلم أحد . ماذا كان يحول بضمير أبي علي حتى أبدى له الشيخ هذه الكرامة . (ص ٢١١) .

أما السيد أبو علي فقد أصبح مريداً للشيخ هكذا ، بحيث لم تكن تمضي أيام قلائل حتى يأتي لزيارته . وبعد ذلك كان يورد في كل كتاب يؤلفه في علم الحكمة فصلا وافيا في إثبات كرامات الأولياء ، وحالات المتصوفة . وألف ، كما هو معروف ، مؤلفات منفردة في بيان مراتبهم ، وكيفية سلوك جادة الطريقة والحقيقة .

حكاية :

عندما أصبح السيد حسن بن المؤدب مريدا للشيخ واقطع لخدمته في نيسابور ، بذل كل ما كان يملك من مال في سبيل الشيخ . وكلفه الشيخ بخدمة الدراويش ، وأخذ يتعهد بالتربية ، ويأمره بممارسة الرياضة ، ويحثه على تأدية شروط هذا الطريق . وفي ذلك الوقت كان قد بقي في باطن السيد حسن شيء من حب السيادة . وذات يوم ناداه الشيخ وقال له : يا حسن ، ينبغي أن تأخذ مخلاة ، وتذهب إلى سوق الكرمانيين ، وتشتري ما تجده من الكرش والكبد ، وتضعه في المخلاة . وتحمله على ظهرك ، وتحضره إلى الخانقاه .

وأخذ حسن المخلاة ، وذهب وفق إشارة الشيخ ، وكان هذا الأمر شديدا عليه ، وذهب مضطرا إلى سوق الكرمانيين ، واشترى كل ما وجد من الكرش والكبد ، ووضعها في المخلاة ، وحملها على ظهره ، وأخذت الدماء والأقذار تسيل عليه . وكان يشعر بالحجل من أن يراه على هذه الحال الناس الذين كانوا يرونه إلى عهد قريب بالملابس الفاخرة ؛ فقد كان من الصعب عليه أن يتخلى عن سيادته . وهذه طبيعة الناس جميعا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة » . وكان هدف الشيخ من هذا الأمر أن يخرج من رأسه ما بقي من السيادة وحب الجاه .

ولما حمل حسن المخلاة ، وأحضرها على هذا النحو من (ص ٢١٢) سوق الكرمانيين إلى خانقاه الشيخ في محلة عدني كوبان - وكانت في النصف الأيمن لسوق نيسابور - ودخل من باب الخانقاه ، ووقف أمام الشيخ ؛ أمره الشيخ بأن يحملها إلى بوابة الحيرة ، ويغسلها ، ويطهرها ، ويعيدها . وكانت - بوابة الحيرة - في النصف الأيسر لسوق المدينة . وذهب حسن إلى بوابة الحيرة على هذا النحو ونظف تلك

الأجزاء وأعادها . ولما دخل الخانقاه ، لم يكن قد بقي فيه من السيادة وحسب الجاه شيء . فدخل على الشيخ حرا مسرورا . فقال له الشيخ ينبغي الآن أن تحمل هذه إلى المطبخ ، لتكون طعاما للصوفية الليلة . فحماها حسن ، وأعد كل شيء ، وانهمك الطباخ في إعدادها . وأدرك الشيخ أن حسن تحمل مشقة كبيرة في تلك الرياضة ، فناده وقال له : ينبغي لك الآن أن تغتسل ، وترتدى ملابس نظيفة كعادتك ، وتذهب إلى سوق الكرمانيين ، ثم تذهب من هناك إلى بوابة الحيرة ، وتسأل جميع من بالسوق عما إذا كانوا قد رأوا شخصا يحمل مخلاة على ظهره . فذهب حسن وفق إشارة الشيخ ، وأخذ يسأل كل حانوت في السوق من أوله إلى آخره . ولم يقل له أحد لقد رأيت هذا الشخص ، أو لقد كان ذلك الشخص أنت . ولما رجع حسن عند الشيخ قال له : يا حسن ، إنك أنت الذي كنت ترى نفسك ؛ وإلا لما كانت لأحد القدرة على رؤيتك . ونفسك هي التي كنت تضعها في عينيك ، ويجب عليك أن تقهرها وتسحقها سحقاً ؛ لأنك لن تتخلص منها ما لم تحطمها . وعليك أن تشغها بالله ، فلم تعد لها طاقة على نفسها ، أو على الناس . وعندما شاهد حسن تلك الحال ، تخلص من قيد الظن وحب السيادة ، وتحرر من هذا كله . وقام الطاهي بطهي الكرش والكبد . وأعدت المائدة في تلك الليلة ، وجلس عليها الشيخ والصوفية . وقال الشيخ : أيها الأصدقاء ، كلوا فأنتم اليوم تأكلون سيادة حسن .

حكاية :

(ص ٢١٣) جاء شخص إلى الشيخ يوما وقال له : أيها الشيخ ، لقد جئت لتطلعني على شيء من أسرار الله . فقال له الشيخ : عد غداً . فرجع الرجل . وفي

ذلك اليوم كان الشيخ قد أمر فأمسكوا فأرأ، ووضعوه في صندوق صغير، وأحكموا غطاءه . ولما عاد الرجل في اليوم التالي قال : أيها الشيخ ، حدثني بما وعدتني به . فأمر الشيخ بأن يعطوه ذلك الصندوق ، وقال له : حذار ، ولا تفتح هذا الصندوق . فأخذ الرجل الصندوق ، وعاد إلى منزله . وتمسكته الرغبة في أن يعرف أى سر في هذا الصندوق ؟ . ومهما حاول أن يمنع نفسه لم يستطع الصبر . وفتح غطاء الصندوق فقفز الفأر وهرب . وجاء الرجل إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ ، لقد طلبت منك مرأ من أسرار الله تعالى فاعطيني فأرأ . فقال الشيخ : أيها الدرويش ، لقد أعطيتك فأر فلم تستطع أن تخفيه ، فكيف تخفى سر الله الذي أحدثك به ؟ .

حكاية :

كان الشيخ قدس الله روحه العزيز يدعو كل مريد أن يؤهل ليكون من جملة تلاميذه ويقول له : افعل ثلاثة أمور ، الأول : حافظ على كل ما يحضره هذا السيد إلى الدار من الغلة واللوازم ، ولا تتصرف فيها على نحو ما تفعله النساء مع الغزال والنساج دون أمر أزواجهن ؛ لأن البركة تزول بسبب ذلك . والثاني : لا تترك بيت العنكبوت في الدار ؛ لأن الشيطان يستوطن فيه ، وجلساؤنا ليسوا من جلساء الشيطان . والثالث : كل طعام تنوى طهيه ، وكل شيء تضعه في القدر ، سواء كان من اللحم أو الحبوب ، اغسله أولاً بالماء ثم ضعه . وتذكر هذه الأمور الثلاثة لكي توفق .

حكاية :

في وقت من الأوقات كان الشيخ يتوضأ . وأرسل درويشا ليحضر المساء ، فتأخر الدرويش . وأخذت جماعة الدراويش يعترضون على ذلك التأخير وينكرونه

(ص ٢١٤) قائلين : إن الطريق قريب فلماذا تأخر ؟ . وكان الشيخ يرى شكهم ، فلما رجع الدرويش قال لهم : إن الماء الذي يلزم لوضوئي لم يكن قد خرج بعد من العين ، وكان هذا الدرويش ينتظر خروجه ، فلما خرج ، أخذه وأحضره ، فلا تشكوا .

حكاية :

كان السيد الإمام أبو بكر الصابوني زميلاً للشيخ في مدرسة مرو . وعندما بلغ الشيخ تلك الدرجة التي بلغها ، جاءه السيد الإمام أبو بكر وقال له : أيها الشيخ ، لقد كنا زميلين في مدرسة واحدة ، وتعلمنا معاً ، فأوصلك الله تعالى إلى هذه الدرجة العظيمة ، وبقيت أنا هكذا في العلم ، فما سبب ذلك ؟ . فقال الشيخ : هل تذكر اليوم «الفلاذني» الذي أُملي علينا فيه الاستاذ ذلك الحديث «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» وكتبناه نحن الاثنين ، ماذا صنعت به عندما ذهبت إلى المنزل ؟ . فقال : حفظته وانشغلت بأمر آخر . فقال الشيخ : إنني لم أفعل هذا ، فعندما ذهبت إلى المنزل ، انتزعت من أمامي كل مالي منه بد ، وأبعدته عن فكري ، أما ما لم يكن منه بد ، فقد أخذت به ، وأسلمت فكري إليه . وذلك هو ما أمر به الحق ؛ فقد ورد في الخبر « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . أنا بذك اللازم فالزم بذك . لا إله إلا الله فاتخذوه وكيلاً » .

حكاية :

سئل الشيخ : من أظرف شخص في سرخس ؟ . فقال : أظرف شخص في مدينتكم هو لقمان . فقالوا : أيها الشيخ ، لا يوجد في مدينتنا من هو أكثر منه

اضطرابا وقذارة . فقال الشيخ : لقد أخطأتم، إن الظريف يكون طاهرا . والطاهر هو الشيء الذى لاصلة بينه وبين أى شيء آخر . ولا يوجد من هو أكثر انقطاعا ولا طهارة من لقمان (ص ٢١٥) لأنه ليس له علاقة بشيء قط .

حكاية :

قيل للشيخ: إن فلانا يسير على الماء. فقال: هذا أمر سهل، فالخفاف والصعوبة يسيران أيضا على الماء . وقيل له : إن فلانا يطير فى الهواء. فقال: إن الغراب والبعوضة يطيران أيضا فى الهواء . وقيل له : إن فلانا ينتقل من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة . فقال: إن الشيطان أيضا ينتقل من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة، ومثل هذه الأشياء لا قيمة لها. إنما الرجل (الذى يكون جديرا بهذا الأسم) هو الذى يعيش بين الناس، ويقوم وينام ويتعامل معهم، ويختلط بهم، ولا يغفل لحظة واحدة عن ذكر الله .

حكاية :

فى يوم من الأيام كان المؤذن يؤذن لصلاة الفجر ويدعو للصلاة، وقد أوشك الوقت أن ينتهى والشيخ لم يخرج من داره، وذهب المؤذن إلى باب الشيخ، وأذّن عدة مرات حتى إنتهى الوقت . فخرج الشيخ ، وأقام المؤذن الصلاة ، وقضيت الصلاة . وجلس الشيخ ، وسأله الشيوخ والدراويش قائلين : أيها الشيخ ، ماذا حدث حتى أنك خرجت متأخرا اليوم ؟ فقال الشيخ : لقد أمسكت الدنيا بأذيالى وأخذت تقول لى إن لكل شيء نصيبا منك ، وينبغى أن يكون لى أنا أيضا نصيب . واجتهدت كثيرا فى الخلاص منها والحمت عليها فلم تتركنى . وعندما أوشك وقت الصلاة أن ينتهى، شغلتها بمفضل حتى ترك أذيالى . وبعد ذلك أقبلت الدنيا على السيد مفضل وأولاده ، ولم يكن لأحد من أبناء الشيخ نصيب من الدنيا

سوى الكفاف ، باستثناء أبناء السيد المفضل ، فقد كانوا جميعا ذوى مآل وزورة .
وكان أكثر أبناء الشيخ إهتماما بالدنيا هم أبناء السيد مفضل .

حكاية :

(ص ٢١٦) ذهب الشيخ أبو سعيد إلى طوس مرة ، فطلب أهلها منه أن يعظ ، فأجابهم إلى طلبهم . وفي وقت الفجر ، وضعوا منصة في خانقة لأستاذ ، وأخذ الناس يتوافدون ويجلسون . وعندما إعتلى الشيخ المنصة ، وقرأ المقرئون القرآن ، تكاثرت الناس بحيث لم يعد هناك مكان لأحد ، فنهض المعرف وقال : غفر الله لكل من يتحرك من مكانه خطوة . فقال الشيخ : « وصلى الله على محمد وآله أجمعين » . ومسح وجهه بيديه وقال : لقد قال كل ما كنت أرغب قوله ، ومآله جميع الرسل ، فقد قال « غفر الله لكل شخص يتحرك من مكانه خطوة » . ونزل الشيخ عن المنصة ، ولم يقل أكثر من هذا في ذلك اليوم .

حكاية :

قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : لقد تكلم مائة من الشيوخ في التصوف ، فقال أولهم مآله آخرهم . وإذا كانت العبارات قد إختلفت ، إلا أن المعنى واحد . وهو . « التصوف ترك التكلف » . وليس هناك تكلف أكثر من نفسك ، فعند ما تشغل بنفسك تعجز عنه .

وقال الشيخ : قال الشيوخ والمرشدون : كل ما يليق للناس لا يليق لله ، وكل ما يليق لله لا يليق للناس .

وكان الشيخ يقرأ القرآن يوما فلما إنتهى الوقت ، أخذ يقرأ كل آية من آيات الرحمة ، ويترك كل آية من آيات العذاب . فقال له شخص : أيها الشيخ ، ليس هذا نظام القرآن . فقال الشيخ :

(شعر)

— أعطى الخمر أيها الساقى ، وأنت أيها المطرب اعزف على العود ،
كى أشرب الخمر اليوم فقد حان وقت الطرب والسرور .
— ولقد تهيأت لنا الخمر والمال والحسان الجميلات ،
ولا توجد هنا آلام ولا احزان ، وإذا وجدت فهى من نصيب الأعداء .
ثم قال : إن البشرى والمغفرة كلها من نصيبى ، أما العذاب فمن نصيبهم .
فماذا أصنع والعيب عيهم وظهر الشك على أحد الدراويش ، فقال الشيخ : « ذلك
رغم أنف أبى الدرداء » . وقد ردد الشيخ هذا القول كثيرا .
* قال الشيخ : قال الشيخ أبو بكر الواسطى : (ص ٢١٧) « تعلق الخلق
بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون » .

* وقال الشيخ : طلب سائل من شيخ أن يعظه ، فقال له : كل شىء من العلا
إلى الثرى ذرة فى قدرته ، وكل علم لا يصل إلى ذرة من وجود الله ، والكلام
فى الشىء الذى هو ليس بشىء محال ؛ لأن العبارة لاتصل اليه .

* قال الشيخ : وقيل لذلك الشيخ مرة أخرى : حدثنا . فقال : « ماسوى الله
فليس له حقيقة فماذا نُكَلِّم » .

* قال الشيخ : قال سهل بن عبد الله : قبيح لمن يلبس الخرقة وهم الأرزاق
فى قلبه . فهو لا يعرف أن « أرزاق العباد على الله لا يقوم بها إلا فضله » .

* قال الشيخ : كنت عند أبى العباس القصاب فى طبرستان ، وكان كلما جاء إليه
الدراويش وطلبوا إليه أن يتمنى لكل منهم أمنية يقول : يا الهى ... يلزم لكل
شخص أمنية ، وليس لى أمنية . ولكل شخص وجود ، ولا يلزم لى وجود ، وإنما
يلزم لى الفناء .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد يتحدث يوما في مجلس في نيسابور ، وعندما إندمج في الحديث ، قال في وسط كلامه : « ليس في الجبة سوى الله » . وأشار بأصبعه إلى الجبة التي كان يرتديها ، فخرج أصبعه منها حيث مس صدره المبارك . وقد حدث ذلك في حضور كثير من الشيوخ مثل أبي محمد الجويني ، والأستاذ الأمام أبي القاسم القشيري ، والأستاذ إسماعيل الصابوني ، وكثير من كبار الشيوخ الآخرين . ولم يعترض واحد منهم على هذا القول ، وتملك الجميع حال من الوجد ، حتى أنهم غابوا عن أنفسهم . وخام جميع الشيوخ الخرق مثل الشيخ ، ووضعوها في وسط المكان . وعندما أنهى الشيخ حديثه ، ونزل عن المنبر ، مزقوا جبة الشيخ ، وخرق (ص ٢١٧) جميع الشيوخ . واتفق الشيوخ جميعا على ألا يمزقوا مقدار الذراع من الكرباس الذي يحمل علامة أصبع الشيخ ، وأن يحتفظوا به ، لكي يزوروه في كل وقت يفتدون فيه على هذا المكان ، أو يرحلون عنه .

وبقي ذلك - الذراع - في حوزة السيد الشيخ أبي الفتح وأبنائه . وكان الناس الذين يجيئون إلى ميهنه من جميع أنحاء العالم لزيارة الشيخ ، عندما ينتهون من زيارة قبره المقدس ، يزورون تلك القطعة مع غيرها من آثار الشيخ ، ويرون أثر ذلك الأصبع . وقد ظلت في مكانها حتى فترة غارة الغز ، ثم ضاعت مع الآثار المباركة الأخرى .

حكاية :

كان في نيسابور درويش يقال له « حمزة التراب » لكثرة تواضعه . وذات يوم كتب رقعة إلى الشيخ ، ووقعها ، لشدة تواضعه بكلمة : « تراب القدم » . فكتب الشيخ هذا البيت على ظهر الرقعة وأرسلها إليه :

« بيت »

— إذا كنت قد صرت ترابا ، فقد أصبحت ترابا لثرابك ،
وعندما أصبحت ترابا لثرابك ، أصبحت نظيفا طاهرا .
وقد ذكر جدى - جد المؤلف - شيخ الإسلام السيد أبو سعيد أن بعض
الناس يعتقدون أن الأشعار التي جرت على لسان الشيخ من قوله ، ولكن الأمر
ليس كذلك ؛ لأنه كان مستغرقا هكذا في الله ، بحيث لم تكن له قدرة على قول
الشعر ، إلا هذا البيت الذي كتبه على ظهر رقعة حمزة ، وهذه الرباعية الأخرى التي
قالها الشيخ :

« رباعية »

أيها الحبيب ، لا توجد في أرض خاوران
شوكة واحدة ليس لها علاقة بي وبعهدى
وإذا كانت لي مائة ألف روح ، لما أصابني العار
لو بذلتها جميعها من أجل لطفك ورقتك
أما الأشعار الأخرى كلها ، فقد كانت مما حفظه الشيخ عن المشايخ .

حكاية :

(ص ٢١٩) قال الشيخ : سمعت هذا البيت من أبي القاسم يشراسين فقد
قال لي يوما : يا أبا سعيد :

« بيت »

— ينبغي للمريد أن يكون ضاحكا وقلبه يحترق ،
وليس مثل هذا الرجل كثير .

* كان الشيخ مسترسلاً في الحديث يوماً وقد جلس إليه كثير من الشيوخ والصوفية فبكى واحد من القوم بصوت مرتفع حتى تألم الجميع كثيراً لبكائه . فنظر الشيخ إلى ذلك الرجل نظرة قاسية وقال له : « إن شئت أن تقول كما قلت فاقعد كما قعدت ، فإن من ثبت نبت ومن صبر ظفر » . ثم قال : « سمعت أن عقبة بن عامر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تم فجور العبد ملك عينيه فبكى بهما ما شاء » . ثم قال :

(شعر)

لو أن دونك بحر الصين معترضا . . . نخلت ذاك سرايا ذاهب الأثر
ولو دعيسـتـو فيما بيننا سقر . . . لهون الشوق خوض النار في السقر

* وقال شيخنا أيضا : دخل رجل على الشيخ أبي الفضل حسن يوما وقال له : أيها الشيخ ، رأيتك في نومي أمس ميتا ، ومحمولا على نعش . فقال الشيخ أبو الفضل : لقد رأيت هذا الحلم لنفسك ، فهم لا يموتون أبدا « فمن عاش لله لا يموت أبدا » .

حكاية :

روى أن درويشا كان يتوضأ يوما ، فدخل الشيخ إلى دورة المياه . وكان الدرويش يغسل يده ويقول « اللهم أعطني كتابي بيمينى » . فقال له الشيخ : لتصنع به ماذا أيها الدرويش ؟ وماذا ستقرأ في ذلك الكتاب ؟ لا ينبغي أن تقول مثل هذا القول ، فليس لك قدرة عليه . فقال الدرويش : وماذا أقول إذن أيها الشيخ ؟ فقال له : قل « اللهم اغفر وارحم ولا تسأل » .

حكاية :

(ص ٢٢٠) كان « بابا حسن » إمام الشيخ في الصلاة ، وقد كان أمام الصوفية

على عهد الشيخ . وذات يوم كان يؤدي صلاة الفجر ، ولما قرأ القنوت قال :
« تباركت ربنا وتعاليت ، اللهم صلى على محمد » ثم سجد . وعندما فرغ من الصلاة
قال له أبو سعيد : لماذا لم تصل على آل محمد ولم تقل « اللهم صلى على محمد
وآل محمد ؟ » . فقال بابا حسن : يا شيخ ، إن الصوفية يختلفون في هل تجوز الصلوات
على آل محمد في التشهد والقنوت أم لا . ولم أقل ذلك احتياطا من أجل ذلك
الخلاف . فقال الشيخ : إنني لأسير في موكب لا يكون فيه آل محمد .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، وقد أنكره الناس في جميع الجهات ، كان
الأستاذ الإمام أيضا من أولئك المنكرين . فلما جاء إلى مجلس الشيخ ، زال عنه
ذلك الإنكار ، وإن كان يراوده أحيانا ، نتيجة لضعف الطبيعة البشرية . وفي يوم
من الأيام كان الأستاذ الإمام يرافق الشيخ والصوفية إلى أحد الأحياء .
وجاء كلب غريب إلى ذلك الحى ، فنبحت كلاب الحى دفعة واحدة ، وهجمت
على الكلب ، وجرحته ، وأخرجته من الحى . فسحب الشيخ عنان جواده وقال :
إن أبا سعيد غريب في هذه المدينة ، فلا يليق أن يصنع معه ما صنع مع الكلب .
فزال الإنكار والشك عن الأستاذ الإمام ، وصفت نفسه تماما .

حكاية :

كان السيد عبد الكريم خادم الشيخ الخالص من أهل نيسابور . قال : كنت
صغيرا عندما أحضرني أبي لخدمة الشيخ أبي سعيد . فلما عاد والدى ، وقفت بين
يدى الشيخ ، وقع بصره على قشة ملقاة في الرواق ، (ص ٢٢١) فأشار الشيخ
إلى أن أحضرها . فحملتها إليه . فقال لى : بم تسمى هذه في لغتكم ؟ . قلت :

قصة . فقال : إعلم أن الدنيا والآخرة قصة في هذا الطريق ، إذا لم ترفعها عنه فلن تصل إلى مقصودك ؛ لأن سيد العالم عليه السلام قال : « أدناها أمانة الأذى عن الطريق » . ثم قال : كل شيء لا يكون لله يكون حقيرا ، وكل شخص لا يكون لله يكون ضيعا . وحيثما يكون وجودك تكون النار ، وحيثما تفنى تكون الجنة .

حكاية :

كان مريد من مريدى الشيخ قادما من العراق إلى ميهنه لزيارة الشيخ . وكان قد أحضر له ملابس ثمينة ، وأخذ يقول لنفسه طوال الطريق : إننى أحمل هذه الملابس الجميلة اللطيفة للشيخ ، وسوف يسر الشيخ سرورا عظيما بهذه التحف . ولما أصبح على بعد فرسخ من ميهنه ، قال الشيخ : أعدوا الجواد . فأعدوه وركب الشيخ ، وسار الجميع فى صحبته حتى وصلوا إلى الصحراء . فتزايدت آمال الدرويش ، وظن أن الشيخ خرج لإستقباله من أجل تلك الملابس ، وإزداد حب الدنيا فى قلبه نتيجة لهذا الظن . وأقبل على الشيخ ، وقبل أقدامه . وقال له الشيخ : هات الثياب التى أحضرتها من أجلنا . فأحضرها الدرويش فى الحال . وأمر الشيخ بتمزيق الثياب جميعها ، وعلقوا على كل شوكة قطعة منها . فلما رأى الدرويش ذلك تأثر كثيرا وانهار .

وقد أراد الشيخ بهذه الحركة أن يظهر للدرويش أن الدنيا لا قيمة لها عنده ، وأن ما كان يرجوه من وراء هذه الملابس إنما كان كالهبا فى الدنيا ، ولا يلىق لهذه الطائفة التهالك على الدنيا ، (ص ٢٢٢) ولا النظر إلى العقبى . وبعد ذلك زهد الدرويش فى الدنيا ، ولما بلغ ميهنه أقام على خدمة الشيخ . وتعهد الشيخ برعايته ، وأصبح من أعزة هذه الطائفة .

حكاية :

وصل درويش إلى ميهنه يوما وأسرع إلى الشيخ وقال له : أيها الشيخ ، لقد سافرت كثيرا ، وتحملت المشقة ، ولم استرح أو أرى الراحة قط . فقال له الشيخ : لا عجب في ذلك ، فقد كنت تبحث في هذا السفر عن رغائبك . ولو أنك تسافر ، وتخلت عن وجودك لحظة ، لاسترحت ، واستراح بك الآخرون . فوجود المرء سجنه ، وإذا خرج من هذا السجن استراح .

حكاية :

كان هناك سيد في طوس يقال له السيد حمزة يملك قصرا على بوابه «رودبار» . وكان الشيخ يحبه كثيرا ، كما كان هو أيضا مريدا للشيخ . وكلما ذهب الشيخ إلى طوس ، دعاه السيد حمزة إلى قصره . وكان الشيخ يجيب دعوته ، إذ كانت له منزلة كبيرة عنده .

وفي وقت من الأوقات وصل الشيخ إلى مدينه طوس ، وطلب السيد حمزة ، فقبل له إنك لن تستطيع رؤيته ، لأنه مشغول منذ أربعين يوما في الفساد ، وادمان الخمر ، والسكر مع غلمانة وجواريه ، وقد جلسوا جميعا عراة فخورين . فقال الشيخ : عجباً ، لا يجب أن يقل الأثم في مثل هذا القصر عن ذلك . ولم يقل أكثر من هذا ، ولم يعترض عليه أى اعتراض .

وعند ما أخبروا السيد حمزة بوصول الشيخ ، أمر بالكف عن اللهو في الحال ، وذهب في اليوم التالي إلى الشيخ . وشمله الشيخ برعايته كعادته ، ولم يحدثه عن ذلك الأمر ، ولم ينقص من تقديره له شيئا .

حكاية :

عند ما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، كان الشيخ أبو

عبد الله باكو يقيم في خانقاة الشيخ أبي عبد الرحمن السامري ، وكان قد أصبح شيخنا لها من بعده . (ص ٢٢٣) وقد تعود أبو عبد الله هذا أن يسأل الشيخ في كل وقت سؤالاً على سبيل الجدل . وكان الشيخ يحببه عليه . وذات يوم سأل الشيخ قائلاً : أيها الشيخ ، إنني أرى منك عدة أشياء لم أرها من شيوخى .

أولاً : أنك تدع الشبان يجلسون في مواجهة الشيوخ . وتضع الأقل مرتبة في نفس مستوى الأعلى مرتبة في جميع الأشياء ، ولا تقيم أى تفرقة بينهما .

وثانياً : أنك تسمح للشبان بالرقص في السماع .

وثالثاً : إذا خلع درويش خرقة فإنيك تشير باعادتها إليه وتقول : « الفقير أولى بخرقته » . ولم يكن شيوخنا يفعلون ذلك .

فقال الشيخ : ألا يوجد شيء آخر ؟ . فأجاب بالنفي . فقال له الشيخ :

أما بالنسبة للأقل مرتبة والأعلى مرتبة ؛ فإن أى واحد منهم لا يعتبر في نظري أقل مرتبة ، ذلك أنه عندما يضع قدمه في الطريق ، فرغم أنه قد يكون شاباً ، فإن الشيوخ يجب أن يضعوا في اعتبارهم أنه من الممكن أن يلقى في يوم واحد ما لم يتلقوه في سبعين عاماً . ولا يمكن للإنسان يؤمن بهذه العقيدة أن ينظر إلى أى شخص على أنه أقل مرتبة .

وأما عن رقص الشبان في السماع ، فإن الشبان لا تخلو أنفسهم من الشهوة ، ويغلب عليهم هوى النفس . ومن المؤكد أن الشهوة تملك جميع الأطراف ، فإذا ما صنفوا تبذرت الشهوة من أيديهم ، وإذا ما رقصوا قلت الشهوة من أرجلهم . وعندما تنقص الشهوة من أطرافهم على هذا النحو ؛ فإنهم يستطيعون أن يصونوا أنفسهم من الكبائر الأخرى . ولكن عندما تتجمع الشهوات ، والعياذ بالله ،

فإنهم يعجزون عن صيانة أنفسهم من الوقوع الكبار . فالأولى أن يبددوا نيران تلك الشهوة في السماع أكثر منه في أى شىء آخر .

وأما بالنسبة للخرقة التى يخلعها الدراويش ، فإن التخلي عنها يتعلق بكل جماعة الدراويش ، ويكون موضع اهتمامهم . فإذا لم يكن فى متناول أيديهم خرقة أخرى ، فإنهم يلبسونه خرقة ثانية ، لأنهم بذلك يخففون عن عقولهم حمل التفكير فيها ، فيسترد الدراويش خرقة ، ويكون ذلك من (ص ٢٢٤) أيدي جميع الدراويش . ولكن هذه الخرقة لا تكون نفس الخرقة التى خلعها .

قال الشيخ أبو عبد الله : لو لم أكن رأيت الشيخ ، لما رأيت صوفيا حقيقيا .

حكاية :

وفى هذا الوقت أيضا ، كان الشيخ أبو عبد الله با كويجلس يوما فى مجلس الشيخ ، وقد نسى نفسه ، ووضع قدما على قدم مثل السادة . فرآه الشيخ ، وكان يتحدث فى ذلك الوقت مع شخص فى وداعة ولطف . فدعا له ذلك الشخص قائلا : جعل الله الجنة زادك . فقال الشيخ : لا تلزم لنا الجنة مع حفنة من العرج والمفلوجين والفقراء ، فهناك لا يوجد سوى المكفوفين والضعفاء ، وإنما تلزم لنا الجحيم ؛ ففيها يكون جهنم ونمرود وفرعون وهامان وهذا السيد ، وأشار إلى أبى عبد الله ، وأنا ، وأشار إلى نفسه . فحجل الشيخ أبو عبد الله ، وثاب إلى رشده ، وأدرك أنه أساء الأدب ، وتاب ، وأقبل على الشيخ يطلب المذرة . ولم يجلس هكذا مرة أخرى .

حكاية :

كان الشيخ « حبي » خياط الشيخ الحاص . وفى يوم من الأيام كان يخط

ثوباً للشيخ . وفي وقت القباله ، وكان الشيخ قد استلقى على فراشه ووقف إلى جواره السيد عبد الكريم خادمه الخاص وفي يده مروحة يروح بها عليه ، دخل الشيخ حبي ، وفي يده ثوب الشيخ . فقال له السيد عبد الكريم ، أى وقت هذا؟ . فقال الشيخ حبي ؟ أينما تكون أكون . فوضع السيد عبد الكريم المروحة من يده ، وصفعه عدة مرات . فلما بلغ سبع صفعات قال له الشيخ : كفى . فخرج الشيخ حبي وشكا إلى السيد النجار .

ولما خرج الشيخ لصلاة العصر (ص ٢٢٥) قال له السيد النجار : ما قول الشيخ في أن يتناول الشبان على الشيوخ ؟ . فأجاب الشيخ : لقد كانت يد السيد عبد الكريم يدي . فلم يقل أحد شيئاً بعد ذلك .

حكاية :

كان الشيخ يعظ في نيسابور يوماً ، وكان الشيخ أبو القاسم القشيري حاضراً . وفي نفس اليوم كان له نزاع على طاحون في قرية « حسين آباد » ، إذ ادعاه أحد القرويين لنفسه . وأخذ المقرئ يقرأ هذه الآية في مجلس الشيخ : « لمن الملك اليوم » فقال له الشيخ : هل تقول لي ؟ قل للأستاذ الإمام ؛ لأنه يقول إن طاحون حسين آباد ملكي .

حكاية :

وروى أن الشيخ كان يسير يوماً إلى حي من الأحياء في نيسابور ، ومعه جمع كبير . فألقت سيدة بعض القاذورات من السطح ، ووقع جزء منها على ثوب الشيخ . ولم يتأثر الشيخ من ذلك ، بينما غضب الجميع وأرادوا أن يفعلوا شيئاً مع

صاحب الدار . فقال لهم الشيخ : أهدأوا ، إن الشخص الذى يستحق نار الجحيم ،
يقنعون منه بالقاذورات ؛ فمن الواجب أن نشكر الله كثيراً . فهدأ الجميع ولم يؤذوا
أحدا ، وبكوا كثيراً .

حكاية :

روى أن الشيخ ذهب إلى منزله يوما ، فرأى السيدة فاطمة ابنة السيد أبى
طاهر وحفيدة الشيخ ، وكانت تعلق خيطا على مغزل . وكان طرف الخيط قد ضاع
منها . فقال لها الشيخ : يا فاطمة ، إذا ضاع طرف الخيط منك مرة أخرى فاقترئ
هذه الآية حتى تجدينه . «ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا »
(ص ٢٢٦) وقرأت السيدة فاطمة هذه الآية ، فوجدت طرف الخيط .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يسير يوما فى نيسابور ممتطيا جواده ، فبلغ باب الكنيسة .
وتصادف أن كان اليوم يوم الأحد ، وكان المسيحيون قد تجمعوا فى الكنيسة .
فقال الصوفية : أيها الشيخ ، من الواجب أن نراهم . فترجل الشيخ عن جواده .
ولما دخل الكنيسة ، تقدم المسيحيون إليه وعظموه ، ووقفوا أمامه فى احترام
وتجلت الأحوال .

وكان المقرئون فى صحبة الشيخ ، فقال أحد المسيحيين : هل يسمح الشيخ بأن
يقرأوا آية . فقال الشيخ حسنا . وقرأ المقرئون بعض الآيات ، وغمرت النشوة الجميع
وبكوا . ونهض الشيخ وخرج . فقال له شخص : لو أن الشيخ أشار إليهم ، لحلوا
الزناز جميعا . فقال الشيخ : إننى لم أعقده لهم حتى أحله .

حكاية :

كان الشيخ يعظ يوما في مجلس في نيسابور ، فقال في وسط حديثه : لقد امتلأت الخانقاه من أعلاها إلى أسفلها بالجواهر . فلم لا تجمعونها ؟ . فتلفت الناس ، ظانين أن هناك جواهر يأخذونها ، فلم يروا شيئا . وقالوا : أيها الشيخ ، إننا لا نرى جواهر . فقال الشيخ : إنها الطاعة ، إنها الطاعة .

حكاية :

عندما كان السيد أبو طاهر ابن الشيخ الأكبر صغيرا ، أحضر الصبية في المدرسة لوحه إلى منزل الشيخ كعادتهم . فتقدم السيد حسن — بن المؤدب — إلى الشيخ وقال له : لقد أحضر الصبية لوح السيد أبي طاهر . فقال الشيخ : إلى أى سورة وصل ؟ . فقال حسن : إلى سورة « لم يكن » . فقال الشيخ : ضع فأكبه أمام الصغار . (ص ٢٢٧) فوضع حسن المأكبة . وسألهم الشيخ : من كبيركم في المدرسة ؟ فأشاروا إلى واحد . فاستدعاه الشيخ وقال له : قل للاستاذ لا ترسل للصغير لوحا بسورة « لم يكن » مرة ثانية . أما اللوح الذى تبعته ، فابعثه بسورة « ألم نشرح » .

حكاية :

كانت هناك سيدة عجوز تملك حجرة بجوار خانقاة الشيخ . وكانت تدق دائما في « هاون » فارغ دون حاجة ، لتقلق الدراويش . وكان الدراويش يشكون إلى الشيخ ، ولكنه لم يكن يقول شيئا . وذات يوم خرجت السيدة العجوز ، فقال الدراويش : فلنذهب وننزع سقف حجرتها ، حتى تنشغل بذلك ، ولا تزعجنا . ولم يقل الشيخ شيئا . وذهبوا وانتزعوا سقف الحجرة . وجاءت السيدة العجوز ،

ورأت سقف الحجرة مفتوحاً ، فقالت : يا أسفا على رجل بهذا الكبر ، وعتاب
بهذا الصغر .

حكاية :

روى أن الشيخ ذهب يوماً إلى حمام نيسابور . وذهب السيد الإمام أبو محمد
الجويني للسلام على الشيخ ، فقبل له إنه ذهب إلى الحمام ، فذهب هو أيضاً إليه .
ولما دخل ، سأله الشيخ : هل هذا الحمام جيد ؟ . فقال أبو محمد : نعم . فسأله
الشيخ : ما سبب جودته ؟ . فقال : لأن الشيخ فيه . فقال الشيخ : ينبغي أفضل
من هذا . فقال : فليفضل الشيخ بقوله . فقال الشيخ : لأنه ليس معك سوى
أزار واحد ، وسطل واحد ، وتلك أيضاً ليست ملكك .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبر الفتح رحمة الله عليه : في وقت من الأوقات جاء جمع
من العراق ، وأحضروا للشيخ رداء صوفياً جميلاً مزركشاً . وعندما قدموه للشيخ
لبسه . وكان هناك قط تعود أن يطوف حول الشيخ ، فتعاق بذلك المرقع ، وتبول
عليه . فقال الشيخ : لقد قررت أن أرتدى رداء الصوفية ، (ص ٢٢٨) وأكون
صوفياً ساعة ، فتبول القط على صوفيتي . فخذوا هذا الرداء ، وأعطوه للسيد أبي
الفتح ؛ لأنه صوفي . فخلعوا الرداء عن الشيخ ، وأعطوه للسيد أبي الفتح . وكان
يروى هذا دائماً على سبيل التفاخر .

حكاية :

سمعت من كثير من الشيوخ ، ذوى السيرة الحسنة ، أنه عندما كان الشيخ

أبو سعيد قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، أصبح جميع أصحاب الفرق وأئمة المذاهب من مريديه ، وتبدل أنكارهم له اعتقادا . وكان القاضي أبو بكر الخيري — الذى كان يعتبر من الأئمة الكبار ، وواحدا من أربعة من الشيوخ في نيسابور يحملون اسم أبا بكر ، وكل من يستمعين بهم في الدعاء إلى الله ، يحقق الله تعالى حاجته — قد أقام وليمة ، ودعا إليها جميع أئمة الفرق ، كما دعا الشيخ . وعندما اجتمع جميع الأئمة والكبار ، شرعوا يتحدثون في مسألة ، جريا على عادة الفضلاء . وانتهى بهم الحديث إلى التفضيل بين المذاهب ، وأخذ كل شخص من فحول أئمة المذاهب يؤكد مذهبه . وأخذت كل طائفة تتمسك بدليل على أحقية مذهبها ، وبطلان المذاهب الأخرى ، حتى طال الحديث ، ولم يصلوا إلى مخلص .

واتفق الكبار والأئمة على أن يحتكوا إلى القرآن المجيد ، والكتاب الكريم . ووفقا لآية « ولا تطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » ، أمسكوا بالمصحف ليقترعوا على رأى كل مذهب ؛ لأن كل ما يظهر من الكتاب العزيز ، يكون في منزلة الوحي ، ولا يستطيع أى شخص أن يطعن فيه .

وأحضروا المصحف متفقيين ، وطالبوا من أبى بكر أن يمسك به . فقال : إنه مصحفى ، وربما يظن شخص أننى أعرف الأوراق . فأخذوا يشيرون إلى كل شخص ، حتى اتفقوا في النهاية على إعطائه لأبى سعيد . وقالوا إنه رجل من الأولياء ، وعندما يجتمع إعجاز القرآن مع كرامته ، سوف يظهر الحق من فحوى الكتاب المجيد ، من محكمات الآيات ، لامن المتشابهات (ص ٢٢٩) التى تحتاج إلى تأويل . وساموا المصحف للشيخ ، فأخذه وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . لترى هل المذهب الشافعى مصيب ، وهل هو حق ؟ . وقال : السطر السابع من الصفحة اليمنى . وفتح

المصحف وأراه للجميع . وكانت أول كلمة في السطر السابع هي : « ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق » . وعندما قرأ هذه الآية ، تعجب الجميع من إعجاز القرآن ، وقالوا : لقد تم كل شيء الآن ، وسنقتصر على هذا . ولم يستفتوا القرآن على المذاهب الأخرى .

وفى هذه الحكاية عدة فوائد :

أولاً : أن تعلم أن المذهب الشافعى حق بحكم نص القرآن المجيد . وليس معنى هذا أن المذاهب الأخرى باطلة . كلا وحاشا .

ثانياً : أن تعلم أنه عندما تواجه مشكلة دينية ، وتريد أن تعرف أحد أمرين : أيهما حق يليق أن تعمل به ، وأيهما باطل يليق أن تتركه ؛ فمن الجائز أن تفتتح القرآن على هذه النية . فقد أجمع أئمة المذاهب ، وكبار رجال الدين ، وأئمة المتصوفة فى هذا الحفل ، واتفقوا على هذا الحكم ، مثل السيد الإمام أبى محمد الجوينى ، وابنه إمام الحرمين ، والقاضى صاعد ، وعلى الصندلى ، وأبى بكر إسحاق ، والأستاذ إسماعيل الصابونى ، والأستاذ الإمام أبى القاسم القشيرى ، وفحول الأئمة الآخرين ، وكبار رجال الدين الذين يطول ذكرهم ، وكان كل منهم قدوة الدنيا فى مذهبه . ولم يعترض واحد منهم على هذا ، ولم يقل إنه غير لائق .

ثالثاً : إنه يجب فى جميع الأمور البدء من ناحية اليمين ، وخصوصاً فى أمور الدين ، وفقاً لما جاء فى الخبر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

رابعاً : أن الاختيار أفضل وفقاً للحديث الذى يقول : « إن الله تعالى وتر يحب الوتر » .

وكل حكاية من الحكايات التي ذكرت ، والتي سوف تذكر ، تتضمن كثيراً من الفوائد ، ولكن إذا خضنا في شرح كل واحدة منها ، لأدى لك إلى التطويل والسأم ، والحر تكفيه الإشارة .

حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ قادماً من نيسابور إلى ميهنه ، خرج من طوس ، وأخذ يسير منفرداً ، حتى وصل إلى بوابة « نوبار » ، والصوفية يسرون من خلفه . (ص ٢٣٠) وكان هذا في أوائل عهد التركان ، ولم تكن خراسان آمنة في ذلك الوقت . فلحق به أربعة أو خمسة أفراد منهم ، وأرادوا أن ينتزعوا جواده . فقال لهم الشيخ : من أنتم ، وماذا تريدون ؟ . فقالوا له : انزل . فقال الشيخ : لقد اركبني أربعة أشخاص على الحصان ، فاصبروا حتى أنزل وخذوه . ولم يكدهم قوله ، حتى وصل الصوفية فقال لهم الشيخ : انزلوني وأعطوهم الحصان . فقال الدراويش إننا كثرة ، وإن نعطيهم شيئاً . فقال الشيخ : لا يليق هذا ، فقد وعدتهم به ، فأعطوهم . ونفذوا ما أشار به الشيخ . وأخذ التركان الحصان وذهبوا . ونزل الشيخ مع الصوفية في إحدى القرى . وعند العصر ، أقبل جمع من التركان ، وإعادوا الجواد ومعه حصاناً جيداً آخر ، وأعتذروا للشيخ كثيراً قائلين : أيها الشيخ إن هؤلاء الشبان لم يعرفوك فسامحهم ، ولم يقبل الشيخ الحصانين ، وقال لهم : كل ما أنزل عنه لأركبه ثانية . ولما قال الشيخ هذا ، تاب التركان ، وحلوا شعورهم ، وذهبوا جميعاً للحج في تلك السنة ، بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

عند ما كان الشيخ في نيسابور ، كانت هناك سيدة عجوز ، تقيم في حجره

فوق خانقاه الشيخ . وكانت ترى الشيخ دائماً ، وتذهب إلى مجلس أبي القاسم
القشيري ، ولا تحضر مجلس الشيخ ، أو تستمع إلى حديثه . قالوا لها: أيتها العجوز،
إنك ترين الشيخ كل يوم ، وتشاهدن كراماته ، ولا تحضرين إلى مجلسه قط ،
وتذهبين إلى مجلس الأستاذ الإمام ، فهل ترين هناك شيئاً لا ترينه هنا ؟ وكيف
يحدث هذا ؟ . فبكت العجوز في ألم وقالت: ماذا أصنع (ص ٢٣١) إن هذا ليس
في يدي ، فقد دلوني على الأستاذ الإمام ، ولم يدلوني على الشيخ .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يعظ في نيسابور يوماً ، وقد أمسك في يده عمامة ، وقال
في وسط حديثه : تلزم ثلاثمائة دينار نيسابوري ، وهذه العمامة لمن يقرض حسن
ثلاثمائة دينار . فصاحت سيدة عجوز قائلة: أنا أعطيها له . فقالوا لها: أيتها العجوز ،
إنها ثلاثمائة دينار ذهبي ، فمن أين تحضريها ؟ . فقالت : أنا أعرف ذلك ، فعندما
قال الشيخ هذا القول ، حسبت ما كنت قد حملته معي من منزل والدي إلى منزل
زوجي ، وما أعطانيه زوجي ، فوجدته ثلاثمائة دينار ، ولقد وهبتها لما أراد الشيخ .
فقال لها الشيخ : بارك الله فيك . وأمر حسن بن المؤدب بإعطاء العمامة لتلك
العجوز قائلاً : سألها أي دعاء تريد أن أدعوه لها ؟ . فسألها حسن . فقالت :
الدعاء بسلامة القلب . فأبلغ حسن رغبتها إلى الشيخ ، فضحك وقال لها : ياسليمة
القلب ، لماذا لم تطلبي جاهاً وضياعاً وعقاراً ؟ لقد حصلت على السعادة التي ركعنا من
أجلها سبعين عاماً ولم تصلنا نفقة منها .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز قد جلس يوماً في خانقاه ،

وكان سيد نيسابور الأجل قد جاء لتحيته ، وجلس خلة . فدخل الشيخ أبو العباس الشقاني فأجلسه الشيخ أمام السيد الأجل . فتألم السيد لذلك ، وساوره الشك . فالتفت إليه الشيخ وقال : أيها السيد ، إن الذين يحبونك يحبونك من أجل المصطفى ، والذين يحبون هؤلاء يحبونهم من أجل الله .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يسير يوما في سوق نيسابور وفي رفقة جمع من الصوفية ، فنزلوا إلى السوق . وكانت هناك جماعة من الشبان يسرون عراة ، وقد تمنطق كل منهم بحزام من الجلد ، وحملوا شخصا على رقابهم . فلما بلغوا (ص ٢٣٢) الشيخ سأل : من هذا ؟ . فقليل له : إنه أمير المقامرين . فسأله الشيخ : بهم نلت هذه الامارة ؟ . فقال : باللعب المستقيم النظيف . وعندما سمع الشيخ ذلك صرخ قائلا : لعب لعبا مستقيما ، ولعب لعبا نظيفا ، وكن أميراً .

حكاية :

كان السيد علي الطرسوسي مريدا للشيخ ، ورفيقا له على المائدة ، وكان الشيخ يعلمه آداب الأكل وسننه . وذات ليلة كان السيد على يشرب كأسا ، فقال له الشيخ : ما هذا ، إن قاع الكأس يكاد يسقط من شريك . وعندما أعدت المائدة في الليلة التالية ، جلس السيد على في مكان آخر . فلما جاء الشيخ قال : إنني لا أرى السيد على . فقليل له : إنه في نهاية المائدة أيها الشيخ . فقال له الشيخ : لأن أحتملك أفضل من أن أحتمل الآخرين .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح . لما جاء السيد الشقاني إلى الشيخ ، كان شابا

ظريفا يرتدى ملابس حسنة . وحدث أن كانوا يرافقون الشيخ إلى وليمة ، وكان من عادة الشيخ أن يسير خلف الجماعة . وأخذ السنكاني يسير أمام الشيخ ، وينظر إلى نفسه معجبا . فقال له الشيخ : لاتسر في الأمام . فسار خلف الشيخ . وعندما ساروا عدة خطوات ، قال له الشيخ : لاتسر في الخلف . فسار على يمين الشيخ . وعندما ساروا عدة خطوات ، قال له الشيخ : لاتسر على اليمين . فسار على يسار الشيخ فقال له : أيها السيد لاتسر على اليسار . فتضايق السنكاني وقال : أيها الشيخ ، أين أسير ، ؟ . فقال له : أترك نفسك ، واستقم في السير . ثم قال الشيخ هذا البيت :

— ما شأنك بالتصوف مادمت تهتم بنفسك
وماء الحياة هذا في غنى عن البشر

فصرخ السيد السنكاني ، وسقط على أقدام الشيخ ، ولبي وسافر إلى الحجاز ، وأصبح من الرجال الصالحين .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح : كان الشيخ قدس الله روحه العزيز قد جاء من نيسابور إلى ميهنه ، ومعه عدد كبير من الدراويش . وفي اليوم التالي أخذ يعظ على منصة روضته ، ، وجلس إليه كثير من الناس ، وغمرت النشوة الجميع . وعندئذ (ص ٢٣٣) علا صياح السكارى وضوضاؤهم ، فقد كان في جوار الشيخ رجل يسمى « أحمد أبو شره » ، يقضي الليل في بيته مع اللصوص ، حيث ينشغلون بالباطل ، وتناول الخمر حتى مطلع الفجر . وكانوا يحدثون ضجة عظيمة . فتضايق الصوفية ، وعامة الناس منهم ، وسرى فيهم الحماس فقالوا : انذهب ونهدم المنزل

على رؤوسهم . فقال لهم الشيخ : سبحان الله ، لقد انشغلوا بالباطل حتى أنهم لا يحسون بحقوقكم ، وأنتم رغم أنكم ترون الحق بهذا الوضوح ؛ فإنه لا يشغلهم حتى لا تحسون بباطلهم . فصرخ الناس وبكوا ، ووعدوا بترك هذا الأمر . وانقضى ذلك اليوم ولم يقل الشيخ شيئاً .

قال السيد أبو الفتح : وفي اليوم التالي كنت واقفاً بين يدي الشيخ ، فمر أحمد أبو شره خجلاً على الشيخ . ولم يقل له الشيخ شيئاً ، حتى اقترب منه . فقال له الشيخ : السلام عليكم ، إننا لم نتخاصم ، وأنت لنا نعم الجار ، وقد أوصى الرسول عليه السلام في حق الجار . فإذا إعترضتك مشكلة ، فاشركنا فيها حتى نساعدك . فلما قال الشيخ ذلك ، نظر أحمد إلى الأرض ، وقال : أيها الشيخ ، إنني أعاهدك على ألا أفعل هذا قط ، وقد تبت عنه . وأصبح بعد ذلك مريداً للشيخ .

ولم يمض وقت طويل حتى أحس الشيخ بدنو أجله ، وأخذ يوصي كل شخص بوصيته ، فمض أحمد هذا وقال له : أيها الشيخ ، إنني شيخ ، ولم أَرْضِ المعرفة بعد ، وأنت ترحل الآن ، ماذا أصنع ؟ . فأجابه الشيخ : اطمئن فإن الشخص الذي يسقط عليه ضوء هذا الشمع ، أقل ما يفعله الله معه أنه يرحمه .

قال السيد الشيخ أبو الفتح أيضاً إن الشيخ قدس الله روحه العزيز كان يذهب إلى الحمام في يوم الأربعاء . وكان الشيخ أبو محمد الجويني رحمة الله عليه يأتي إلى الخانقاه ، ويذهب منها إلى الحمام . وذات يوم كان الشيخ قد ذهب مع أبي محمد الجويني إلى الحمام ، فقال له الشيخ : ما سبب هذه الراحة التي تشعر بها الناس من الحمام ؟ فقال : إن الإنسان يكون متعباً منهوكة ، فيصب الماء الساخن على نفسه فيستريح . فقال الشيخ : هناك ما هو أفضل من هذا . (ص ٢٣٤) فقال

الشيخ أبو محمد : إن الناس يكونون قذرين طوال الأسبوع ، ويطول شعرهم ، ولا يحلقونه ، فيحلقون ، وينظفون أنفسهم ، ويصبحون أكثر خفة ، فيستريحون . فقال الشيخ : هناك ما هو أفضل من هذا . فقال الشيخ أبو محمد : ماذا يرى الشيخ فقال الشيخ : أرى أنه إذا اجتمع إثنان متخاصمان ، فإنهما يجدان الراحة ثانية . فبكى الشيخ أبو محمد رحمة الله عليه وقال : أيها الشيخ ، إن مايتأتى لك من العلم لايتأتى لأى شخص آخر .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث فى المجلس يوما ، وكان أحد أبناء الشيخ أبى الحسن الخرقانى حاضرا ، فقال الشيخ فى وسط الحديث : إن الأشخاص الذين نجوا من أنفسهم منذ عهد النبوة إلى يومنا هذا قد بلغوا عقدا ، وإذا أردتم فإننى أعدهم . وإذا كان هناك شخص قد تطهر من نفسه ؛ فإنه يكون والد هذا السيد ، وأشار إلى ابن الشيخ أبى الحسن الخرقانى ، ثم قال الشيخ : لقد ذكر الشيخ أبو الحسن الخرقانى قدس الله روحه العزيز أن علماء الأمة قد اتفقوا على أنه يجب معرفة الله جل جلاله بالعقل ، ولما نظر أبو الحسن بالعقل ، رأى نفسه أعمى فى هذا الطريق . لأنه ما لم يمنحه الله البصيرة ويرشده إلى الطريق ؛ فإنه لا يرى ولا يعلم . ولقد ساعدنا كثيرا من الناس ، وقدناهم من غرور العقل إلى الطريق .

حكاية :

قال والدى — والد المؤلف — نور الدين بن المنور رحمة الله عليه إن الشيخ أبا سعيد كان ذاهبا إلى مكان فى نيسابور ، فوصل إلى حى الحرب . ورأى الحوانيت مرتبة ، ومملوءة بالفاكهة الناضجة ، والمكان أكثر زينة من جميع

الأمكنة في سوق نيسابور. وحين وصل الشيخ إلى ذلك الحى ، وسأل عن اسمه ، قيل له « حى الحرب » . فقال الشيخ : تجبأ . . إذا كان الشخص يرى مثل هذا في حى الحرب ، فماذا يمكن أن يرى في حى الصلح ؟ .

روى والدى رحمة الله عليه أيضاً أن الشيخ قدس الله روحه العزيز أراد أن يعظ يوماً . وعندما خرج وجلس على المنبر ، وقرأ المقرأون القرآن ، سأل الناس أسئلة كثيرة مختلفة . وكان هناك جمع كبير ، وسأل كل سؤالاً (ص ٢٣٥) من نوع مختلف . وأخذ الشيخ ينظر إليهم في صمت حتى سألوا كثيراً . وفي النهاية قال الشيخ هذا البيت :

— لو أننى زيار صاحب السلطان فى بلاد الختن ،

لكفانى أن أكون صديق باورد ونسا وطوس .

وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ومسح وجهه بيده ، ونزل عن المنبر ، ولم يقل أكثر من هذا في ذلك اليوم .

وقال والدى أيضاً : فى بداية عهد الشيخ بالتصوف ، وكان أهل ميهنه لايزالون ينكرونه ، أحضر السيد حمويه رئيس ميهنه رجلاً فاضلاً من سرخس متعصباً ضد الشيخ ، لكي يتحدث إلى الناس ، ويصدر فتواه . وجاء هذا الفاضل إلى مجلس الشيخ يوماً . وسأل شخص الشيخ : إلى أى حد يمكن التسامح فى الصلاة بثوب ملوث بدم البرغوث ؟ . فقال الشيخ : إن إمام دم البرغوث هو هذا السيد الإمام ، وأشار إلى ذلك الفاضل ، ثم قال : سله عن هذه المسألة ، وسله عنا .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يرسل حسن بن المؤدب إلى السيد حمويه كل يوم من

أيام الجمعة ، ليستفسر عنه ، ويعطيه رسالة ، ويتحدث إليه. وكان السيد حمويه يسر بذلك ، ويفاخر به. وفي يوم من أيام الجمعة في فصل الشتاء كان الجو باردا جدا ، والشيخ مشغولا في أمر ، فدعا حسن وقال له : إذهب إلى السيد حمويه ، وسلم عليه ، وقل له إن الجو بارد اليوم . ولم يدع السؤال عنه في هذا اليوم بمثل هذا القول ، حتى لا يتأثر ويقول إن الشيخ لم يذكرنا في البرد .

حكاية :

كان الشيخ يتحدث في أحد المجالس يوما ، فقال في وسط حديثه : سوف يأتي يوم لا يستطيع فيه شخص أن يقيم في مكان سنة واحدة ، ولا يستريح في صومعة خمسة أيام ، ولا يبقى في مسجد يوما واحدا .

وقال الشيخ أيضاً (ص ٢٣٦) : ذهب شاب إلى شيخ وقال له : أيها الشيخ ، عظمي . فاحنى الشيخ رأسه ساعة ثم قال : أيها الشاب ، هل تنتظر جوابي ؟ . قال نعم . فقال الشيخ : كل ماسوى الله جل جلاله لا يستحق الكلام ، وكل ما يتعلق بالله عز وجل لا تحويه العبارة « إن الله تعالى أجل من أن يوصف بوصف أو يذكر بذكر » .

حكاية :

عندما كان الشيخ أبو سعيد في نيسابور ، حملت جماعة إلى خانقاه الشيخ ذات ليلة صندوقا به طعام . وكانت هذه الخانقاه بجوار السيد الأجل حسن . ولما اندمجوا في السماع ، وتملك الوجد الصوفية ، وأخذوا يرقصون ، تبدد نوم السيد حسن بسبب رقص الصوفية . فسأل خدمه : ما هذا ؟ . فقالوا : لقد جاء

إلى الشيخ أبي سعيد في هذه الخانقاه صندوق به طعام ، فأقاموا به وليمة ، والصوفية يرقصون . وكان السيد الأجل ينكر الصوفية ، فقال : أصدعوا إلى السطح ، وأهدموا الخانقاه على رؤوسهم . فصعد خدم السيد الأجل إلى سطح الخانقاه ، وانزعوا سقفها . وأخذوا يلقون الأحجار إلى الخانقاه . فاضطرب الدراويش . وسأل الشيخ عما حدث . فقالوا : إن رجال السيد الأجل يقذفون الأحجار إلى الخانقاه . فقال الشيخ : أحضروا ما قذفوه . فوضعوا جميع الأحجار في طبق ، وقدموه للشيخ . فأخذ بمسك بالأحجار واحدة واحدة ويقبلها ويضعها على عينيه وهو يقول : كل ماجرى على الرسول عليه السلام عزيز وطيب ، ويجب تحمله بالقلب والروح . ولم يحدث ضرر كبير ، لأن هذا التقصير من جانبنا ، إذ كيف أرقنا نوم ذلك العزيز . يجب أن نذهب إلى خانقاة محبة عدني كوبان . ونهض في الحال وركب الجواد . (ص ٢٣٧) وسار صوفية الخانقاتين في رفقته ، وأخذ القوالون ينشدون في الطريق ، حتى وصلوا إلى الخانقاه . وانقضت تلك الليلة في نشوة السماع .

وعندما عاد خدم السيد الأجل إلى القصر باكين متألمين ، ظن أن الصوفية ضربوا رجاله . فسألهم ماذا حدث لكم حتى تبكون هكذا ؟ . فقصوا عليه ما حدث بالتفصيل . فلما سمع السيد ذلك ، ندم على ما أشار به وسأل : ماذا حدث في النهاية ؟ . قالوا : لقد رحلوا جميعاً . فتألم السيد الأجل ، وبكى ، وزال عنه كل شك في الصوفية ، وأخذ يؤنب نفسه طوال الليل .

وفي اليوم التالي نهض عند الفجر ، وأمر بإعداد جواده ، وركبه ليذهب للاعتذار للشيخ . وكان الشيخ قد ركب في نفس الوقت ذاهباً مع الصوفية للاعتذار

للسيد ، فتقابلا عند مفترق طريق نيسابور ، واحتضن كل منهما الآخر ، وسأله عن حاله ، وأخذوا يعتذران لبعضهما ، ويطلب كل منهما من الآخر أن يعود ، حتى قال السيد الأجل : إذا كان الشيخ قد قبل عذري ، فليعد حتى أذهب وأعتذر إليه . فأجابه الشيخ : الأمر لك . ورجعا كلاهما إلى الخانقاه . واعتذر كل من هذين العظميين إلى الآخر كثيراً ، وصفت نفوس الجميع وقال السيد الأجل : إذا كان الشيخ قد عفا عني فليحضر إلى منزلي الليلة . وذهب الشيخ في تلك الليلة إلى قصر السيد الأجل ، (ص ٢٣٨) وأعد السيد وليمة فاخرة ، وتمتع أهل الخانقاتين بتلك الليلة في القصر . وظهر إعزاز السيد الأجل الكبير للشيخ ، وأصبح من مريديه ؛ بحيث أنفق من أجله ثلاثين ألف درهم خلال المدة التي قضاهما الشيخ في نيسابور .

حكاية :

روى أن درويشا نهض في مجلس الشيخ ، وقص قصة طويلة . فقال له الشيخ : اجلس أيها الرجل لأعلمك كيف تتحدث . فجلس الرجل . وقال له الشيخ : ماذا تريد من هذه القصة الطويلة ؟ عندما تريد أن تسأل شيئاً فقل هكذا : إن الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، وأنا في حاجة إلى الشيء الفلاني . فقال الرجل سأفعل هكذا ، هل تأذن لي بأن أقول ذلك ثانية ، لأرى هل تعلمت أم لا ؟ . فقال له الشيخ : قل . فقال الرجل : الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، وأنا في حاجة إلى عبادة الشيخ . فقال الشيخ : بارك الله لك فيها ، وخلع العبادة وسلمها إليه . ولما أنهى الشيخ المجلس ، ذهب مريدو الشيخ إلى الرجل ، وطلبوا منه أن يبيعهم العبادة بمائة درهم فلم يقبل . وأخذوا يزيدونها حتى بلغت ألفاً ، فباعها . وأحضروها

للشيخ فلم يقبلها . وأعادها إلى ذلك الدرويش . وترك له النقود ، وأصبح الدرويش من خواص المريدين .

حكاية :

كان الشيخ يعظ في ميهنه يوما ، وكان حمزة صانع السكاكين ، وأحد مريدي الشيخ ، وموضع حبه الكثير ، يقطن قرية أزجاه . وكان في كل يوم تكون فيه نوبة الشيخ في الوعظ ، يخرج من أزجاه في وقت معين ، بحيث يصل إلى ميهنه في الميعاد الذي يخرج فيه الشيخ من زوايته ، ويجلس في مكانه . وفي هذا اليوم تأخر حمزة أكثر من المعتاد . (ص ٢٣٩) وأخذ الشيخ يسأل عنه ، لأنه كان درویشا حقا ، وسالكا متحمسا . في أثناء الحديث وصل حمزة ، فالتفت الشيخ إليه وقال : ادخل يا حمزة ثم قال هذه الرباعية :

لقد جعلت من وجوه الجميع زينة المنزل
وفاضت وجوهنا بجمرة خمرك
وزدت سرورنا إلى ستة أمثاله
أسعد الله حياتك فقد أسعدتنا
فصرخ الجميع ، وبدأت لهم الأحوال .

حكاية :

في يوم من الأيام اعترت الشيخ حال من القبض ، فخرج من ميهنه إلى سرخس كعادته . ولما وصل إلى « دستجرد » ، رأى لقمان السرخس ، فسأله : إلى أين تذهب يا أبا سعيد؟ فقال إنني ذاهب إلى سرخس ، لأنني منقبض القلب . فقال له : عندما تصل إلى سرخس بلغ سلامي إلى سيدها .

حكاية :

قال الشيخ أبو سعيد : كنت عند الشيخ أبي الفضل في سرخس ، فدخل شخص وقال له : لقد ألم بالقمان مرض ، وعجز عن السير ، وقال لي احملني إلى رباط « يورجا » . وقد مضت ثلاثة أيام مقذ نقل إلى هناك لم يتكلم خلالها قط . واليوم قال لي : قل للشيخ أبي الفضل إن لقمان ذاهب فهل تريد شيئاً ؟ . وعندما سمع الشيخ أبو الفضل ذلك قال : سنذهب إلى هناك ، ونهض . وذهبنا جميعاً . وعندما رآه لقمان ابتسم ، فجلس الشيخ أبو الفضل عند رأسه وأخذ لقمان ينظر إليه ، وزفر حارة ، ولم يحرك شفتيه . فقال واحد من الجمع : لا إله إلا الله . فابتسم لقمان وقال : أيها الشاب ، لقد دفعنا الخراج وأخذنا الصك وبقينا على التوحيد . فقال الدرويش : ينبغي أن تتذكر نفسك أخيراً . فقال لقمان : هل تأمرني بالعربدة وأنا على أعتابه ؟ . فسر الشيخ أبو الفضل وقال : إنه يقول الصدق .

ومات — لقمان — بعد ساعة ، وهو ينظر إلى الشيخ ، ولم يطرأ على نظره أى تغيير . واختلط الأمر على الناس ، فقال بعضهم إنه (ص ٢٤٠) مات ، وقال البعض الآخر إنه لم يمت لأن بصره لازال صحيحاً . وقال الشيخ أبو الفضل : لقد مات ، ولكنّه لن يغلق عينيه مادامنا جالسين ؛ لأن الأحبة لا يغلقون عيونهم عن الأحبة . ثم نهض الشيخ أبو الفضل ، وأغلق لقمان عينيه .

حكاية :

روى أنه عندما وصل الشيخ أبو سعيد إلى « قاين » أقاموا له عدة ولائم . وفي أحد الأيام كانوا قد أقاموا وليمة للشيخ ، فلما حضر ، أرسلوا شخصاً لاستدعاء السيد أبي سعيد الحداد ، وكان من عظماء العصر ، فقال : لقد مضت أربعون

ماما أكلت فيها من طعامي ، ولم أتناول خلالها طعام أحد قط . فأبلغوا الشيخ ذلك . فقال : منذ خمسين عاما وأنا لم آكل من طعامي ، ولا من طعام شخص آخر ، وكل ما أكلته كان من طعام الحق ، وعرفت أنه له .

حكاية :

وحدث أيضا عندما كان الشيخ في قايين أن كان فيها أمام عظيم يقال له محمد القايي ، وكان يزور الشيخ دائما ، ويذهب معه إلى الولائم . وذات يوم دعى الشيخ إلى وليمة ، فذهب في رفقته . وظلوا يقيمون السماع والرقص حتى أذن المؤذن للصلاة ، فقال الإمام محمد : الصلاة ، الصلاة . فقال الشيخ : إننا في صلاة ، وظل يرقص . فخرج - الإمام محمد - من بين الجميع ، وأدى الصلاة ، ثم عاد إليهم . ولما فرغوا من السماع ، التفت الشيخ إلى جماعة الصوفية وقال : لا يوجد في الدنيا من مشرقها إلى مغربها رجل أعظم وأفضل من هذا الرجل ، ولكنه لا علاقه بالتصوف .

حكاية :

روى أنه اجتمع يوما عند الشيخ في نيسابور جماعة من كبار الصوفية ، مثل أبي محمد الجويني ، والأستاذ إسماعيل الصابوني ، والأستاذ أبي القاسم القشيري ، وأخذوا يتساءلون عن الورد الذي يقرأه كل منهم في الليل . ولما جاء دور الشيخ سأله : (ص ٢٤١) ما وردك ؟ . فقال : إنني أقول كل ليلة : يارب ، هب للدرأويش شيئا يأكلونه في الغد . فنظر كل منهم إلى الآخر ، وقالوا : أيها الشيخ ، أي ورد هذا ؟ . فقال الشيخ : إن المصطفى عليه السلام قال : « إن الله تعالى في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » . فاعترفوا بأن ورد الشيخ أتم من أورداهم .

وفى هذه الحكاية مغزى أراد الشيخ به أن يقول لهم إنكم تقرؤون الأوراد ، وتصلون من أجل ثواب الآخرة ، وطلب المنزلة ، وهذا من أجل أنفسكم . وإذا كنتم تريدون الخير ، لطلبتموه أيضا من أجل معاصريكم . وجميع أورادى ودعواتى موقوفة على طلب الخير للغير ، وهذا أتم .

وقد وجد مثل هذا فى أقوال أحد كبار الشيوخ ؛ فقد كان يقول فى مناجاته : اللهم اجعل أعضائى وجوارحى فى يوم القيامة من الكثرة بحيث تملأ طبقات الجحيم السبع فلا يبقى فيها مكان لأحد . واجعل كل عذاب سوف تعذبه لعبادك جميعاً من نصيب نفسى ، حتى أخذ حقى منها ، وأراها كما أريد ، وينجو العباد من العقاب .

حكاية :

قال إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى : قال لى والدى الشيخ أبو محمد الجوينى يوماً : انهض واذهب إلى الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير ، واحفظ كل ما يقوله لك ، لتذكره لى . فذهبت إلى الشيخ وسألت عليه . فسألنى عن الأحوال ، وقال لى : ماذا تتعلم ؟ قلت . الجدل . فقال الشيخ : لا ينبغي الجدل ، لا ينبغي الجدل . فعدت إلى والدى ، وحدثته بما ذكره الشيخ . فقال والدى : لا تتعلم الجدل بعد اليوم ، وتعلم الفقه وعلم المذاهب . فسرت وفق هذه الإشارة ، حتى وصل علمى إلى هذه الدرجة ، ببركة انظارهما .

حكاية :

روى أن الشيخ كان يسير إلى مدينة هراة ، وفى رفقة جمع كبير من الصوفية والمقرئين . ولما وصل إلى قرية « ريكا » ، وهى قرية على بعد فرسخين من المدينة ، كان بها رجل (ص ٢٤٢) يدعى الشيخ أبا العباس الريكانى ، له أخ

كبير من خيرة رجال عصره ، وكانا متلازمين دائماً ، ويمسكان كمعادة أهل هراة جوسقا ، ويقيان فيه . وقد اعتادا دعوة كل من يصل إلى القرية من الصوفية لينزل ضيفا عليهما ، ويؤديا له شروط الضيافة . وكانا ينكران السماع .

ولما وصل الشيخ إلى القرية ، أنزلاه في الجوسق ، وأعدا له ما تيسر من الطعام . ولما فرغوا من الأكل قال الشيخ : انشدوا شعرا . فقال الشيخ أبو العباس : إننا لم نعتد ذلك . فقال الشيخ للقول : تعال وانشدنا شيئا . فأنشد القول بعض الشعر ، فتمسكت الشيخ حال ، ونهض ، وأخذ يرقص ، والجميع يشاركونه وظهر الشيخ أبو العباس استنكاره لذلك ، فأمسك الشيخ بيده ، وجذبه إليه ليرقص معه . وأخذ يجذب نفسه منه ، فقال له الشيخ : انظر ، فنظر إلى الصحراء في الخارج ، فرأى جميع الجبال والأشجار والمباني ترقص مع الشيخ ، فاندمج أبو العباس مع الشيخ في الرقص دون وعي ، وأمسك بيد أخيه قائلا له : تعال ، فلا طاقة لنا على مقاومة هذا الرجل . ورقص الأخوان كلاهما ، وتخليا عن إنكارهما ، وأظهرا الرغبة في السماع بعد ذلك .

وأما الشيخ اليوم في ذلك المكان . وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة هراة . ولما بلغ بوابة المدينة قال : لقد دخل الإسلام هذه المدينة ، لكن الكفر لم يخرج منها . وعندما دخل الشيخ المدينة ، ذهب إلى الخانقاه التي يقيم فيها خاله . وتقدم خال الشيخ من فوق الخانقاه ، ورأى كل منهما الآخر . ولم يفقه الشيخ بشيء قط ، ورجع من ذلك المكان ، وذهب إلى قصر قاضي هراة (ص ٢٣٣) وجلس دون حجاب . وأخبروا القاضي بحضور الشيخ ، فجرى إليه عاري القدمين ، وجلس أمامه على ركبتيه ، وقال له : أيها الشيخ ، عظمي . فقال الشيخ : « حب

الدنيا رأس كل خطيئة». ولم يقل أكثر من هذا ونهض . وتوسل إليه القاضى
أن يبقى ساعة فلم يقبل .

وفى الطريق، تقدم شخص من أهل هراة إلى الشيخ، وأمسك بعنان جواده،
وأخذ يسير معه . وسأله أثناء السير قائلا : أيها الشيخ، مارأيت فى الآية التى
تقول «الرحمن على العرش إستوى» . فأجاب الشيخ : لدينا فى ميهنه نسوة من
العجائز يقان إن الله موجود، وليس هناك عرش . وأخذ الشيخ يسير حتى خرج
من البوابة ، ووصل إلى مكان فيه بئر كبيرة ، وقد إعتادوا أن يسمونها بئر
يعقوب . وكان هناك رجل قد وقف على حافة البئر ، فأخذ يصيح قائلا : تعالى
يا جوهر . فاطت من القصر سيدة عجوز ، سوداء اللون ، مجردة الوجه، كبيرة
الإسنان ، قبيحة الشكل . ورأى الشيخ وجماعة الصوفية تلك المرأة . فقال الشيخ :
لا يوجد لمثل هذا البحر أفضل من هذا الجوهر

وأتجه الشيخ إلى البوابة التى يسمونها باب السرة . ولما وصل إليها ، كان
عندها رجل قال كلمة تألم منها الشيخ . وأشار الشيخ إلى أنه لا يوجد على تلك
البوابة قبة كما هو الحال فى البوابات الأخرى . ثم خرج الشيخ من بوابة المدينة.
وكان كثير من الناس قد خرجوا لوداعه ورؤيته ، فالتفت الشيخ خلفه وقال :
«يا أهل هراة ، إنى أراكم بخير ، وإنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» . ولم يقل
الشيخ أكثر من هذا ، رسار ، ولم يبق فى هراة ساعة واحدة .

حكاية :

(ص ٢٤٤) روى عن عدة أشخاص من العظماء وأبناء الشيخ أبى عبد الله
الأنصارى أن شيخ الإسلام أبابعد الله الأنصارى قال : أردت فى أوائل شبابه

أن أكون صوفيا. وتمنيت أن ييسر الله لي هذا الأمر. وأخذت أمارس الرياضات، وأقوم بخدمة شيوخ الطريقة، وعظماء الدين. وكنت أستمع بالدعاء، لكنني رغم هذا كنت أقول الفاحشة؛ فقد كانت تجري على لساني وظل الأمر. على هذا النحو حتى ذهبت إلى نيسابور يوما، وكان بها الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز، فذهبت لزيارته، وكان قد جلس ووقف بين يديه أحد المريدين يقلب لفتا مسالوقا في مسحوق من السكر، ويعطيه له، فيأكله. ولما دخلت عليه، كانت بيده لفتة أكل نصفها، فوضع بيده النصف الثاني في فمي. ومنذ ذلك الوقت لم تجر على لساني فاحشة قط، أو شيء غير لائق، وفتح لي باب التصوف. وكل ما يجري على لساني من أقوال إنما هو بفضل نصف اللفتة الذي وضعه الشيخ بيده المباركة في فمي.

حكاية :

روى أن الشيخ أبا سعيد كان قد اقترض في وقت من الأوقات بمدينة ميهنة مبلغ خمسمائة دينار ذهبي من أجل الدراويش. وقال لحسن بن المؤدب يوما: أعد الجواد لاذهب إلى أبي الفضل الفراتي، فهو يستطيع سداد هذا القرض.

وسار الشيخ وفي رفقته جماعة الصوفية. وأخبر درويش أبا الفضل الفراتي أن الشيخ قادم للاقتراض منه. وذكر له ما قاله الشيخ في ميهنة. فخرج أبو الفضل لاستقبال الشيخ في حفاوة كبيرة، وأنزله في مكان طيب، وأنفق عليه مالا كثيرا، وأقام له الولا ثم ثلاثة أيام. ولم يتوان لحظة عن خدمة الشيخ، طوال هذه الأيام الثلاثة.

وفي اليوم الرابع، (ص ٢٤٥) وقبل أن يتفوه الشيخ بكلمة في هذا الموضوع

أويشير إليه ، أعطى ابو الفضل حسن بن المؤدب خمسمائة دينار نيسابورى وقال له :
هذه من أجل قرض الدرايش . وأعطاه مائة دينار أخرى ، وقال : وهذه من أجل
الطعام فى الطريق . ومائة دينار ثانية ، وقال : وهذه من أجل نفقات السفر .
وذهب حسن بن المؤدب إلى الشيخ ، وحديثه بالامر . فسأل الشيخ أبا الفضل
عن الدعاء الذى يدعو له . فقال : ما يتفضل به الشيخ . فسأله الشيخ : هل أدعوك
الله سبحانه وتعالى إلا يمنحك الدنيا ؟ . فقال : لا أيها الشيخ ، فلو لم تكن الدنيا ، لما
جئت إلى هنا ، ولما استراح قلبك . فقال الشيخ : يا الهى لاتدعه للدنيا ، وأجعل
الدنيا زاد له ، لا وبالا عليه . وقد شملته بركة دعاء الشيخ هو وأولاده ، فأصبح من
من كبار الصوفية ، ووصل أباؤه إلى الدرجات الرفيعة ، سواء فى الدين أو الدنيا ،
وأصبحوا من مشاهير خراسان .

حكاية :

عندما كان الشيخ أبوسعيد فى نيسابور قال لحسن يوما : انهض واحضر
قوالا . وخرج حسن وبحث ، فلم يجد أحدا . ولما عجز عن العثور على أحد القوالين ،
أرشدوه إلى شاب فى حانة . وذهب حسن لاحضاره ، فوجده ثملا . فرجع إلى
الشيخ وقال له : لقد بحث فى جميع المدينة فلم أجد أحد إلا شابا ثملا . فقال له
الشيخ : ينبغى إحضاره . فأحضر حسن الشاب إلى الشيخ ، فقال له الشيخ :
أنشدنا شيئا أيها الشاب . فأنشد الشاب بيتا مكسورا ، غير مفهوم ؛ لأنه كان
ثملا ، ثم استسلم للنوم . وقال الشيخ : هيئوا له نوما مريحا . ونام الشاب ساعة . وعندما
استيقظ صاح قائلًا : أين أنا ؟ . فاقرب منه حسن وقال له : لقد طلبك الشيخ
لتنشد شيئا . فأخذ يتقدم ببطء ، وهو يتعثر فى كل خطوة ، حتى وصل أمام الشيخ ،
وقبل أقدامه وقال : لقد تبت . فربت الشيخ على رأسه ، وأرسله إلى الحمام ،

وطلب من الخلاق أن يحاق له . (ص ٢٤٦) فخلق له رأسه ، وألبسه ثوب الشيخ . وقام بخدمة الدراويش في الخانقاه ثلاثين عاما بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

وحدث أيضا عندما كان الشيخ في نيسابور أن قال يوما : أعدوا الجواد . فأعدوه . وركب الشيخ ، وسار في رفقته جمع من الدراويش . وفي وسط السوق اقتربت من الشيخ امرأة مطربة ، ثملة ، ذات وجه مكشوف ، مزينة . فصرخ فيها الدراويش قائلين : ابتعدى عن الطريق . فقال الشيخ : لا تؤذوها . ولما اقتربت منه المرأة قال الشيخ :

« بيت »

— أهكذا تأتي إلى السوق مزينة ثملا ،

ألا تخشى أيها الحبيب أن تقع في الأسر .

فتملكك المرأة حال ، وبكت كثيرا ، وذهبت إلى مسجد في تلك الناحية ، ونادت واحدا من مريدي الشيخ . فقال له الشيخ : اذهب لترى ماذا تريد . فذهب الدراويش . ووضعت المرأة كل ما كانت تلبسه من ثياب وحلى في أزار ، وأعطته ، للدراويش ، وطلبت منه أن يوصلها للشيخ . فأحضرها الدراويش للشيخ ، وأبلغه رسالتها . فقال الشيخ : باركها الله . وأمر بأن ينفقوا كل ماتخلت عنه المرأة في شراء الحلوى والخبز والبخور الزكي . وأتجه الشيخ وجماعة الصوفية إلى الصحراء لتأدية الصلاة في المدينة . وكان جمع كبير من عامة الناس يسرون خلف الشيخ ، فأحضر الجمالون الطعام ، ووضعوه كله أمام الجميع ، ودعوهم إليه . ولم يشاركهم الصوفية . ووقف الشيخ مع الصوفية في ناحية ينظرون إلى الناس ، ووضعوا العود والبخور على النار . وأخذ العود يحترق ، وانتشرت رائحته في الهواء ، وغمرت

النشوة الشيخ ، فأخذ يصرخ ، قائلاً : كل ما يأتي بالنفس ، يذهب بالدخان والريح .
وعندما فرغ الناس من الطعام (ص ٢٤٧) ذهب الشيخ إلى المدينة .

وظلت المرأة المطربة ثابتة على توبتها ، وأصبحت من جملة السيدات الصالحات ،
ببركة كرامة الشيخ قدس الله روحه العزيزة .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح رحمة الله عليه إنه عندما كان في نيسابور كان
سيف الدولة واليا عليها ، وكان من جملة السلاطين الكبار . وذات يوم جاء
لزيارة الشيخ في خانقاه ، وبكى كثيرا ، وقدم له وفيرا ، وقال : أرجو أن يقبلني
الشيخ ابنا له . فقال له الشيخ : يا إبراهيم ، لقد أحرزت درجة رفيعة ، فلا ينبغي
أن تعجز عن القيام بحقها . فقال : سأقوم بها إن شاء الله ببركة همة الشيخ . فقال
له الشيخ ، هل تعاهدني على ألا تظلم ، وتقصر أيدي الجنود حتى لا يظلمون
الرعية ؟ قال : أعاهدك . فقال له الشيخ : لقد قبلتك ابنا لي . فعظمه سيف الدولة
وخرج . واتبع العدل والسيرة والحسنة حتى اشتهر بالعدل والإنصاف في خراسان .
وكانوا يضربون المثل بمرؤته ، بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، حدث يوما أن كان يعظ في خانقاه الأستاذ
الإمام . وفي أثناء عودته من هناك إلى محلة عدني كوبان ، قابلة في الطريق إبراهيم
ينال أخو السلطان طغرل . فلما اقترب من الشيخ ، ترجل عن جواده ، وأحنى رأسه
تحية للشيخ . فقال له الشيخ : أحن رأسك أكثر . ففعل . فقال الشيخ : أحنها
أكثر . فأحنها حتى اقتربت من الأرض . فقال الشيخ : انتهينا ، اجلس بسم

الله . فجلس ، وسار الشيخ إلى الخانقاه . وسأل الدرويش نفسه ما هذا الذي فعله الشيخ مع أخى السلطان طغرل ؟ . فالتفت إليه الشيخ وقال : أيها الدرويش ، ألا تعرف أن كل من يسلم علينا إنما يسلم علينا من أجل الله ؟ . إن قلوبنا هي القبلة التي يتقرب إليها الناس ، ولست أنا المقصود في نفسى ، إنما المقصود هو الله جل جلاله . وكل تبجيل لله سبحانه وتعالى كلما كان أقرب إلى الخشوع ، كان أكثر قبولا . ولهذا أمرت إبراهيم ينال بتبجيل الله تعالى ، لا بتبجيل شخصى . ثم قال الشيخ : لقد جعل الله الكعبة قبلة المسلمين (ص ٢٤٨) ليسجد الناس له ، أما الكعبة نفسها فلا قيمة لها . وجعلنا قبلة الناس ليحترموا ديننا ، ولا قيمة لنا بأنفسنا . فسقط الدرويش على الأرض ، وأدرك أن ما يفعله الشيوخ لا يصل إليه تفكير أى شخص ، وأنه لا يمكن الاعتراض على ما يفعلونه لا بالظاهر ولا بالباطن ؛ لأنه لا يمكن أن يكون إلا حقا .

حكاية :

في رواية صحيحة نقلا عن السيد الإمام أنى على العثماني أنه قال : سمعت الشيخ أبا سعيد يقول : رأيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في النوم ، وعلى رأسه تاج ، وفي وسطه حزام ، وقد وقف أمير المؤمنين على رضى الله عنه عند رأسه ، ووقف أبو القاسم الجنيد وأبو بكر الشبلى بين يديه . فسألت عليه وسألته : « يارسول الله ما تقول من أولياء الله ؟ » ، فقال المصطفى : « هذا منهم ، وأنت آخرهم ، فإذا مضيت أنت لشأنك لا نذكر أحد بعدك » وأشار إلى كل واحد منهما .

ويقول جامع هذه الأقوال - المؤلف - سمعت الإمام عبد الرحيم يقول في طوس إنه سمع والده السيد الإمام عبد الكريم الإزجائي يقول : سمعت الشيخ أبا سعيد بن أبي الخير يقول : رأيت المصطفى صلوات الله عليه في النوم ، فقال لي : يا أبا سعيد ، كما أني آخر الأنبياء ، فأنت آخر الأولياء ، وإن يكون بعدك ولي .
وخلع خاتما من يده وأعطاه لي .

حكاية :

في وقت من الأوقات كان الشيخ يعظ في ميهنه . وفي أثناء ذلك وصل درويش من ماوراء النهر ، ودخل إلى المسكن وجلس . وأتم الشيخ المجلس في ذلك اليوم ، وحياء الدرويش ، وأقام لديه ثلاثة أيام . وكان يجلس كل يوم في مجلس الشيخ ، والشيخ يلتفت إليه ، ويقول أقوالا طيبة . وفي اليوم الرابع وقف الدرويش في وسط المجلس وصاح قائلا : أيها الشيخ ، أريد (ص ٢٤٩) أن أعرف أي رجل أنت ، وما أحوالك ؟ . فقال له الشيخ : أيها الدرويش : أنا رجل لأربط كيسى ، ولا أتعارك مع الناس . ولما سمع الدرويش ذلك القول هذا وجلس . وعندما فرغ الشيخ من الحديث أسرع الدرويش عائدا إلى بلده .

وكان في ماوراء النهر شيوخ كبار ، اعتادوا أن يجلسوا في حلقة ، ويتبادلون فيها الحديث . فلما جلس بينهم ، وتحدث كل منهم في موضوع ، وجاء دوره قالوا له : هيا ، حدثنا عما رأيت في خراسان . فقال : رأيت في ميهنه شيخا كان يعظ وعظا جيدا لا ذكره كلمة ، وقد سألته أي رجل أنت ، وما أحوالك ؟ . فقال لي : أنا رجل لأربط كيسى ، ولا أتعارك مع الناس . فنهض الشيوخ دفعة واحدة ، وتوجهوا

إلى خراسان، وسجدوا تعظيماً للشيخ. قائلين إن مثل هذا الشخص يستحق التعظيم،
لأنه لم يبق له من نفسه شيء قط .

حكاية :

عندما ذهب الشيخ إلى نيسابور ، ظل أبو القاسم القشيري لا يراه عاماً ، وكان
منكرًا له . بيد أن الناس كانوا ينقلون إليه كل ما يفعله الشيخ ، وينقلون إلى الشيخ
أيضاً كل ما يصنعه الأستاذ الإمام . وكان الأستاذ الإمام يتحدث في حق الشيخ
دائماً ، مظهراً إنكاره له . وكانوا يخبرون الشيخ بذلك ، ولم يكن الشيخ يعقب
عليه بشيء .

وذات يوم قال الأستاذ الإمام : ليس هناك ما هو أكثر من أن أبا سعيد
يجب الحق سبحانه وتعالى ، والحق سبحانه وتعالى يحبنا . ويوجد فرق كبير بين
الحالين ، فأنا كالقيل ، وأبو سعيد كالبعوضة .

وتقل رجل هذا القول إلى الشيخ فقال له : إذهب إلى الأستاذ الإمام ، وقل
له : أنت البعوضة أيضاً ، أما أنا فإست شيئاً قط ، ولا جود لي . فذهب الدراويش
وأبلغ الأستاذ الإمام هذا الكلام ، فلم يذكر بعد ذلك شيئاً يسيء إلى الشيخ . ثم
جاء إلى مجلس الشيخ ، وتبدل ذلك الإنكار بالألفة . وقد دونت هذه الحكاية
في ذلك الوقت .

حكاية :

وأيضاً (ص ٢٥٠) عندما كان الشيخ في نيسابور ، مرض أحد الأئمة
الكبار ، فذهب الشيخ لعيادته ، وجلس إليه . وبينما كان الشيخ يسأله عن حاله ،
دخل جمع من وكلاء أعمال هذا الإمام ، وأخذ أحدهم يقول يلزم فلان كذا من

البذور ، ويقول الآخر تلزم عمارة لفلان ، وظلوا يتحدثون على هذا النحو ، وهو يحجبهم ، وقد إهتمك في الحديث تماما . ولما تنبه لنفسه ، إعتذر للشيخ . فقال له الشيخ : الأفضل للسيد الإمام أن يموت . فأفاق الإمام لنفسه ، وأدرك أنه أخطأ ، وأن الحق في جانب الشيخ ، فاعتذر إليه قائلا : إن نظري لا يرقى إلى حيث يضع الشيخ قدمه . وتاب عن ذلك .

حكاية :

وأیضا عندما كان الشيخ في نيسابور ، حدث أنه كان ذاهبا يوما إلى مقبرة الحيرة . وعندما بلغ قبور المشايخ ، رأى هناك جماعة كانت تشرب الخمر ، وتدق الدفوف . فثار الصوفية ، وأرادوا أن يعتدوا عليهم ، فمنعهم الشيخ . ولما إقترب منهم قال لهم : سوف يجعلكم الله مسرورين في الآخرة ، على نحو ما أنتم عليه من السرور في الدنيا . فمضوا جميعا ، وقبلوا أقدام الشيخ ، وسكبوا الخمر ، وحطموا الدفوف وتابوا ، وأصبحوا من خيرة الرجال بفضل بركة الشيخ .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد ذاهبا إلى « مرورود » ولما وصل « بغشور » ، وجدها مدينة سيئة ، ووجد أهلها رجلا أخياراً ، عظماء ، أكثرهم من الأئمة ، وأهل التقوى .

وكان في « بغشور » ثلاثمائة رجل من أهل الفتوى والدين . وكان جميع أهل المدينة صالحين ويقال إنه في وقت من الأوقات أراد واحد من عمال السلطان أن يفسد في تلك المدينة . (ص ٢٥١) فاجتمع أهلها ، سواء العوام منهم والخواص ، الصغار والكبار ، وقالوا لن ندع أحدا ينشر الفساد في مدينتنا ، أو يرتكب

معصية ، أو يعلم أبناءنا ممارسة الفساد . وبلغ الصراع بينهم وبينه مدى بعيدا ، ولم يستسلموا له في النهاية ، أو يتركوه ينفذ مآربه .

وعندما وصل الشيخ بغشور قال : هذه المدينة جحيم لأهل الجنة . وسار منها إلى « مرورود » . ولما رأى القاضي حسين رحمة الله عليه الشيخ أبا سعيد في هذه المدينة ، أصبح من مريديه ، أقام الشيخ هناك ثلاثة أيام .

وكان أحد الدراويش يحتفل بمختار ولده ، ودعا الشيخ والصوفية ، فذهبوا إليه . وبعد أن فرغوا من تناول الطعام ، أقاموا السماع . وغمرت النشوة الشيخ ، وركب جواده على تلك الحال ، وذهب الخانقاه والصوفية في رفقته ، والقوالون ينشدون . وأخذوا يسرون على هذا النحو ، حتى بلغوا قلب المدينة . وأنكر الناس عليهم ذلك ، وذهبوا إلى القاضي حسين ، وأطعوه على ما حدث . فكتب حسين رقعة إلى الشيخ يقول له فيها : إن الناس يظهرون أنكارهم ، وبشكون في هذه الحركة . فكتب الشيخ على ظهر الرقعة هذا البيت ، وأعادها إليه :

« بيت »

لقد صار هذا الطبع السيء تعويذه لذلك

الوجه الجميل ، وإلا لأصابته عين السوء .

وعندما قرأ القاضي هذا البيت ، بكى ، وزال الإنكار عن الناس .

حكاية :

روى أنه عندما مذهب الشيخ إلى مرو وحدث ما حدث من الشيخ أبي على سياه والسيد الخباز ، على النحو الذي مر ذكره من قبل ، خرج الشيخ من الخانقاه

وأخذ يسير إلى الصحراء . وكان أحد السادة يسير في ركابه بحكم أنه من مريديه .
ولما بلغ الشيخ قصر السيد ، أمسك بعنان جواد الشيخ ، ودعاه قائلاً : يجب أن
يدخل الشيخ قصرى ، ويشرفنى بزيارته . فدخل الشيخ والصوفية القصر . وكان
به عمود كبير (ص ٢٥٢) ترتكز عليه عدة أخشاب ، وكانت أكثر العمارات محملة
على عمود على هذا النحو . وعندما وقع بصر الشيخ على ذلك العمود قال :
« لا ستوائك حملت ما حملت » . وما أن ذكر الشيخ هذه العبارة ، حتى قال السيد :
حقاً أيها الشيخ ، لقد أنققت كثيراً على هذا العمود ، وطفقت كثيراً ، وتحملت
المشاق حتى أحضرته إلى هنا ، ولا يوجد عمود أكبر منه فى المدينة كلها . فقال
الشيخ : سبحان الله! ... أين نحن ، وأين هذا الرجل . ونهض وبارح القصر ،
ورفض البقاء ، رغم إلحاحهم عليه ، وذهب من هناك إلى رباط عبد الله مبارك ،
ولم يقيم بمرور ، وعاد إلى ميهنه .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتوح رحمه الله : عندما كان الشيخ قدس الله روحه
العزیز فى نيسابور ، أحضروا له ثوباً خيوط حديثاً ، وغسأوه ، ووضعوه على الحبل
ليجف ، فضاع الثوب . وأخذ كل شخص يقول من الذى يجرؤ على عمل كهذا ؟ .
وكان الشيخ قد جلس فى رواق الخانقاه فلم يقل شيئاً . وكان هناك رجل مسن
جلس بجوار الشيخ أبى سعيد ، وكان أبوسعيد يحبه كثيراً . وقال الصوفية سنبحت
فى الزاوية ، ونرى أين نجد الثوب . . وبدأوا بالرجل الذى كان يجلس إلى جوار
أبى سعيد ، وفتشوه ، فوجدوا ثوب أبى سعيد مربوطاً على وسطه . ولما رآه
أبو سعيد قال : أخرجوا متاعه إلى الطريق . فأخرجوه إلى باب الخانقاه ، وخرج
الرجل ، وذهب ولم يره أحد بعد ذلك مرة ثانية .

حكاية :

روى أن تاجراً كان قد أحضر للشيخ جارية تركية ، وكانت تلك الجارية تقوم بخدمة الشيخ ، وتعتقد فيه اعتقاداً شديداً ، فمُنحها الشيخ لابنه السيد (ص ٢٥٣) أبي طاهر . وجاءت إلى الشيخ وبكت وقالت له : أيها الشيخ ، لا أدري لماذا تبعذني عن خدمتك ؟ . فقال لها الشيخ : إن أبا طاهر قطعة مني ، وأنا لا أبعدك عن خدمتي عندما تكونين عنده . فذهبت الجارية إلى خدمة أبي طاهر ، وظلت في الوقت نفسه تقوم بخدمة الشيخ ، وأصبحت موضع إعجاب الجميع في تدينها وتقواها ، حتى لقد قال لها الشيخ ، في يوم من الأيام :

« بيت »

— من الذي أتى بك من التركستان .

قولي له يذهب ويحضر مثلك .

وكانت تلك الجارية والدة السيد الشيخ أبي الفتح .

في أقوال الشيخ أبي سعيد التي قالها :

* قال أبو سعيد : كنت أسير حتى وصلت إلى قرية على حدود بلاد الجبل يقال لها « طرق » فنزلت بها ، وسألت : هل كان يوجد هنا أحد من الشيوخ ؟ . فقالوا أجل ، شخص يدعى « دادا » . فسرت إلى قبر ذلك الشيخ ، وزرته فشعرت بالراحة التامة . وخرجت جماعة من القرية ، فسألتهم : هل رأى أحد « دادا » لأسأله عنه ؟ . فأجابوا : يوجد رجل رآه في آواخر أيامه . فأرسلت شخصاً ليحضره . وكان رجلاً ذاهية فسألته : أيها الشيخ . هل رأيت دادا ؟ . فأجاب : كنت صغيراً عندما رأيته . قلت : ماذا سمعت منه ؟ . قال : لم تكن

لدى القدرة على أن أفهم كلامه ، ولكنى أتذكر قولاً من أقواله . فطلبت إليه أن يذكره . فقال : دخل عليه صوفي ذات يوم وحياء وقال له : لقد أسرعت إليك أيها الشيخ لأنال الراحة على يديك ، فقد طفت العالم ، ولم أحصل على الراحة قط ، ولم أر مجرباً . فقال له دادا : أيها الغافل ، لماذا لم تسعد الآخرين لتستريح أنت (ص ٢٥٥) ، ويستريح بك الناس أيضاً ؟ .

قلت : الحق ما قال ، ولا يوجد ما هو أحسن من هذا ، فاذهب وعد إلى بيتك . ثم التفت الشيخ — أبو سعيد — إلى واحد من القوم وقال : « ما كل هذا إلا نفسك . إن قتلتها ، وإلا قتلتك . وإن صدمتها ، وإلا صدمتك . وإن شغلتها وإلا شغلتك » .

ثم قال الشيخ : « لا يصل الخلق إلى الخلق إلا بالسير إليه ، ولا يصل الخلق إلى الخالق إلا بالصبر عليه ، والصبر عليه بقتل النفس والهوى » فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

حكاية :

قال الشيخ : في يوم من الأيام مر رجل دهرى على حلقة أبي الحسن النورى ، وكان يتحدث عن الحق ويقول : إن الصوفية يسمون الله « الحق » في لغتهم . وفي كل لغة يسمون الله عز وجل باسم آخر ، فبعضهم يسميه « الرحمن » لأنه يمنحهم الرزق . وبعضهم يسميه « الرحيم » لأنهم يريدون الجنة ، وبعضهم يسميه « الملك » لأنهم يريدون المنزلة . وكل شخص يحتاج إلى شيء يسميه باسم ذلك الشيء . والصوفية يسمونه « الحق » لأنهم لا يمدون أيديهم إلى غيره ، ولا يتطاعون إلى شيء . ثم قال : وقولهم أكثر طمرا ، لأنهم يقولون الحق . وعندئذ قال الدهرى لأبي الحسن

النورى : أوائل الذين يقولون « الحق » ما معنى قولهم هذا ؟ . فقال : معناه ، ذلك الذى يغمر الناس بنعمه الكثيرة ، وهو فى غنى عنهم جميعا .

ثم قال الشيخ : إنه السبحان ، وأظهر من كل ما يقولون وما يفكرون . والله عز وجل تسع وتسعون اسما فى القرآن والتوراة والإنجيل والزبور . وأعظم هذه الأسماء السبحان ، وعندما تقول السبحان ؛ فقد قلتها جميعا . وإذا قلتها جميعا ، ولم تقل السبحان ، فلانك لم تقل شيئا . وكلها مرتبطة بهذا الاسم ، فإذا ما قلته ، تفتحت لك جميعها ، وامحيت الذنوب .

وكما أن المسبحة تتكون من ألف حبة على رأسها واحدة كبيرة تسمى المؤذن ، وإذا ما تقطعت انفرطت جميعها ، كذلك عندما تقول السبحان تجدد أسماء الله جميعها . (ص ٢٥٥) فيجب أن تجتهد كثيرا فى أن تقول السبحان .

وجميع المخلوقات تقول « سبحان » ولكنك لا تسمعها لما أنت فيه من غفلة . فهذه البلايل التى تتغنى بألف الألحان تقول سبحان الله ، ولكنك لا تسمع إلا الألحان . والله تعالى يقول : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

حكاية :

قال الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز : رآنى بعضهم فى النوم أتحدث وأناميت ، وفمى مغلق . فقال شخص : لا تقل كلاما للناس ، وإذا قلت كلاما فقل كما قال الشيخ . عندما تموت يبقى هو وكفى « مات العبد وهو لم يزل » .

قرأ مقرئ هذه الآية أمام الشيخ : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك

إلى معاد » فقال الشيخ : لقد قال المفسرون في هذه الآية : أراد به فتح مكة ، وأنا أقول إنه لم يذكر القسم من أجل فتح مكة ، وإنما أراد به لقاء الاخوان .

حكايات وفوائد

جرت هذه الفوائد متفرقة على لسان الشيخ أبي سعيد المبارك :

* قال شيخنا إن عمر بن الخطاب سأل كعب الأحبار : أى آية في التوراة وجدتتها أكثر إيجازا ؟. فقال كعب : وجدت في التوراة أن الحق سبحانه وتعالى يقول : « ألا من طابني وجدني ، ومن طاب غيري لم يجدني » وقد كتب في مقابل هذا : « قد طال شوق الأبرار إلى اقائى ، وأنا إلى لقاءهم أشوق » .

* قال الشيخ : (ص ٢٥٦) قال بايزيد البسطامي إن الحق سبحانه وتعالى فرد فينبغى أن تبحث عنه بالتفريد ، وأنت تحاول أن تدرك وحدانيته عن طريق الكتب فكيف يتأتى لك ذلك .

* قال الشيخ : قال بعض الحكماء : « ولدت باكيا والناس يضحكون ، فاجتهد أن تموت ضاحكا والناس يبكون » .

« بيت »

— إننى أسعد عندما يتحدثون عنك ،

وتصعد روحى وأنا ضاحك .

* قال الشيخ إن الشبلى قال : كل من أطاع على مقدار ذرة من علم التوحيد يعجز عن حمل بعوضة ، من ثقل ما وضع على عاتقه .

* قال شيخنا :

« بيت »

— منذ تماكنتي عشقك ،

طردني الثعلب الأعرج من عريني .

* قال شيخنا : « أشرف كبة في التوحيد قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« سبحان من لم يجعل خلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » .

* قال الشيخ : قال يوسف بن الحسين : كل من وقع في بحر التوحيد يزداد ظمأ

كل يوم ، ولا يرتوي أبدا ، ولا ينطفئ ذلك الظمأ إلا بالله .

* قال شيخنا إن الجنيد قال : ذلك التوحيد الذي للصوفية ، من قبيل فصل

الحديث عن القديم ، والخروج من الوطن ، ورؤية المحن ، وترك ما يعرف وما

لا يعرف ، وبدلا من هذا كله يكون الحق .

* قال الشيخ : جاء رجل إلى ذى النون المصري وقال له أدع لي . فقال ذو

النون إذا كان لك سبق في علم الغيب يكون جميع الدعاء سابق لك في علم

التوحيد . وإلا فكيف ينجى صياح النظارة وصرائحهم الغريق ؟ .

« بيت »

— لو أني حملت حبك معي إلى القبر ،

لظلت أصرخ رغم أني لم أراك إلا الفضل

* قال الشيخ : سئل السيد أبو الحسن البوشنجي رحمة الله عليه : ما الإيمان؟

وما (ص ٢٥٧) التوكل ؟ . فقال : الإيمان : أن تأكل مما تجده أمامك ،

وتمضغ اللقمة وأنت مرتاح القلب ، واتمكل : أن تعلم أن مالك لن يفوتك .

* قال الشيخ إن أبا عبد الله الرازي قال : عصف بي البرد والجوع ، فتكاسلت — عن القيام للصلاة — وسحبت هاتفا يقول لي : هل تظن أن العبادة صلاة وصوم ؟ إن إذلال النفس لأحكام الله تعالى أفضل من الصلاة والصيام .

* سئل الشيخ : ما التصوف ؟ فقال : التصوف كله شرك . فقالوا : لماذا أيها الشيخ ؟ . فقال : لأن التصوف حفظ القلب من الغير والسوى ، وليس هناك شيء غير الله .

* قال الشيخ : كان الجنيد قد جلس يوماً مع جماعة من الدراويش وأخذ يتحدث في أفضال الله ونعمه جل جلاله . فقال درويش « الحمد لله » . فقال الجنيد : قل الحمد تاماً كما قال الله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » . فقال الدراويش : ومن يكون هؤلاء العالمون حتى يقرنوا به ؟ . فقال الجنيد : قلّه تاماً لأنك عندما تقرن الحديث بالتقديم يتلاشى المحدث إلى جانبه ويبقى القديم .

* قال الشيخ : كان الشبلي يقول كثيراً : « الله ، الله ، الله » . فسألوه لماذا تقول الله ، الله ، ولا تقول « لا إله إلا الله » فأجاب : إنني أخجل أن أذكره على لساني بالإنكار ، وأخشى أن أموت وأنا أقول « لا إله » ولا أصل إلى « إلا الله » .

قال الشيخ : « لا إله » طريق التصوف . و « لا إله » نهايته . وما لم يستقم الشخص في « لا إله » سنوات . لا يصل إلى « إلا الله » .

* : قال الشيخ قل معاوية بن أبي سفيان : حيث تكفى السياط لا أمر بالسيف ، ولو

أن ما بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ؛ لأنه عندما يجذبونها أرحيها ، وعندما يرخونها اجذبها .

* (ص ٢٥٨) قال الشيخ : يقولون فى كيلة ودمنة إن الشخص لا يقدر على السلطان القوى إلا إذا سلمه رقبته . ومثل هذه الأعشاب الغضة ، فهى كلما هبت عليها الريح ، أسلمت نفسها لها لتلقيها على الأرض ، فتنجو فى النهاية . أما الشجرة الكبيرة التى لا تستسلم ، فإن الريح تقتلعها من جذورها . وعندما ترى الأسد وتشعر بالخوف منه ، تدحرج على الأرض ، وتواضع حتى تنجو ؛ لأن الأسد قوى ولكنه كريم . ولا يخذعك العدو الضعيف ؛ لأن البغل القوى ينفر من التبن الضعيف ، بل إنه يهلكه . والنار لا تحرق فتيلة على نحو ما تحرق العداوة قبيلة . والعتاب أفضل من الحقد الدفين . وجرح الناصح الأمين أفضل من سلام العدو المبين .

* قال الشيخ : مثل الأدب للاحق كالماء تحته الحنظل ، كلما شربت منه أكثر ، ازداد مرارة .

* قال الشيخ : إن العاقل هو الذى عندما يعرض له أمر من الأمور يجمع الآراء جميعا وينظر فيها ببصيرته ، حتى يخرج منها بالصائب ، ويترك الآخر . كالشخص الذى يضع منه دينار فى التراب ؛ فإنه إذا كان ماهرا ، جمع التراب الذى فى تلك الناحية ، ونخله بغربال حتى يظهر الدينار .

* قال الشيخ : كان لأعرابي ابن توفى فجزع عليه كثيرا . فقالوا له اصبر فقد وعد الله الصابرين بالثواب . فقال : كيف لمن كان مثلى أن يصبر على قدرة الله سبحانه وتعالى ، فوالله إن الجزع منه أحب إليه من الصبر ، لأن هذا الصبر يسود القلب .

* ذكر شيخنا عن الشبلي أنه قال : كان هناك صديقان تعودا أن يصبحا بعضهما في الإقامة والسفر . وتصادف أن اضطررا إلى أن يعبرا البحر . (ص ٢٥٩)
ولما وصلت السفينة إلى منتصف البحر ، صعد أحدهما على حافتها فسقط في الماء قضاء . فألقى الصديق الآخر بنفسه في الماء خلفه . وأوقفوا السفينة ونزل الغواصون إلى الماء وانتشلوهما سالمين . وبعد أن استراحا ساعة قال الصديق الذي سقط أولا لصديقه : انفرض اني سقطت في الماء فما الذي أوقعك أنت ؟ . فقال : لقد غبت بك عن نفسي حتى ظننت أنني أنت .

* قال الشيخ : كان للخليفة ابنة عم يحبها . وكانا قد جلسا يوما على حافة بئر فسقط خاتم الخليفة فيها . فخلعت الفتاة خاتمها وألقته في البئر . فسألها الخليفة لم فعلت هذا ؟ . فقالت لقد جربت الفراق عندما بعد كل منا عن الآخر ، فلم أرض أن يشعر خاتمك بوحشة الفراق ، فخلعت خاتمي مؤنسا له .

* قال الشيخ :

(شعر)

يامن وجهك مثل النهار دليل للموحدين
ويامن شعرك مثل ليل الملاح في اللحد
ويامن أنت المقدم عندى على جميع العشاق
أنت المقدم في الحسن عندما يتحدثون عن القد
إن أهل مكة يفخرون بالكعبة والمصريين بالنيل
والمسيحيين بالمحراب والعلويين بالجد

وأنت تفخر بهاتين العينين السوداوين

الباديتين تحت تقابك فوق الخد .

* قال الشيخ : وقف صبي في حلقة الشبلى وقال له : يا أبا بكر اجعلنى غائبا
عن نفسى ثم أعدنى إليها حتى أكون معه كما كنت . فقال له الشبلى : من أين
لك هذا القول فأنت أعمى أيها الغلام . فقال . من أين أجد هذا يا أبا بكر إن لم
يجعلنى أعمى فيه ؟ . ثم فر من أمامه .

* قال الشيخ :

(بيت)

— إذا أبصرتنى أبصرته ،

وإذا أبصرته أبصرتنا .

* (ص ٢٦٠) قال الشيخ : يقول يحيى بن معاد الرازى : طالما يكون
العبد فى الطلب يقال له : ماشأذك بالاختيار ، لست حرا فى اختيارك . وعندما
ينغنى العبد يقال له : إذا كنت ترغب فترك لأنك إذا اخترت فاختيارك لنا ،
وإذا تركت فتركك لنا . فاختيارك اختيارنا ، وفعلك فعلنا .

* قال الشيخ : يقول سهل بن عبد الله إن أصعب حجاب بين الله والعبد
هو الادعاء . قال الشيخ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يقبل
من ... صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض » .

* قال الشيخ : يقول عبد الله بن الفرّج العابد : عدت على نفسى أربعة

عشر ألف نعمة في يوم وليلة ، من ناحية واحدة . قيل له وكيف عدتها ؟ . قال :
عددت أنفاسي فكانت أربعة عشر ألف نفس في يوم وليلة .

* قال الشيخ : يقول محمد بن حسام إن الطبيب الذي يعطيك دواء مرأ
لكي تشفى ، يكون أكثر إشفافاً عليك من الذي يعطيك حلاوى لتمرص .
وكل جاسوس يحذرك لتسلم ، يكون أكثر عطفاً عليك من الشخص الذي
يطمئنك عما تخاف منه بعد ذلك .

* قال الشيخ : قال ملك لوزير : ماذا ينبغي للرجل لكي يكون شريفاً ؟ .
فأجاب أن تجتمع فيه سبع خصال . فقال : ماهى ؟ . قال : الأولى : همة الأحوار ،
والثانية : حياء العذارى . والثالثة : تواضع العبيد . والرابعة : سخاء العشاق .
والخامسة : سياسة الملوك . والسادسة : علم : الشيوخ وتجربتهم . والسابعة : عقل
غريزي مختلف .

* قال الشيخ : يقول أبو جعفر القايى : سمعت والدى يقول : إن الرجال
يفخرون بأربعة أشياء ، لكنهم لا يعرفون معناها ، وهى : الحسب والغنى
والعلم والورع . وقد ظنوا أن الحسب (ص ٢٦١) شرف النسب ، والحسب هو
الخلق الطيب . وظنوا أن الغنى كثرة المال ، والغنى هو غنى القلب . والعلم نور
يلقيه الله تعالى فى قلب العبد . والورع هو الامتناع عما حرم الله .

* قال الشيخ : كان لاعرابى جارية تدعى زهرة . فقالوا له : أتريد أن
تكون أمير المؤمنين وتموت جاريته ؟ . فقال : كلا ، لأن زهرة ستموت ، وأمور
الأمّة سوف تختل .

* قال الشيخ: قال مزارع لو كيله: أشرى حمرا لا يكون صغيرا ولا كبيرا، بحيث يصونى فى المنخفضات والمرتفعات ، ولا يعجز فى وسط الشدة ، ويسير مستقيما فى الطريق الوعر، وإذا أعطيته علقا قليلا صبر، وإذا أعطيته كثيرا أمثلا . فقال له الوكيل: ياسيدى ، إننى لأعرف هذه الصفات إلا فى أبى يوسف القاضى ، فاطالب من الله أن يجعله حمرا من أجلك .

* قال الشيخ : جاء رجل يهودى إلى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقال: ياأمير المؤمنين ، من يكون الله عز وجل ؟ ، وكيف يكون ؟ . فتغير لون على وقال : إن إلهنا لصفة له ولا كيف ، وهو لا يتغير أبدا ، وليس له بداية ، وهو سابق على البداية ، وليس له غاية ولا نهاية ، وجميع الغايات تنقطع بدونه ؛ لأنه غاية الغايات .

فقال اليهودى إننى أشهد أن كل من يقول غير هذا على ظهر الأرض يكون باطلا . « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » .

* يقول سيد الطائفة الجنييد : لن تشعر بالتوحيد إلا فى الوقت الذى يكون لله حق عليك ، لأنه طالما لم تؤد هذا الحق لا يكمل شعورك به .

* (ص ٢٦٢) قال الشيخ : فى وقت من الأوقات أتى درويش من البادية، وتحمل مشقة كبيرة ، وكان معه رفيق ، فوصلا الكوفة ، وذهبا إلى حديقة نخيل ، وسأل الدرويش شيئا . فقال له صاحب الحديقة : أدخل ، وأصعد النخلة ، وكل يقدر ما يستطيع ، وأحمل معك ماترى . فصعد الدرويش على النخلة ، وجلس رفيقه تحته . وأنزلت قدم الدرويش من مكانها ، وسقط من الشجرة ، ودخلت شوكة من النخيل فى بطنه ، ومزقتها حتى صدره . ونظر ذلك الدرويش ، ولما رأى بطنه ممزقة قال : الحمد لله أننى لم أمت حتى لأراك وقد حققت مرادك ، معدة

خاوية وبطن ممزقة ، وروح زاهقة ، لأن جزاءك في الآخرة سوف يكون أسوأ من هذا . وتقدم ليرى بطنه ويربطها . وعندما رفع ذيله قال الدرويش هذا البيت :
اليوم لا يرفع غيري ذيلي ليلي . . . نهاري ونهاري ليلي
قال الدرويش : لم تبق هنا خيانة .

* قال الشيخ : سوف يكون جمال الله ونواله عذرا لخيانة العباد ، ففي عفوه عنك إظهار لألوهيته ، وفي عقوبته لك إظهار لجرمك .

* قال الشيخ : مرض سرى السقطى ، وذهب الجنيد لعيادته ، وحمل معه مروحة ليروح له فقال له سرى : يا جنيد ، إن النار تزداد حمية من الريح . فقال الجنيد : كيف ؟ . فقال سرى : « عبد ملوك لا يقدر على شيء » . فقال له الجنيد أوص . فقال : لا تشغل عن صحبة الله بصحبة الأغيار . قال الجنيد لو أنى سمعت هذا من قبل لما صحبتك أنت أيضا .

* قال الشيخ : « أوحى الله تعالى إلى داود يا داود قل لعبادى إني لم أخلقهم لأربح عليهم ولكن خلقتهم ليربحوا على » .

* قال الشيخ . كان أبوبكر الكتانى رجلا عظيما . وكان ذا علم ومجاهدات كثيرة ، بحيث لم يبلغ أحد درجته . وواحدة من مجاهداته أنه (ص ٢٦٣) جلس في مكة ثلاثين عاما تحت قبة ، وكان يتطهر مرة واحدة كل يوم وليلة ، وهذا صعب لأنه لم ينم قط ، بل إن النوم لم يكن يأتيه في مجلسه هذا .

و ذات يوم دخل شيخ مهيب من باب بنى شيبه ، واقترب منه ، وحياه وقال له : يا أبا بكر ، لماذا لم تذهب إلى مقام إبراهيم لأن الناس اجتمعوا هناك ، ليستمعوا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتسمعه أنت أيضا . فقد

جاء شخص يعرف أخباراً عظيمة ، وأخذ يملئها عليهم . فرفع أبو بكر رأسه وقال له : أيها الشيخ ، ذلك الذي يروى — أخبار الرسول — عن يرويها ؟ . فقال : عن عبد الرازق بن صنعان ، عن معمر الأزهري ، عن أبي هريرة . فقال له : أيها الشيخ ، لقد ذكرت اسناداً طويلاً ، وكل ما يتحدثون عنه هناك بالإسناد والخبر ، أسمعنا هنا بدون اسناد . فقال الشيخ : ممن تسمعه ؟ قال : حدثني قاضي عن ربي . فقال الشيخ : وما دليلك على هذا ؟ . قال دليلي هو أنك الخضر . قال الخضر : لقد كنت حتى ذلك الوقت أظن أنه لا يوجد ولي لم يعرفني الله به ، حتى رأيت الشيخ أبا بكر الكتاني الذي عرفني ولم أعرفه .

* قال الشيخ : جاء الأستاذ أبو علي الدقاق إلى — الشيخ — أبي علي شيبوي في مرو ، وكنت عندئذ بها . وكان الشيخ شيبوي محدثاً ، يحفظ صحيح البخاري ، وقد استمعت إلى صحيح البخاري منه . وكان مطلعاً إطلاعا تاماً في هذه الناحية . فأحضر الأستاذ أبا علي ليتحدث عن شيء ، وقال له : حدثنا في هذا المعنى . فقال الأستاذ أبو علي : إن الحديث في هذا الأمر مغلق على . فقال الشيخ شيبوي : يجدر بنا أن نعد لك ماتريد حتى نتحدثنا فيما نريد . فهذا المعنى نار ، ويحتاج إلى وقود . فقبل الأستاذ أبو علي ، وعقدوا له مجلساً ، وكان الحديث لا يأتيه وهو على المنبر إذ لم يكن الناس أهلاً له ، ودخل الشيخ من باب المسجد ، ولما رآه الأستاذ ، تهيأ له الحديث . وعندما انتهى المجلس ، قال الشيخ شيبوي : لقد كنت على النحو الذي كنا نحن عليه .

* (ص ١٦٤) قال الشيخ : تلزم الحاجة ، فليس للعبد طريق أقرب إلى الله من الحاجة . ولو أنها وقعت على الحجر الصلد ، لفجرت منه عيون الماء . فالأصل هو هذا ، وهو للدراويز ، وتلك رحمة الله معهم .

* قال الشيخ : في وقت من الأوقات في فصل الصيف ، كان الجو حاراً

جدا في وقت القيولة . ورأيت الشيخ شبوي يسير في هذا الحر والغبار ، فقلت له :
إلى أين أيها الشيخ ؟ . فقال : إلى هذه الخانقاه القريبة ، ففيها دراويش . وقد
سمعت أن كل من يقضي وقت القيولة بين الدراويش ، تمطر عليه مائة وعشرون
رحمة في اليوم ، وخصوصا في هذا الوقت الذي أذهب فيه .

قال الشيخ : أربط نفسك بهم ، وادعهم إلى مصادقتك .

قال الشيخ : كان سرى السقطي يملك خانوتا في بغداد ، اعتاد أن يجلس
فيه . ولم يكن بالخانوت شيء يديعه ، وكان قد علق على بابه ستارا ، وأخذ يصلي
خلفه . وجاء رجل من جبل اللكام لتحيته ، فأرشدوه إلى مكانه ، فدخل
السوق ، وسار حتى بلغ الخانوت ، ورفع الستار وحياه . وقيل لسرى : لقد حياك
الشيخ فلان من اللكام . فقال : أين ذهب ؟ . قيل : لقد عاد إلى الجبل .
فقال : لا ينبغي هذا لكي يكون الرجل رجلا ، بل ينبغي للرجل أن يشتغل
بعبادة الله ، ولو كان في سوق وسط الناس . وألا يجعل قلبه يخلو من ذكر
الله لحظة .

* قال الشيخ : كان الشيخ أبو العباس يقول كثيرا : كل مرید يقوم بخدمة
واحدة لدرويش أفضل له من مائة ركعة يزيد بها في الصلاة . وإذا أنقص من طعامه
لقمة واحدة أفضل له من أن يصلي طول الليل .

* قال الشيخ : طاف درويش كثيرا ، وسافر طويلا ، فلم يشعر بالراحة ، أو
يجد شيئا . وانقبض قلبه ، ونام تحت شجرة شوك ، وغطى رأسه بدثارة ، فشعر
قلبه بالراحة . فرفع رأسه إلى السماء (ص ٢٦٥) وقال : « يارب أنت معي في
الكساء وأنا أطلبك في البوادي مذكرا » .

* قال الشيخ : خرج الجنيد يوما فرأى صبيا خرج من مكان وقال له : أيها الشيخ ، إلى متى انتظرك ؟ . فقال الجنيد : أعين وعد ؟ . فقال : نعم ، سألت مقلب القلوب أن يحرك قلبك إلى . فقال الجنيد : صدقت ، ماذا تريد ؟ . فقال الغلام : لقد جئت لتجيبني عن يقول : « إذا خالفت النفس هواها صار دواها » . فقال الجنيد : نعم فالعلل تجذب المرء ، فإذا خالف هواه شفى .

* قال الشيخ : قال المرتعش : قمت بالحج عدة مرات مجردا ، بدون زاد ، ولا دلو ، ولا شيء . وعرفت أنني فعلت هذا كله بسبب هوى النفس . فسألوه كيف ؟ . فأجاب : لأن والدتي قالت لي يوما أحمل الجرة ، فحملتها ، وأحسست بالتعب . فأدركت أن مافعلته كان من أجل هوى النفس .

* قال الشيخ : يقول سفيان الثوري : إذا قال لك شخص « نعم الرجل أنت » وسرك ذلك أكثر من أن يقول لك « بئس الرجل أنت » فأعلم أنك رجل سيء .

* قال الشيخ : في وقت من الأوقات وصل نساك إلى منصب الوزارة ، فكان ينهض كل يوم وقت الفجر ، ويخرج المفتاح ، ويفتح الباب ، ويقضى ساعة في — مصنعه — ثم يخرج منه ، ويذهب إلى خدمة الأمير . فأخبروا الأمير بما يفعل . فتحرق شوقا لأن يعرف ماذا يوجد في ذلك المكان . وذات يوم تبع الوزير متخفيا إلى ذلك المكان ، فرأى مغارة على شاكله مغارة النساكين ، ورأى الوزير يدير الآلة ، فسأله : ما هذا . فأجاب الوزير : إن كل ما أنا فيه من نعم مالك للأمير ، ولما كنت لم أنس بدايتي ، فأنا أذكر نفسي بها حتى لا أقع في خطأ . فحلم الأمير خاتمه (ص ٢٦٦) من أصبعه وقال له . خذه وضعه في أصبعك ، وإذا

كنت قد بقيت إلى الآن وزيرا فأنت منذ الآن أمير ، وهذا الملك لك ، وهو يليق بك .

* قال الشيخ : كان بايزيد يركب أسدا ، ويتخذ الأفعى سوطا ، وكان يقول : هل توجد درجة أعلى من هذه بين الناس . وعندما كان يصلى يقول : « إلهى بسترى عشنا ، فأورفت عنا غطاءك لافتضحنا » .

* قال الشيخ : كان أبو على الدقاق يتحدث في أحد المجالس ، وكان الجماس قد تملكه ، واستوات النشوة على الناس . وقال رجل : يا أستاذ ، إننى أرى هذا كاه ، فأين الله ؟ . فقال : وكيف أعرف ، إننى أيضا أصرخ بسبب هذا . فقال له مادمت لا تعرف فلا تتحدث . فقال : وماذا أقول إذن ؟ .

* قال الشيخ : قيل لبايزيد : ماذا تقول فى شخص يسافر من أجل الله وهو معه ، لماذا يسافر ، وهلا يتحقق مقصوده فى مكانه ؟ . قال : تتوسل الأراضى إلى الله قائلة : يا إلهى ، أرنى وليا من أوليائك ، وأضىء عيني بمقدم حبيب . فيوحى الله إليهم بالسفر ، حتى يتم مقصود تلك البقعة .

* قال الشيخ : كان فى مدينه مرو رجل فاضل ، لم يكن يغادر منزله قط . وتصادف أن خرج يوما وجلس فى المسجد . فأحضر شخص طعاما ، ووضعته أمامه ، فمد يده ، وأخذ يأكل قليلا قليلا . وعندما انتهى من الطعام ، دخل كلب واتجه إليه ، وأمسك بذيله . فقال له الرجل : من السهل على أن أؤذيك ، وأنا لا أخشاك ، وأعرف من الذى أرسل إليك ، ومن الذى عين لذلك ، ولكن الآخرين غافلون . ولا أدري إذا كانوا سيتركونك أم لا . وبعد لحظة دخل المؤذن ومعه عصا وضربه ضربة محكمة فصرخ الكلب . والتفت الرجل إليه وقال له : رأيت

كيف (ص ٢٨٧) قلت لك إننى لا أخشاك ولكن لأعرف ما إذا كان الآخرون سيتركوك أم لا ؟ إن الصديق لا يخشى صديقه .

(ص ٢٦٧) قال الشيخ : قال رجل لشيخ فى سمرقند : اكتب لنا بعض الآيات القرآنية فقال له الشيخ : منذ ثلاثين عاما وأنا معاق بكلمة واحدة وهى : « ونهى النفس عن الهوى » ولم أنته منها للآن .

* قال الشيخ : يؤتى بابليس يوم القيامة بين يدى الله ، ويقال له هل ضللت هؤلاء الناس جميعا ؟ . فيقول : كلا ، ولكنى دعوتهم ، ولم يكن من الواجب عليهم أن يستجيبوا لى . فيقال له : إذهب الآن ، واسجد لآدم ، حتى تنجو . فيدوى الصياح فى العرش أن أسجد لى ننجو نحن وأنت من هذه المحنة . فيأخذ فى البكاء ويقول : لو كان ذلك متوقفا على رغبتى ؛ لسجدت له من أول يوم .

* قال الشيخ : ذهبت إلى أبى بكر الجوزقى وقلت له : ارو لى حديثا . ففتح كتابا ، وروى لى هذا الحديث : إن لله عز وجل جيشين أحدهما فى السماء يرتدى الأردية الخضراء ، والآخر فى الأرض وهو جيش خراسان . والصوفية الآن هم جيش الأرض ، فهم يريدون أن يستولوا على جميع الأرض .

* قال الشيخ : كان لأحد الصوفية ابن محبوب اسمه أحمد . وكان يريد شخصا يتحدث معه عنه . ولما لم يجد أحدا ، ذهب إلى حيث يوجد الاجراء ، وقال لواحد منهم : كم تريد أجرا عن يوم ؟ . قال ثلاثة دراهم وطعاما . فاصطحبه إلى المنزل ، وأحضر له طعاما ، وأعطاه ثلاثة دراهم ، وقال له : إجلس لا تحدث إليك عن أحمد ، وحرك رأسك إعجابا كما تحدث إليك . ومضت ساعة قال الأخير بعدها : أيها

السيد ، إذا كان لديك عمل آخر فدعني أقوم به ؛ لأن اليوم يمر ببطء ، فقال الرجل : إن هذا هو عملي معك فقط .

* (ص ٢٦٨) قال الشيخ : كان في قرينتنا رجل أجر جواده لآخر ، فهلك الجواد . فقال الرجل . إنني أستطيع أن أدفع ثمنه . فقال صاحب الجواد : لا أريد إلا جوادى . واشتبكنا معا ، وتجمع الرجال من هنا وهناك . ولم يمض بعض الوقت حتى قتل ألف رجل ، وترملت نساؤهم ، وتيتمت أطفالهم ، وتخربت بيوتهم ، وكان هذا كله بسبب جواد ذلك الرجل .

* رأى أحد رجال السلطان محمود السلطان في النوم فقال له : كيف حال السلطان ؟ . فقال : صه ، فلست سلطانا هنا ، ولست شيئا . إنه هو السلطان ، ولقد كان ذلك خطأ . فسأله الرجل : وماذا حدث لك بعد الموت ؟ . فأجاب : لقد أحضرت إلى هنا ، وسئلت عن كل صغيرة وكبيرة . لقد سلب غيرى بيت المال ، وترك لى الحسرة والألم .

* قال الشيخ : اعتمد زكريا عليه السلام على الشجرة وقال : يارب ، قل لهذه الشجرة أن تحمىنى . فعاتبه الله سبحانه وتعالى وقال له : اتعتمد على الشجرة؟ انظر ماذا يحدث لك . وعندما احتوته الشجرة ، ظل جزء من ردائه خارجها . وجاء الناس إلى الشجرة ، ورأوا ذلك الجزء ، فقالوا : ماذا يوجد فى داخل هذه الشجرة ؟ . وأحضروا فأسا ، وقطعوا أعلى الشجرة . وأخذوا يقطعون منها ، حتى وصلوا إلى رأس زكريا ، فتأوه . فقيل له : أصمت ، إنك أنت الذى اعتمدت على الشجرة ، فلماذا تتأوه الآن ؟ لو إنك اعتمدت علينا لحميناك .

* قال الشيخ : قال رجل لآخر : تعالى لاستضيفك . فقال : حقاً؟ . فأجابه :

وإذا كنت تقبل ، فإنني أحضر شخصا ليسمك شيئا . فقال الرجل : اعطني أولا من هذا الشراب اللذيذ . فأعطاه بعض الشراب ، فشرب الرجل وقال لمضيفه : إذا أعطيتني (ص ٢٦٩) عدة كؤوس أخرى من هذا الشراب ، فلا حاجة بي إلى السماع ، بل أقوم أنا بإسماع ألف شخص ؛ لأنني في كل وقت أتناول فيه الشراب تصبح أعضائي السبع آذانا ، وأسمع جميع السماع . « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » .

* كان الشيخ يقول : الريح : في أيديهم وفي يد سليمان أيضا « ولسليمان الريح » . إعلم أن - سليمان - طالب التملك . وسوف يحتفظون له بالدنيا في السماء أربعين عاما ، ويذهب إلى الجنة بعد جميع الرسل بأربعين عاما .

* قال الشيخ : لقد قال الشيوخ إن الله يحب من يبتليه ويجذبه ويقذف به من هذا المكان إلى ذلك المكان حتى يذله ، ولا يبقى من قوته شيئا . وعندئذ يتجلى بنور بقاءه على ذلك العبد الطاهر .

قال الشيخ : كان أبو حفص حدادا يضرب الحديد بالمطرقة . فأمر غلامه أن يدقوا المطرقة لتتطهر . ثم قال : دقوا المطرقة ثانيا . فقالوا : أيها الاستاذ علام ندق ؟ ... لقد تطهرت ولم يبق شيء . ولما سمع أبو حفص ذلك سقط في الحال ، وصرخ وألقى المطرقة من يده ، وتخلّى عن حانوته ، وأصبح شيخا عظيما .

* قال الشيخ : قيل لأُمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه : فيمن تأمل ؟ . قال : في شخص لم يخلقه الله تعالى . فقالوا : أيها الشيخ ، ماذا يأملون من شخص لم يخلقه الله ، فإنه لا يعلم شيئا ؟ . قال شيخنا : إنه ليس الخلق الذي تتصورونه ، والذي لم يخلقه الله وإنما هو الخلق الذي إذا خلقه ، خلق فيه جميع الصفات التي تطهره ، وتحمله على الطهر ، بحيث يخیل إليك أنه ليس بشرا ، لأن جميع علائق البشر لا تكون موجودة فيه .

ثم قال الشيخ : لقد كان الشيخ أبو الحسن الخرقاني يقول إن الصوفي ليس بشراً لهذا السبب.

* قال الشيخ : « قال رجل لعبد الله بن مبارك : أسلم على يدي يهودى ، فقطعت (ص ٢٧٠) زناره . فقال : قطعت زناره ، فما فعلت بزنارك ؟ » .

* قال الشيخ : « قيل لأعرابي : هل تعرف الرب ؟ قال : لا أعرف من جوعى وعرانى وأفقرنى وطوفى فى البلاد » كان يقول هذا ويتواجد .

* كان الشيخ يعظ يوماً . وفى وسط الحديث ، التفت إلى الأستاذ الإمام أبى القاسم القشيري وقال له : ألم تقل إن الأستاذ أبا إسحاق الاسفرايينى قال « الناس كلهم فى التوحيد عيال على الصوفية » . قال : نعم . قال الشيخ : استمعوا إلى مايقول .

* قال الشيخ : عندما ذهبت إلى أبى عبد الرحمن السامى ، ورأيت له لأول مرة قال لى : سأكتب لك مذكرة بخط يدي . فقلت : تفضل . فكتب بخطه : « سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد السامى يقول سمعت أبا القاسم جنيد بن محمد البغدادى يقول : التصوف هو الخلق ، من زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف . وأحسن ما قيل فى تفسير الخلق ما قاله الشيخ الإمام أبو سهل الصعلوكى : الخلق هو الاعراض عن الاعتراض » .

* كان شيخنا يقول كثيراً : جلس شيخ فى سفينة ، وتناول طعامه ، وكان قد بقى رغييف جاف ، فحمله إلى فمه ، ولسكن أسنانه لم تستطع مضغه . فكسره بيده ، وألقاه فى البحر . فأقبل الموج وسأله : من أنت ؟ . فقال : رغييف جاف . فقال له : مادام أمرك قد انتهى إلى فسوف تصير رطباً .

* قال الشيخ : كنت فى مدينة مرو ، فرأيت صرافا شيخا ، فقال لى : أيها الشيخ ، لا يوجد فى العالم كله من يعطينى شربة ماء ، أو يسلم على . وجميع الناس يريدون أن يتحرروا من أنفسهم ساعة ، وأنا أريد أن أعرف لساعة واحدة أين وقفت ؟ . وفى أواخر عمره سقطت عليه نار واحترق .

* قال الشيخ : كان هناك رجل يملك مالا كثيرا ، ففكر فى أن يستغله فى التجارة . وركب سفينة ، (ص ٢٧١) فتحطمت السفينة ، وغرق ماله ومتاعه ، وجميع من كانوا بالسفينة . وبقي وحده معلقا بلوح من ألواحها . وبلغ جزيرة خالية ليس بها مؤنس . ومرت عليه سنوات ، فاستولى عليه الضيق والحزن . وذات ليلة كان قد جلس على شاطئ البحر عاريا ، وقد استرسل شعره ، ولبيت ملابسه ، فأخذ يردد هذا البيت :

إذا شاب الغراب أتيت أهلى وهيات الغراب متى يشيب
فسمع صوتا آتيا من البحر يقول :
« بيت »

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
أيها الرجل ، لا تيأس ، ألا تعرف أن هذه الشدة والألم الذى أنت فيهما الآن قد يظهر بعدهما الفرج ؟ .

وفى اليوم التالى وقعت عين ذلك الرجل على البحر ، فرأى شيئا كبيرا ، فلما اقترب كان سفينة أهله . وعندما رأوه سألوه عن حاله ، فقال إن قصتى طويلة . وذكر لهم قصته ، وأحبرهم عن بلده . فسألوه : ألم يكن لك ولد ؟ . قال : كان لى ولد صغير . وعندما سمعوا ذلك ، قبلوا الأرض بين يديه ، وقالوا له : هذه سفينة إبنك ، ونحن جميعا غلماناه . ثم ألبسوه بعض الملابس ، وقالوا له : إذا أردت فانا نعود الآن . ثم عادوا معه ، وأوصلوه إلى بلده .

* قال الشيخ :

(بيت)

— عندما تتأزم الأمور تنفرج ،
وعقب كل حزن يزداد الفرح .

* قال الشيخ : في وقت من الأوقات كان رجل من ازجاء يأتي إلى مسجد
في محلة نوسار في وسط قرية ميهنه . وكان يقوم بالوعظ ، وعندما ينتهي من الحديث
يصيح (٢٧٢) قائلا : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع
الحاسبين » .

* كان الشيخ قد جلس يوما ، ونهض شاعر لينشد شعرا ، وبدأ يقول :
ماذا تريد الأرض والزمان من هذا الدوران
فقال له الشيخ : كفى ، كفى ! اجلس فقد أفسد قولك طعم الشعر .

* قال الشيخ : أرسل كلب الروم رسولا إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .
وعندما جاء ، وسأل عن منزله ، أرشده إليه . فقال لنفسه : ما هذا الخليفة الذي
بعثت إليه . وعندما بلغ المنزل تعجب . وسأل الحاضرين عن عمر فقالوا إنه ذهب
إلى المقابر . فذهب خلفه ، فوجده نائما على الرمال في المقبرة . فقال الرسول :
حكمت وعدلت فلا جرم أن نمت آمنا سعيدا . أما ملكنا فقد حكم ولم يعدل ،
وأقام الحراس على السطح ، ولم ينم آمنا .

* قال الشيخ : كنت في مرو ، وكان بها سيدة عجوز تدعى « سيارى » ، فجاءت إلى ، وقالت : يا أبا سعيد ، لقد جئت إليك متظلمة . فقال لها الشيخ : قولى مظلمتك . فقالت : إن الناس يدعون دائماً قائلين : يا الهى لاتدعنا لانفسنا طرفة عين ، وقد مرت ثلاثون عاما وأنا أقول : يا الهى دعنى انفسى طرفة عين ؛ لأرى من أنا ، ومن أكون ، ولم يتحقق هذا بعد .

* (ص ٢٧٣) قال الشيخ : مر رجل على مجلس يحى بن معاذ الرازى ، وكان يعظ الناس وينصحهم ، فقال له الرجل « ما أعرفك بالطريق وما أجملك برب الطريق ! » .

* قال الشيخ : قيل للشيخ أبى الفضل حسن : أدع الله الايسقط المطر . فقال حسنا . وفى تلك الليلة تساقط الثلج فى قطع كبيرة . فقيل له : ماذا فعلت ؟ . فقال شربت مرطبا ، فكنت منتعشا ، وكان الجو لطيفا أيضا .

* قال الشيخ : قيل للشيخ أبى الفضل حسن : ادع لاسلطان محمود ؛ فربما يشفى . ففكر لحظة ثم قال : إن هذا الدعاء يبدو فى نظرى تافها ، فلا تنظروا إليه على أنه عظيم .

« روى أبو حمزة النورى ، قبيح المظهر ، مسترسل الشعر ، قذر الملابس . فقال شخص : هذا الاضطراب الظاهر دليل على اضطراب الباطن . فقال : « كلا ، إن الله تعالى ساكن الأسرار فجملها ، وباين الأبدان فأهملها » .

* قال الشيخ : قال أبو الحسن النورى « أهل المعرفة عرفوا القليل من القليل ؛ لأنهم عرفوا الدليل والسبيل ، والحق وراء ذلك » .

* قال الشيخ : كان أبو يعقوب النهرجورى شيخا كبيرا ، ومع هذا كله فلم يكن يقلل من العبادة والمجاهدة ساعة ، ولم يشعر بالسعادة لحظة ، وظل يتأوه

في مناجاته لله تعالى . فسمع نداء يقول له: «يا أبا يعقوب اعلم أنك عبد وأسترح» .

* قال الشيخ : «من أحب ثلاثة فالنار أقرب إليه من جبل الوريد : لين الكلام ، ولين الطعام ، ولين اللباس» .

* قال الشيخ : دخل درويش على الشبلي وقال له: أيها الشيخ إذا نام شخص في ذلك الطريق فهل يسير فيه ؟ فقال الشبلي: إذا كان قد نام في ظل الاخلاص فإن نومه صدر منزل .

ثم قال الشيخ : قول الشبلي هو ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم : «نوم العالم عبادة» .

* (ص ٢٧٤) قال الشيخ : هبط الوحي على موسى ، أن قل لبنى إسرائيل اختاروا أفضل شخص فيكم . فاختاروا ألف شخص . فهبط الوحي ثانيا ، أن اختاروا الأفضل من هذه الألف . فاختاروا عشرة أفراد . وهبط الوحي للمرة الثالثة ، أن اختاروا الأفضل من هؤلاء العشرة فاختاروا واحدا .

ثم هبط الوحي أن قولوا لذلك الأفضل : أحضر أسوأ شخص في بني إسرائيل . فطلب مهلة قدرها أربعة أيام . وأخذ يطوف ويتجول حتى نزل في اليوم الرابع بمحلة رأى فيها رجلا ، كان معروفا بأنواع الرذائل والفساد . فأراد أن يأخذه معه ، ولكنه قال لنفسه : لا ينبغي أن أحكم بالظاهر ، ويحوز أن يكون ذا قدر ومكانة ، ولا يليق بي أن آخذه بقول الناس . كما أنه يجب على الأغتر باختيار الناس لي على أني الأفضل ، ومادام ما أفعله ليس إلا ظنا فمن الأفضل لي أن أظن في نفسي . ووضع العمامة على رأسه ورجع إلى موسى وقال له : لقد بحث كثيرا فلم أر من هو أسوأ مني . فهبط الوحي على موسى أن ذلك الرجل أفضلهم حقا ، لا لأنه أكثر منهم طاعة ، ولكن لأنه عرف أنه الأسوأ .

* قال الشيخ : قال أبو بكر الواسطي : يسقط شعاع الشمس على نافذة المنزل فتظهر فيه الذرات . وتهب الريح ، وتحرك تلك الذرات في وسط الضوء ، فهل تخافون من ذلك ؟ . قالوا : كلا . فقال : إن السكون كله يكون أمام قلب العبد الموحد كالذرة التي تحركها الريح .

* قال الشيخ : قال الشبلي : « لا يكون الصوفي صوفيا حتى يكون الخلق كلهم عيالا عليه » . قال الشيخ : أى ينظر إلى الجميع بعين الشفقة ، ويعد الاهتمام بهم فرضا عليه ؛ لأنهم جميعا في تصرف القضاء والمشيمة .

قال الشيخ : قال أبو العباس المغربي « الخلق قوالب وأشباح تجري عليها أحكام القدرة » .

* (ص ٢٧٥) قال الشيخ : قال محمد بن علي القصاب : « كان التصوف حالا فصار قالا ، ثم ذهب الحال والقال ، وجاء الاحتيال » .

* قال الشيخ : سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن المثنى في « استرabad » قال : وقفت على الشيلي يوم الجمعة في الجامع ببغداد بعد الصلاة فإذا وقف عليه سائل وعليه زى القوم . فقال : ما الوصل ؟ . فأقبل عليه الشبلي وقال : أيها السائل عن الوصل ، الخطوتين ، وقد وصلت . فقال السائل : يا أبا بكر ما الخطوتان ؟ . قال الشبلي : قيام ذروة بين يديك تحجبك عن الله : فقال السائل : يا أبا بكر أخبرني بشرح قولك عن الذروة ؟ فما شرح تلك الذروة . قال : الدنيا والعقبى . كذا قال ربنا تعالى « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » فأين من يريد الله . ثم قال الشبلي : إذا قلت الله فهو الله ، وإذا سكنت فهو الله . يا الله ، يا الله ، يا من هو

هو ولا يعلم أحد ما هو إلا هو . سبحانه وحده لا شريك له . ثم غشى على الشبلى وهو يتمللك كما يتمللك السليم ، ثم حمل إلى داره .

* قال الشيخ : سمعت الشيخ أبا الفضل حسن شيخ وقته بسر خس يقول : الماضي لا يذكر ، والمستقبل لا ينظر ، وما في الوقت يعتبر ، وهذا صفة العبودية . ثم قال : حقيقة العبودية شيئان : حسن الافتقار إلى الله تعالى ، وهذا من أصل العبودية . وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو الذي ليس للنفس فيه بصيب ولا راحة .

* قال شيخنا : « سمعت الشيخ يقول : من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقير إلى صدقته ، فقد بطلت صدقته .

قال أبو علي الفقيه : سمعت بأسانيد عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اليد العليا خير من اليد السفلى وهي السائلة . ثم قال عبد الله بن عمر الأيدي ثلاث : يد الله العليا ، ويد المعطى الوسطى ، ويد السائل السفلى .

* قال شيخنا يوما في وسط الحديث : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يجاء بالإخلاص والشرك فيبعثوا بين يدي رب العالمين ، فيقول الله جل جلاله الإخلاص انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ، ويقول للشرك انطلق أنت ومن معك إلى النار . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون »

* (ص ٢٧٦) قال شيخنا إن شيخا قال « دخل مسleme بن عبد الملك على الوليد فاسترضاه من شيء بلغه عنه ، فرضى عنه ، فخرج مسleme . فقال : خدر السمع يدي مسleme . فقال مسleme : يا أمير المؤمنين ما ينسى الليل إلا في ضياء وصالك » .

* قال شيخنا : « عن ثابت أن امرأة كانت تأكل طعاما ، وأتاها سائل فسأل ولم يبق معها من طعامها غير لقمة ، فأطعمتها السائل . فأتاها الأسد ، وأخذ صبيها لها فذهب به ، فإذا هو برجل قد أقبل إلى الأسد حتى انتهى إليه ، فأخذ بلحيته ففلقها حتى استخرج الصبي من فيه ، فسلمه إلى أمه فقال لها لقمة بلقمة » .

* قال شيخنا يوما على المنبر إن داود النبي عليه السلام قال إلهي أطلبك حتى أجذك . فأوحى الله تعالى إلى داود: يارأس العابدين ويا محبة الزاهدين تركتني في أول قدم رفعتة وذلك أنك رأيت الطلب منك لا مني .

* قال شيخنا : « إذا ظننت أنك وجدته فحينئذ فقدته » .

* قال شيخنا : « قال داود الطائي : ذهبت لزيارة إلى المقبرة . فسمعت قائلا يقول : آه مالي ، ألم أكن أصلي؟ ألم أكن أصوم ؟ . فأجابه مجيب : بلى ، ولكنك إذا خلوت بربك لم تراقبه » . ثم قائل شيخنا : « من راقب الله تعالى في خطوات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه » .

* قال شيخنا : سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن معنى الركوع فقال : « المسلم يركع ويقول بقلبه لو ضرب عنقي لم أدع ديني وعبادة ربي » .

* قال شيخنا يوما في وسط حديثه : « طلب مرید من شيخه دعاء فقال : يا بني ، اختيار ما جرى لك خير من معارضة الوقت » .

* قال شيخنا : سمعت من أبي علي الفقيه أن رابعة سئلت : بم أدركت ما أدركت ؟ قالت بكثرة قولي هذا : أعوذ بك من كل شاغل يشغلني عنك ، ومن كل مانع يمنعني عنك .

* قال الشيخ : سمعت أبا العباس القصاب عندما سئل في مدينة آمل عن الآية

« قل هو الله أحد » . فقال : « قل » شغل . « وهو » إشارة . و « الله » عبارة ومعنى التوحيد منزّه عن الإشارة (ص ٢٧٧) والعبارة .

قال الشيخ : قال لقمان السرخسى يوما : مضت ثلاثون عاما منذ وكل الله إلينا أمر هذه البطاح ، فلم يجرؤ أحد على أن يتصرف فيها ، ويجلس بها .

* قال الشيخ : سئل الأستاذ أبو على الدقاق عن السماع فقال : السماع هو الوقت ، فمن لا سماع له ، لا سمع له . ومن لا سمع له ، فلا دين له ؛ لأن الله تعالى قال « إنهم عن السمع لمعزولون » . وقال « قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » فالسماع سفير من الحق ، ورسول من الحق ، يحمل أهل الحق بالحق إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بطبع تزندق .

* قال الشيخ : دخلت عائشة ابنة الصديق رضى الله عنها على الرسول من عرس . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ، كيف كان العرس ، هل كان طيبا ، وهل كان هناك أحد أنشدكم شعرا ؟ .

* قال الشيخ : سماع الأمانة يكون بالحق . وهم يسمعون على أحسن وجه . يقول الله تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فتتبعون أحسنه » . وسماع كل شخص يحمل لون عهده ، فقد يستمع شخص للدنيا ، ويستمتع شخص لهوى النفس ، وربما يستمع شخص لحبيب ، وقد يستمع شخص لأحاديث الوصال والفراق وهذا كله يكون وبالا وظلاما لذلك الشخص . وعندما يكون العهد مظلما يكون السماع مظلما . وربما يستمع شخص فى معرفة ، وذلك هو السماع الصحيح ، لأنه يستمع من الحق ، وأولئك هم الأشخاص الذين يخلصهم الله بلطفه . « الله لطيف بعباده » . فالعبودية ملك وموضع اختصاص الله ، وقد اختص هؤلاء بأنهم عباده فيكون سماعهم من الحق بالحق .

حكاية :

سئل الشيخ :

لقد كان لكل شيخ شيخ ، فمن كان شيخك ؟ . (ص ٢٧٨) .
وقد أضعف الشيوخ أنفسهم بالمجاهدة ، بينما رقيبك لا يسعها طوقك .
والشيوخ قاموا بالحج وأنت لم تحج ، فما سبب ذلك ؟ .
فأجاب : أما سؤالكم عن أنه كان لكل شيخ شيخ فمن كان شيخك ؟ .
فإن « ذلك مما علمني ربي » .

وأما ما تسألون عنه . من أن الشيوخ قد أضعفوا أنفسهم بالمجاهدة ، بينما رقيبك لا يسعها طوقك ، فإنني أتعجب لذلك لأنه عند ما تحشر رقبتي في السماوات السبع والأرض ، فإنها تحشر بما منحني الله .

وأما ما تقولونه من أن الشيوخ أدوا فريضة الحج وأنت لم تحج ، فليس بالأمر الكبير أن تقطع ألف فرسخ لتزور الكعبة ، وإنما الرجل الحق هو الذي يجلس هنا ، وتطوف الكعبة فوق رأسه هكذا في كل يوم وليلة ، انظر ترى . فنظر كل الحاضرين ورأوا .

حكاية :

كان الشيخ ذاهبا يوما للعزاء في نيسابور ، فتقدم المعروفون إلى الشيخ ، وأرادوا أن يقوموا بتقديمه إلى الناس ، جريا على عادتهم . وعندما رأوه ، عجزوا ولم يعرفوا ماذا يقولون ، فسألوا مريد الشيخ عن اللقب الذي يقدمون به الشيخ . وأدرك الشيخ ما يسألون عنه ، فقال لهم : إذهبوا وقولوا افسحوا الطريق للفقير ابن الفقير . وسمع جميع العلماء ذلك ، فرفعوا رؤوسهم ، ورأوا الشيخ قادما . وسر الجميع لتواضع الشيخ ، وبكوا .

حكاية :

كان الشيخ يمر يوما في طريق . وكان الكناسون ينظفون المرحاض ويخرجون الفضلات بالقرية . وعندما باغ الصوفية ذلك المكان ، استجمعوا أنفسهم (ص ٢٧٩) وفروا . فناداهم الشيخ وقال لهم : إن هذه القاذورات تتحدث إلى بلسان حالها وتقول : أنا تلك الأطعمة الطيبة الرائحة ، اللذيذة ، التي تبعثون من أجلها الذهب والفضة ، وتضحون من أجلها بأرواحكم ، وتتحمّلون كل تعب ومشقة من أجل الحصول عليها . وقد تلونت بلونكم من ليلة واحدة صحبتكم فيها . فلماذا تفرون مني ؟ . يجب أن أفر أنا منكم ! .

ولما قال الشيخ ذلك ، صرخ الجميع وبكوا ، ووردت الأحوال .

حكاية :

روى أنه حدث يوما في ميهنة أن وضع حسن بن المؤدب المصباح أمام الشيخ ، وذهب . فناداه الشيخ ، وقال له : ما السبب في أن هذا المصباح لا يضيء الليلة جيدا ككل ليلة ؟ . فقال حسن لا أعرف . فقال له الشيخ : افحصه . فلما فحصه قال لقد ترك الصوفية الخشبة التي ينظفون بها مصباحهم فيه . فقال الشيخ : ارفع هذا المصباح من أمامي . فرفع حسن المصباح من أمامه .

حكاية :

قال طلحة بن يوسف العطار : مكثت عند الشيخ أبي سعيد مدة . وعندما عزم على العودة قال لي : عندما تذهب إلى بغداد ، ويسألونك : ماذا رأيت ، وماذا استفدت ، فماذا ستقول ؟ هل تقول رأيت وجهها وذقنا ؟ . فقلت : بهم يأمر

الشيخ ؟ . فقال الشيخ : كل من يعرف العربية إقرأ عليه هذا الشعر :
قالوا خراسان أخرجت رشاً ليس في جماله ثاني
فقلت لا تذكروا محاسنه فمطلع الشمس من خراسان
وكل من لا يعرف العربية إقرأ عليه هذه الرباعية .

« رباعية »

إنهم يقطعون منك سندس الجنة وأزهار الربيع
ويحمونها تذكارا منك إلى الخلد
ويأخذون منك النقوش والصور إلى بلاد الصين
وفأل السعد إلى جميع أنحاء إيران

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح : كان الشيخ قدس الله روحه العزيز (ص ٢٨٠)
ذاهبا يوما من نيسابور إلى بستقان ، وفي رفقته السيد علي الطرسوسي . وكان
الشيخ يقول في الطريق : « اللهم اجعلني من الاقلين » . ولما وصل إلى بستقان
سأل السيد علي الشيخ قائلا : لقد كنت تقول كثيرا في الطريق « اللهم اجعلني
من الاقلين » . فقال الشيخ : يقول الله عز وجل : « وقليل من عبادي الشكور »
فكنت أريد أن أكون من أولئك القوم ، وأؤدي شكر نعمته .

حكاية :

قال السيد الشيخ أبو الفتح : كان القوال ينشد هذا البيت أمام الشيخ يوما :

« بيت »

— سوف أختفى في غزلى ،
حتى أقبل شفقتك عندما تقرأه .

فسأله الشيخ عن صاحب هذا البيت فقال : اسمه عماره . فنهض الشيخ
وذهب مع الصوفية لزيارة قبر عماره .

حكاية :

قال السيد أبو بكر المؤدب : كان الشيخ يتحدث يوما مع خطيب كوفي
بصوت منخفض ثم التفت إلى وقال : هل كنت تسمع ما نقول ؟ . قلت كلا .
قال الشيخ : كنا نقول : « العجز عجزان : التواني في الأمر إذا أمكن . والجد
في طلبه إذا فات » . وعندما كان الشيخ يقول هذا الكلام كان القوال ينشد
هذا المصراع :

« مصراع »

« ولا تسقى سرا إذا أمكن الجهر »

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، أحضر شخص كوبا من الماء ، وقال له :
انفخ فيه من أجل مريض . فنفخ الشيخ في الكوب ، وأخذه من الرجل ، وشربه
فقال الرجل : أيها الشيخ ، لم فعلت هذا ؟ . فقال : إن النفس الذى نفخته في هذه
الجرعة لا يستطيع أحد غيرى أن يسحبه الآن . فتعال غدا لأنفخ له نفخة الشفاء .

حكاية :

عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، ذهب إلى الحمام .
وقام درويش بمساعدته ، وأخذ يحك سواعد الشيخ ، ويجمع القاذورات عن ظهره ،
(ص ٢٨١) جريا على عادتهم ليراهما الشخص . وفي أثناء قيامه بهذا سأل الشيخ :
أيها الشيخ : ما المروءة ؟ . فأجاب الشيخ : ألا تحضر قذارة الشخص أمام وجهه .
فأقر الحاضرون بأنه لم يقل في هذا المعنى قول أفضل من هذا .

حكاية :

قال الشيخ : كل من يصلي على المصطفى صلوات الله عليه ألف مرة في ليلة
الجمعة ، يرى الرسول في النوم . وقد نفذت هذا القول في مدينة مرو ، ورأيت
المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في نومي ، وكانت فاطمة الزهراء رضي الله عنها
جالسة أمامه ، والمصطفى يضع يده المباركة على مفرقها الميمون . وعندما أردت أن
أتقدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إحدري ، فإنها سيدة نساء العالمين » .

حكاية :

عندما كان الشيخ في نيسابور ، ظل الناس لمدة عام يرددون أقوال المنجمين ،
ويصغون لأحكامهم . وأخذ عوام الناس يرددون دفعة واحدة أن هذه السنة
ستكون كذا وكذا . وقال الشيخ يوما على المنبر : أحدثكم اليوم عن أحكام
النجوم ، ثم قال : ستكون هذه السنة كلها كما يريد الله تعالى ، على نحو ما كانت
السنة الماضية كما أراد الله تعالى ، وصلى الله على محمد وآله اجمعين . ومسح وجهه
بيده ، وختم المجلس .

حكاية :

قال أحدهم للشيخ يوما : أيها الشيخ ، أدع لي . فقال :

« بيت »

— أواه ... لقد انعدم العدل من العالم أيها الناس

فهو يذنب وعلى أنا أن أعتذر .

(ص ٢٨٢) وقد جرى هذا البيت على لسان الشيخ كثيراً .

* قال الشيخ : لو صدق ما يروى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه كبر على ميت خمس تكبيرات في صلاة الجنازة ، فربما تكون أربع تكبيرات منها على الميت ، والخامسة على الناس جميعا .

* في يوم من الأيام نهض رجل في مجلس الشيخ ، وطلب شيئا من الناس ، وأخذ يقول : أنا رجل فقير . فقال له الشيخ : لا يجب أن تقول هكذا ، وإنما يجب أن تقول : أنا رجل سائل ، لأن الفقر سر من أسرار الله جل جلاله .

حكاية :

عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز في نيسابور ، كان قد جلس يوما في الخانقاه . فدخلت ابنة علوى عند الشيخ ، وأخذت أبواها يسألان عنها . وأجلس الشيخ تلك الفتاة أمامه ، وقال : هذه الفتاة من أبناء الرسول ، وأنتم تدعون أنكم تحبونه ، وتنادونه في وقت الصلاة بصوت مرتفع . والآن اظهروا برهان صدق هذه الدعوى التي تدعونها في حق جدها ، بالإحسان إلى أبنائه وذريته . ثم خلع ثوبه وأعطاه للفتاة . وشاركه في ذلك جميع الحاضرين في الخانقاه . ونالت الفتاة شيئا كثيرا .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : عندما كان الشيخ في نيسابور ، كان أئمة المدينة وعظماؤها يفدون عليه ، مثل الشيخ أبي محمد الجويني ، والأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري ، والأستاذ إسماعيل الصابوني . وكانوا يسألون الشيخ عن أشياء ، ويتباحثون معه . وذات يوم كان الشيخ يتحدث في حضور هؤلاء الجمع ، وآخرين من عظماء المدينة (ص ٢٨٣) . وفي وسط الحديث جرى هذا البيت على لسان الشيخ :

« بيت »

— أيها الحبيب إنني لا أغفل عن أحوالك لحظة،
ولي رسل ينبؤني عنك حينما تكون .

وعندئذ إلتفت الشيخ إليهم وقال : أين معنى هذا البيت في القرآن ؟ .
ففكر العظماء كثيرا ثم قالوا : لا يقل الشيخ . فقال الشيخ : هل ينبغي أن أقول ؟
قالوا . نعم قال : إن الله يقول : « أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم . بلى
ورسلنا لديهم يكتبون » . فتعجبوا جميعا لسعة إدراك الشيخ .

حكاية :

قال حسن بن المؤدب : كان الشيخ يتحدث يوما ، وعندما فرغ من الحديث
وقفت أمامه ، فقد تعودت أن أقف هكذا عندما يذهب الناس ، لأتلقى أوامره .
فقال لي : يا حسن ، إذهب إلى المدينة ، وانظر من من أهلها أكثر بغضا لي ،
وأكثر إنكارا للصوفية ؟ وإذهب إليه وقل له : ليس للدراويز علم ، وهم
لا يفقهون شيئا حتى يقولوه فينبغي أن يكون لهم شيخ . فخرجت وأخذت أطوف
المدينة جميعها وأنا أفكر في هذا الأمر .

وام أجد من هو أكثر إككاراً من على الصندلى، ولكننى قلت لنفسى : ربما يكون هذا الظن خاطئاً . وطفت المدينة مرة أخرى ، وفكرى لا يزال متجهاً إليه . وأخذت أستعرض المدينة مرة أخرى ، فاتجهت فكري إليه ثانية ، فأدركت أنه حق . وذهبت إلى خاناته وكان قد جالس ، وتلاميذه بين يديه ، يطالع كتاباً . فسألت عليه . فأجاب فى نخوة كعادته، وقال : أتريد شيئاً ؟ . فقلت : إن الشيخ يحبك (ص ٢٨٤) ويقول لك إنه لا يعرف شيئاً ، وينبغى أن تعظ الدراويش . وكان رجلاً مرحاً حاضر النكتة فقال : أتعبر هذا عملاً منها أو فريضة ؟ ظننت أنك جئت تسأل شيئاً . اذهب أيها الصديق لأن لدى عملاً أكثر أهمية من أن أعظكم . إنكم عمى ، فاستمروا فى عبثكم، وقولوا هذا البيت وأرقصوا عليه :
« بيت »

— أتأتى إلى السوق مزينا ثملاً ،

ألا تخشى أيها الحبيب أن تقع فى الأسر .

وعندما سمعت هذا الكلام ، ذهبت إلى الشيخ ، وأردت ألا أذكر له ما حدث . فقلت : إنه يقول لا أعرف شيئاً الآن ، فلنر ماذا يكون بعد ذلك . فقال الشيخ : لا تنبغى الخيانة ، يجب أن تذكر ما حدث . فقصصت عليه ما حدث بالصدق . فقال الشيخ : ينبغى أن تذهب إليه مرة أخرى ، وتقول له : أتيت إلى السوق مزينا بزينة الدنيا ، مخموراً بحبها ، ألا تخشى أن تصبح فى الغد أسيراً فى سوق القيامة ، لأن الله يقول « إهدنا الصراط المستقيم » .

فرجعت إليه وأبلغته رسالة الشيخ . فأخى رأسه وفكر ساعة وقال : اذهب إلى الخباز فلان وخذ منه مائة درهم ، فأنتم الذين استطعتم أن تفسروا هذا البيت

على هذا النحو لا أستطيع أنا أن أفعل لكم شيئاً ، ولا يستطيع غيرى أن يتفوق عليكم .

حكاية :

روى أنه أثناء إقامة الشيخ في خانقاه محلة عدنى كوبربان ، كانوا قد وضعوا المائدة يوماً ، وأخذ الشيخ والدرأويش يتناولون الطعام . وفي أثناء ذلك دخل الشيخ أبو محمد الجوينى وألقى التحية . فلم يجبه الشيخ ، ولم ياتفت إليه . فتألم أبو محمد ، وجلس غاضباً . وعندما انتهى الطعام ، وغسلوا أيديهم ، نهض الشيخ ، وأجاب على تحية أبي محمد . وقال له : إن السلام من أسماء الله جل جلاله ، ولا يليق بنا أن ننطق باسمه بفم ملوث . فسر أبو محمد (ص ٢٨٥) وقال : ليس لأحد من العلم بالطريقة والشرعة مثل ما للشيخ .

وقد استفاد جميع الحاضرين من الصوفية من هذا . ولهذا السبب لا يسلم الصوفية وهم على المائدة ، وينتظرون حتى ينتهوا من الطعام .

حكاية :

كان للشيخ أبي سعيد قدس الله روحه العزيز أخت يدعوها أبناء الشيخ بالعمة . وكانت في غاية الزهد ، بحيث لم تكن تخرج من المنزل إلا للضرورة القصوى . وكانت تحتفظ برداء وحذاء خارج المنزل ، وإذا ما خرجت لضرورة إرتدتتهما ، ولم ترتد الثياب التي تلبسها في الداخل ، حتى لا تحضر إلى المنزل الغبار الذي علق بها من الطريق . وكانت إذا مذهب الشيخ لزيارتها تمشح المنزل وتقول : لقد دخل الشيخ البيت بالحذاء الذي يسير به في الطريق .

و ذات يوم كان الشيخ يتحدث في منزل العمة فقالت له : أيها الشيخ إن ،
كلامك سبيكة من الذهب . فقال لها الشيخ : وصمتك جوهر غير مثقوب .

و كانت العمة قد ثقت ثوبا بين صومعتها وصومعة الشيخ ، حتى تراه دائما ،
وتستفسر منه عما تريد . وذات يوم كان الشيخ في صومعته . وكان الخضر ، الذي
كثيرا ما كان يصحب الشيخ ، قد جاء لزيارته ، وجلسا منفردين ، وأخذا يتحدثان .
فأقبلت العمة إلى الثقب ، وأدركت بفراستها أنه الخضر الذي يتحدث مع الشيخ ،
فأخذت تراقبهما في الخفاء . وشرب الخضر مرتين من الكوز الذي كان الشيخ
قد وضعه أمامه . (ص ٢٨٦) وعندما نهض الخضر ، نهض معه الشيخ ، وخرج
خلفه . ولما غادر المكان ، جاءت العمة سريعا عن طريق السطح ، ودخلت صومعة
الشيخ ، وشربت من الكوز في الموضع الذي شرب منه الخضر ، أملا في الحصول
على البركة ، ثم خرجت . وجاء الشيخ إلى صومعته ، في الوقت الذي ذهبت فيه العمة
إلى صومعتها ، وأدرك بكرامته ما حدث منها . ولم يقل شيئا ، ونادى الخادم
ليسد الثقب الذي في صومعة العمة .

حكاية :

قال الشيخ قدس الله روحه ، رأى شخص الجنة في النوم ، وقد مدت فيها
مائدة ، جلست عليها جماعة . فأراد أن يجلس معهم . فجاء شخص وأمسك بيده
وقال له : ليس هذا مكانك ، فهذه المائدة لمن يملكون ثوبا واحدا ، وأنت تملك
ثوبين ، فلا يمكنك أن تجلس معهم .

ثم قال شيخنا : لقد وصل الأمر الآن إلى أنهم يخيطنون مرقعا أزرق ،

ويلبسونه ، ظانين أن جميع الأمور قد استقامت . ويقفون أمام دن الصبغة ، ويقولون : ألقوه في الدن مرة أخرى ليزداد زرقة . فهم يظنون أن الصوفية هي هذا المرقع الأزرق ، وقد حصروا همتهم في تجميله وتزيينه ، وجعلوه صنمهم ومعبودهم .

وفي اليوم الذي قال فيه الشيخ هذا الكلام ، كانوا يخيطنون له رداء جديداً ، فلبسه ، وقال : لقد ألبسوني الآن مرقعاً بعد سبع وسبعين عاماً قضيتها في هذا الطريق ، وكان عملي فيها واحداً ، في الليل والنهار ، فألبسوني المرقع بعد هذا كله ، أما الآن فمن السهل أن يخيطنوا لكل شخص مرقعاً ، ويلبسوه إياه .

* قال شيخنا إن الحق تعالى يقول : لقد كنا نقول للجميع « قولوا لا إله إلا الله » ونقول لك « فاعلم أنه لا إله إلا الله » . (ص ٢٨٧) وكان هناك شخص من ما وراء النهر ، فقرأ هذه الآية : « وقودها الناس والحجارة » . وكان الشيخ يقلل من الحديث في آيات العذاب ، فقال : ما دام الحجر والإنسان عندك في مقام واحد ، فاشغل الجحيم بالأحجار ، ولا تحرق هؤلاء المساكين !

حكاية :

روى أن رجلاً خرج من بغداد ، وجاء إلى الشيخ في ميهنه ، وسأله قائلاً : أيها الشيخ ، لماذا خلق الله سبحانه وتعالى هذه المخلوقات ، هل كان في حاجة إليها ؟ . فأجاب الشيخ : كلا ، ولكنه خلقهم من أجل ثلاثة أشياء :

الأول : لما كانت قدرته كبيرة جداً ، فكان يلزم لها ناظر .

والثاني : لما كانت نعمته كثيرة جداً فكان يلزم لها آكل .

والثالث : لما كانت رخصته واسعة جدا فكان يلزم لها آثم.

حكاية:

في وقت من الأوقات كان درويش يسير أمام الشيخ إلى الخانقاه ، فقال له الشيخ : يا أخى ، كن كالكرة أمام المكنسه ، ولا تكن كالجبل خلف المكنسة .

حكاية :

في يوم من الأيام وصل الشيخ مع جماعة الصوفية إلى باب طاحون . فأوقف جواده وتوقف عن السير لحظة وقال : هل تعرفون ماذا تقول هذه الطاحون ؟ إنها تقول : إن التصوف هو ماأنا فيه ، فأنا آخذ الأشياء الغليظة ، وأعيدها ناعمة . وأدور حول نفسى ، وأنقى نفسى بنفسى ، حتى أبعد عنها ما لا يلزم . فسر الجميع لهذا الرمز .

حكاية :

روى أن الأستاذ أبا صالح المقرئ ، ألم به مرض ، بحيث لزم الفراش . فقال الشيخ للسيد أبى بكر المؤدب : أحضر الدواة والقلم حتى أملئ عليك حرزا من أجل أبى صالح . ثم أمره أن يكتب :

« رباعية »

اصطفت الحور لرؤية محبوبى الجميل
وتعجب رضوان فدق كفا بكف
ولطم خلا أسود على وجهه الجميل
وتشبث العارف بالمصحف من الخوف

(ص ٢٨٨) فكتبها السيد أبو بكر المؤدب ، وحمّلوها إلى أبي صالح ،
وعلقوها له ، فظهرت عليه معالم الصحة في الحال ، وزال ذلك المرض .

حكاية :

روى أن واحدا من المشايخ ذهب غازيا إلى بلاد الروم في عهد الشيخ —
أبي سعيد — وذهب يوما إلى ميدان الحرب ، فرأى إبليس هناك فقال له : أيها
الملعون ، ماذا تفعل هنا ؟ ألك شأن بهؤلاء الجمع الموجودين هنا ؟ قال : لقد
وقعت هنا دون رغبتى . فسأله : كيف ؟ فأجاب : كنت أمر في ميمنه ، وكان الشيخ
أبو سعيد يسير من المسجد إلى البيت ، فعطس عطسة ألفت بى هنا .

* وسئل الشيخ أيضا عن رأيه في الشخص الذى يسرق في الليل ، ويصلى
في النهار ؟ . فقال الشيخ : ليس هذا عجيبا ؛ فإن بركة الصلاة في النهار ، ستمنعه
من السرقة في الليل .

* قال أحد الشيوخ للشيخ : لقد رأيتك في نومي ، فسألتك : ماذا تفعل
أيها الشيخ لكي تتخلص من هذه النفس ؟ . فقال الشيخ : لا ينبغي عمل شيء من
أجل هذا ، لأن كل شيء قدر ، وكتب ، ولا يمكن إبعاده . فإذا أراد الله ،
يكون التوفيق . وإذا لم يرد ، فإن ذلك لن يقلل من الأمر أو يزيده . ولو أنه
أراد لألقى بك في الطلب . وفي الحقيقة أنه إذا طلبك هو ؛ فإنه عندئذ يلقي بك
في الطلب .

* قال الشيخ : ورد في الخبر أن قوما ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وسألوه : ما الفقر ؟ . فنادى أحدهم وقال له : هل تملك خمسة دراهم ؟ . فقال :
أجل . فقال له : إنك لست فقيرا . ونادى آخر وقال له : هل تملك خمسة دراهم ؟ .

فقال : كلا . فقال : هل تملك متاعاً بخمسة دراهم ؟ . قال نعم . فقال له : لست
فقيراً أنت أيضاً . ونادى آخر وقال له : هل تملك خمسة دراهم قال : كلا . قال
هل تملك ممتلكات بخمسة دراهم ؟ . قال : كلا . فقال : هل تملك جاهاً بخمسة
دراهم ؟ . قال : كلا . قال : هل تستطيع أن تكسب خمسة دراهم ؟ . قال : نعم .
(ص ٢٨٩) فقال : إنهض فإنك لست فقيراً . ودعا آخر وقال له : هل تملك شيئاً من
هذا كله ؟ . قال : كلا . فقال له : إذا ظهرت خمسة دراهم هل تطالب بنصيب
منها ؟ . فقال : لا أقل من هذا . قال : إنهض فإنك لست فقيراً . ثم دعا آخر
وقال : هل تملك شيئاً من هذا كله ؟ . قال : كلا . فقال : هل إذا ظهرت لك
خمسة دراهم تتصرف فيها ؟ . قال : كلا يارسول الله . فسأله : ماذا تصنع بها ؟ .
قال : أضعها تحت تصرف الجماعة . فقال : أنت فقير حقاً ، والفقير يكون هكذا .
ولما قال الرسول ذلك ، بكى الجميع وقالوا : يارسول الله ، إن الجميع ينادوننا
بالفقراء ، والفقير هو ما أوضحته ، فماذا نكون نحن الآن ؟ . فقال : إنه هو الفقير
وأنتم طفيليون .

* قال الشيخ قدس الله روحه العزيز : في وقت من الأوقات لحق زنبور
بنملة ، فراها تحمل قمحة إلى منزلها . وكان الناس يدوسونها ويؤذونها . فقال لها
الزنبور : ماهذه الشدة والمشقة التي تتحملينها من أجل حبة ؟ هل تذلين نفسك
هكذا من أجل حبة واحدة حقيرة ؟ . تعالى ، لترى كيف أحصل على قوتي في
سهولة ، وأخذ نصيبي منه بدون هذه المشقة . ثم حمل النملة إلى دكان قصاب ،
وكان اللحم معلقاً ، فطار الزنبور ، وجلس على اللحم ، وأكل حتى شبع ، وجمع
قطعة ليحملها . فدخل القصاب ، وضربه بسكين ، فشقه نصفين وألقاه . ووقع

الزنبور على الأرض. فتقدمت اللملة وأمسكت بقدمه وأخذت تسحبها وهي تقول:
كل من يجلس حيث يريد ، يسحبونه إلى حيث لا يريد .

حكاية :

قال السيد مصعد ابن السيد الإمام المظفر النوقاني : كان الشيخ أبو سعيد قد
جلس مع والدي يوما ، فقال له والدي : إنني لا أدعوك صوفيا ، ولا درویشا ؛
بل أدعوك عارفا كاملا . فقال الشيخ أبو سعيد : (ص ٢٩٠) هو ما يقول .

وقال السيد مصعد : أخذت جدتي « صاينه » والدتي « راحة » إلى الشيخ
أبي سعيد في نيسابور . وكانت والدتي في سن الثانية عشر ، ولم يكن والدي قد
طلبها للزواج بعد . فسأل الشيخ والدتي : ما اسمك ؟ . فقالت : راحة . فقال :
بارك الله فيك ، ينبغي أن تقيمي وليمة للصوفية . فقالت : إنني لا أملك شيئا .
فقال لها الشيخ : إسألي . فقالت : كيف أفعل ذلك ؟ . وعندما طلب منها الشيخ
إقامة الوليمة سألته أن يعطيها شيئا ، فأعطاه الشيخ رداءه وقيصه ، فحملتهما ؛
وذهبت بهما إلى منزل الميكالين . وكانت هناك سيدة وابنتها ، فقالت لهما : لقد
طلب الشيخ أبو سعيد مني إقامة وليمة ، فقلت له إنني لا أملك شيئا ، فقال لي إسألي .
فسألت منه ، فأعطاني هذه . فكم تساوي في نظركم ؟ . فمضت الفتاة ودخلت
إلى المنزل ، وأحضرت سوارين يقدران بستين دينارا ، ووضعتهما أمامي ، وأخذت
الرداء . وأحضرت الأم عقدا قيمته ستون دينارا ، وأخذت القميص .

وجلسنا نتحدث بعض الوقت ، وقلت لهما إن ملابس الشيخ تتحدث إلى ،
هل تعرفان ماذا تقول ؟ قالتا : كلا . قلت : إنها تقول إنني لن أستريح مع أحد ،
إما أن أكون في مكاني وإما ألا أكون . فهل تقدرون على ذلك ؟ . فقالتا :

كلا . فقلت لهما : ينبغي أن نتبين ماذا نفعل . فنهضتا ، وقبأتا الرداء والقميص ، ووضعتاهما أمامي وقالتا : إنهما يايقان بك أكثر ، كما أن الأساور والعقد تحت تصرفك . فنهضت وذهبت إلى الشيخ ، ووضعت الرداء والقميص والأساور والعقد أمامه ، وقلت له : أقم الدعوة للصوفية على نحو ما تراه صوابا . فأمر الشيخ بإعداد وليمة ، ومرقوا الرداء والقميص ، ووزعوها على الصوفية ،

وذهبت صابنة بعد ذلك إلى نوقان ، ونزلت عند السيد المظفر ، وأخذا يتحدثان . وكانت صابنه تتحدث في الغناء . والسيد المظفر يتحدث في البقاء . وسر السيد المظفر من حديث صابنة فقال لها : كل من يوافقك يوافق الحق ، وكل من يخالفك يخالف الحق . فقالت صابنة : ينبغي أن أقدم إليك شيئاً على سبيل الشكر ، ولست أملك شيئاً ، وقد وضعت راحة تحت تصرفك . فقال السيد المظفر أنا لا أفكر في هذا . وكانت قد مرت عشرة أعوام منذ لحقت زوج السيد المظفر برحلة الله تعالى (ض ٢٩١) ، ولم تكن له رغبة في الزواج ، طوال العشرة أعوام التي كانت فيها على قيد الحياة . وبعد مضي عشرين عاماً ، تزوج راحة ، وأعجب منها السيد مصعب ، ببركة همّة الشيخ ، ونظره قدس الله روحه .

حكاية :

قال أبو الفضل محمد بن أحمد العارف النوقاني : خرجت في رفقة الشيخ أبي سعيد إلى مقابر الحيرة في نيسابور ، لتشيع صوفي . وعندما وصلنا في مواجهة قبر أحمد الطابراني ، توقف جواد الشيخ . ووقعت عين الشيخ على القبر ، وظل ينظر إليه فترة ، ثم ساق الجواد ، وقال : لقد كان أحمد الطابراني يتكلم معي .

حكاية :

قال الشيخ: رأيت نفسي في النوم أجلس مع الأستاذ أبي على الدقاق والأستاذ أبي القاسم القشيري . ودوى نداء يقول : إنهضوا ، وليقدم كل منكم قربانا . فنهضنا كلانا ، ونفذنا ذلك . وحاول الأستاذ القشيري كثيراً أن يقوم ليفعل ، فلم يستطع ، وأخذ يبكي . ولو أنه نفذ ذلك ، لما كان هناك مثله في الدنيا .

حكاية :

روى أن الشيخ قدس الله روحه العزيز كان يسير مرة ، فجاءت حية كبيرة ، وأخذت تمسح رأسها في أقدام الشيخ ، وتتقرب إليه . وكان مع الشيخ درويش ، فتعجب لذلك . فقال له الشيخ : لقد أقبلت هذه الحية لتحييتي . فهل ترغب أن يكون لك مثل هذا ؟ . فقال الرجل : أجل . فقال له الشيخ : لن يكون لك أبدا مادمت تريد .

حكاية :

كان الشيخ أبو سعيد قدس الله روحه العزيز قد جلس على قبر الشيخ أبي يزيد البسطامي (ص ٢٩٢) قدس الله روحه العزيز . فأشار إلى القبر وقال : « قال هذا الشيخ إن الله تعالى جعل أقدام الأولياء نثار الأرض فما لهؤلاء الأجساد ، يعني لا يرضون بذلك » .

حكاية :

كان أحمد بن أبي الليث قد جاء إلى الشيخ في وقت من الأوقات . وعندما رجع ، أرسل الشيخ شخصا معه . فلما رجع ذلك الشخص ، سأله الشيخ : ماذا

كان أحمد يقول في الطريق ؟ . فأجاب : كان يتحدث بنعم الله . فقال الشيخ :
عن أى النعم كان يتحدث ؟ فإن النعم درجات ، أهى النعم التى أنعم على بها ؟ أم
تلك التى أنعم بها عليك ؟ فالنعم التى أنعم على بها أرفع وأعظم النعم ، والنعم
التي أنعم عليك بها متوسطة ، وقد اكتملت .

ثم قال : كان هناك شيخ لم يمشط شعره حتى عشتت العقب في رأسه ،
وتكاثر .

وروى أنه عندما كان شخص يدخل على شيخنا كان يقول له : لقد كنا في
البداية نتحدث معكم عن نعم ربكم ، ونقول لكم إنه يوجد في بلدتكم كذا
من النعم . أما الآن فأى النعم نشكر ؟ لقد اسندنا ظهورنا من العجز ، هنا على
هذا الجدار .

حكاية :

روى أن السيد على الخباز جاء من مرو إلى ميهنه ، ليذهب منها إلى باورد .
وكان الشيخ ابو سعيد قد جلس في المسجد ، ومعه السيد احمد بن نصر ، وكثير
من الشيوخ ، واخذوا يتبادلون الحديث . وفي اثناء ذلك تكلموا عن رجل من
ابناء الدنيا . فقال السيد على الخباز . حقا إنه رجل ذو همة . فقال الشيخ : إن
المروءة لا يجب أن تسمى بالهمة ، وإنما تسمى أمنية ، فالذى ينفق المال يوصف بأنه
ذو أمنية ، لاهمة . وصاحب الهمة هو الذى لا يتطرق تفكيره إلى شيء بدون الله .

حكاية :

روى أن الشيخ قدس الله روحه العزيز كان قد جلس في المسجد ، (ص ٢٩٣)
فوقعت قشة على ذقنه المباركة . فمد درويش يده ، وأمسك بالقشة ، وألقاها في

المسجد . فالتفت إليه الشيخ وقال : يا أخى ، ألا تخشى أنه بسبب ما فعلت أن يدق الله عز وجل السماوات السبع على الأرض ، ويفنيها ؟ . إن الله تعالى أمرك أن تضع وجهها بهذه العزة على تراب المسجد فقال : « واسجد واقترب » . وانت لم تستسغ وجود هذه القشة فوق ذقنا ، فكيف تستسغ أن تلقى بها فى بيت الله ؟ .
حكاية :

روى أنه عندما كان الشيخ فى نيسابور ، أرسل رسالة إلى الأستاذ الإمام أبى القاسم القشيري يقول له فيها : سمعت أنك تتصرف فى الأوقاف . فأجاب : إن الأوقاف فى يدي ، وليست فى قاي . فأرسل إليه الشيخ ثانيا يقول : ينبغى أن تكون يدك مثل قابلك .

حكاية :

قال الأستاذ عبد الرحمن مقرئ الشيخ : عندما كان الشيخ قدس الله روحه العزيز فى نيسابور ، جاءه شخص وقال له : أنا رجل غريب ، جئت إلى هذه المدينة فوجدتها مليئة بصيتك وشهرتك ، وأن لك كرامات كثيرة . والآن أريد أن تظهر لى أحداها . فقال له الشيخ : كنت فى آمل ، فدخل شخص على أبى العباس القصاب وسأله هذا السؤال نفسه ، فقال له الشيخ أبو العباس : ألا ترى ذلك ؟ ... أليس ماتراه هنا كرامة أن ابن قصاب تعلم المهنة من أبيه ، ورأى رؤيا سلبته إبه ، وأحضر إلى بغداد ، وأرسله الشيخ شبلى إلى مكة ، ومن مكة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى بيت المقدس ، وأراه الله الخضر ، وألقى بمحبته فى قلب الخضر ، حتى حظى بالقبول عنده ، وصاحبه ، وأعادته إلى هنا . واتجه إليه الناس فى جميع أنحاء العالم ، يخرجون من الحانات ، ويتخلصون من ذنوبهم ، ويتوبون على يديه . ويأتى المحترقون إليه من جميع أنحاء العالم ، يسألونه عن الله ، هل توجد كرامة أكثر من هذا ؟ . فقال الرجل : أريد أن أرى كرامة الآن . فقال له : تأمل جيدا ، أليس كرما من الله أن

أحد أبناء ذابحي العنز يجاسونه في مقعد العظاء ، ولاتفطس به الأرض ، ولا تقع عليه الجدران ، ولا يتهدم فوقه هذا المنزل ، ينال الولاية دون ممتلكات أو مال ، ويتلقى رزقه دون عمل أو كسب ، ويطعم الخلق ، أليس هذا كله كرامة ؟ .

ثم قال الشيخ : أيها الرجل ، لقد حدث لي معك ما حدث للشيخ أبي العباس . فقال الرجل : أيها الشيخ ، أأطلب منك كرامة من كراماتك ، فتحدثني عن الشيخ أبي العباس ؟ . فقال الشيخ : (ص ٢٩٤) كل من ينتمى إلى الكريم تكون كل أعماله للكريم . ثم ابتسم وقال :

« شعر »

- كل نسمة تهب على من ناحية بخارى ،

يفوح منها عبير الزهور والمسك والياسمين .

- وكل رجل وامرأة تهب عليه هذه النسائم ،

يظن أنها تهب من بلاد التتار .

- لا . لا . لا . إن مثل هذه النسائم العطرة لا تهب من التتار ،

إنها تهب من صدر محبوبى .

- وإنى لا تطلع إلى اليمن كل ليلة أملأ فى أن تأتى ،

لأنك مثل سهيل يأتى من اليمن .

- وإننى لا اجتهد أيها الحبيب أن أخفى إسمك عن الناس ،

حتى يقل حديث الناس عنك .

- ولكن كلما تحدثت إلى شخص يكون إسمك

أول ما أنطق به ، سواء أردت أو لم أرد .

ثم قال الشيخ : عندما يتطهر العبد تكون له كراماته واقواله كلها

كرامات . وصلى الله على محمد وآله اجمعين .

الفصل الثالث

في بعض فوائد أنفاس الشيخ قدس الله روحه العزيز ، وبعض الرسائل والأشعار التي جرت على لفظه العزيز بالقدر الذي تحقق لنا صدقه

* قال الشيخ : العمل يعكس صورة القلب لا قول اللسان .

* « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى » إذا لم تقتل النفس فإن تتحرر من هواها ، ولا يكفي أن تقول « لا إله إلا الله » لتصير مسلماً .

* « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . يقول الله عز وجل : إني لا أغفر الشرك . « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . ولك سبع هياكل محشوة بالشك والشرك فيجب عليك إخراج الشرك منها لتستريح .

« فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله » طاغوت كل أحد نفسه . طالما أنت لا تكفر بنفسك فلن تؤمن بالله . وطاغوت كل شخص نفسه ، فتلك النفس هي التي تبعدك عن الله ، وتقول لك إن زيدا قد أساء إليك ، وعمرأ أحسن إليك ، فهي تجعلك تتجه إلى الخلق ، وهذا كله شرك . فلا شيء يصير إلى الخلق ، إنما الكل يتجه إلى الله . ويجب أن تعرف هذا وتقول به . وعندما تقوله ، يجب عليك أن تثبت على هذا القول ، (ص ٢٩٦) وأن تستقيم . والإستقامة هي أنك إذا أمنت بواحد ، فلا تشغل بغيره ، لأن الخلق والخالق اثنان .

* جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : قل لي في الإسلام

قولا : يكون أصلا أسير عليه . فقال له : قل « آمنت بالله ثم استقم » . وفي هذا المعنى جاء في القرآن : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » . ويقال في معنى هذه الآية « لا تروغوا روغان الثعالب » فتنقلوا في كل لحظة من مكان إلى آخر ، لأن هذا لا يجعل الإيمان صحيحا . فالإيمان أن تقولوا « الله ، الله » وأن تستقيموا على ذلك . والاستقامة هي أنه إذا قلت « الله » فلا تذكر على لسانك حديث مخلوق غيره ، ولا تدخله في قلبك ، وكأنه ليس هناك خلق . فإلى متى تستطيع أن تقول عنهم ما تراه وتسمعه ؟ أنظر إلى الوجود الأزلي ، وتحدث وانقل عنه لأنه لا يغني مطلقا ، وأحب الله الذي إذا أفنيت أنت لا يفنى هو بل يظل باقيا ، حتى تكون أنت أيضا هذا الكائن الذي لا يفنى أبدا .

* قال الشيخ : البحث في حقيقة الله كفر ، وعن غير بصيرة شرك ، والتطهر فريضة .

* قيل للشيخ إن رجلا تاب ثم نقض توبته . فقال شيخنا . لو لم ينقض الله توبته لما نقضها .

كان الشيخ يقول دائما : أنت مسكين . وكان يقول أيضا : لا تبحث عن معشوق خال من العيوب لأنك لن تجده .

* قال الشيخ : ألف صديق قليل ، وعدو واحد كثير .

* قال الشيخ في مناجاته يوما : يا إلهي اغفر لعبدك لأن له مثل هذا الوجه ، ولا تحاسبه (ص ٢٩٧) فإن له هفواته .

* سئل الشيخ : هل يكون رجال الله في المسجد ؟ . قال : وفي الحانات أيضا .

* سئل الشيخ ما التصوف ؟ . فقال : أن تترك ما في رأسك ، وتمنح ما في

كفك ، ولا تجزع مما يصيبك .

- * قال الشيخ : « كل ما شغلك عن الله فهو مشغوم عليك » .
- * قال الشيخ : أنت تتنفس ثلاثين ألف نفس في يوم وليلة . وكل نفس لا يكون لله يكون تننا كالجيفة .
- * قال الشيخ : « وقتك بين النفسين » واحد مضى ، والآخر لم يأت بعد . ثم قال : ماضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها . « الوقت سيف قاطع » .
- قال الشيخ : التصوف شيئان : أن تنظر في ناحية واحدة ، وأن تحيا بطريقة واحدة .
- * قال الشيخ : « الله » وكفى . « وما سواه هوس ، وانقطع النفس » .
- * قال الشيخ « من صح قصده إلينا ، وجب حقه علينا » .
- * قال الشيخ : « الذكر نسيان ماسواه » .
- * كان الشيخ يقول كثيرا : « كن يهـوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة » .
- * قال الشيخ : « راحة النفس كلها في التسليم ، وبلاؤها في التدبير » .
- * قال الشيخ : قيل لذلك الشيخ : أدع لنا . فقال : « اختيار ما جرى لك في الأزل ، خير من معارضة الوقت . الخير أجمع فيما اختار خالقنا ، واختيار سواه الشر والشؤم » .
- قال الشيخ : هذا وكفى ويمكن أن يكتب على الظفر : « إذبح النفس وإلا فلا تشغل بترهات الصوفية » .

* قال الشيخ : الإسلام هو الاستسلام لأحكام الأزل . « والإسلام أن يموت (ص ٢٩٨) عنك نفسك » .

قال الشيخ : ينظر العبد في الصلاة فيقول له الله سبحانه وتعالى : لا تنظر فإن كل ما تنظر إليه أنا أفضل لك منه ، فانظر إلى ، وعندما ينظر مرة أخرى يقول الله تعالى : لا تنظر ، هل تنظر إلى ما هو أعظم وأعز مني ؟ . وعندما ينظر مرة ثالثة يقول الله تعالى : اذهب إلى ما تنظر إليه .

« بيت »

— هل تعرف ماذا قال لي الحبيب اليوم ؟ ،
لقد قال : أغلق عينيك ، ولا تنظر إلى أحد سواي .

* قال شيخنا يوما على رأس الجمع : أقسم بالله الذي يعلم ، وهذا سبعون قسما ، أن كل من يضع الله أمامه طريقا آخر فإنه يكون قد أبعد عن طريق الله . ثم قال هذا البيت :

يجب اختصار القول ،
والحذر من صديق السوء .

فالصديق السيء هو الذي يقول باللاثنتين ، والقول بالاثنتين كفر يجب الحذر منه . وهذه هي نفسك التي تتحدث إليك دائما ، وتوقع بينك وبين الناس . فيجب اختصار القول ، وأن تقول واحدا ، وكفى .

* قال الشيخ : يقول الله عز وجل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، والتقوى منه . وعندما تتطهر من نفسك تصل إلى الله ، « وهذا صراط ربك مستقيما » . هذا طريق ، وغيره كله ضلال . وهذا الطريق لا يكون للصوام ولا للقوام ولا

للعابد ولا للساجد والراكم وإنما يكون للذي يتقى نفسه « وهذا صراط ربك مستقيماً » . هذا هو طريقى إذا أردته .

* قال الشيخ : « التصوف اسم واقع فإذا تم فهو الله » .

(ص ٢٩٩) وقف درويش أمام الشيخ يوماً فى احترام كما يقف فى الصلاة فقال له الشيخ : إنك تقف بخشوع كما يقف الناس للصلاة ، ولكن الأفضل من هذا أن تحطم نفسك .

* قال الشيخ : إن الحجاب بين العبد والله ليس السماء والأرض ، وليس العرش والكرسى ؛ وإنما هو ظنك وأنا نيتك ، فانزعهما لتصل إلى الله .

* قال الشيخ : هناك أربعة أقوال مختارة من كتب الله تعالى الأربعة لسلامة العمل ؛ فمن التوراة : « من قنع شبع » . ومن الإنجيل « من اعتزل سلم » . ومن الزبور « من صمت نجا » . ومن القرآن « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

* قال الشيخ : لقد حرر الرجال الجسد ، ولزموا مكاناً واحداً ، واستسلموا للقدر سنين طويلة أملاً فى نفحة من هذا الحديث .

* سئل الشيخ : أين نضع اليد فى الصلاة ؟ فقال : توضع اليد على القلب ، والقلب على الحق جل جلاله .

* قال الشيخ : لقد وصل جميع السالكين إلى محلة بايزيد وسحبوا العنان وقالوا : أين بايزيد يرى العنان قويا .

* سئل الشيخ : متى يتحرر العبد من رغباته ؟ . فقال : عندما يحمره الله . وهذا لا يتأتى بمجهود العبد ، وإنما يتأتى بفضل الله ورحمته ، وبصنعه وتوفيقه . وفى أول الأمر يظهر الله فى نفسه الرغبة فى تحقيق هذا الأمر ، ثم يفتح له باب التوبة .

ثم ياتى به فى المجاهدة ليجتهد. وأحياناً يتعنت العبد فى مجاهداته معتقداً أنه يتقدم أو يحرز شيئاً . ثم يقع بعد ذلك فى العجز ، ولا يشعر بالراحة ، لأن (ص ٣٠٠) عمله غير خالص ، وملوث . وعندئذ يعرف أنه قام بهذه الطاعات لغرض ، فيتوب ، ويتبين أنها أعمال تمت بتوفيق الله . وعندما يعلم هذا ، ينفتح أمام قلبه طريق الحق ، وعند ذلك يشعر بالراحة . ثم يفتح الله له باب اليقين ، فيسير بعض الوقت ، ويتقبل كل شىء من كل شخص ، ويتحمل أنواع الإذلال ، ويعلم علم اليقين من الذى يجب أن يمضى إليه . وعندئذ يخرج الشك من قلبه ، فيفتح الله له باب المحبة . وخلال هذه المحبة تبدو على الإنسان الأناية ، ويتعرض عندئذ للملامة . والملامة هى أن كل شىء يبدو له ، يتقبله حبا فى الله ، ولا يخشى اللوم . ويظهر فيه الاعتقاد بأن له حبيباً ، ويمضى فى هذا فترة ، ثم يتخلص منه أيضاً . ولا يستريح ولا يهدأ حتى يعرف أن الله هو الذى يحبه ، وأن الفضل فى هذا كله لله ، وليس نتيجة لجهده الخاص . وعند ما يرى هذا كله يستريح . وعندئذ يفتح الله له باب التوحيد ، ليجعله يعلم ويرى ويعرف أن جميع الأمور لله جل جلاله « إنما الأشياء برحمة الله » . وهنا يعرف أن الله هو كل شىء ، وأن كل شىء لله ، وكل شىء منه ، وأن الذى ابتلى به الناس إنما هو امتحان وبلاء لهم ، وخطأ يسوقهم الله إليه بجهروته ، لأن له صفة الجبروت . وعند ما يتأمل العبد صفاته ، يعلم أنه هو الله ، ويصبح كل ما كان مجرد خبر عياناً أمامه ، يراه رؤية العين ، ويتأمل فى صنع الله . وعندئذ يدرك تماماً أنه لن يصل إليه ، لأنه يقول « أنا » أو « إن هذا بفضل عملى » . وهنا فى هذا المقام يدرك أنه لا حول له ولا قوة ، ويستريح ، ويرغب فيما يرغبه الله ، ولا تصبح له أية رغبات ، ويحصل على الراحة ، ويعرف

أن الله هو كل شيء وأنه ليس شيئاً . وعندئذ يقول أنا لست شيئاً . ولكن إذا تجاوز حده قيد شعره فإنه يتوقف دون الوصول .

ويلزم العمل أولاً ، (ص ٣٠١) ثم المعرفة ، حتى يعرف الإنسان أنه لا يعلم شيئاً وأنه ليس شيئاً . وليس هذا بالأمر الذى تسهل معرفته . وهو لا يتأتى بالتعليم والتلقين ، ولا يمكن حياكته بآبرة ، أو ربطه بخيط . إنه عطية ، وحتى يهبه للشخص ، ويمنحه القدرة على تذوقه ، يلزم تعليم الله « ذلك مما علمنى ربى . الرحمن علم القرآن » .

وقال الشيخ : « جذب جذبة من الخلق إلى معاينة الذات فحينئذ صار العلم عينا ، والعين كشفا ، والكشف شهودا ، والشهود وجودا ، وصار الكلام خرسا ، والحياة موتا ، وانقطعت العبارات ، وانمحت الإشارات ، وانمحقت الخصومات ، وتم الفناء ، وصح البقاء ، وزال التعب والعناء ، وطاح الماء والطين ، وبقي من لم يزل ، كما لم يزل ، حين لا حين « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بماء معين » .

* قال الشيخ : يتعب الخلق لأنهم يطلبون الأمور فى غير أوقاتها .

* قال الشيخ : إن الله تعالى يحول حقه فى كل مكان تبعا لحقوق الخلق . ويعفو بكرمه وفضله عن التقصير فى حقه ويصفح عنه ، ولا يقبل هذا فى حقوق الخلق ، لأن الرحمة صفة الحق ، والعجز صفة الخلق . ثم قال هذا البيت :

— حقا إن الكرماء يفعلون كما فعل الملك ،

فقد نظر إلى طريقه بعين العظمة .

* التفت الشيخ يوما أثناء حديثه إلى واحد من القوم وقال له : إن الوحشة

من النفس فإذا لم تقتلها ، قتلتك . وإذا لم تقهرها ، قهرتك وتغلبت عليك .

* قال شيخنا يوما على المنبر : إن سألكم سائل بعدى ماذا كان أصل شيخكم فقولوا أربعة أصول : حكم الوقت ، وإشارة السر ، وفتوح الغيب ، وساطان الحق .

* سئل الشيخ يوما : يا شيخ ، ما الصدق ؟ وكيف السبيل إلى الله ؟ فقال الشيخ : الصدق وديعة الله في عباده ليس للنفس فيه سبيل ، لأن الصدق سبيل إلى الحق وأبى الله أن يكون لصاحب النفس إليه سبيل .

* قال الشيخ : إذا وصل شخص إلى الدرجة العليا في المقامات ، واطلع على الغيب ، ولم يكن له شيخ أو استاذ ، فإنه لا يرجى منه خير . وتكون كل حال من مجاهداته خالية ، ضررها (ص ٣٠٢) أكثر من نفعها .

* قال الشيخ يوما أثناء المجلس : إن هذا التصوف عز في ذل ، وغنى في فقر ، وسيادة في عبودية ، وشبع في جوع ، ولبس في عرى ، وحرية في عبودية ، وحياة في موت ، وحلاوة في مرارة . وكل من يسير في هذا الطريق ، ولا يسير على هذه الصفة ، يزداد حيرة كل يوم .

* قال الشيخ : يجب أن يشتغل الرجل بعملين هما : أن يرفع من أمامه كل ما يشغله عن الله ، وأن يسعى لراحة الدراويش . فإذا سار على هذا النحو ، وصل إلى مقصوده .

* سئل شيخنا : ما عدد الطرق من الخلق إلى الحق ؟ . فقال : — في رواية — أكثر من ألف طريق . وقال — في رواية أخرى — : الطريق إلى الحق بعدد ذرات الموجودات ، ولكن ليس هناك طريق أقرب وأفضل وأسرع

من العمل على راحة شخص . وقد سرت في هذا الطريق ، وإننى أوصى الجميع به .

* سأل درويش شيخنا : أين أجد الله ؟ . فقال له الشيخ : وأين بحثت عنه ولم تجده ؟ إنك إذا خطوت خطوة صادقة في طلبه ، تراه في كل ما تنظر إليه .

* قال الشيخ : يرى الشخص الذى يساق إلى الجحيم نورا من بعيد ، فيسأل : ما هذا النور ؟ فيقال له إنه نور الشيخ فلان . فيقول : لقد كنت أحب ذلك الشيخ فى الدنيا . ويحمل الريح ذلك الكلام إلى أذن الشيخ ، فيطلب الشفاعة لذلك العاصى من حضرة الحق سبحانه وتعالى ، فيحرره الله تعالى من العذاب ، بشفاعة ذلك العزيز .

* سئل الشيخ ما الذى يظهره الله لبعض أحبائه ، ويخفيه عن البعض ؟ . فقال الشيخ : الشئ الذى يريد الحق تعالى أن يخفيه ، والشئ الذى يحب الحق سبحانه وتعالى أن يظهره .

* سئل الشيخ : من هو الصوفى ؟ . فأجاب : الصوفى هو الذى يرضى بكل ما يفعله الحق ، حتى يرضى الحق بكل ما يفعله .

* (ص ٣٠٣) قال الشيخ : إن المنعمين فى الدنيا ينعمون بالدنيا . أما المنعمون فى الآخرة فينعمون بالآلام .

* قال الشيخ : قال شيوخ ماوراء النهر : للشرك منزل هو البطر ، وللإيمان منزل هو الحزن .

* قال الشيخ . الألم قلعة تسمى العبد من البلايا بحماية الحق .

* قال الشيخ : أهل الدنيا صيد لا بليس بشباك الشهوات . وأهل الآخرة صيد للحق بشباك الهموم . قال الله تعالى : « لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن الله تعالى يحب كل قلب حزين » .
* قال الشيخ : عندما تعترض شخص مشكاة يفكر في أن يقولها لله .
وعندئذ يحب عليه أن يقول كل ما يطرأ على خاطره من الغيب ، ولا يهتم بما يقوله
هو نفسه .

* قال الشيخ لأحد الدراويش كل ما يلزم قوله قلبه حتى لا يبقى ما لا يقال ،
وكل ما يجب عمله إعمله حتى لا يبقى ما لا يعمل .

* رأيت بخط السيد الشيخ أبي البركات مكتوبا جاء فيه : سمعت عن
الشيخ أبي بكر الدروني أنه قال : سمعت عن الشيخ أبي الحسن الفاروزي أنه
قال : سمعت هذا الخبر من الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرة هم ، وحوسب
بحسابهم ، وإن لم يعمل بأعمالهم » .

* قال الشيخ : « الغنى تعب محبوب ، والفقر راحة مكروهة » . وقد
اتفق جميع الفضلاء والشيوخ على أنه لم يقل شخص في هذا المعنى قولا أفضل وأكثر
إيجازا من هذا القول .

* روى أنهم كانوا يحضرون إلى الشيخ كل ابن أو حفيد عند ولادته ،
ليؤذن في أذنه . وكان الشيخ يضع فمه على أذنه ويقول له بدلا من الأذان :
« يجب أن تصير على هذا الطريق » .

* (ص ٣٠٤) قال الشيخ « من نظر إلى الخلق بعين الخلق طالت خصوصته
معههم ؛ ومن نظر إليهم بعين الحق استراح منهم » .

* قال الشيخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يقرع
أبواب الجنة من أمتي فقراؤها ، وأكبر أهل الجنة من أمتي ضعفاؤها ، وشرار

أمتى من يساق إلى النار الأقماع « قيل يا رسول الله ومن الأقماع ؟ . قال صلى الله عليه وسلم « الذين إذا أكلوا لم يشبعوا ، وإذا جمعوا لم يستغنوا » .

* قال الشيخ : « من لم يتأدب بأستاذ فهو بطلال . وكل حال ووقت لا يكون من العلم ، وعن نتيجة المجاهدة وإن حلَّ فضرره أكثر من نفعه . ولو أن رجلا بلغ أعلى المراتب والمقامات حتى ينكشف له من الغيب أشياء ، ولا يكون له مقدم وأستاذ ، فلا يحىء البتة منه شيء » .

* سئل الشيخ في المجلس : ما التصوف ؟ . فقال الشيخ : « التصوف الصبر تحت الأمر والنهي ، والرضا والتسليم في مجارى الأقدار » . ثم قال : « لم يظهر على أحد حالة شريفة منيفة إلا وأصلها الصبر تحت الأمر ، والرضا والتسليم بقضاء الله وأحكامه عز وجل » .

* قال الشيخ : كل قلب لا يكون فيه سر من الله ، وليس له سر مع الله ، وسماع من كلام الله فإن سبب ذلك أن هذا القلب خال من الإخلاص . وكل من لا إخلاص له لا إخلاص له على أى وجه من الوجوه . ثم روى خبرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم القيامة جىء بالإخلاص والشرك كحيوان بين يدي الرب تعالى فيقول الله للإخلاص انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك انطلق أنت ومن معك إلى النار . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » .

ثم قال — الشيخ : اطلبوا الإخلاص فإن الإخلاص خلاص في الدنيا والآخرة ، كذا قال رسول الله صلى الله عليه « يامعاذ اخلاص دينك يكفيك القليل من العمل » .

* (ص ٣٠٥) قال الشيخ : العالم هو الخالص ، فمن لا إخلاص له في قلبه فلا علم له في دينه وشرعه . فقال واحد : يا شيخ ، ما الإخلاص ؟ . فقال : لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإخلاص سر من أسرار الله في قلب العبد وروحه يظهر مسلكه به ، ومدد ذلك السر يأتي من عناية الله سبحانه وتعالى ، وهذا المدد رقيب على ذلك السر ، والموحد يكون موحدًا بهذا السر . فقال رجل : أيها الشيخ ، ما السر ؟ . فأجاب الشيخ : السر لطيفة من الطاف الحق شلى نحو ما يقول : « الله لطيف بعباده » . وتلك اللطيفة تظهر بفضل الله تعالى ورحمته لا بكسب العبد وعمله . ففي البدايه يشعل في قلب العبد الحاجة والحزن والرغبة . ثم ينظر إليه بتلك الحاجة وذلك الحزن فيضع بفضل ورحمته في قلبه لطفًا « لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل » . ويقال لذلك اللطف سر الله . وهذا هو الإخلاص . وقد قال الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوله للناس فقال له : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

* قال الشيخ : من كان حياته بنفسه ، فحياته إلى ذهاب . ومن كان حياته بالإخلاص والصدق ، فهو حي بقلبه ، ينتقل من دار إلى دار . ثم قال : الإخلاص : الذى لا يكتبه الملكان ، ولا يطلع عليه إنسان .

* قال الشيخ : كل شخص يحيا بالنفس يموت بالموت . وكل من يحيا بالإخلاص والصدق ، لا يموت أبداً ، وينتقل من قصر إلى قصر . ثم قال الشيخ :

« شعر »

يا عز أقسم بالذى أنا عبده وله الحبيب وما حوت عرفات
لا ابتغى بدلا سواك خلية فتقى بقولى والكرام ثقات

ولو أن فوق تربة ودعوتني لأجبت صوتك والعظام رفات
وإذا ذكرتك ما خلوت تقطعت كبدى عليك وزادت الحسرات
وتمسكت الشيخ حال من السرور وقال هذه الرباعية : (ص ٣٠٦) .

إذا مت فمهما مرت على السنين
لا تظن أن القبر يذهب بحبي الحبيب
فإذا ما وضعت يدك على قبري سائلا : من هنا ؟
لا نبعث صوتي يسألك عن حال الحبيب

ثم قال الشيخ : إن ذلك السر الطاهر هو معشوق الموحدين . وذلك السر
قائم بنظر الحق وللحق ، وهو من نصيب الخلق الطاهرين ، ووديعة في هذا الجسد .
وكل من يملك هذا السر إنسان ، وكل من لا يملكه حيوان .

* قال الشيخ على المنبر يوما : ألا من عاش بالله لا يموت أبدا .

* قال الشيخ : « إذا أردت أن يصير الحق في قلبك موجودا ، فطهر قلبك
عن غيره ، فإن الملك لا يدخل بيتا فيه الخرافات والأقنعة ، وإنما يدخل بيتا فارغا
ليس فيه إلا هو ، ولا تكون أنت معه كما قيل » .

* قال الشيخ : إن فضلى عليكم أنكم تقولون لى ، وأنا أقول لله . وأنتم
تسمعون منى ، وأنا أسمع منه . وأنتم معى ، وأنا معه .

* قال الشيخ : « حقيقة العبودية شيئان : حسن الافتقار إلى الله ، وهذا
من باطن الأحوال . وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس
للنفس فيه نصيب ولا راحة » .

وقال : « طوبى لمن كان له في عمره نفس واحد » . ما أسعد ذلك الذى يتنفس نفسا واحدا صافيا طيلة عمره ويكون ذلك النفس ضد نفسه . وحيثما تقهر النفس وتغلب ، يغلب نور الإسلام . وعندئذ تصعد من الجسد أنفاس صافية وافية مثل نسيم الصبا الذى يهب على الروضة . وكل مريض يصل إليه ذلك النسيم ، يجد الراحة العاجلة ، ويكون سببا لشفائه .

* قال الشيخ : «التصوف إرادة الحق فى الخلق بلاخلق» . ثم قال : وهذا التغير والتلون والبلبله والاضطراب كله من النفس . وحيثما ينكشف أثر من أنوار الحقيقة لاتكون هناك ولولة ولا دمدمة ولا تغير ولا تلون . « ليس مع الله وحشة ، ولا مع النفس (ص ٣٠٧) راحة » . ثم قال :

« بيت »

— يسعد المرء حينما يشتعل قلبه بالحب ،

وليس مثل هذا الرجل كثير الوجود .

* سئل الشيخ : ما الفتوة ؟ . فأجاب الشيخ : « قال النبي صلى الله عليه : أن ترضى لاختيك ما ترضى لنفسك » . ثم قال : « حقيقة الفتوة أن تعذر الخلق فيما هم فيه . ومن صحب الفتيان من غير فتوة يفتضح سريعا » .

* قال الشيخ : « إن لله تعالى فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب عبده ، ينظر هل ينظر إليه قلب العبد ، فإن وجدته ناظرا إليه ، ألحقه المزيد ، وأكرمه بالزيادات والأنوار ، وجذب قلبه إليه . وما لم يكن له جذبة من فوق ، لا ينتظم أمره ، ولا يصلح شأنه . كما قال الشيخ : جذبة من الحق توازى عمل النقلين جميعا » .

* ثم قال : التحمل أفضل من الاجتهاد . ومالم يوجد التحمل ، لا يكون الاجتهاد . ومالم يوجد الاجتهاد ، لا تكون البصيرة .

* ثم قال : « من طلبه بالعبودية لا يجده ، ومن طلبه به يوشك أن يجده » .

* ثم قال : « لو بسط بساط المجد والفضل لدخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه ، ولو بدت عين من عيون الجود ألحق المسمى بالحسن » .

* ثم قال : ليس الدراويش أولئك الذين لو لم يكونوا هم هم ، لما كانوا دراويشا ، إسمهم صفتهم . وكل من يطالب الطريق إلى الله ينبغي أن يمر (ص ٣٠٨) عليهم لأنهم فيه .

* قال شيخنا : « انقطع عن الكل حتى يكون لك الكل » . ثم قال .

(شعر)

الذكر يمنعني والجود يطمعني والحق يمنع عن هذا وعن ذا
فلا وجود ولا ذكر أسير به حتى فؤادي إذ ناديت إياها

* سئل شيخنا : يا شيخ ، كيف الطريق ؟ . فقال الشيخ : « الصدق والرفق » .
الصدق مع الحق ، والرفق مع الخلق . وقد اتفق جميع المشايخ على أن المروءة احتمال زلل الإخوان . ولا يسود الرجل حتى يكون فيه خصاتان : اليأس عما في أيدي الناس ، والتغافل عما يكون منهم .

* قال الشيخ يوما لمريد : لاحق الله لك مرادك ؛ لأن كل من حقق الله له مراده أبعد عنه بابه . وانفض يدك من كل من يكون موزعا بين ما يلزمك وما لا يلزمك لأنه يكون بلاء لك وللخاق . وعندئذ قال : كنت يوما عند أبي العباس

القصاب ، وكان يتحدث ، فقال في أثناء حديثه هذه الكلمة : كل شخص له ما يلزمه ، وأبو العباس يلزمه ألا يكون له ما يلزمه .

* سأل درويش شيخنا قائلًا : ماهذه النار التي في القلوب ؟ . فأجاب الشيخ يسمونها نار الحاجة . وقد خاق الله تعالى نارين : أحدهما نار حية ، والأخرى نار ميتة . والنار الحية هي نار الحاجة التي وضعت في صدور العباد لتحرق نفوسهم . وهي نار نورانية عندما تحرق النفس تتحول نار الحاجة هذه إلى نار الشوق . ونار الشوق هذه لا تتمدأبدا ، لا في الدنيا ولا في الآخرة . وهذه هي النار التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بعبد خيرا قذف في قلبه نورا » . قيل يارسول الله ما علامة ذلك النور؟ . قال : « التجافي عن دار الغرور ، والأنانية إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت » . قال ذلك السائل : (ص ٣٠٩) ياشيخ ، عندما تكون نار الشوق وتتحقق الرؤية الطاهرة ، هل تهدأ نار الشوق ؟ . فقال الشيخ : لا يمكن الاقتناع بنصيب من رؤية القمر ، فهذه الرؤية تزيد الظما ولا تحدث الشبع . وكما أنها اليوم غيب فإنها سوف تكون في الغد عندما يريدون الرؤية غيبا أيضا . وليس من الصواب الطواف حول صفاته فكل شخص يراه على قدر إيمانه . ويكون نور الإيمان هو النور الذي يأتي من القلوب إلى العيون حتى ترى بنور الإيمان هذا جلاله وجماله على حد نفسه .

والنار الميتة هي نار الجحيم ونار الظلمة والوحشة . وكل من لا يحترق بالنار الحية يحترق بتلك النار الميتة سواء في الدنيا أو الآخرة . ثم قال هذه
الرباعية :

لم تحرق نار نمرود إبراهيم بن آذر
فلقد احترق وصار مثل الرماد قبل هذه النار
مالم تحترق بهذه النار فلن يصفو يقينك
سواء سميت هذا عبثا أو سميته جنونا

* قال الشيخ : لقد تحدث سبعة عشر شيخ من الشيوخ في الطريقة فقال أولهم
ماقاله آخرهم . ومهما اختلفت العبارات إلا أن المعنى واحد وهو : « التصوف
ترك التكلف » . وليس هناك تكلف أكثر من اهتمامك بنفسك ، لأنك عندما
تشغل نفسك تعجز عن الله .

* قال شيخنا : لقد قيل أن التصوف شيان : النظر في ناحية واحدة ، والحياة
على وتيرة واحدة .

* سئل الشيخ : إذا أراد رجل أن يسلك الطريق بدون شيخ فهل يستطيع ؟ . فقال
الشيخ : إنه لا يستطيع ، لأنه يلزمه شخص يكون قد سار في هذا الطريق حتى
يستطيع أن يرشده إليه ، (٣١٠) ويحدثه عن عيوبه ومحاسنه ، ويعرفه بكل
منزل أو يقول له يلزم البقاء هنا أكثر . وعندما يكون هناك موضع يؤدي إلى
التهلكة يقول له ينبغي الحذر . ويشجعه برفق حتى يقطع ذلك الطريق بقلب قوى ،
فيصل إلى مقصوده . والشخص الذي يسلك الطريق بمفرده ، يكون كشیطان
يتخبط في وسط صحراء ، لا يعرف من أين يكون الطريق على نحو ما يقول الله
عز وجل : « كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران » . وأصل هذا الطريق
هو إطاعة الشيخ « فإن تطيعوا تهتدوا » . وعندما يطيع المرید الشيخ فإنه أيضا
يطيع الله « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » . « والشيخ في قومه كالنبي
في أمته » ،

* قال الشيخ : « إياك وصحبة الأشرار ، ولا تنقطع عن الله بصحبة الأخيار » .

* قال الشيخ : للصحبة شروط . وأحسن لباس يلبسه العبد هو لباس التواضع . وليس لعبد حلية أحسن من حلية التواضع ، ولا يعز العبد إلا التواضع « ومن تواضع لله رفعه » . والتواضع هو الخضوع والتسليم في هذا الطريق حينما لا تتضح الأمور أمامه . وليس هناك آفة للعبد في هذا الطريق أسوأ من التكبر . والتكبر هو التعاضم والغرور كما قال إبليس « أنا خير منه » فقد فقد طاعة ألف عام بغروره مرة واحدة . ويقال إن إبليس يطوف في الأسواق ، ويقول للناس ، تنبهوا ولا تغتروا ولا تقولوا أنا ، وتأملوا ماذا حدث لي من الغرور . والتكبر والتعاضم صفة الله ، وكل من ينازعه فيه ، ويساوى نفسه به ، فإن الله يقهره .

* قال الشيخ : « التصوف بال تلقين كالبناء على السرقين » . ثم قال : « هذا الأمر لا يخاط على أحد بالإبرة ، ولا يشد عليه بالخيط » . وهذا أمر لا يتحقق بالكلام ، فما لم تسلك طريقه لا تسرى دماؤه فيك . وهذا أمر يتحقق بشعورك بالحاجة ، فتلزم الحاجة .

* (ص ٣١١) قال الشيخ . كل من يوافقني في هذا الأمر يصبح قريبا لي ، ولو كان بينه وبينى مراحل كثيرة . وكل من لا يؤيدني في هذا الأمر لا علاقة لي به ، ولو كان من أقربائي . فأنت تكون معي وبيننا منازل كثيرة . ثم قال : لقد حل غضب الله .

وفي كل وقت كان يرى فيه قافلة كان يقول لهم : ألم يكن بينكم شخص من زملائنا يلبس ملابس ممزقة ؟ . ثم يقول لمريديه : إن زملاءنا قليلون ولا شأن لهم بالدنيا والآخرة .

* قال الشيخ : الحكم للوقت ، والأمر للغيب . ثم قال :

« بيت »

— إن طرئت سوداء ، وقد صرت منجبا للمسك ،
ولس كثرة ما بحثت عن المسك أصبحت أنت المسك .

* قال الشيخ : من السهل على الخلق جميعا أن تكون لهم علاقة بالرحمن
الرحيم . ومن الأصعب علينا أن تكون لنا علاقة بالجبار والقهار .

« بيت »

— لقد كانت الحيرة المقربين كثيرا ،
لأنهم يعرفون قهر الساطان .

* قال الشيخ : مهما أكثرنا من العمل في حق الله ، فإننا لا نستطيع أن نبلغ
شيئا في طريقه .

* قال الشيخ : يلزم في كل أمر صديق ، ويلزم أصدقاء في هذا الطريق ؛
بحيث يرشدونك إلى الحق ، وعندما تعجز يعاونونك .

* قال الشيخ : إننا ننظر من الشرق إلى الغرب مثما ننظرون أنتم إلى طبق
وترون كل ما يكون فيه . وإننا ننظر لنرى هل أخذ أحد بهذا الأمر ، نحن
نرى أنه قد ختم ، وختم هنا . وإذا وجد في الدنيا جميعها شخص أو قوم أخذوا
به ، فإنه ينبغي عليهم أن يزحفوا إلينا .

* قال شيخنا : « قال النبي عليه السلام : « ستتفرق أمتي نيفا وسبعين فرقة ،
الناجي (ص ٣١٢) منهم واحدة والباقيون في النار » . قال الشيخ : أي في
نار أنفسهم .

* قال المقرئ عبد الرحمن مقرئ الشيخ إن الشيخ اعترته يوما حال أثناء

السماع ، فأخذ يصيح ويرقص في حلقة الجماعة . ولما جلس وهدأ ، وكان الصمت قد استولى علينا ، قال : لقد تحدث سبعمائة شيخ في ماهية التصوف ، وأتم هذه الأقوال وأفضلها هو هذا القول : « استعمال الوقت بما هو أولى به » .

* قال شيخنا : « كان التصوف ألما فصار قلما » .

* قال الشيخ : « أهل الرسوم في حياتهم أموات ، وأهل الحقائق في مماتهم أحياء » .

* قال الشيخ : لقد كنت أتجول طويلا في مواضع كثيرة ، وكان هذا الأمر يقتضى أرى . وكنت أبحت عن الله في الجبال والصحارى ، فأجده تارة ، ولا أجده أخرى . والآن لقد صرت بحيث لا أرى نفسى ، لأننى فنيت فيه ، وتلك صفته . ولم أكن أنا ، وسوف يكون هو ، ولن أكون أنا . والآن لا أستطيع أن أتفلسف نفسا بنفسى . ولست أدعى المشاهدة والتصوف والزهد ، فالشخص الذى ليس له اسم ؛ هل يمكن أن يطلق عليه اسم ؟ . هذا محال وليس بجائز .

* قال الشيخ : كل من يلزم له أن يأتى إلى هنا ، يجب عليه أن يأتى ليستمع إلى نفحة منه . فالجالس الأخرى مجالس علم ، أما هذا فهو مجالس الحق . وهم في تلك المجالس يبحثون عن السلطة والجاه والعز ، أما هنا فهم يبعدون عن أنفسهم السلطة والعز والجاه . فالعز لله « لله العزة جميعا » والله يقول فى كلامه « لم يزل العز كله لى » ،

* قال الشيخ : كل قراء ينكر سماع الدراويش فهو بطل الطريقة .

* كان الشيخ يتحدث فى مجالس ميهنة ، فمرت قافلة بذلك المكان ، فقال الشيخ : ما أسعد هذه القافلة . ثم مر كلب على ذلك الموضع فقال الشيخ : ما أسعد

هذا الكلب . غدا في يوم القيامة سوف يكون له الشرف على كلب أصحاب الكهف ؛ لأنه سمع هذا الكلام .

* (ص ٣١٣) سئل الشيخ في نيسابور : هل توجد علامة في الدنيا على أن الله راض عن العبد ؟ . فأجاب الشيخ : أجل ، ينبغي أن يتبين العبد هل هو راض بما منحه الحق سبحانه وتعالى في الدنيا أم لا ؟ فإذا كان راضيا كان الله تعالى أيضا راضيا عنه .

* قال الشيخ : حينما ذكر أبو سعيد تسعد القلوب ؛ لأنه لم يبق لأبي سعيد من أبي سعيد شيء .

* سئل الشيخ : كيف يمكن رؤية الحق ولا يمكن رؤية الدرويش ؟ . فقال : لأن الحق تعالى باق ، والباقي يمكن رؤيته . أما الدرويش فهو فان ، والفساني لا يمكن رؤيته .

* قال الشيخ : أيها المسلمون ، اعلموا أنهم لن يدعوا نكم تمرون بدون عبء ، فإذا كنتم تحملون عبء الحقيقة فإنكم سوف ترتاحون الآن ، وتحصلون على الراحة غداً . وإلا فسوف يضعون الباطل على أعناقكم ، فلا تستريحون في الدنيا ولا في الآخرة .

* سئل الشيخ عن معنى هذه الآية : « ولذكر الله أكبر » . فقال : معناها أن ذكر الله لعبده أكبر ؛ لأن العبد لا يستطيع أن يذكر الله ما لم يذكره الله أولا . وإنه لا أكبر أن يذكر الله العبد ويمنحه التوفيق لكي يذكره أيضا . وإذا تأملت جيدا تجده يذكر نفسه ، لأن العبد ليس شيئا . والعبد يسعى كثيرا ، ويطوف بالدنيا ، ويظن أنه حصل على الراحة ، ولا راحة في مكان يخلو منه . وأينما توجهت لن تجد الراحة مادام هو ليس موجودا . إنه في كل مكان ، وأنت تراه هنا أيضا .

« رباعية »

سعيت كثيرا حتى كلت قدمي
وفي النهاية لم أحصل على فائدة بدونك
ولما بسطت يدي مبايعا لك بالوفاء
قبع في داري مستريحا

* (ص ٣١٤) قرأ مقرأء هذه الآية أمام الشيخ : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها » . فقال الشيخ :

« بيت »

— ماذا ينال خالي الوفاض من رؤية
الحسان ، غير الحسرة والالم .

وقرأ مقرأء : « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » . فقال الشيخ :

« بيت »

أتقودني إلى حافة البئر وتدفعني ،
ثم تدق كفيك حزنا على .

* قال الشيخ : لن يأتي أعز من سليمان ، ولم يكن هناك ملك أعظم منه .
ومع هذا فلم يكن في قبضته سوى الريح « ولسليمان الريح » وعندما أراد الله أن
يريه قدر ملكه ، أنزله عن العرش ، واجلس « صخرا » الجنى مكانه ، ليسوس
نفس الملك الذي كان يسوسه ، ثم اطلع سليمان عليه ثانية ، وقال له : إن هذا الملك
الذي تتطلع إليه لا يهتم أحد بامتلاكه ، ولا يستحق أن تقول : « وهب لي
ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » .

* سئل الشيخ : ما الدولة ؟ . فقال الشيخ : قيات في هذا المعنى أقوال كثيرة ، وأنا أقول : « الدولة إتفاني حسن » . وعندما تظهر تكون العناية الأزلية « سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية » . والناس في الدنيا على ألوان شتى ، وقد صبغ الله القلوب منذ الأزل على نحو ما يقول « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .

(شعر)

وهو الك أول ما عرفت من الهوى والقلب لا ينسى الحبيب الأول
وهذه الولاية ليست من تلك المجموعة حتى يمكن حياكتها بالأبرة ، أو ربطها بالخيط ، أو وزنها بالميزان ، فهي عندما لا تكون لا تكون .

(بيت)

— جاءت الدنيا لمن جاءت إليه ،
فاعلم أن ما يحىء بغير كد لا يكون كالذي تكدر للحصول عليه .

* (ص ٣١٥) نهض رجل في مجلس الشيخ وسأله : أيها الشيخ ، أي تدبير لنا ؟ . فقال الشيخ : « التدبير في العقل تدمير . والتدبير في العشق تزوير » . ولا يوجد خطأ أسوأ منه لأنك تدبر مع عدوك في حق صديقك وربك . والتدبير صفة النفس والنفس عدو . وإذا كنت تريد أن تدبر ، فيجب عليك أن تدبر مع شخص ماهر . ولم يوجد ولن يوجد منذ العهد الأول حتى منقرض العالم شخص أمهر من المصطفى صلى الله عليه ، فدبر معه ، وانظر ماذا قال ، وسر عليه ، وابتعد عما نهى عنه .

(بيت)

— يجب اختصار القول ،
والحذر من صديق السوء .

وصديق السوء هو نفسك « أرأيت من اتخذ إلهه هواه » . وطالما أنت تهتم
بنفسك فإن تجد الراحة قط « نفسك سجنك إن خرجت منها وقعت في راحة الأبد » .

* في وقت من الأوقات سأل درويش الشيخ : أيها الشيخ ، ما العقل ؟ .
فقال الشيخ : « العقل آلة العبودية » ولا يمكن إدراك أسرار الربوبية بالعقل ؛
لأنه محدث ، وليس للمحدث طريق إلى القديم .

* قال درويش للشيخ : أيها الشيخ ، أدع لي . فقال شيخنا : لا جعلك الله
لائقاً لأي عمل ؛ لأنك إذا لقت لعمل ، بقيت في قيده ، وأصبح ذلك حجاباً لك
عن ربك . وأساس العبودية الفناء ، فإذا بقيت في صفاتك ذرة من إثبات ؛ فقد
دام عليك هذا الحجاب . فاثبات الصفات لله ، ونفى الصفات للعبد . قال موسى :
« فأرسل إلى هارون » وموسى هنا لم يهرب من النبوة ، ولكنه تذوق النفي فكان
يقول « دعنا في هذا الفناء فقد شبعنا من وجودنا ، وتحملنا كثيراً من البلى » .

وقد قيل : لا بد للنبوة من نفي البشرية ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم
في الغار : دعنا هكذا في عجزنا . وكان جبريل يقول له اقرأ فكان يقول (ص ٣١٦)
ما أنا بقارىء ، هنا الكبراء والعظماء ، فماذا تريد من أجير خديجة ؛ ويتيم أبي طالب .

(بيت)

— لن يفيدك من التقاعس شيء ؛
فاعقلها وتوكل .

* قال الشيخ ، إن الملوك لا يبيعون العبد ، فاجتهدوا أن تكونوا عبيداً لله ،
فعندما قبلكم عبيداً له ، و ناداكم « يا عبادي » تجاوز أمركم القياس والتصرف .
* قال رجل : يا شيخ ، هل يخرج الأثم العبد من العبودية ؟ فأجاب الشيخ :
مادام عبداً فلا ، ولما كان آدم عبداً ؛ فإن الذنب لم يبعده عن الله . فكن عبده
حيثما شئت « ذنب مع الافتقار خير من طاعة مع الافتخار » . ولقد شعر آدم
بالافتقار وشعر ابليس بالافتخار . « ولولا العصاة لضاع رحمة الله » .

* كان الشيخ يتحدث يوماً فقال : حركوا رؤوسكم استحسنانا لهذا الحديث
حتى إذا سئلتهم يوم القيامة من أنتم ؟ قلتم : نحن المستحسنون لحديث رجالك ،
فيرفع القيد عنكم سريعاً .

* سئل الشيخ عن هذه الآية « وربك يخلق ما يشاء ويختار » . فقال
الشيخ : إن الاختيار لله . والذي يختاره الله يجب أن يكون لا تقا حسناً .
أما ما يختاره العبد فلا فائدة منه . ونحن لانستطيع أن نتنفس نفوساً بدونها . والشئ
الذي لا يريد الله لا يحدث ، وأفضل لنا ألا نكون . وإذا ما عرض للعبد فتح ،
فإنه يزدان بهذا الفتح ، ويصير هذا الفتح حلية له ، فيصير جديراً بالبصيرة .
وإذا ما صار بصيراً أصبح سميعاً ، وعلى هذا فالله يقول : « قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » . والله يقول لي « هو خير يا ابن أبي
الخير » . وأنا أقول لكم : « هو خير يا آل أبي الخير » . وكل شخص يتبعه
بشيء ، بعضهم يتبعه بالدنيا وبعضهم بالعقبى ، ويفخر بعضهم بالدرجات وبعضهم
بالحسنات . وأنا أقول لكم إن هذا كله لم يكن موجوداً وكان هو موجوداً ،
ولا يزال ، وسيظل دائماً .

وقد كان الشيخ أبو القاسم بشر ياسين يعلم العجائز في ميتهنه هذا الذكر :
يا أنت ، يا من أنت كل شيء ، يا من كل شيء لك (ص ٣١٧) وحدك لا شريك لك .

وهذا كله لأن الحق تعالى يقول : « هو خير مما يجمعون » . أيها المسلمون ، لقد أصبح غريباً ذلك الشخص الذى يشم نفحة منه ، أو الشخص الذى شبع من نفسه . والفيض يأتى الشخص الذى يتعلق بالله فيصير محتاجاً لله . نلزم الحاجة ، فالحاجة مغناطيس يجذب أسرار الحقيقة .

قال الشيخ : قبل أن يخلق الله تعالى الأجساد بأربعين ألف سنة ، خلق الأرواح ، واحتفظ بها فى جواره ، وألقى عليها نوراً . وكان يعرف كمية النور التى حصلت عليها كل روح ، فكان يميل إليها بقدر نسبة النور الذى تلقته . وظلت الأرواح فى ذلك النور ، ونمت نمواً كاملاً . وإن أولئك الذين يعيشون فى الدنيا فى سرور ووفاق مع بعضهم لا بد وأهم كانوا على وفاق قبل ذلك . وهم يحبون بعضهم البعض ، ويعرفون باحباب الله ، ويظلمون على هذا الحب ، لأنهم أحبوا بعضهم من أجل الله . وكل من يبحث منهم عن الله ، يحمل إلى الآخر نفحة من ذلك الطلب .

ثم قال الشيخ : هذه الأرواح تعرف بعضها البعض بالرائحة « كاتشام الخليل » ورغم أن إحداها قد تكون فى الشرق والأخرى فى الغرب ، إلا أنها تشعر بالانس والارتياح فى حديث كل منها للأخرى . ولو أن أحدهم عاش فى القرن الأول ، وعاش الآخر فى القرن الخامس ، فإن هذا الأخير لا يجد العائدة والمواساة إلا فى كلام الأول . وهؤلاء القوم يتحلون بفضل الله تعالى ، وهم لا يتغيرون بشيء يصيبهم من الله ، فلا البلاء ولا النعماء ولا الكرامات ولا المقامات تغيرهم . وكل من ينزل إلى شيء من هذه الأمور لا يكون إلا كاذباً ، لأن الكرامات والمقامات والدرجات كلها ليست لله ، وإنما هى من نصيب العبد ، وكل ما نزل منها صار نصيباً للعابد .

❖ قال الشيخ : أيها المسلمون ، إلام نخجلون من أنيتكم ؟ . لا تفعلوا شيئاً لا تستطيعون قوله يوم القيامة ، ولا تقولوا في الدنيا ما يكون وبالاً عليكم في الآخرة . إن هذه الأنية تجلب الدمار للناس ، هذه الأنية شجرة اللعنة . وأول شخص قال « أنا » كان إبليس وشجرة (ص ٣١٨) اعنته كانت ملكاً لكلمة « أنا » ، وكل من يقول (أنا) يقطف ثمرة من تلك الشجرة ، ويبتعد كل يوم عن الله أكثر من ذي قبل .

طرق جابر بن عبد الله باب حجرة الرسول عليه السلام فقال الرسول عليه السلام : من الطارق ؟ . فقال جابر : « أنا » فمض الرسول عليه السلام وأخذ يقول وهو يسير إلى الباب : « أنا ، أنا ، أما أنا فلا أقول أنا » . وعندما تخلص من أنيته ، وصح واستقام في ذلك ، قيل له : قل هذا باذن منا « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ، على بصيرة أنا » .

❖ قال الشيخ : « لا تكرر هوا النفس فإن فيها خسارة المناقين » .

❖ سئل الشيخ في تفسير هذا الخبر « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » . فقال : إن تفكر ساعة وأنت فان عن نفسك ، خير من أن تقوم بالعبادة سنة وأنت تفكر في وجودك .

❖ سئل الشيخ عن السماع فقال : « لسمع قلب حي ، ونفس ميت » .

❖ قال الشيخ : نحن نعظ بدون علم ، ونقيم الولائم بدون نقود .

❖ قال الشيخ : ظلت أبحث عن الله مدة طويلة ، وكنت أجده تارة ولا أجده أخرى ، والآن أبحث عن نفسي فلا أجدها ، لقد فنيت لأن الكل هو .

« شعر »

- اثبت في كيف ولماذا سنين طويله ،
- أقول كيف هذا ولم ذلك .
- وعندما استيقظ النائم من غفلته ،
- أصبح الغم أسهل عليه في اليقظة .

* قال الشيخ : تلزم جميع الأشياء للرجل حتى لا يلزمه شيء . وقد فسر أحد كبار الصوفية هذا القول فقال : يلزم للرجل أن يصل إلى كل شيء ، ويجرب كل شيء ، حتى لا يهفو قلبه لشيء .

* قال الشيخ : كل من يظن في نفسه ظنا طيبا لا يعرف نفسه . وكل من (ص ٣١٩) يظن في الله ظنا سيئا لا يعرف الله .

* قال الشيخ : « لولا أن العفو أحب الأشياء إلى الله تعالى ، لما ابتلى بالذنب أحب الخلق إليه ، يعني آدم » .

* سئل الشيخ عن معنى القول : « من عرف الله كل لسانه . فقال شيخنا : يعني كل لسانه عن خصومة الخلق ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أعز الخلق ولم يكل لسانه » .

* سئل الشيخ عن معنى « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . فأجاب الشيخ : « من عرف نفسه بالعدم ، عرف ربه بالوجود » .

* قال شيخنا : « من فضل الفقير على الغني أن كل أحد يتمنى عند الموت وفي القيامة أنه كان فقيرا ، وذلك في حالة الصدق ، ولا يتمنى أحد في ذلك الوقت الغنى » .

* سئل الشيخ عن معنى « نصر عزيز » فقال الشيخ : العدو اثنان : أحدهما تحت القميص ، وثانيهما خارج القميص . وعندما تتغلب عليه يقال لذلك الفتح ظهراً . أما ذلك الذي في داخل القميص فهو الذي عندما تتغلب عليه يسمون ذلك نصراً عزيزاً . هذا هو تفسير « نصر عزيز » .

* قال شيخنا : كل ما يليق للخلق لا يليق لله ، وكل ما يليق لله لا يليق للخلق .

* قال شيخنا : أصل الزلة هو أن المصطفى عليه السلام جاء إلى الأرض بزة آدم وخرج من حضرة الحبيب . إذن فالزلة ينبغي أن تكون من قبل الحبيب لا من قبل الغريب .

* قال شيخنا : يمكنك أن تزيد في الجهد والتعب ولكن لا يمكنك أن تزيد في الرزق ، لأنه يكون بالمنح لا بالكفاح .

* قال الشيخ : أن تسحب جبلاً بشعرة أسهل من أن تخرج بنفسك من نفسك .

* قال الشيخ : يقول الناس إننا سعداء نشعر بالراحة ولو أنهم (ص ٣٢٠) رأوا ما تحملنا ، لتألموا كثيراً وهربوا .

* قال الشيخ : ليس الشيطان هو الذي يقول « لاحول الله » وإنما هو الخاسر الهارب من رحمة الله .

* سئل شيخنا : « ما الشر ؟ . . وشر الشر ؟ » . . فقال الشيخ : الشر أنت ، وشر الشر هو أنت وأنت لا تعلم .

* قال الشيخ : إن الله تعالى لا يخشى أن يجعل مائة ألف شخص فداً .

لصوفي واحد .

* قال الشيخ : بعد أكثر من سبعين عاماً عرفت معنى هذا البيت :

— أواه أيها الناس . . . لقد انعدم العدل في الدنيا ! ،
فالحبيب يرتكب الذنب وعلى أنا أن اعتذر.

* قال الشيخ : قال سليمان « هب لي ملكا » فمنحه الله ذلك الملك . ولما رأى آفة ذلك الملك ، وأدرك أنه يسبب البعد لا القرب ، قال لحضرة الله تعالى « لا ينبغي لأحد من بعدى » .

قال الشيخ : عندما يصل الرجل إلى طريق التجرد لا يهتم بملك سليمان .
وإذا لم يصل إلى التجرد يعرف ما يزيد عن السكم . ولهذا السبب قال أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب في السوق : اقطعوا ما زاد عن السكم .

* قال الشيخ « ينبغي أن يكون لك وارد ولا يرد » .

* قال الشيخ . « كل ما كان من قبل الهوى والباطل فهو نفس ، وما كان
فيه راحة من الخلق فهو نفس » .

* سئل الشيخ عن معنى « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا » فقال : الليل ليل
الاستتار والنهار نهار التجلي .

* قال الشيخ : « لما خلق الله تعالى العقل وقفه بين يديه ، فقال من أنا ؟ فتحير
(ص ٣٢١) فسكحه بنور وحدانيته فقال من أنا ؟ فقال أنت الله لا إله إلا أنت .
فلم يكن للعقل طريق إلى معرفته إلا به » .

* سئل الشيخ عن المعرفة فقال : المعرفة هي ما نقوله لأطفالنا ، نظف أنفك
ثم تحدث عنا .

❖ قال الشيخ : « القرب على ثلاثة أوجه : قرب من حيث المسافة ، وهو محال . وقرب من حيث العلم والقدرة ، وهو واجب ، وقرب من حيث الفضل والرحمة ، وهو جائز » .

❖ قال الشيخ : عمرك هو نفسك بين نفسين : أحدهما منى والآخر لم يأت بعد . وقد سبق شرح هذا القول .

❖ قال شيخنا : يغسل الغاسل الثوب كل أسبوع ولكنه لا يبدو نظيفا . وعندما يغسله بعناية يقول له : إني لأخونك ، ولا أؤدى عمالك بإهمال . وإذا أردت ثوبك نظيفا فانتظر حتى أضعه فى الماء مرة أخرى ، وقد يصلح لأسبوعين ؛ لأنه عندئذ يخرج القماش نظيفا ، بحيث أن كل من ينظر إليه يقول : ما أحسن هذا الغاسل الماهر .

❖ قال شيخنا يوما أثناء حديثه : « إن الذين يكثرون الصلاة والذكر ويعبدون ما لهم عند الله ، فلو عدوا ما لله عندهم لاستراحوا » . ثم قال : « قال رسول الله صلى الله عليه : إياكم ومجالسة الموتى . قيل يارسول الله ، من الموتى ؟ . قال أهل الدنيا الذين ولدوا فى التنعم . ثم قال صلى الله عليه : يامعاذ إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بمتنعمين » .

❖ قال الشيخ أثناء المجلس : الحياة بالعلم والراحة فى معرفة الذوق فى الذكر ، وثواب التوحيد النظر إلى الله تعالى فى الجنة . وثواب أداء الأمر الجنة . وثواب اجتناب النهى الخلاص من النار . ثم قرأ الشيخ : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » .

* (ص ٣٢٢) قال الشيخ « لما خلق الله تعالى الأرواح خاطبهم بلا واسطة ، واسمعهم كلامه كفاحا ، وقال : خلقتكم لتساروني ، وأساركم . فإن لم تفعلوا ، فتناجونني ، وأناجيكم . فإن لم تفعلوا ، فكلموني وحدثوني . فإن لم تفعلوا ، فاسمعوا مني . ثم قرأ الشيخ : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » .

ثم قال : « إن كلام الله صفة قديمة مختصة بذاته ، ليس بحرف ولا صوت ، وهو مسموع في ذاته . فإذا أسمع عبده من غير واسطة حرف ولا صوت ، يسمى مكاملة ومخاطبة . وإذا اعتبره عليه ، بأن يخلق في الحل ما يدل عليه من العبارات والحروف أو غير ذلك من الأدلة ، فيسمى مسارة . وإذا خلق في قلبه معاني كلامه ، فيسمى مناجاة . ومن شرط هذا القسم الأخير أن يتعقبه علم ضروري بأن هذا من كلام الله . فما ورد من ألفاظ المسارة والمناجاة والمخاطبة فمحمول على هذه المعاني . وأما الوحي والإيجاد فإذا الكلام في النفس بواسطة رسول من رسله » .

* قال الشيخ أثناء الحديث : « سيروا إلى الله سيرا جميلا ، وسيروا إلى الله بالهمم لا بالقدم » .

* قال الشيخ : « من عرف الله بلا واسطة ، عبده بلا عوض . ومن عرفه بواسطة ، عبده على العوض » .

* قال الشيخ : « الزم بابا يفتح لك الأبواب ، واخدم سيذا واحدا يخضع لك الرقاب » . ثم قال الشيخ : « تأن تنل فإن هذا رب ليس العجلة من شأنه » .

* سئل الشيخ عن معنى هذا الخبر : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا

إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . فأجاب : قيمة كل امرئ قلبه ، لأن الصور هو الصدف ، والقلب هو الجوهر . والملوك لا ينظرون إلى الصدف ، بل ينظرون إلى الجوهر . والجواهر مختلفة . وقيمة كل امرئ قلبه ، وعاقبة كل امرئ قلبه . والقلب ناظر بالفضل والرحمة ، كذا قال الله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » « يختص برحمته من يشاء » .

* (ص ٣٢٣) قال الشيخ : « الدنيا صوركم ، والآخرة صوركم ، وجميع ما في الكونين صوركم والأمر والإسم والصور . فالمقامات حركات الظواهر ، والأحوال حركات السرائر ، والتوحيد والمعرفة وراء الظواهر والسرائر . ولا يصل العبد بروح التوحيد وصفاء المعرفة إلا بكفاية ورعاية وعناية من الحق تعالى وتقدس » .

* قال الشيخ : « السماع يحتاج إلى إيمان قوى لأن الله تعالى قال : « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا » . فالسماع غذاء الأرواح وشفاء الأشباح . والسماع لسالك الطريق . ومن لم يسلك الطريق لا يكون له سماع بالتحقيق » .

* قال الشيخ : « إن أردت أن تجده فاطلبه في رجوعك عما دونه » .

* قال الشيخ : « السلامة في التسليم ، والبلاء في التدبير » .

* قال الشيخ : « من أحب الدنيا ، حرم عليه طريق الآخرة ؛ لأن النبي صلى الله عليه قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

* قال الشيخ : « من سكن إلى شيء دون الله تعالى فهلاكه فيه » .

* وقال : « من حدث في نفسه ، غاب عن مولاه ، وردده الله إلى نفسه ، لأن أول جنابة الصديقين حديثهم مع أنفسهم » .

* قال الشيخ: « لا يجد السلامة أحد حتى يكون في التدبير كأهل القبور؛ لأن الله تعالى خالق الخلق مضطرين لأحيلة لهم . وأسعد الناس من أراه الله قلبه حيلته » .

* سئل الشيخ : « يا شيخ ، ما الشريعة وما الطريقة وما الحقيقة ؟ . فقال : الشريعة أفعال في أفعال ، والطريقة أخلاق في أخلاق ، والحقيقة أحوال في أحوال . فمن لا أفعال له بالمجاهدة ومتابعة السنة ، فلا أخلاق له بالهداية والطريقة . ومن لا أخلاق له بالهداية والطريقة ، فلا أحوال له بالحقيقة والاستقامة والسياسة » .

* قال شيخنا : « من حياته بنفسه ، فحياته إلى ذهاب روحه . ومن كان حياته بالإجابة والصدق فهو حي ينقل من دار إلى دار . أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه « يا أمل الخاود والبقاء خلقتم للبقاء لا للفناء ولكنكم تنقلون من دار إلى دار » .

* (ص ٣٢٤) قال الشيخ : « أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائه: تزعم أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فإن حبها وحبى لا يجتمعان » . ثم قال الشيخ : « ما ترك عبد في الله شيئا إلا عوضه الله خيرا منه . ومن لم يكن عيشه بالله ولله ، فلا عدة لموته » .

ثم سأل سائل : « يا شيخ ، فقيم الراحة ؟ . فقال : الراحة في تجريد الفؤاد عن كل المراد ، لأن الله تعالى قال : « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » أي فضلناهم بأن بصرناهم بعيوب أنفسهم . وكذا قال رسول الله : « إذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه » . كذا قال صلى الله عليه : « من زهد في الدنيا أسكن الله الحكمة قلبه ، ونطق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا ، وصار

داءها دواءها . ومن قال لا إله إلا الله فقد بايع الله ، ولا يحمل له إذا بايعه أن يعصيه . ومن لم يتنعم بذكره وأمره في الدنيا ، لم يتنعم برؤية جنته في العقبى .
* قال الشيخ : ليس هناك كلام أحسن مما أقول ، ولكن إذا كان لا ينبغي قول هذا فإنه يكون أحسن .

* في وقت من الأوقات كان جماعة من العظماء عند الشيخ فقال أحدهم :
إننا نفعل كل ما نقول . فقال شيخنا : إنني على خلاف هذا فأنا أفعل كل ما أفكر فيه .

* قال شيخنا :

« بيت »

أيها الحبيب ، إنك عندما فئت بقيت ،
فلا جرم أن تطهرت عندما ما صرت ترابا .
* سئل الشيخ عن العشق فقال : « العشق شبكة الحق » .
* قال الشيخ : أنت لا تعرف ، ولا تعرف أنك لا تعرف ، ولا تريد أن تعرف أنك لا تعرف .

* كان الشيخ كثيرا ما يقول : يا إلهي إنني استغفرك عما قصرته في حقك ، وأحمدك على ما أنعمت علينا به .

* في كل وقت كان الشيخ يقرأ فيه القرآن ، كان يقول عندما يصل إلى آية من آيات القسم : يا إلهي . . . إلى متى نعجز عن إدراك كنهك .

* (ص ٣٢٥) قال الشيخ : كل قلب يكون فيه حب الدنيا يزيغ ، والقلب المشتت لا يصلح لشيء .

كان الحسن البصري من أعزّة التابعين ، وقد سأله شخص يوما : كيف أنت ، وكيف حالك ؟. فقال حسن : يا أخى ، لقد أغلقت باب النفس منذ ثلاثين عاما وجاست انتظار الأمر .

* وفى ذلك الوقت قال الشيخ : إن تشتت القاب سببه حب الدنيا . والقلب لا يطمئن طالما كان فيه حب الدنيا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فإذا كان رأس كل خطيئة قد استقر فى القلب ، فهل يدع الطريق لشيء آخر يصل إليه ؟ . وقال الشيخ : كان أبو القاسم بشر ياسين يقول هذه الرباعية كثيرا .

« رباعية »

سوف أحل ضيفا عليك أيها الحبيب
وأحضر متواريا ومتخفيا عن الحساد
فادخل البيت واغلق الباب خلف الضيف
ولا تدع أحدا يجلس معنا

* وعندئذ قال الشيخ : إن تنمة هذا القول قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « طوبى لعبد جعل الله همومه هما واحدا ، ومن تشعبت به المموم لا يبالى الله فى أى واد أهلكه » .

* وقال أيضا : « كل ما شغلك عن الله فهو شؤم عليك » وكل ما شغلك هو دنياك ولو أنها كلها فانية . وكل ما هو دنياك هو آفتك وسبب زيغك وتخليفك فى الدنيا والآخرة .

* وقال الشيخ أيضا فى ذلك الوقت : كان الشيخ أبو القاسم بشر ياسين من عظماء ميهنه ، وكثيرا ما كان يقول هذا الشعر :

« شجر »

— لقد عاش بالعشق كل من فنى فى الله ،
ولا يحيا بالله إلا من تعلق به وحده .
— أتريد مقام الصفة وذيلك ملوث ،
أخشى أيها الخسيس أنك لن تصيب من العشق شيئاً .

* سئل الشيخ : أيها الشيخ ، إننا مهما فكرنا لا نصل إلى هذا المعنى .
(ص ٣٣٦) فقال الشيخ : « التدبير تدمير » . والتدبير عمل الجاهلاء ، وليست
هناك آفة أكبر من التدبير واقد قيل : « أطابوا الله بترككم التدبير ، فإن التدبير
فى هذا الطريق تزوير » .

* وحينئذ قال الشيخ : إن أغبى الناس هو الذى يتحالف مع العدو ضد
الصديق ، وهذا التحالف من قلة المعرفة . وقد كان هناك شيخ يقول هذا
الدعاء كثيراً :

« اللهم إنى أشكو إليك قلة معرفتى بك » .

* ثم قال : لقد كانت سعيدة الصوفية من ناسكات هذا الطريق ، وقد
ذكرها الشيخ أبو عبد الرحمن فى طبقات الناسكات . وقد ذهب جمع من هذه
الطائفة إلى باب حجرتها لتحييتها أملا فى الحصول على البركة ، وقالوا لها ادعى لنا .
فقلت تلك الموقفة : « قطع الله عنكم كل قاطع يقطعكم عنه » .

* وقال الشيخ : « المتكلف محبوب بتدبيره ، مقطوع بدعواه فى جميع
أموره » .

* قال الشيخ فى أو آخر عهد : رأيت أبا الفضل حسن فى النوم وقلت له :

إننا نحفظ عهد الأصدقاء . فقال : ما أحسنكم أيها الأصدقاء لأنكم تحفظون ما يجب أن يحفظ ، والأفضل أن تكفوا الآن عن ذلك .

* قال الشيخ : « إغباب الزيارة مع حضور القلب ، خير من دوامها مع نقور القلب » .

* ثم قال : العبد هو من يعبد نفسه .

* وعندئذ قال : طالما العبد لا يرى صفاء المعاملة يقول أنت وأنا . وعندما ينظر إلى فضل الله ورحمته يقول بجميع جوارحه « أنت » وعندئذ يصبح عبوديته حقيقية .
* قال الشيخ : « من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد بطلت صدقته » .

* سئل الشيخ عن الشريعة والطريقة والحقيقة فقال شيخنا : هذه أسماء منازل ، وكانت موجودة مع منازل البشرية . والشريعة كلها نفى وإثبات على القلب والهيكل . والطريقة كلها محو . والحقيقة كلها حيرة . وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يلفظ أنفاسه الأخيرة (ص ٣٢٧) وهو يقول : « يا هادي الطريق جرت » فكان يصرخ من حيرة الحقيقة . وهذه الأقوال برهان ، والبرهان بلا دليل كفر .

* قال الشيخ : لا تفعل هذا الشيء حتى لا تجعل قلبك بعيدا عن الحقيقة .
وكان ينشد هذه الرباعية أثناء حديثه :

« رباعية »

تضاءلت حتى لم يعد يرانى الناس
ولا سبيل لأن يدعوني أستقر أمامك أيها الحبيب
أنت كالشمس وأنا كالذرة
ومن هنا يطلقون على الذرة العالقة بالشمس

* قال الشيخ : ينبغي أن يجرّد العمل من الطمع إذا أردت أن يسكون العمل سهلاً عليك، لأنه يجب أن يخلو العمل من الطمع . ثم استشهد بالرباعية التالية :

« رباعية »

كمال الحب يأتي من حبيب خلا من الطمع
وأى قيمة لما يقدر بالثمن
يقينا أن المعطى خير لك من العطاء
وما قيمة العطاء حتى ولو كان عين الكيمياء

* سئل الشيخ : يا شيخ ، الفقر أتم أم الغنى ؟ فقال الشيخ :

« بيت »

— ما أعجبك من حبيب أيها الحبيب الخراساني ،
فأنا أسير الأُحبة الخراسانيين .

ثم قال : الأتم والأكمل والأفضل في الشريعة أنه إذا وقع نظره السبحاني على شخص تبدل فقره غنى وغناه فقرا . فالإنشائية مرآة الربوبية ، والله لم يلتفت من كل ما خلق إلا للآدمي « إن الله تعالى لم ينظر إلى الدنيا منذ خلقها بغضاً لها . »
ولما وصل إلى حديث الآدمي قال : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » . وقد خلق الله العالم كله بأمر ، فقال « كن » فكان . فلما وصل إلى خلق الإنسان ، تجاوز عن الأمر وقال لقالب الإنسان « خلقت يدي » فلما وصل إلى الأرواح قال : « ونفخت فيه من روحي » .

* (ص ٣٢٨) قال الشيخ : إذا كانوا قد أرسلوا من السماء فدية لإسماعيل؛ فإنهم سيرسلون في يوم القيامة فدية عن أراذل أمة محمد . « يجاء بالكافر ويقال للمسلم هذا فداؤك من النار » .

* قال الشيخ: كل من يستطيع أن يجلس مع كل إنسان ، وأن يسمع كلاماً من كل إنسان ، وأن يأكل طعاماً مع كل إنسان ، ويستطيع النوم ، فلا تأمل فيه خيراً ، لأنه يسلم نفسه للشيطان .

* سألوا الشيخ: أيها الشيخ ، ما أصل الإرادة ؟ . فقال الشيخ: كل شيء مبعثه الرغبة . وهناك فرق بين الرغبة والدافع ؛ ففي الرغبة يكون هناك تردد ، فالإنسان يريد أن يفعل ويريد ألا يفعل . أما الدافع فليس للتردد منفذ إليه ولوقيد شعرة . والرغبة شيء جزئي ، والدافع شيء كلي . فإذا عن حديث ظهر معه فوراً جهد في تتبعه ، ثم ظهرت الهمة ، ثم ظهر الكشف . وحينذاك يصير الإنسان سيد الكون .

* سأل درويش الشيخ: أيها الشيخ ، ما العبودية ؟ . فقال : « خلقت الله حراً فكن كما خلقتك » . فقال : يا شيخ ، إن السؤال عن العبودية . فقال الشيخ : ألا تعلم أنك إن تصير عبداً ما لم تتحرر من الكونين . ثم قال هذه الرباعية :

الحرية والعشق يتحققان في أروع صورة
إذا صرت عبداً وتحررت من نوازع الجسد
وعند ذلك حين أتخذ صديقاً حميماً
فإن الجدل والخصومة ينتفيان بيننا

* سأل درويش الشيخ: ما الفتوة ؟ . قال : يجب أن يوجد صاحب همة حتى يمكن التحدث معه في حديث الفتوة ، لأنه لا يمكن إثارة حديث الفتوة مع شخص يهتم بنفسه « زلة صاحب الهمة طاعة ، وطاعة صاحب المنية زلة » فالفتوة الشجاعة واللاطفة والظرافة تنبت في بستان الهمة ، وفي بستان الهمة تكون الصلوات

الطويلة والصوم والجوع وقيام الليل والصدقة الكثيرة ، وكل من ثبت الهمة يصل إلى الفناء .

« (ص ٣٢٩) قال الشيخ يوما : « رأى النبي صلى الله عليه ليلة المعراج قوما من الملائكة كلهم نور ، من بين يديهم ومن خلفهم نور ، وفوقهم نور ، وتحتهم نور . قال : قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء قوم لم يعرفوا سوى الله » .

« قال الشيخ يوما : بلغنا أن السيد الصادق جعفر بن محمد قال : « مارأيت أحسن من تواضع الأغنياء للفقراء . وأحسن من ذلك إعراض الفقير عن الغنى استغنى بالله عز وجل » . ثم قرأ المقمري « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

« قال شيخنا يوما : غاية عزنا الافةتار إلى الله تعالى ، والتذل بين يديه ؛ لأن النبي صلى الله عليه قال : « إذا أراد الله بعبد خيرا دله على ذل نفسه » .

« سئل شيخنا : هل الفقر أتم أم الغنى ؟ فقال الشيخ : « الغنى عن الكل » . ثم قال :

« شعر »

إذا نحن أدلجنا وأنت أماننا كفى لمطايانا بذكرك هاديا

« قال الشيخ : « كيف يدرك الخالق بالحدث ، أم كيف يدرك ذو مدى من لامتدى له » .

« قال الشيخ يوما أثناء المجلس : سمعت السيد الصادق جعفر بن محمد يقول : « الغنى بالله لا يريد به بدلا ، ولا يبغي عنه حولا . ومن قال لا إله إلا الله ، فقد بايع الله ، ولا يحل له إذا بايعه أن يعصيه » .

❖ قال الشيخ: الشخص الذي يسلك طريق الحق أول اسم يطلقونه عليه اسم « مرید ». وقد روي آلاف الأشياء التي تجب على المرید كي يطلق عليه اسم مرید، أولها أنه إذا تجرد ينبغي عليه أن يكون كل شيء له خلافاً للخلق؛ فلا يكون قوله مثل قول الخلق، ولا مسلكه مثل مسلك الخلق، وأن يخشى كثرة التكلم.

❖ سألوا الشيخ: من الشيخ الصادق؟ ومن المرید الصادق؟. فقال، علامة الشيخ الصادق أن تكون فيه هذه الخصال العشر حتى يكون صادقاً في المشيخة: (ص ٣٣٠).

- الأولى: أن يكون مثلاً حتى يستطيع المرید أن يحتذيه.
- الثانية: أن يكون قد سلك الطريق حتى يستطيع أن يرشد إلى الطريق.
- الثالثة: أن يكون مهذباً مؤدباً حتى يستطيع أن يكون مؤدباً.
- الرابعة: أن يكون سخيّاً في غير إسراف حتى يستطيع أن يجعل المال فداءً للمرید.
- الخامسة: أن يتنزه عن الطمع في مال المرید حتى لا يتقيد بأمر في طريقه.
- السادسة: إذا كان قادراً على إسداء النصيح بالإشارة فلا يسديه بالعبارة.
- السابعة: إذا كان قادراً على التأديب بالرفق لا يفعل به بالعنف والغضب.
- الثامنة: أن ينفذ هو أولاً كل ما يأمر به.
- التاسعة: أن يمتنع عن أي شيء ينهي عنه.
- العاشرة: إذا قبل مرید لله فلا يردده للخلق.

وإذا كان الأمر كذلك، وكان الشيخ يتحلى بهذه الأخلاق، فإن المرید لن

يكون إلا مصدقا وسالكا . وكل صفة تظهر على المريد ، تكون صفة للشيخ ،
ظهرت على المريد منه .

أما المريد الصادق فإن أقل الأشياء التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون لائقاً
لأن يكون مريداً ، عشرة أشياء هي :

أولاً : أن يكون ذكياً حتى يستطيع أن يفهم إشارة الشيخ .

ثانياً : أن يكون مطيعاً حتى ينفذ أمر الشيخ .

ثالثاً : أن يكون حاد السمع حتى يفهم كلام الشيخ .

رابعاً : أن يكون نير القاب حتى يدرك عظمة الشيخ .

خامساً : أن يكون صادق القول حتى يكون كل خبر ينقله صحيحاً .

سادساً : أن يكون صادق الوعد حتى يفي بكل ما يريد .

سابعاً : أن يكون حراً حتى يستطيع أن يتخلص من كل ما يملك .

ثامناً : أن يكون كتوماً للسر حتى يستطيع أن يحفظ سر الشيخ .

تاسعاً : أن يكون متقبلاً للنصيحة حتى يتقبل نصيحة الشيخ .

عاشراً : أن يكون فداًئياً حتى يستطيع أن يضحي بروحه العزيزة في
هذا الطريق .

وينبغي على المريد أن يتحلى بهذه الأخلاق حتى يسهل عليه سلوك الطريق ،

ويتحقق هدف الشيخ في الطريقة منه سريعاً إن شاء الله تعالى .

✽ كان الشيخ يوماً يتحدث حديث الرسميين فقال : من الرسمى أن يفعل

الإنسان ما يفعل بالتكليف كما يفعل بالعادة ، وحينئذ تصير العادة طبيعة ، ثم تصير

الطبيعة حقيقة ، ثم قال للشيخ أبى بكر المؤدب : أنهض واحضر دواة وورقة حتى

أملئ عليك فصلاً عن عادات ورسوم أهل الخانقاه . فلما أحضرها ، قال اكتب :

إعلم أن عادات ورسوم أهل الخانقاه عشر ، وهى فريضة على كل مقيم فى الخانقاه ،

على سنة أصحاب الصفة رضى الله عنهم وعن أهل الخانقاه . فالصوفي سمي صوفيا لأنه يكون صافيا مقتديا بأفعال أهل الصفة (ص ٣٣١)

أما الأشياء العشرة التي يعتبرونها فريضة عليهم ، والتي تتفق مع كتاب الله تعالى وسنة المصطفى عليه السلام فهي :

أولا : أن يكون ثوبه طاهرا لأن الله تعالى قال « وثيابك فطهر » .
ويكونون أطهار دائما لأنه تعالى قال : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

ثانيا : أن يجلس في مسجد أو بقعة من بقاع الخير . على نحو ما قال سبحانه وتعالى « يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال » .

ثالثا : أن يؤدي الصلاة في أوقاتها جماعة كما قال : « والذين هم على صلاتهم يحافظون » .

رابعا : أن يصلي في الليل كثيرا كما قال : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .
خامسا : أن يكثّر في وقت السحر من الاستغفار والدعاء على نحو ما قال : « وبالأسحار هم يستغفرون » .

سادسا : أن يقرأ كل ما يستطيع قراءته من القرآن في وقت الفجر . وألا يتحدث بحديث آخر حتى طلوع الشمس . كما قال : « إن قرآن الفجر كان مشهودا » .

سابعا : أن يشتغل في الفترة ما بين صلاة العشاء والنوم بورد أو ذكر كما قال : « ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » .

ثامنا : أن يقبل المحتاجين والضعفاء ، وذوى القربى ولا يطردهم كما قال :
« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » .
تاسعا : ألا يأكل شيئاً دون إذن كما قال : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » .
عاشرا : ألا يذهبوا دون أن يستأذن بعضهم بعضاً كما قال : « وإذا كانوا
معهم على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » .

وفضلاً عن ذلك فإنهم ينبغي أن يشغلوا أوقات فراغهم إما بتعلم العلم ، أو بقراءة
الورد أو بفعل خير لإنسان ، أو توصيل شيء إلى محتاج . إذن فكل من يجب
هذه الطائفة ينبغي أن يساعدها بكل ما يستطيع ، وأن يكون شريكاً لأصحابها في
الفضل والثواب (ص ٣٣٢) لأنه قال : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل
عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » .

وقال الرسول صلى الله عليه : « من أحب قوما فهو منهم » وفي حق هؤلاء
قال المصطفى : « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ،
منهم البراء بن عازب » . وقال رب العالم في حقهم أيضاً : « أولئك هم الراشدون
فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم » وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

* قال الشيخ : كل من رآنا وسعى في حق أبنائنا وأسرتنا سيكون غداً تحت
ظل شفاعتنا ، ولن يحرم منها .

* قال الشيخ : سألتنا الله أن نكون جيراناً لليمين واليسار وانخلف
والامام وقد جعلها الله تعالى تحت اختيارنا . ثم قال : فجهاًتنا بلخ ومرو
ونيسابور وهراة .

وقال شيخنا أيضاً : لا يجوز أن يقال شيء لمن في كنفنا ؛ لأن من يركب
حماراً ويمر على محلتنا وخطاها ، أو ينزل فيها ، أو يكون قد أضاء له نور شمعنا
يمن الله تعالى عليه بكرامة الرحمة .

« الأدعية »

* قال شيخنا السيد أبو طاهر إن السيد أبا منصور الورقاني جاء يوماً لزيارة الشيخ ، وقال له : أيها الشيخ ، داني على طريق . فقال الشيخ : اسلك الطريق الذي أمر الله تعالى به . فقال : أي طريق هو ؟ قال الشيخ : هو الطريق الذي قال الله عنه « واتبع سبيل من أبواب إلى » ولم يقل « واتبع سبيل من خاب » (ص ٣٣٣) فقال : يا شيخ ، بأي زاد أسلك هذا الطريق ؟ . فقال : قل دائماً : « يا رجاء الراجين ، ويا أمل الآملين ، لا تخيب رجائي ، ولا تقطع أمني يا أرحم الراحمين . توفني مسلماً ، والحقني بالصالحين » .

* وأيضاً قال شيخنا السيد أبو طاهر : قال الشيخ يوماً : أرسل السلطان طغرل رجلاً يدعو وزيره أبا منصور الورقاني . فقال له إنني لم أصل العشاء بعد ، ولا أستطيع الحضور . وعندما سمع الرجل هذا الكلام أبلغه إلى السلطان فلم يقل شيئاً .

ولما فرغ أبو منصور من الأوراد جاء إلى السلطان فقال له السلطان : أيها السيد ، كلما دعوتك لعمل قيل لي إنك تقرأ القرآن أو تصلي فيتعطل العمل . فقال أبو منصور : إن الأمر كما يقول السلطان ، واعلم أنني عبد الله وخادمك . فما لم أؤد أوامر الله ، فلن أقوم بخدمتك أيضاً . فإذا وجدت وزيراً يمكن أن يكون خادماً لك دون أن يكون عبداً لله فسأعود إلى منزلي . فقال السلطان :

إن أجد ذلك الذى لا يكون عبداً لله ، وابس لنا عليك أكثر من ذلك ، فقم بكل ما تستطيع من العبادة ثم عد إلى . فرجع أبو منصور إلى المنزل .

وانتهى الخبر إلى الشيخ أبي سعيد ، وكان حينئذ بنيسابور ، فلما سمعه أمر بأعداد الجواد ليذهب لتهنئة أبي منصور . وحين خرج من الخانقاه أرسل حسن بن المؤدب دروبشا ليخبر أبا منصور بمقدم الشيخ . ولما وصل الشيخ إلى باب القصر ، قل البواب لحسن بن المؤدب : أدخل سريعاً فمنا باغ السيد خبر قدوم الشيخ وهو واقف فى وسط القصر ، وكما أشار أحد عاىه بالجلوس (ص ٣٣٤) قال : ليس من اللائق أن يسير مثل ذلك العظيم على قدميه لتحيتى وأنا جالس . وعندما دخل الشيخ القصر وجده واقفا فى وسطه . فسأله : ما سبب وقوفك هكذا ؟ . فقال : عندما سمعت بخبر مقدم الشيخ وقفت ، فلا ينبغى أن أجلس والشيخ يسير إلى . فقال له الشيخ : أيها السيد ، ان أقبل أنا أيضا فى يوم القيامة أن تقف أنت وأنا جالس ، فلن أجلس ما لم أجلسك . فقال السيد : لقد أقبلت على الدنيا والآخرة . ولما جلس الشيخ وهنأه ، قال الوزير : أيها الشيخ ، إننى أخاف لأن السلطان تركى ، ولا ينبغى أن يتهور الإنسان ، فيعمل عملا يتهوره . فقال له الشيخ : حين تذهب إليه ، اقرأ دعاء يوم الاحزاب ، فقد صدق عن الرسول صلى الله عليه أنه قال : كل من يذهب إلى الساطان ويقرأ دعاء الاحزاب ، لا يصاب بأذى ، ويرجع مقضى الحاجة . وهذا الدعاء هو : « اللهم إنا نعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك ، من كل سوء وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقا يطرق بخير منك يا رحمن ، اللهم أنت غياثنا فبك نعوذ ، وأنت ملاذنا فبك نلوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراعنة . ونعوذ بك من خزيك ، وكشف سترك ، ونسيان ذكرك ، والانصراف عن شكرك . ذكرك

شعارنا ، وثناؤك دثارنا فى نومنا وقرارنا وظعننا وأسفارنا وليلنا ونهارنا . اضرب
علينا سرادقات حفظك ، وادخلنا جميعا فى خفص عنايتك ، وجد علينا بخير منك
يارحمَن يارحيم ، يالا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، نستغفرك ونتوب إليك» .
* قال السيد أبو طاهر : عندما أرسلنى الشيخ إلى نسا ، علمنى هذا الدعاء ،
وقال لى لا تغفل عنه : « ياحنان ، يامنن ، ياديان ، يبرهان ، ياسبحان ، يارحمَن ،
يامستعان ، ياعزيز الشأن ، يادائم السلطان ، ياكثير الخير والاحسان ، نعوذ بك
من الحرمان والخذلان » .

* كان الشيخ يقرأ هذا الدعاء بين أورد الفجر : « بسم الله الرحمن الرحيم ،
بسم الله ماشاء الله ، لا يأتى بالخير إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ، وما بنا من نعمه
فمن الله . (ص ٣٣٥) ماشاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . بسم الله لا يضر مع
أسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم . بسم الله الشافى ، بسم الله
الكافى ، بسم الله الممافى ، بسم الله ذى الشأن ، الشديد السلطان ، العظيم . ماشاء
الله كان ، أعوذ بالله من الشيطان ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ،
فتحصنا بالحى الذى لا يموت ، ورمىنا من أرادنا بسوء ، بلا إله إلا أنت ،
وتمسكنا بالعروة الوثقى » لا انفصام لها والله سميع عليم » .

* وفى رواية صادقة أيضا عن شيخنا قدس الله روحه العزيز أنه كان يقرأ
هذا الدعاء أيضا كل يوم بعد صلاة الفجر : « الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً
طيباً مباركاً كما يحبه ربنا ويرضى ، كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، والحمد لله
حمداً لا انقضاء لعدده ، ولا انتهاء لمدده . والحمد لله الذى حللنا ليوم عاقبته ،
وأقالنا بعمل عافيته ، والحمد لله حمداً بعدد إحسانه وفضله علينا وعلى جميع خلقه ،
والحمد لله حمداً بعدد حسنات خلقه وسيئاتهم ؛ إذ فضلنا على كثير من خلقه .

اللهم لك الحمد بجميع محامدك كلها على جميع نعمائك كلها علينا وعلى جميع خلقك كلهم . وصلوات الله وملائكته ورسوله وجميع خلقه على نبينا محمد وعلى آله عليهم السلام ورحمة الله وبركاته . مرحبا مرحبا بالحافظين ، وحيا كما الله من كاتبين ملكين رفيقين شاهدين عدلين ، جزا كما الله عنى من جالسين كريمين خيرا كتبنا ، رحمكما الله ورضى عنكما . بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . أصبحت عبداً مملوكاً لا أقدر أن أسوق إلى نفسى خير ما أرجو ، ولا أن أصرف عن نفسى شر ما احذر . أصبحت على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ، وولاية وليهما ، والبراءة من عدوهما . اللهم إني أصبحت فى عافيتك ونعمتك فأتمم على عافيتك ونعمتك ، اللهم بك أصبحت ، وبك أمسيت ، وبك أحيى ، وبك أموت ، وعليك أتوكل ، وإليك التضرع ، ولا حول ولا قوة إلا (ص ٣٣٦) بالله العلى العظيم .

* نقل عن شيخنا أيضاً فى رواية صادقة أنه كان يقول كل يوم فى الفجر بعد تأدية الفريضة ، هذا الدعاء عشرين مرة : « اللهم بارك لى فى الموت ، وفيما بعده ، وأجرنى من النار » .

* رأيت بخط السيد أبى البركات الشيخ مكتوباً جاء فيه : سمعت عن السيد إسماعيل بن عباس أنه قال : سمعت عن محمد العارف النوقانى أنه قال : سمعت عن الشيخ أبى سعيد قدس الله روحه العزيز أنه قال : ورد فى الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى عشر ركعات فى يوم الجمعة بين صلاتي

العشاء وصلاة الفجر بخمس تسليّات، وفي كل ركعة يقرأ « الفاتحة » مرة، و« قل هو الله » إحدى عشرة مرة . وعندما يفرغ يقول مائة مرة : « سبحان الله ، والحمد لله ، واستغفر الله ، وأتوب إليه » .

* اعلم أنه كان من عادة شيخنا أبي سعيد قدس الله روحه العزيز أن يقول دعاء المائدة بعد أن يفرغ من تناول الطعام . وهذا الدعاء هو : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، وارزقنا خيرا منه وأفضل ، وأعطنا جميع ما سألناك من الخير ، وما لم نسأل ، وزدنا من فضلك الواسع ، وإنا إليك راغبون » .

رسائل

« شيخنا قدس الله روحه العزيز نورد بعضها على سبيل البركة »

كان السلطان جفرى قد كتب رسالة إلى الشيخ بيد السيد حمويه رئيس ميهنه،
وأحد مريدى الشيخ، وطلب من شيخنا شيئاً، وأرسل السيد حمويه لتلك المهمة .
فكتب له شيخنا هذا الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

حفظ الله عز وجل الأمير الجليل ، الملك المظفر ، بعنايته . ولا تركه
لنفسه وللناس ، ومنحه مافيه رضاه . وحفظه بفضله ورحمته مما يكون عاقبته الندم .
(ص ٣٣٧) لقد وصلت رسالة الأمير الجليل ، الملك المظفر وفقه الله للخيرات ،
على يد السيد حمويه ، سدد الله . وقد قرئت الرسالة ، وعرف مضمونها ، وقد
وضعت الأعذار العارضة ، فأحيط بها تماماً . وأنا بدورى أبسط أعذارى وأوضحها ،
وآمل أن تقبل . وأسأل الله عز اسمه أن يقبل أعذار الأمير الجليل ، الملك المظفر
بفضله ، وأن يبعد عنه بلايا الدارين ، وأن يوفقه دائماً لكل مافيه صلاحه ونجاته
فى الدنيا والآخرة ، والحمد لله وحده لا شريك له .

* عندما كان شيخنا قدس الله روحه العزيز فى نيسابور جاء إليه درويش
وقال له : أنا ذاهب إلى ميهنه . فطلب الشيخ الدواة وورقة وقال : انتظر لحظة حتى
أكتب لك رسالة لأبى طاهر . وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله اللطيف الخبير ، على الكبير والصغير ، وهو على جمعهم إذا
يشاء قدير . والسلام » .

وأعطى الورقة للدرويش ليحملها إليه .

* قال درویش للشيخ . أيها الشيخ ، إنني ذاهب إلى مرو الرود فهل من
حاجة ؟ . فقال له شيخنا : انتظر حتى أكتب شيئاً للقاضي حسين . وكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« شعر »

ألا حظها فتعلم ما بقلبي وتلحظني فاعلم ما تريد

والسلام .

* وكتب الشيخ إلى أحد العظماء بشأن خطيب عزيز :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله تعالى على الشيخ العالم ورحمة الله وبركاته . وهذا الخطيب
الأفضل أدام الله فضله من أهل بيت العلم والفضل . وقد قصد ساحته وطلب مجاورته
متقياً ببركته . ونرجو أن ينزله منازل أمثاله باظهار شفقتة عليه . ويشمله بكرمه
وافضاله والسلام .

* كتب خطيب قرية « أزجاه » شيئاً إلى شيخنا ، فكتب إليه هذا
الخطاب : (ص ٣٣٨)

« بسم الله الرحمن الرحيم

وصل أدام الله فضله كتاب الخطيب الأفضل الأديب ، وفقه الله على

جميع ما يقربه إليه دينا ودنيا وآخرة . وكشف لي عن جميع ما يضمه من صحة
الاعتقاد ، ومحض الوداد . ولا غرو أن يكون كذا ، إذ القلوب مشاهدة ،
والضمائر بنور الحق ملاحظة . والله يبقيه ، ومن الأسواء يقيه . وأما حديث
المتوفاة نور الله قبرها ، وبشر ببقاء صدرها ، وأنشد على فراقها قصيدة غير طويلة :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
والسلام .

✽ توفي السيد الإمام محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني في نيسابور ، فكتب
شيخنا رسالة من ميهنه إلى عظماء نيسابور للعزاء فيه قال فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله تعالى على الأجلة السادة ورحمته وبركاته فيقول : « إنا لله
وإنا إليه راجعون » . ثم « إنا لله وإنا إليه راجعون » رضاء بقضائه ، وتسليما
لحكمه ، وصمودا تحت قهره » .

✽ عندما كان شيخنا قدس الله روحه في نيسابور تقدم إليه درويش وقد انتعل
حذاءه وقال : إنني ذاهب إلى ميهنه ، فهل من خدمة ؟ . فقال له الشيخ : انتظر
حتى أكتب شيئا لأبنائي ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« يلت »

— لا يستطيع فنان مهما أخرج من الروائع مائة عام ،
أن يبدع ما أبدعه مطر واحد .

* كتب شيخنا هذه الرسالة من ميهنة إلى أبي بكر الخطيب في مرو :

« بسم الله الرحمن الرحيم

إننا نذكر دائماً العالم الأوحد ، الأفضل ، أدام الله قوته ونصرته واستقامته على طاعته ، بالفكر والدعاء . ولا تغفل في وقت من الأوقات عنه وعن أبنائه ، وأسأل الله عز اسمه أن يحفظه وإياهم جميعاً (ص ٢٣١) بفضلته ، وألا يتركه بفضلته لنفسه وللناس ، إنه خير مسئول .

وقد كانت أفضال العالم الأفضل الأوحد ، أدام الله توفيقه ، تصل دائماً ، فتكون فيها السعادة . ورجو أن تتحقق الرؤية بعد ذلك قريباً . سلامنا وتحيةنا لك ولأبنائك وأصدقائك جميعاً ، الصغير والكبير إن شاء الله . والحسن بن المؤدب نخصه ، أدام الله عزه ، بالسلام الجزيل . والحمد لله ، والسلام على محمد وآله .

الأشعار

ألتى جرت على لسان شيخنا قدس الله روحه العزيز

« رباعية »

أيها الحبيب لست بأرض خاوران شوكة واحدة
ليست لها صلاة بي وبعهدى
ولو كان لي مائة ألف روح لم أجد عاراً
في أن أضحي بها جميعاً من أجل لطفك وجمالك

« بيت »

— لي رسل ينبئونني عنك حيث تكون
سواء وفيت لي أو نقضت عهدي

« رباعية »

ليس لنا دنيا أخرى غير هذه الدنيا
ولا مال أنا سوى الجحيم والنعيم
والمجون والعشق هما رأس مالنا
أما القراء والزاهد فلهما عالم آخر

« رباعية »

ليس أماننا دائماً إلا الابن الحامض والفجل
فهى طعامنا اليوم ، وقد تكون من مخلفات الأمس
وعز الساطنة لا يستأهل ذل العزل
مادام لك نور يلزمك كهوور الحاج

« قُطْعَةٌ »

- ما أكثر ما بحثت لعلى أجد أثرا للحب ،
ومنذ تطرق الشك إلى اليقين ضاع في الشك اليقين
- (ص ٣٤٠) فلم يأت إلى خيالي ، لا ولا إلى يقيني ،
ولم تصدق أى إشارة تلقيتها عنه .
- لقد مارست العشق أوقاتاً طويلة ، وظننت
أنى أصبحت مشهوراً بأنى هكذا وأنه كذلك .
- ولما نظرت في الحقيقة لم أجد أيضاً خيالا منه فيها ،
تأمل هذه القصة ، فقد كنت أنا العاشق والمعشوق .

« قُطْعَةٌ »

- كل قلب تشمله برعايتك ،
يصبح عظيماً مهما كان حقيراً أو تافهاً .
- والنبته والغصن إذا نظرت إليهما ،
صار كل منهما سرواً غنقرياً باسقا .
- وكل قلب اختفى في الأرض السابعة ،
إذا ما نظرت إليه علا شأنه وارتفع على العرش .

« رباعية »

ليس في طريق التوحيد كفر ولا دين
فاخرج عن نفسك خطوة واحدة وتبين الطريق
ويا حبيب الدنيا اختر طريق الإسلام
وجالس الحية الرقطاء ولا تجالس نفسك

* نظر شيخنا يوما إلى الشجرة التي على باب روضته المقدسة فرأى أوراقها قد اصفرت ، فقال هذا البيت :

— أنا وأنت سواء في اصفرار الوجه ،
بيد أن وجهك مصفر من الخريف ووجهي من عشق القمر .
* وفي وقت من الأوقات أنشد القوال هذا البيت أمام الشيخ :

— أصبحت كاليا سمين بالنسبة لحبيبي الملائكي الوجه ،
لأنه يتصرف كالأنبياء ولا يرتكب حماقة .
(ص ٣٤١) فقال الشيخ : معاذ الله . لا يجوز قول هذا ، بل ينبغي قول :

— أصبحت كاليا سمين بالنسبة لحبيبي الملائكي الوجه ،
لأنه يجعلك تفنى فيه ولا يرتكب حماقة .
* وفي يوم آخر كان قوال ينشد هذا البيت أمام الشيخ :

— لن أسير معك فخذ طريقك ،
وليمنحك الله السلامة ، وليمنحنا الشقاء .
فقال الشيخ : لا ينبغي أن يقال هكذا ، بل يجب أن يقال :
وليمنحك الله السلامة ، ولنا راحة البال .

* قال الشيخ : لقد قرأ إبراهيم في تلك الليلة
« مصراع »

لقد كنت أنا وهو وهو وأنا وتكفيني هذه سعادة :
لقد كان هؤلاء بضعة أشخاص ، وكان ينبغي أن يقول هكذا :
لقد كنت أنا وهو وهو وهو وهذه هي السعادة

« رباعية »

إذا كنت تريد أن تكون رجلاً فاقصد في عبادة نفسك
ودون أن تشرب شراب الوصال ، أقلل من السكر
وكف اليد عن العبث بجداول الحسان
وأى ذنب لمن ؟ أقل أنت من عبادة الاصنام

« رباعية »

منذ أصبحت طرتك ملكاً وخذك عرشاً
استسلم قلبي أمام عرشك
وسوف ترانى يوماً صريع حطى التعس
وقد تعلق عنقي فى حلقة ذؤابتك

« قطعة »

- سوف أمسك بجداولك السوداء العطرة ،
وأمطر وجهك الناصع بالقبلات .
- وكل أرض تطؤها قدمك يوماً ،
أسجد على ترابها ألف سجدة .
- وألثم صفحة رسالتك ألف مرة ،
إذا رأيته موقعة بخاتمك .
- ومهما قطعوا يدي بسيف مهند ،
فسأمسك بأكمامك يوماً .
- ولو أصابني صمت الموت وحق قول الشعر ،
لردده لسانى مثيلاً عليك .

« رباعية »

ياسمع طراز... منذ رأيت وجهك الجميل
عجزت عن كل شيء فلا أصوم ولا أصلي
وعندما أكون معك يسكرون مجازي كله صلاة
وعندما أكون بدونك تكون صلاتي كلها مجازا

(ص ٣٤٢)

« شعر عربي »

تقنع بالكفاف تعش رخاء
ولا تبغ الفضول مع الكفاف
ففي خبز القفار بغير آدم
وفي ماء القراح غنى وكاف
وكل تزين بالمرء زين
وأزينه التجميل بالكفاف

« شعر عربي »

وأحببت أولاد اليهود بأسرهم
لأجلك حتى كدت أن أتهودا
أصلي فأزوي قبلتي متعمداً
لقبلتكم فاشهد صلاتي لتشهدا
وأني لأهدي في صلاتي بحبكم
بتوراة موسى ثم فرقان أحدا

ولولا مقال الكاشحين وبغضهم

تعبدت يوم السبت فيمن تعبدا

وكان دخول النار في الحب هيناً

إذا كان من تهواه في الحب مسعدا

* قال الإمام إسماعيل الساوي : كتبت رقعة إلى الشيخ أقول له فيها : لقد

اغتابك شخص فاصفح عنه . فقال الشيخ : لقد صفحت عنه . وكتب بخطه المبارك

على ظهر الرقعة :

« شعر عربي »

تقشع غيم الجهد عن قمر الحب

وأشرق نور الصبح في ظلمة الغيب

وجاء نسيم الاعتذار مخففاً

فصادفه حسن القبول من القلب

« بيت »

— الأسد من ناحية والسيف من الأخرى ،

مسكين قلبي بين السيف والأسد

« قطعة »

— لقد استقامت الأمور كما ينبغي ،

وعم السرور فيجب أن تكون مسروراً .

— ولماذا تطيل الموم والأحزان ،

وحظك يعمل لك ما ينبغي .

— ولن تفيدك مشورة الوزراء ،

فخطاك السعيد مشير بكل ماهو صواب .

— ولن يأتي الفلك بمثيل لك بين الخلائق ،

وحتى التي ولدتك فإن تلد نظيرك .

— ولم يغلق الله بابا عليك قط ،

إلا وفتح أمامك ألفاً أخرى أفضل منه .

« رباعية » (ص ٣٤٣)

الدنيا التي ينبغي أن توجد فيها ، عدها فانية

والآخرة التي ليست مكاناً لإقامتك الآن، انجذب إليها

وكن عاشقاً وابحث عن مراد العاشقين

لأن هذه هي السعادة والالطف والحسن

« بيتان من الشعر »

— أيها الساقى ، أحضر لى كأساً من أصل السرور

من تلك الخمر التي تضيء مثل تاج قباد .

— من تلك الخمر التي لها ريح الورد ولون العقيق ،

والتي هي قفل باب الاثم ومفتاح باب السرور .

« بيتان من الشعر »

— يسر حبيبي عند ما أكون حزينا ،

وما دام هو مسرورا فليست أريد السرور .

وحين أبكى يضحك فرحاً ،

وكما رآنى ضامراً تمادى فى الدلال .

« بيت »

— لقد اتخذ كل شخص من الشمس والحجر والخشب محرّاباً ،
أما أنا فقد جعلت من وجه هذه الحسناء محرّابى .

« قطعة »

— عندما ترفع النقاب عن وجهك فى الليل الحالك ،
يرتد إلى الأعمى بصره ويجد طريقه .
— ولست أستطيع الصبر خمسة أيام حتى أراك ،
وأظل أتأوه بسبب هذا أيها الحبيب خمسين مره .
— إننى أريدك الآن ، ولا تلزمنى خمس وخمسون لأراك ،
فأنا أعجمى أجهل كل شىء عن الحساب .

« رباعية »

أينما تكون لا يوجد أثر للحزن
وعندما تغيب لا يجد القلب سهيلاً إلى السعادة
والذى يعيش معك دائماً
قليل عليه سعادة الأرض والسماء

* (ص ٣٤٤) كان الشيخ قد كتب هذين البيتين بخطه :

لئن كانت الأيام فرقن بيننا

فإننا بقرب القلب مجتمعان

تصورت فى قلبى لفرط صبايتى

فشخصك لى نصب بكل مكان

« رباعية »

لقد صرت لك كلى أيها الحبيب
وليس فى هذا الكلام رياء ولا فن
وإذا تحررت أنت من وجودك
فربما أكون مكانك أيها الحبيب

« رباعية »

طالما كان فى حى سلامة استقبال ووداع
وطالما كانت الأشجار تثمر ثمارها الناضجة
وطالما كانت النجوم مستقرة فى هذا الفلك
سيكون منى التحية والسلام للحبيب

مصرع:

النمو شىء والنضج شىء آخر

« بيت »

— لا تكن محزوناً ولا ضيق الصدر ،
فلا خير لمحزون عندنا .

« قطعة »

— أسفت لقراءة اسمين بغير مبالاة ،
وصارا اسمين عظيمين لقراءتى لهما جزافاً:
— الأول اسم الحبيب ، وينبغى أن يقرأ فى خشوع ،
والثانى اسم العاشق، ويجب أن يحدد لأن العشاق كثيرون.

— وقد أسفت حينما ذكرت اسمك بالحسنى ،

واسفت عندما أطلقوا على طريقك اسم العشق .

* قرىء هذا البيت أمام شيخنا في وقت من الأوقات :

— عليك بالوفاء والطبع اللطيف وأقل من الرياء ،

حتى يظل العهد محكما بيننا .

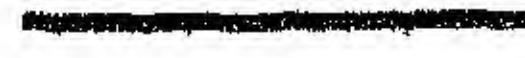
« رباعية »

أتعب الناس حب الغنى والتفوق

والراحة والأمن في الفقر

فاختر من هذه الدنيا واحداً وكفى

إذا كنت من ذوى العقل والعلم



الباب الثالث

في انتهاء حال الشيخ ، وهو ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في وصاياه عند وفاته .

الفصل الثاني : في حالة وفاته وكيفيتها .

الفصل الثالث : في كراماته التي جرى بعضها على لسانه المبارك أثناء حياته ،

وظهرت بعد وفاته ، وبعضها مما أشار إليه ورآه الناس بعد

وفاته على سبيل الكرامة .

الفصل الأول

في وصاياه عند وفاته

* في أواخر العهد الذي اقتربت فيه وفاة الشيخ قدس الله روحه العزيز ، قال : لقد أنبأني الله : إن الناس يأتون لهذا المكان ليروك ، والآن تنزعك من بينهم حتى يرانا الناس الذين يأتون إلى هنا . وسيظل هذا الأمر ينبع منا ، ويبقى إلى يوم القيامة ، سواء كنا أو لم نكون .

* قال الشيخ في أواخر عهده : تظهر خاتقات كثيرة ، ويكثر المتصوفة ، ولكنهم يكونون مستورين عن الناس ، حتى ينظر الخلق ، ويروا أن الكل واحد ، ويعدوه واحداً . بينما تظل هذه الجماعة مخفية عن أعين الخلق .

* قال جدي شيخ الاسلام السيد أبو سعيد إن شيخنا قدس الله روحه العزيز ظل لمدة عام في أواخر عهده ، يقول أثناء حديثه في كل يوم يعقد فيه مجلساً : أيها المسلمون ، لقد حل قحط الله .

* وفي آخر مجلس تحدث فيه ، وهو مجلس الوداع ، التفت إلى الناس وقال لهم : إذا سئلتهم غداً من أنتم ؟ فماذا تقولون ؟ . قالوا : بـم يأمر الشيخ ؟ فقال الشيخ : لا تقولوا نحن مؤمنون ، ولا تقولوا نحن صوفية ، ولا تقولوا نحن مسلمون ، لأنهم سوف يطالبون منكم الدليل على ما تقولون فتعجزون . قولوا نحن الصغار ، وكبارنا في المقدمة ، فقودونا إلى كبارنا ؛ لأن على الكبار أن يجيبوا عن الصغار .

واجتهدوا (ص ٣٤٨) في أن تجدوا كباركم ؟ لأنكم إذا مضيتم بأنفسكم ، فما أكثر الفضائح التي سوف تظهر منكم .

* جاء السيد أبو منصور الورقاني وزير الساطان طغرل إلى شيخنا يوما ، وقال له : أيها الشيخ ، أوصني بوصية . فقال الشيخ : « أول مقامات العبد مراعاة قدر الله ، وآخر مقامات النبوة مراعاة حق المؤمنين » وعمالك اليوم هو أداء حقوق الخلق ، فتنبه دائما لهذا الأمر ، لأنه سيكون عونا لك في الغد . فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحدكم حتى يرحم العامة كما يرحم أحدكم الخاصة » . فمؤلاء الناس جميعا أبناء دوائك فانظر إليهم على أنهم أبناءك ، ولا يخذلك حطام الدنيا ومشقة الخلق ، لأن الناس عبيد لحاجاتهم ، فإذا قضيت حاجاتهم قبلوك ، ولو كانت فيك عيوب كثيرة . وإذا لم تقض حاجاتهم ، فإنهم لا يهتمون بك ولو كانت فيك أفضال كثيرة .

* التفت الشيخ في أواخر عهده إلى الجمع وأوصاهم قائلا : يجب أن تعملوا على خدمة الدراويش ، وأن تعقدوا العزم على خدمتهم . فلا ينبغي أن يلعب الصغار ، ولا أن يزهو الشبان ، ولا أن يرأى الشيوخ . وقد قيل إن علم الدنيا والآخرة في هذه الكلمات « إنا لله وإنا إليه راجعون » . لقد جاء قحط الله ! جاء قحط الله ! جاء قحط الله ! . لقد كان هناك قحط الخبز والماء قبل هذا ، والآن جاء قحط الله . انظروا إلى فقد ختم بي هذا الأمر . ثم مسح وجهه بيده وأنهى حديثه .

* قال الشيخ في مجلس الوداع : كنت في طفولتي أتعلم القرآن عند أبي محمد العنازي ، ولما أتممته قيل لي يجب أن تذهب إلى أديب ، فقلت لأستاذي : أعفى . فقال : أعفيناك ، واحفظ عني هذا القول : « لأن ترد همتك إلى الله طرفة عين

خير لك مما طلعت عليه الشمس » . وأنا أوصيكم بهذه الوصية نفسها ، فلا تغيّبوا
عن الله . ثم قال لحسن بن المؤدب : انهض . فنهض حسن . وقال الشيخ :
(ص ٣٤٩) اءلموا أنى لم أدعوكم إلى أنفسكم ، بل دعوتكم إلى فنائكم ، وقلت
يكفى وجوده . لقد خلقتكم للفناء فإذا أطاع أحدكم طاعة التقلين ، فإنه لا يسقط في
مقابل ذلك لأنه أراح شخصاً . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصيته
لأصحابه « تخلقوا بأخلاق الله » وأنا أقول لكم هذا نفسه . فسيروا في طريق
الله ، وانظروا إلى الجميع بالله ، وانظروا إلى الخلق بالله . فمن نظر إلى الخلق
بعين الخلق ، طالت خصومته معهم . ومن نظر إلى الخلق بعين الحق استراح منهم .

* التفت الشيخ قدس الله روحه العزيز إلى السيد حمويه في مجلس الوداع
وقال : ياسيد إنهم يسمونك حمويه لأنك تحمى الخلق . فأصغى إلى خلق الله ،
وأصغى إلينا ، فسوف يحضروننا هنا يوم الجمعة ، ويكون هذا اليوم يوم سوقنا .
وسوف يكون هناك ازدحام كبير ، سواء من الجماعة الذين يرون ، أو الجماعة
الذين لا يرون . لحافظ على إيمانك ، واجتهد في أن توصلنا من المنزل إلى القبر دفعة
واحدة ، لأن عقبة العظيم سوف يكون في المقدمة . فقال السيد النجار : أيها
الشيخ ، من هم الجماعة الذين لا يرون ؟ . فقال الشيخ : يا أحمد ، اعلم أن ثلاثة
من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا قد نصبوا خلفاء على الجن ، وهم :
عمرو وبجر وعقبة . وقد صاحبنا عقبة ، وسوف يقيم على قبرنا بعد وفاتنا حتى
وفاته . ولن يغيب سوى يوم عرفة ، ويوم عيد الأضحى . وقد ارتاحت جماعة
كثيرة من الجن إلى أقوالنا سواء في نيسابور أو هنا ، وأنست إلى هذه الأنفاس ،
ووقفت بين أيدينا أثناء السماع . وطالما أقمت أنت وال دراويش السماع على قبري
فسوف يأتون للخدمة . فاحفظ حقهم بطهر وأحرق البخور كل ليلة في قصورك ،

فإن الجن الكفرة يفرون من رائحة البخور . وأمر بأن ينظفوا المكان عند صلاة العصر ويطهرونه . وإذا سمعت صياحاً عند وفاتي (ص ٣٥٠) ولم تر أحداً فاعلم أنه هم .

واعلم أننا ذهبنا وورثناك أربعة أشياء : الكفن والغسل والبحث والقول . وطالما أنتم على هذه الأشياء الأربعة يجرى ماء نهركم ، وتخضر زراعة دينكم ، وتكونون قبلة أنظار الخلق . واجتهدوا ألا يفوتكم شيء من هذه الأصول الأربعة ، لأنه لم يبق شيء في آخر العهد ، وكل ما كان قد بقي ذهب أيضاً ، فلقد ختم هذا الأمر بنا ، وقد تم لنا ألف شهر ، وليس هناك عدد بعد الألف « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

* وقال الشيخ في هذا المجلس أيضاً : احضروا ورقة ودواة . فأحضروها ، فأشار إلى كاتبه أبي الحسن الأعرج قائلاً : اكتب . فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

* أبو طاهر سعيد بن فضل الله ، طهره الله وأسعده بفضله ومنه وعونه ونصرته ولا قوة إلا بالله .

* أبو المظفر بن فضل الله ، ظفّره الله وأيده وسدده وخيره ومهده ولا قوة إلا بالله .

* أبو العلا ناصر بن فضل الله ، نصره الله وظفّره وأيده وخيره ونصره ولا قوة إلا بالله .

* أبو علي المطهر بن فضل الله ، أعلاه الله وطهره وجمله ونصره وأدبه وخيره ولا قوة إلا بالله .

* أبو البقاء المفضل بن فضل الله ، أبقاه الله وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً
ولا قوة إلا بالله .

* أولاد أبي طاهر : أبو الفتح طاهر بن سعيد ، فتح الله له وبه ومنه وبجماعته
ولا قوة إلا بالله .

* أبو سعد أسعد بن سعيد ، أسعده الله وأيده وأكرمه وسدده ولا قوة
إلا بالله

* أبو العز الموفق بن سعيد ، وفقه الله ونصره وأيده وخيره وأدبه وسدده
ولا قوة إلا بالله .

* أبو الفرج الفضل بن أحمد العامري ، فرج الله عنه وبه ومنه ولا قوة إلا بالله .
* أبو الفتح مسعود بن الفضل ، أسعده الله وفضله وفتح له وبجمله ولا قوة
إلا بالله .

ثم قال : إن هؤلاء هم العشرة أشخاص الذين طالما بقي واحد منهم بعدنا ،
بقيت آثارنا ، واستمر الطريق والطلب ، وعندما يموتون جميعاً يختفي هذا الأمر
من بين الناس .

ثم قال : فإنما نحن به وله .

* (ص ٣٥١) عندما قال الشيخ هذه الكلمات في هذا المجلس أحنى
رأسه إلى الإمام برهة ، ثم رفعها ، وجرى الدمع من عينيه ، وبكى الجميع . وقال
الشيخ : لقد سألت داعين الحق : كم يبقى هذا الأمر ؟ فجاء الجواب أن نفحات
هذا الأمر ستظل بين الناس مائة عام أخرى ، وبعد ذلك لن تبقى الرائحة ولا
الأثر . وإذا وجد معنى في مكان ، فإنه يندثر بالتدريج وينقطع الطلب .

وقد شاهدنا هذا الأمر فإنه عندما تمت المائة عام التي أشار إليها الشيخ ، ظهرت بوادر الفتنة والاضطراب في الشهر التالي ، إلى حد أنه لم يستطع أى شخص جاء لزيارة ضريح الشيخ أن يدخل ميهنه ، وكانوا يكتبون بالزيارة في موضع يقال له « سر كاه » على بعد فرسخ خلف الجبل ، ثم يعودون ، على النحو الذى جرى به لفظ الشيخ المبارك في مجالس من المجالس بخصوص هذا الأمر ، فقد قال : يأتى وقت لا يستطيع فيه شخص أن يحضر لزيارتنا في ميهنه ، فيزوروننا متخفين في سر كاه ثم يعودون .

وفي خلال هذه المائة عام التي ذكر الشيخ أنه سيكون خادما فيها ، لم يتخل عن الجماعة قط في الصلوات الخمس ، ولم تخل المائدة من الطعام في الصباح أو المساء .

وكان يقام ذكر على قبره كل يوم عند الفجر ، ويضاء القبر حتى الصباح ويرتب المقرئون في الفجر والليل . وقد أقام على قبره أكثر من مائة شخص من الصوفية من أبنائه ومريديه . ولم يتطرق فتور أو خلل إلى الطريق ، بل كان يظهر في كل يوم فتوح جديد ، ونعم كثيرة .

وكان عظماء الصوفية يأتون من جميع أنحاء العالم إلى تلك الحضرة كل عام ، ويدعمون السماع وتمزيق الخرق . وكل من اعترضه إشكال في الطريقة كان يحله بواسطة أبناء الشيخ . ولم ير أحد في أى مكان تلك المهابة والرفاهية التي كانت لأبنائه ، ولاهل ميهنه خلال هذه المائة عام .

ثم حدث ما ذكره بلفظه المبارك من أنه سوف يأتى وقت يصبح فيه مايزن درهما يعادل سيرا ، ومايزن سيرا يعادل منا ، وكل مايزن منا يعادل حملا ، ومايزن حملا يعادل مخزنا . أى (ص ٣٥٢) أن ولاية تصير هكذا بحيث لا يبقى من هذا الأمر نفحة ، أى من الفقر ، وعندئذ يحدث ما يحدث .

وقد حدث هذا في الوقت الذي تمت فيه المائة عام ، بحيث لم يبق في الشهر التالي شيء من هذا كله ، ولم يبق على قبره إلا نفر قليل من أبنائه ومريديه ، واستشهد الباقي جميعهم على يد الغز ، واغترب بعضهم في أنحاء الدنيا ، وانتقلوا جميعاً إلى رحمة الله في غربتهم .

وقد مضت الآن أربعة وثلاثون عاماً لم يظهر خلالها أي ترتيب — من الترتيبات التي مر ذكرها — على قبره المقدس . وإننا لنأمل في شيئين : أولهما أن الشيخ قال بلفظه المبارك : يظهر من بعدنا بأكثر من مائة عام شخص منا ، ولكنه ليس مثلنا ، فيبعث هذا الأمر على يديه .

والثاني أنه روى عن والدي نور الدين المنور رحمة الله عليه أنه قال : سمعت من السيد الشيخ أبي الفتح أن الشيخ قال : سنكون في خدمتكم مائة عام ، ويظل أبنائنا في خدمتكم مائة عام أخرى ، وتبقى تعاليمنا ألف عام .

وقد روى عن السيد عبد الكريم خادم الشيخ أنه قال : قال الشيخ : إلى أن تأتي القيامة مارال أمانا في شيئين هما الإشارة والبشارة .

وربما ندرك هذه السعادة في آخر العمر فنقضى بضعة أيام على قبره المقدس ونشعر بالراحة .

« وفي هذا المجلس أيضاً التفت شيخنا قدس الله روحه العزيز إلى السيد عبد الكريم وقال : إن هذا الصبي يريد أن يسلك الطريق . ولكن حينما تصل بابني ثبت قدمك ولا تطالب الزيادة لأنك لن تجدها . ثم التفت إلى ابنه الأكبر وقال انهض يا أبا طاهر . ولما نهض ، أمسك الشيخ بثوبه ، وسحبه بنفسه وقال : لقد وقفتك أنت وأبناءك على خدمة الدراويش ، وقال : « شعر »

— إذا كنت تريد أن تسير في طريق العشق إلى النهاية ،
فعليك أن تهجر كثيرا مما كنت تستحسن .
— وعليك أن ترى الفبيح وتتخيله حسنا ،
وأن تتجرع السم وتتخيله عسلا .

(ص ٣٥٣) ثم سأله : هل قبلت ؟ . فأجاب : نعم . فقال الشيخ : فليبلغ
الحاضرون الغائبين أن السيد أبا طاهر قطب ، فانظروا إليه نظرتكم إلى العظماء .
وقد كان للصوفية سيدين : أحدهما السيد على حسن في كرمان ، وثانيهما
السيد على الخباز في مرو . وكان ثالث سادة الصوفية أبو طاهر ، ولم يكن
للصوفية سيد بعده ، والسلام .

الفصل الثاني

في كيفية وفاة شيخنا أبي سعيد قدس الله روحه العزيز

(ص ٣٥٤) كان شيخنا يتحدث في المجلس يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة أربعين وأربعمائة . وفي نهاية المجلس اختتم حديثه بهذا البيت :

— لقد وجب الرحيل وا أسفاه ،
ووجب طي مفرش العشق .

ثم أمر السيد «عليك» ، وكان من أهل نيسابور ومريد الشيخ ، بالنهوض ، فنهض عليك . وقال له الشيخ: ينبغي أن تذهب الآن إلى نيسابور، فتذهب في ثلاثة أيام ، وتعود في ثلاثة أيام، وتظل هناك نصف يوم ، بحيث تعود إلى هنا يوم الخميس عند صلاة الظهر . وهناك تبلغ سلامي إلى — فلان — النحاس وتطلب منه أن يهيء الكفن الذي أعده لنا .

ونفذ عليك ما أمر به ، واتجه إلى الطريق في الحال . وعم الاضطراب الصوفية حتى فجر يوم الاثنين الأول من شهر شعبان . وأخذ الشيخ يوصي بوصاياه في المجلس ، فالتفت إلى السيد عبد الكريم وقال له : لقد كنت تعنى بتطهيري في حياتي ، وينبغي عليك أن تعنى بهذا أيضاً عند وفاتي . ولا تقصر في غسلي ، وعاون حسن في هذا الأمر ، وتنبه حتى لا يقع خطأ . وقم بجميع الفرائض والسنن لأننا محفوظون ، وإذا تركت سنة أظهرناها .

وعندما أتم الشيخ وصاياه ، وأنهى المجلس ، نزل من المنبر ، وقال لحسن بن المؤدب : أعد الجواد . وركبه وأخذ يطوف حول ميهنه ، ويودع كل مكان (ص ٣٥٥) كان قد اختلى فيه .

قال حسن بن المؤدب : كنت أسير في ركاب الشيخ وأنا أفكر في نفسي هل أستطيع أن أقوم بمهمتي هذه بعد وفاة الشيخ : وكيف أستطيع هذا وقلبي مشغول به ؟ . واستغرقت في هذا التفكير ، فسحب الشيخ عنان جواده ، والتفت إلى وقال :

« بيت »

— ياروحى إننا نحن كالعسكر على رقعة الشطرنج ،
وحيث يقال لنا مات الملك علينا أن ندع اللعب .

فاستولى على الذهول . وقال الشيخ : يا حسن ، لا تقلق فسوف يأتي أبو سعد دادا بعد وفاتي ويقضى الدين . وقد تحقق هذان القولان على النحو الذى ذكره الشيخ . فبعد وفاة الشيخ لم يستطع السيد حسن بن المؤدب أن يؤدي خدمة للدراویش ، وقام بخدمتهم السيد أبو طاهر وأبناؤه وفق ما أشار به الشيخ . ووصل أبو سعد دادا من غزنین بعد وفاة الشيخ بثلاثة أيام ووفى الدين .

ثم عاد الشيخ إلى منزله وألم به مرض يسير ، وكان يريدوه وأبناؤه يقومون بخدمته . وقد سألوا الشيخ عن الآية التى يقرأونها أمام جنازته فقال هذا أمر عظيم . ولكن ينبغى قراءة هذا الشعر :

« رباعية »

أى شىء فى الدنيا أطيب من هذا
فقد ذهب الصديق مع الصديق والحبيب مع الحبيب

لقد كانت الدنيا غماً كلها وهذه الدار سعادة كلها
لقد كانت الدنيا لغواً كلها وهذه الدار عمل كلها .

وفي ذلك اليوم الذى أخرجوا فيه جثمان الشيخ من منزله قرأ المقرئون
(ص ٣٥٦) هذا الشعر أمام جنازته وفق ما أشار به .

وسألوا الشيخ أيضاً فى هذا اليوم : هل نكتب على قبرك شهادة لا إله إلا الله
وآية الكرسي ، أم تبارك ؟ . فقال الشيخ : ذلك أمر عظيم . ينبغي كتابة هذه
القطعة :

سألتك بل أوصيك إن مت فاكُتبي على لوح قبرى كان هذا متيما
لعل شجياً عارفاً سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلماً
وأملى هذه القطعة التى يقولها كثير فى حق عزة :

يا عز أقسم بالذى أنا عبده وله الحجيج وما حوت عرفات
لا أبتغى بدلاً سواك خليفة فثقى بقولى والكرام ثقات
ولو أن فوقى تربة ودعوتنى لأجبت صوتك والعظام رفات
وإذا ذكرتكم ما خلوت تقطعت كبدى عليك وزادت الحسرات
وبعد وفاة الشيخ كتبت هاتان القطعتان على قبره فى ثلاثة أسطر ، كل بيتين
منهما فى سطر .

وقبيل وفاة شيخنا بيومين جرى على لفظه المبارك هذا القول عندما جلس إليه
أبناءؤه ومريدوه ، فقد التفت إليهم وقال : « نعمة الله مجهولة مادامت محصورة فإذا
فقدت عرفت » .

وآخر الأقوال التي قالها الشيخ هو : أنصتوا جيداً حتى لا تفسدوا الإيمان بعمل الخلق .

قال السيد عبد الكريم : فتح الشيخ عينيه يوم الخميس عند الظهر وسأل السيد أبا طاهر : هل جاء « عليك » ؟ . فأجاب كلا . فأغلق الشيخ عينيه . ونهضت إلى الخارج ، ووصل « عليك » فدخلت المنزل ، وقات للسيد أبي طاهر : لقد جاء « عليك » وأحضر الكفن . فأبلغ أبو طاهر هذا للشيخ . ففتح الشيخ عينيه وسأل أبا طاهر : ماذا تقول ؟ . فقال : لقد وصل « عليك » . فقال الشيخ : الحمد لله . وانقطعت أنفاسه في الرابع من شعبان سنة أربعين وأربعمائة . وفي ليلة الجمعة في وقت العشاء انبعث صراخ من منزل الشيخ دوى في جميع أنحاء ميهنه ، وعرف أنهم الجن كما سبق أن ذكر الشيخ . وفي أثناء هذا الصباح (ص ٣٥٧) كانوا يسمعون هذه الكلمات : يا أسفا ! يا أسفا ، إنك ذهبت ومضيت ولم تترك للخلق شيئاً ! . وظل الأمر على هذا النحو حتى منتصف الليل .

وفي الصباح انشغلنا بالغسل . وكان الشيخ قد قال : اجعلوا نصف الكفن مئزراً ، وضعوا النصف الثاني على أكتافى ، ولقوني في وطائى ، ولا تزيدوا شيئاً .

قال السيد عبد الكريم : عندما وضعنا الشيخ على الكفن ، كان السيد أبو طاهر وجميع أبناء الشيخ حاضرين . وكنت أقف عند أقدام الشيخ ، ولما نظرت إليه ، فتح عينيه ، وأشار بسبابة يده اليمنى إلى فخذه ، على نحو رآه جميع من كانوا هناك . فنظرت إلى الموضع الذي أشار إليه ، فرأيت أنى لم أكن قد سحبت عليه طرف المئزر ، وكان فخذ الشيخ من ناحية العورة عارياً ، فأصاحته . وهذا

ما ذكره من قبل فقد قال : اتبته حتى تقوم بالفرائض والسنن ، لأننا محفوظون ، وإذا ترك شيء أظهرناه . وقد تركت شيئاً فأظهره .

وعندما أشرقت الشمس أخرجوا جثمان الشيخ ، وصاروا عليه ، وحملوا النعش حتى جاءوا به إلى ضريحه ، مارين بداره . وبقي في الطريق حتى وقت الضحى . ومهما حاول الناس أن يرفعوا النعش لم يتحرك . وظل هكذا حتى سأل السيد النجار السيد حمويه : بم أمرك الشيخ ؟ هل حان الوقت أم لا ؟ . فرفع السيد حمويه عصاه ، وفقاً لأوصاه به الشيخ ، وأخذ يبعد الناس ، حتى حملوا النعش داخل الضريح ، ودفنوه .

ومن الكرامات التي شوهدت في ذلك الوقت :

أولاً : أنه كانت هناك منصة مرتفعة ، كانوا يضعون أمامها مقعداً على شاكلة درجة ، ليضع الشيخ عليها قدمه ، ويصعد المنصة ، لأن هذه المنصة كانت من الارتفاع بحيث لم يكن الشيخ يستطيع الصعود عليها دون درجة . وكان الشيخ يعظ على هذه المنصة في ميهنه ، وقد قاموا بغسله فوقها . وعند وفاة الشيخ في زاوية منزله ، في مواجهة الضريح ، لم يحركوا المنصة من ذلك المكان الذي غسلوا فيه الشيخ قط . وفي كل وقت كانوا يرتبون فيه الزاوية كانوا يرفعون مستوى الأرض (ص ٣٥٨) التي تركز عليها ، بحيث إذا رفعوا أيديهم عنها هبط الجزء الذي رفعوه ، وتساوى مع الأرض . وقد قاموا بهذا العمل مرات عديدة . وذات يوم حاولوا أن يثبتوا مستوى الأرض الذي رفعوه ، ولكن الارتفاع هبط في الحال ، وتساوى مع بقية المكان . ولم تستقر الأرض التي نزل عليها ماء غسل الشيخ قط .

ثانياً : عند ما توفي الشيخ ، وضعوا عتبة المنصة هذه ، والمقعد الذي كان

الشيخ يتوضأ عايه تحت المنصة . وكان الناس يقومون بزيارتها حتى الوقت الذي أغار فيه الغز ، وخربوا ميهنه ، وحرقوا كل شيء وجدوه ، فاخفتت تلك المنصة والمقعدان ، ولم يعرف أحد من أبناء الشيخ ومريديه الذين وقعوا أسرى في يد الغز عنهما شيئاً . وعندما رجع أبناء الشيخ ومريدوه ، بعد أن أفرج عنهم ، رأوا المنصة والمقعدين سالمين في هذا المكان ، وفي فجر اليوم التالي دخلوا فلم يروا شيئاً .

وقد وقع في هذه الفتنة عدة حوادث غريبة في هذه البقعة نفسها ، من بينها أنه عندما تخلص السلطان السعيد سنجر بن ملكشاه ، برّء الله مضجعه ، من يد الغز ، وجاء إلى دار الملك مرو ، ذهب - أى المؤلف - من سرخس مع جماعة من الشيوخ ، للتهنئة بعودة السلطان ، ولأتمس إصلاح مقر الشيخ . ولم يكن معي أحد من أقارب الشيخ وأبنائه ؛ فقد تفرق ما كان قد بقي منهم ، وذهب أكثرهم إلى العراق . ولما وصلت مرو ، كان رئيس ميهنه قد ذهب إليها منذ بضعة أيام ، من أجل مصالح الولايات ، ولكنه لم يكن قد رأى السلطان بعد .

ولم يكن أحد في جميع الأوقات السابقة يستطيع أن يتحدث في مصالح الولاية سوى أبناء الشيخ (ص ٣٥٩) وإذا حدث وتحدث أحد فلا يستمع إليه . ولم يكن الرئيس والعامل والشحنة وكل من له عمل في تلك الولاية يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإشارة أبناء الشيخ . وإذا ظلم رجل آخر في هذه الولاية فإنه بمجرد أن كان كبير أبناء الشيخ يكتب : إنه لا ينبغي بقاء فلان في الولاية ، ويحمل درويش تلك الورقة إلى البلاط ، فإنها كانت تعرض على السلطان في الحال ويكتبون أمر استبعاد ذلك الشخص .

وقصارى القول إنه عندما علم رئيس ميهنه بقدومي ، جاء إلى ، وأظهر سروره

بلقائي وقال : لقد انتظرت عدة أيام حتى يصل أحدكم لتشاوري في الأمر. ويجب أن نرى السلطان في الغد . وفي اليوم التالي ذهبنا معاً لرؤية السلطان . وعندما رأيته ، أحسن استقبالي ، ولما جلسنا ، دعوت له . فقال السلطان سنجر : إن ميهنه بقعة مباركة ، وقبر الشيخ مكان لا يوجد أعز وأعظم منه ، وعندما أراد أحد أولئك الغز أن يمد يده إليه ، ليحصل على الأمتعة المدفونة فيه ويأخذها ، يبست يده في الحال . وقد أحضره أقاربه إلى المعسكر ورأيتهم — ولم أسمع هذه الحكاية إلا من لفظ السلطان والعهد عليه — ثم أمر السلطان بألف حمل من البذور لزراعة خاوران ، ومائة حمل من أجل مطالب الضريح .

وطالب رئيس ميهنه زوجاً من الثيران ، فقال له السلطان : لقد تخربت خراسان ، والخزانة خاوية ، فينبغي أن تتدارك الأمر بهذه الأشياء . وأرسل مائة دينار نقداً من أجل ضريح الشيخ . ورجع رئيس ميهنه ، وبعث إلى جميع الأطراف في طلب كل من تبقى من أبناء الشيخ ومريديه ، فاجتمع خمسون شخصاً ، ومدت المائدة ، وأقيمت الصلوات الخمس والخاتمة على قبر الشيخ ، وأضيئت الشموع ، وحضر المقرئون ، (ص ٣٦٠) وابتهج الجميع ، وعمت البركة ، وتمت الترتيبات الواجبة ، وكنت قد وقفت نفسي على الخدمة وتوجه الصوفية والغرباء من جميع الأطراف إلى تلك الحضرة ، وظهر الاستقرار .

وفي تلك الأثناء توفي السلطان سنجر رحمة الله عليه ، وجلس السلطان محمود على العرش ، وحدثت موقعة داندانقان مع الغز في مرو ، وأهزم جيش السلطان مرة أخرى ، واستولى الغز . وفي هذه المرة أفلت من أيدينا أمر تلك البقعة دفعة واحدة ، وحدث ما حدث . حقق الله تعالى بلفظه لخراسان ، ولجميع العالم الأمن والعدل والعمران ، يوماً بمنه وفضله .

الفصل الثالث

فى كرامات الشيخ التى جرى بعضها على لسانه المبارك أثناء حياته
وظهرت بعد وفاته ، وبعض ما أشار إليه ورآه الناس بعد وفاته
على سبيل الكرامات

حكاية :

فى بداية حال شيخنا أبى سعيد قدس الله روحه ، كانت توجد فى منزل
الشيخ سيدة عجوز ، تقوم بالطبخ ، وكانوا يسمونها « دادا الطاهية » وكان
لها ابن يسمى « أبو سعد » وعند ما كانت أمه تأمره بعمل ، كانت تقول له :
هيا يا حبيب دادا اعمل كذا.

وذات يوم كان الشيخ قد نام فى صومعته فى وقت القيلولة ، ونام الصوفية
جميعاً فى المسجد ، وقد اشتد الحر لدرجة كبيرة ، فأعطت إبريقاً لأبى سعد ، وقالت
له هيا يا حبيب دادا ، أحضر إبريق ماء حتى أصنع منه شيئاً للشيخ والصوفية .
فأخذ أبو سعد الإبريق وذهب لإحضار الماء . وكان عارى القدمين ، والأرض
ساخنة ، فكانت تحرق أقدامه . وأخذت الدموع تجرى من عينيه ، وقد أمسك
بالإبريق على ظهره وراح يحضر الماء . ولما دخل باب منزل الشيخ ، صاح الشيخ
من صومعته : لقد منحنا بغداد لأبى سعد حبيب دادا وأبنائه بهذا الإبريق من
الماء . وأخذ الناس بعد هذا يسمونه « أبو سعد حبيب دادا » تبركا بلفظ الشيخ .

وشب أبو سعد بعد ذلك في خدمة الشيخ ، ووصل إلى درجة أنه أصبح من أصحابه العشرة . وقد كان هناك عشرة أفراد من مريدى شيخنا سموا بالأصحاب العشرة ؛ لأن الرسول (ص ٣٦٢) صلى الله عليه وسلم كان له عشرة أصدقاء يسمون بالأصحاب العشرة ، وقد منحنا الحق جل وعلا عشرة مريدن متابعة لسنة المصطفى صلوات الله عليه . وقد عين شيخنا لكل واحد منهم ولاية يذهب إليها بعد وفاته ، وصاروا هم وأبنائهم من مشاهير تلك الولاية أو أصبحوا زعماء هذه الطائفة في تلك الولاية. وقد تمت أمور كثيرة على يد هؤلاء ، ووجدوا كثيرا من السعادة .

وفي أواخر أيام الشيخ استدعى أبا سعد حبيب دادا يوما وقال له : إننى لا أستطيع الرحيل عن هذا العالم ، فقد اقترض حسن بن المؤدب قروضا من أجل الصوفية ، قدرها ثلاثة آلاف دينار ، فينبغى عليك أن تذهب إلى مدينة غزنين عند السلطان ، وتبلغه سلامى ، وتقول له إننى اقترضت ثلاثة آلاف دينار، وينبغى عليه أن يريح قلبى من ناحية هذا القرض ، لأننى لا أستطيع الرحيل عن الدنيا لهذا السبب .

قال أبو سعد : عند ما قال الشيخ هذا الكلام اضطربت قليلا ، إذ كيف أستطيع أن أقول هذا الكلام للسلطان ، وكيف يعرفنى السلطان ، وكيف أقص على سمعه هذه الحكاية ؟ . ولما طافت هذه الأفكار بمخيلتى قال الشيخ : اطمئن يا أبا سعد فقد قلت له هذا الكلام وقبله . قال أبو سعد : فلبست حذائى سريعا، وجئت إلى الشيخ ، فقال لى : يا أبا سعد ، ودعنى لأنك لن ترانى عند ما تعود ، وتنبه إلى أنك عند ما تعود إلى ميهننه ، لاتبقى بها أكثر من ثلاثة أيام ، ثم تذهب إلى بغداد ، فلقد أقطعك إياها أنت وأولادك . وحذار أن تقيم فى أى

مكان إلا في بغداد ، فسوف تنال هذه الطائفة على يدك هناك كثيراً من الراحة والفتوح .

قال أبو سعد : فبكيت كثيراً ، وقيأت أقدام الشيخ ويديه ، وودعته ، وذهبت إلى غزنين . وعندما باغت أبواب المدينة ، استولى على التفكير والتردد ، إذ كيف أرى السلطان ، وكيف أستطيع أن أقول له هذا الكلام ؟ . وفكرت في نفسي أنه ينبغي على أن أبحث عن مسجد قريب من قصر السلطان ، وأنزل به . وإذا ما جاء أحد من خواص السلطان للصلاة في المسجد ، أقول له هذا الكلام ، ليبلغه إلى مسامع السلطان . وجئت إلى المدينة وقد استقر رأيي على هذا .

وأخذت أسير دون وعي ، وأنا لا أعرف إلى أين أذهب . وعند ما قطعت مرحلة طيبة من الطريق وصلت إلى محلة واسعة ، فتوجهت إليها . ولما سرت قليلاً ، ظهر أمامي باب قصر كبير فخيم ، يليق لسكنى الملوك والسلطين ، (ص ٣٦٣) وقد اصطف على بابه أناس كثيرون ، وأيديهم على أوساطهم . وعند ما ظهرت من بعيد أفسحوا لي الطريق . ورأيت خادماً حسن الوجه يجلس هناك ، وعند ما رأيته نهض ، وتقدم إلى ، وعانقني قائلاً : اجلس هنا أيها الشيخ حتى أعود إليك . فجلست . ودخل هو إلى القصر ، ثم خرج سريعاً وسألني : أنت الشيخ أبو سعد حبيب دادا مريد الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير الميهني ؟ . قلت : نعم فقال : انهض وادخل . فنهضت باكياً ودخلت قصر السلطان وأنا أتعجب كيف عرفوني ؟ ومن سمعوا اسمي ؟ وماذا يريد السلطان مني ؟ . وأدخلني الخادم ، وقادني إلى حجرة دخلت إليها ، فرأيت السلطان جالساً فيها ، وقد استند على أربع وسائل . فسألت عليه ، ورد سلامي ، وسألني : أنت أبو سعد حبيب دادا ؟ . قلت نعم . فقال السلطان : لقد مضت أربعون يوماً منذ رأيت الشيخ أبا سعيد

فى النوم . وقد أجالست هذا الخادم على باب القصر فى انتظار وصولك . وقد حدثنى الشيخ بقصة القرض ، ووافقت على أدائه . والآن أسأل الله أن يحزبك عن ذلك ، فقد رحل الشيخ عن الدنيا . ولما سمعت هذا ، استولت على الدهشة ، وصرخت وبكيت كثيراً ، وبكى السلطان كثيراً أيضاً . وأمر الخادم قائلاً : قده إلى حيث يستريح ويخلع حذاءه . فقادنى إلى حجرة فى قصر السلطان ، مزينة كحجرات الملوك . وجاء الخدم وخلعوا حذائى ، وأعدوا لى من المعدات مايلق بقصور الملوك ، وبعثوا بى فى ذلك اليوم إلى الحمام ، وأرسلوا إلى ملابس صوفية جيدة ، واستضافونى ثلاثة أيام أحسن ضيافة .

وفى فجر اليوم الرابع جاء الخادم وقال لى : إن السلطان يدعوك . فنهضت وذهبت إليه ، وكانوا قد وزنوا ثلاثة آلاف دينار ذهبي فسلموها لى ، وقال السلطان : هذه من أجل قرض الشيخ . وأعطانى ألفاً أخرى وقال : وهذه من أجل عرس الشيخ لتوزعوها على قبره . ثم أعطانى ألفاً غيرها وقال : وهذه لك لتعد لنفسك حذاء فقد جئت من طريق بعيد . ثم قال للخادم : أوصله إلى قافلة خراسان فهم ذاهبون إليها غداً ، واكثر له دابة ليذهب بها إلى هناك ، وهيء له معدات الطريق ، (ص ٣٦٤) واعهد به إلى رؤساء القافلة وقل لهم إنه وديعتنا لديهم ليقوموا بتوصيله إلى خراسان سالماً ، ويساعدوه فى الطريق . وثمانى السلطان بإعزازه وعانقنى .

وجاء الخادم معى ، وعهد بى إلى قافلة خراسان ، وهيأ لى معدات الطريق ، واستأجر لى بغلاً حتى خراسان ، ثم ودعنى ورجع . ولم أعان مشقة فى الطريق وتوجهت إلى ميهنه متألماً باكياً لوفاة الشيخ وعندما بلغت مشارف ميهنه ، استقبلانى

جميع أبناء الشيخ والمريدون والصوفية وفق ما أشار به الشيخ ؛ فقد قال الحسن بن المؤدب : سيصل أبو سعد حبيب دادا من غزنين بعد وفاتي بثلاثة أيام ويرىحكم من ناحية القرض . فلما رأوني ، صرخوا ، وجددوا مأتم الشيخ ، وظهرت أحوال كثيرة .

وذهبت مع الدراويش إلى قبر الشيخ ، وزرته ، وسردت قصتي أمام الجميع ، ووضعت أمام أبي طاهر ثلاثة آلاف دينار لقضاء قرض الشيخ وقلت : هذه للوفاء بدين الشيخ . وسامته الألف دينار التي أعطيت لي من أجل عرس الشيخ . كما وضعت أمامه أيضاً الألف دينار التي أعطيت لي وقلت له : هذه مني لتقيموا بها عرساً للشيخ ، ولم آخذ لنفسى شيئاً . ورد الدين في ذلك اليوم ، وأعدت معدات العرس . وفي اليوم التالي أقيم عرس للشيخ من أجلى ، ومزقوا خرقة الشيخ ، وخرق الصوفية .

وفي اليوم الرابع عزمت على الذهاب إلى بغداد وفق إشارة الشيخ ، وودعت مريديه ، ورحلت قاصداً بغداد . وعندما وصلت إليها ، كان هناك نهر في ذلك الوقت في مكان العمران . ونزلت في أحد المساجد ، وبعد أن استرحت بضعة أيام ، أفضيت بهذه القصة إلى صديق ، وقلت له : ينبغي على أن أقيم مقراً للصوفية ، وأتوفر على خدمتهم . فقال لي ذلك الصديق : إن جميع المساجد موكلة إلى ، فاذهب إلى المسجد الذي تريده ، وباشر الخدمة فيه ، وإذا كنت تريد أن تقيم خانقاهاً بجوار هذا النهر ، فلن يتيسر لك ذلك ؛ لأن الناس هنا ينكرون الصوفية ، وليس معك نقود أو معدات . والمصلحة تقتضي أن تكتب إلى الخليفة ، وتطلب منه أرضاً بجوار النهر ، بالقدر الذي تريده ، لتقيم عليها الخانقاه .

وكتبت رقعة إلى أمير المؤمنين ، ذكرت فيها أنني أرغب في إقامة خانقاه

للسوفية في هذا المكان ، (ص ٣٦٥) وأوضحت له أنني خراساني من مريدى الشيخ
أبى سعيد بن أبى الخير ، وقد جئت من ميهنة لأقوم بخدمة الصوفية هنا . فأمر لى
ال خليفة بمكان بجوار النهر لأقيم عليه خانقاها لهذه الطائفة . وكتب الخليفة بخط
يده : له أن يأخذ من جانب النهر بقدر ما يريد ، وتسلم إليه الأرض . فجئت ،
وانتقيت ناحية اخترت فيها مكاناً طيباً ، وأخذت أسير وأنا أصب التبن حتى
حددت قرابة ألفى ذراع من الأرض ، واستوليت عليها .

وبعد ذلك كنت آخذ سلة ، وأذهب بها ليلاً ونهاراً إلى خرائب بغداد ،
وأجمع قطع الأحجار الجافة ، وأحضرها على ظهري إلى ذلك المكان ، وأضعها في
وسط التبن الذى حددته . وظلت أفعل هذا حتى جاءتنى الأخبار يوماً ، بأن
هناك قافلة قادمة من خراسان ، فذهبت إلى النهر وان لاستقبالها . وعندما رأونى
احتفوا بى وقربونى إليهم ؛ فقد رأونى أكثرهم فى خدمة الشيخ ، وكانوا يعرفون منزلتى
عنده ، كما كان بعضهم أيضاً من مريدى الشيخ . وقلت لهم : إننى أنوى إقامة
خانقاه للصوفية فى هذا المكان ، وينبغى عليكم الآن أن تنزلوا به ، وتقيموا
عندى ، لأن مسافريكم سيقدمون على غيرهم .

وكان فى القافلة جماعة من الصوفية والتجار وأناس كثيرون . فوافقوا جميعاً ،
ونزلوا فى ذلك المكان ، وضربوا خيامهم به . ونهضت ، وأخذت سلة ذهبت
بها للسؤال . وأخذت أقوم بإعداد المائدة كل يوم فى الصباح والمساء ، وأؤذن
فى أوقات الصلوات الخمس ، وأؤمهم للصلاة . وكنا نقرأ القرآن كل فى دوره عند
الفجر ، وظهرت أنوار كثيرة خلال المدة التى أقاموا فيها بذلك المكان . ولما

فهموا بالرحيل ، وكانوا قد اطلعوا على حياتي واستحسنوا خدماتي ، أعطاني كل منهم بعض المال ، حتى توفر لي قدر كبير . وعندما رحلت القافلة ، اتجهت إلى العمارة ، وأقيمت جدران الخانقاه الأربعة ، وشيدت صفة كبيرة جيدة ، وداراً حسنة للصوفية ، ومطبخاً ، ودورة المياه ، وأقيمت مسجداً كبيراً ، وصنعت أبواباً لها جميعاً . ووضعت أساس الأبنية والحجر الأخرى ، بحيث أصبحت معالم جميع الأماكن تدل على طبيعتها .

وعندما وصل مقدم الحجاج وأخبرني بعودة القافلة ، ذهبت إلى الفرات لاستقبالها . وقلت لهؤلاء الجمع : عند قيامكم بسفركم المبارك نزلتم في خانقاهي ترضية لي ولله ، (ص ٣٦٦) وفي وقت رحيلكم بذلت لى الشيء الكثير ، والآن ينبغي أن تأتوا معي لتروا نتيجة بذلكم ، وأن الترتيبات التي أشرت بها قد تمت . فأجابوني إلى طلبي ، ووافقوا على النزول في الخانقاه . ولما رأوا تلك الأبنية الكثيرة الجيدة ، تعجبوا كثيراً ، إذ كيف صنعت هذا العدد الكبير من الأبنية في تلك المدة القصيرة ، وتضاعف اعتقادهم . وأخذت على نحو ما مضى ، أذهب للسؤال وأهيب المائدة ، وأؤذن للصلاة ، وأؤمهم فيها . وكنت أزيد في العناية بهم كل يوم ، حتى لقد أعطوني عند رحيلهم الشيء الكثير ، بحيث توفر لي مبلغ كبير .

ولما رحلت القافلة اتجهت إلى العمل ، واشتغلت بالبناء ، حتى أتممت خانقاهها جيدة جداً ، بجميع مرافقها من الحجرات والحمام وقاعة الجماعة وغير ذلك . وأعددت المفروشات المناسبة ، ومعدات المطبخ ، وجميع ما يلزم لذلك من الأدوات . وأقيمت على باب الخانقاه سوقاً به بعض الحوانيت ، ورباطاً للقوافل ، وغير ذلك . وتوفرت

على الخدمة الجيدة ، وتوجه الصوفية من أنحاء العالم إلى هذه الخانقاه ، واندشر
الخبر في الدنيا أن أبا سعد أسس في بغداد خانقاهها لم يقم أحد مثليها في هذا
العهد من أجل الصوفية ، وهو يقوم على خدمتهم .

وأصبح أكثر أهل بغداد من المريدين لي . وكانوا يحملون الأخبار إلى
مسامح الخليفة دائماً ، حتى أنه حدث ذات ليلة أن كنا نؤدي صلاة العشاء ، فدق
شخص باب الخانقاه . وفتحت الباب ، فوجدته أمير المؤمنين ، ومعه بضعة أفراد
من خواصه ، مثل أستاذ دار الخلافة ، والحاجب ، وصاحب الخزن وأمثالهم ،
وكانوا قد جاءوا لزيارتي ورؤية الخانقاه . فرحبت بهم ، ودخل الخليفة الخانقاه ،
وعند ما تفرس في البناء ، ودخل مقر الدراويش ، رأى جمعاً كبيراً يزيد على خمسين
شخصاً من الشيوخ والصوفية ، وقد جلسوا على سجادة . فحياهم ، وجلس بينهم ،
وجلس بين يديه ، وقصصت ، بقدر ما سمح به الوقت ، بعض الحكايات عن
كرامات الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير . فسر الخليفة ، وبكى كثيراً ، وأصبح من
مريدي هذه الطائفة . وفي أثناء جلوسه أمر أستاذ القصر قائلاً : في كل وقت يأتي
فيه أبو سعد إلى القصر لا ينبغي له طلب الإذن مادمت موجوداً ، ويجب إحضاره
إلى الحرم سريعاً دون إخباري بذلك . ثم قال : يا أبا سعد ، لقد وضعت مصالح
المسلمين في عنقك .

وفي اليوم التالي ذهبت إلى دار الخلافة لتحية الخليفة (ص ٣٦٧) فقادوني
إلى الحرم في الحال دون إذن . فتقدمت إلى الخليفة ، ودعوت له ، واعتذرت عن
تقصيري في الليلة الماضية . وثناني أمير المؤمنين بإعزازه الكثير ، وأكرمني ،
وأعاد علي مسامحي ما كان قد ذكره من قبل ، ووضع عهدة المسلمين في عنقي .

وخرجت من عنده وقد استوائت الدهشة على الجميع . وأتجه الناس إلى دفعة واحدة ، ورفعوا حاجاتهم إلى ، وكنت أعرضها على الخليفة ، فكان يحجبها .

ورغب كثير من الناس في مجاورتي ، وشيدوا منازل بجوار الخانقاه ، بحيث امتلأ ذلك المكان . وأخذت مكاني عند الخليفة ترتفع كل يوم ، ويزداد اعتقاده في ، حتى أنه قال يوماً : سأجعل أنا أيضاً عمارة دار الخلافة تمتد حتى النهر مشياً مع الشيخ أبي سعد حبيب دادا . وجعل الماء يغمر نصف البناء . واحتذى الناس حذوه ، فانتقلت المدينة كلها إلى هذا المكان ، وخربت الناحية الأخرى . وأصبحت شيخ شيوخ بغداد ، ولم تكن مكاني فيها تقل عن مكانة الخليفة ، ببركة نظر الشيخ المبارك .

وأبناء - أبي سعد - الآن يتولون منصب شيخ شيوخ بغداد ، وفي أيديهم الحل والعقد ، وأصبح الخليفة رمزاً ؛ بحيث أن كل خليفة يرشح لعرش الخلافة يمسك أكبر أبناء الشيخ أبي سعد بيده ، ويجلسه على العرش ، ويقوم بمبايعته أولاً ، ثم يتبعه في ذلك أبناء الخليفة ، ومن بعدهم الخواص ، ثم العوام ، حتى تتم له بيعة الجميع . وتكون مقاليد الأمور في يد أبناء الشيخ أبي سعد .

حكاية :

سمعت أشرف بن أبي اليمان يقول نقلاً عن الشيخ محمد بن أبي إسحاق : سمعت من والدي أن الشيخ كان يملك جواداً سريعاً ، لا يستطيع أحد أن يركبه ، لما كان عليه من السرعة . وعندما كان الشيخ يريد أن يركبه ، كان يسند كتفه على الدكان ، حتى يستطيع الشيخ أن يفعل . وعندما توفي الشيخ ، رأوا الجواد مقطوع

العنان ، وكانت الدموع تجري من عينيه . وامتنع عن الأكل والشراب ، وظل
هكذا سبعة أيام وليال .

وفي اليوم السابع قالوا : لقد نحل الحصان ، وامتنع عن الأكل والشراب ،
وأشرف على الهلاك ، فماذا نصنع ؟ . وأبلغوا هذا إلى السيد أبي طاهر فقال : ينبغي
أن نذبحه ليأكل الدراويش منه شيئاً ، ويعطى الباقي للناس . ثم ذبحوه وتبركوا به .

حكاية :

(ص ٣٦٨) سمعت عن زين الطائفة الشيخ عمر الشوكاني أنه قال : في يوم
من الأيام كان السيد أبو الفتح ، ابن الشيخ من أخت الشوكاني ، قد جلس مع
والدي في الخانقاه . وأخذ السيد الإمام أبو الفتح يحكي قصة وفاة الشيخ فقال :
قبل وفاة الشيخ بثلاثة أيام ، التفت إلى وقال : سوف أموت يوم الخميس ، وسوف
يكون هناك ازدحام كبير في يوم الجمعة ، بحيث لا يستطيعون أن تقتربوا من نعشي .
ثم أمر بأن يحضروا غطاء ، وأمسكوا به من أطرافه الأربعة ، وشدوه في الهواء ،
وقال لنا اخرجوا من تحت هذا الغطاء ، وتخيّلوه نعشي . ففعل أبناء الشيخ كما أمرهم .
وبعد ذلك بثلاثة أيام ، حدث ما أشار إليه الشيخ ، فعندما أخرجوا النعش كان
الزحام شديداً ، بحيث لم نستطع نحن أبناء الشيخ أن نقرب منه . وكان يقص
هذه الحكاية ، ويبكي هو ووالدي .

حكاية :

كان الشيخ أبو القاسم الروباهي مريداً للشيخ ، ومقدماً لعشرة من الصوفية
المعروفين ، مثل أبي نصر الحرّضي ، وأحمد العدني ، وأمثالهم . وقد قال : عندما بلغ خبر

وفاة الشيخ نيسابور ، كان الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري بها ، فقال : لقد ذهب شخص لم يكن خافاً لأحد ، وإن يخلفه أحد . وقام وجاء إلى خانقاه محلة عدنى كوبان ، وجلس فى المآتم ، وتولى أمره . وفى ذلك اليوم قال فى المآتم : عندما رأينا الشيخ أباسعيد لم نكن صوفية ، ولم نر صوفية ، ولو لم نره ؛ لقرأنا التصوف فى الكتب . ولما فرغنا من العزاء ، أقام الأستاذ الإمام حفل الشيخ .

وفى اليوم السابع أرسل الأستاذ الإمام إلينا علياً المحتسب وكيله ، وكنا عشرة أشخاص ، فقال لنا : إذا كان هدفكم هو الشيخ فقد مات . وقد كنتم أنتم العشرة من مريدى ، ولما جاء الشيخ ذهبتم إليه . والآن ينبغى عليكم أن تعودوا إلى ، فقالت الجماعة : أعطنا مهلة لنفكر .

وفى اليوم التالى جاء شخص وقال : إن الأستاذ الإمام يقول لكم هل فكرتم ؟ . (ص ٣٦٩) فصمتوا . ونقد صبرى فقلت : لماذا لا تجيبون ؟ . فقالوا : وماذا نقول ؟ . فقلت : هل تأذنون لى بالإجابة عنكم ؟ . قالوا أجل . فقلت له : بلغولاءنا الأستاذ الإمام ، وقل له إن الشيخ أباسعيد كان من عادته عند ما تكون هناك وليمة ، أن يعطينى طبقاً من الطعام وقطعة من اللحم وبعض الحلوى التى أمامه . وكنت أخذ طبق الطعام وقطعة اللحم والحلوى التى أعطيت لى من المطبخ . وذات يوم كانت هناك وليمة فأخذت صحفة الطعام واللحم والحلوى التى أعطيت لى من المطبخ ووضعتها فى كم ، ووضعت الطعام واللحم والحلوى التى أعطانيها الشيخ من أمامه فى الكم الآخر ، وكان الوقت قىالة وقد نام الشيخ فى زاويته ، ونام الجميع وأخلدوا إلى الراحة . وخرجت أنا على هذه الصورة من الخانقاه ، ولما خطوت أول خطوة خارجها ، فك رباط الإزار عن قدمى ، ووقعت فى مأزق . وخرج صوت الشيخ من زاويته يقول : أدركوا أبا القاسم . وفى الحال رأيت صوفياً يهرع إلى ، ويقول

لى : ماذا حدث لك ؟ . فأخبرته بما حدث لى ، وعاونى . ونحن الآن شيوخ مشرفون ، فهل تستطيع أن ترعانا هكذا عندما نجىء إليك ؟ . فرجع على المحتسب .

وفى فجر اليوم التالى جاء إلينا الأستاذ الإمام ، واعتذر إلينا ، ورجانا ألا نقول هذا الكلام لأحد طيلة حياته ، فوافقنا . ورجع الأستاذ الإمام ، وذهب بعد ذلك لزيارة قبر الشيخ فى ميهنه ، وذهب معه أربعون شخصاً من كبار المتصوفة . وعندما وصلوا إلى رباط سركله ، ووقعت عين الأستاذ والجماعة على ميهنه ، نزل عن الجواد ، وأمر المقرئين المرافقين أن ينشدوا شعر الشيخ :

« رباعية »

أيها الحبيب ، لا توجد فى أرض خاوران شوكة واحدة
ليس لها علاقة بى وبعهدى (ص ٣٧٠)
ولو كانت لى مائة ألف روح لما أصابنى العار
لو أننى بذلتها جميعها من أجل اطفك ورقتك

وأخذ المقرئون ينشدون هذا الشعر ، وسر الأستاذ ، وخاع خرقةته ، وحذا الجميع حذوه فخلعوا خرقهم . وأباغوا أبناء الشيخ أن الأستاذ الإمام قادم من نيسابور مع جماعة الصوفية وخرج جميع أبناء الشيخ ومريديه لاستقبالهم . وتقابل الفريقان فى الطريق ، وكان المقرئون لا يزالون يقرأون . وخاع صوفية ميهنه أيضاً خرقهم دفعة واحدة ، وأخذوا يسرون على هذا النحو . حتى جاءوا قبر الشيخ ، وأخذ المقرئون يقرأون ، والدرأويش يطوفون حول القبر ، ووردت الأحوال ، ثم مزقوا الخرق . واستراح الأستاذ الإمام يوماً ، ثم طلب منه أبناء الشيخ أن يعظ فى الضريح فلم يقبل . وتحدث بعد إلحاح كبير فى المسجد وقال فى وسط الحديث : كنا نعترض

على الشيخ أبي سعيد في أشياء ، وكنا نظلمه ، لأن من قابل صاحب الحال بالعلم ظلم . وبقي في ميهنه عدة أيام ، ثم رجع .

حكاية :

في بداية حال الشيخ قدس الله روحه العزيز رأت سيدة من أبناء عظماء ميهنه في النوم ، أن النبي عليه السلام جاء ومعه جميع الرسل إلى ذلك المكان ، حيث يوجد الآن ضريح الشيخ ، وتوقف بحيث رأت تلك السيدة إبراهيم ويعقوب وموسى وعيسى وعرفتهم واحداً واحداً . وفي ذلك الوقت كان في موضع الضريح بيت اشتراه الشيخ ، وكان يوقف دابته بجواره . ثم أعد به ضريحاً له ، وأقام فيه مع الصوفية . وعندما كان الشيخ يشيده ، وأطلق عليه اسم ، « مشهد » قال السيد الإمام أبو البدر المشرقي هذا الشعر بين يدي الشيخ :

« شعر »

بنى شبح الزمان لنا بناء تصاغر فيه ما قد كان قبل
فكعبة قبلة للناس طراً وهذا البيت للعشاق قبلة

(ص ٣٧١) وعند ما أشرف الشيخ على الوفاة ، أمر بأن يدفنوه في تلك الدار ، حيث يوجد قبره الآن . قالت السيدة : لقد اتضح تأويل ذلك الحلم الذي رأيته وانتظرت تأويله أربعين سنة . فعند ما دفنوا الشيخ ، تبين أن ذلك المكان هو المكان الذي كنت قد رأيت الرسل يقفون فيه . وهكذا ظهر تأويل ذلك الحلم بعد أربعين سنة ، فأصبح هذا المكان مرقداً لعظيم الدين .

حكاية :

سمعت عن أشرف بن أبي اليمان أنه قال : سمعت الشيخ حسن الجاناروى

يقول : سمعت السيد أبا الفتح حفيد الشيخ يقول : كان والدي السيد أبو طاهر ابن الشيخ يذهب إلى المدرسة في طفولته ، وكان الأستاذ قد ضربه يوماً ، بحيث ظهرت آثار الضرب على جسده . ورجع السيد أبو طاهر من المدرسة باكياً ، وأظهر الشيخ على آثار العصا . فأرسل الشيخ رسالة إلى الأستاذ يقول له فيها : إنني لن أجعل منه مقرئاً أو إماماً ، وإنما ينبغي له أن يعرف كيف يؤدي الصلاة . انتبه فهو من أحبة الله ، وقد رباه الحق تبارك وتعالى بلطفه ، وخلقه بلطفه ، فحاذر ولا تستعمل العنف معه .

وكان أبو طاهر يكره المدرسة جداً أكثر من جميع الأطفال . وكان يذهب إليها بصعوبة كبيرة ، ويبحت دائماً عن فرصة ليتخلص من الذهاب إليها . وذات يوم قال الشيخ : كل من يخبرني بمقدم الدراويش أحقق له أى أمنية يريدونها . وكانت قد مرت عدة أيام لم يحضر فيها درويش لزيارة الشيخ ، وكان يشاق لرؤية أحدهم ، فلما سمع أبو طاهر قول الشيخ ، صعد سريعاً إلى السطح ، وأخذ يتجسس على مقدم الدراويش ، وينتظر وصولهم . وتصادف في ذلك الوقت أن ظهرت جماعة من الدراويش قادمين من ناحية طوس . فنزل أبو طاهر من السطح مسروراً وقال للشيخ : يا والدي ، إن جماعة من الدراويش قادمون إلينا . فسأله الشيخ : ماذا تريد الآن ؟ . (ص ٣٧٢) فأجاب : أريد ألا أذهب إلى المدرسة اليوم . فقال له الشيخ : لك ذلك . فقال : وغداً أيضاً ، فقال : لا تذهب . فقال : لن أذهب هذا الأسبوع . فقال الشيخ : لا تذهب ، فقال : لن أذهب إلى المدرسة أبداً . فقال له الشيخ : لا تذهب ولكن تعلم « سورة الفتح » واحفظها ، ولا تذهب إلى المدرسة ثانية . فسر أبو طاهر . ومد الشيخ يده وقطع غصناً من شجرة التوت التي على باب روضته ، وربطه على وسط أبي طاهر ، وأعطاه جاروفاً ، وقال له اكنس المسجد .

وأخذ أبو طاهر ينظف المكان . ووصل الدراويش وتقدموا إلى الشيخ ،
فسألهم : كيف ترون أبا طاهر ؟ . فقالوا : حسن جداً . فقال الشيخ : لقد أوقفته
الآن هو وأبناءه لخدمتكم . ثم علم الشيخ أبو طاهر سورة الفتح .

وبعد أن انتقل الشيخ إلى رحمة الله ، وصرت عدة سنوات وأصبح نظام الملك
وزيراً لماكشاه ، وأصبحت العاصمة في إصفهان — وكان نظام الملك مريداً للشيخ
يرعى جميع المتصوفة من أجله — احتاج أبو طاهر إلى قرض من أجل الصوفية .
فذهب مع جميع أبناء الشيخ إلى نظام الملك في إصفهان ، فأسبغ عليهم من الرعاية
مايجل عن الوصف . وتصادف أن كان أحد العلويين قد جاءه برسالة من السلطان
في غزنين ، وكان رجلاً فاضلاً من أصحاب الرأي ، متعصباً ينكر الصوفية ، فأخذ طوال
المدة التي مكثها عند نظام الملك يلومه قائلاً : إنك تعطى أموالك للجماعة لا يستطيعون
أن يؤدوا سنن الوضوء ، ولا يعرفون كيف يصلون ركعتين ، ولا مقدار الفرض
أو السنة ، وليس لهم حظ من علوم الشرع ، وهم حفنة من الجهلة وصنائع الشيطان .

وأخذ نظام الملك يقول له : لاتقل هذا (ص ٣٧٣) فهم أناس متعلمون ،
ولا يوجد من يعرف في علوم الشرع بقدر ما يعرفون ، وزعمائهم علماء الشريعة
والطريقة . والهدف من العلم العمل ، وهم يعملون .

وقصارى القول أن الحديث طال بينهم في هذا الأمر . وكان رسول غزنين
يعرف أن السيد أبا طاهر يجهل القرآن ، ولم يكن نظام الملك يعرف ذلك . فقال
رسول غزنين لنظام الملك : هل توافقني على أن الشيخ أبا سعيد هو زعيم صوفية
العالم جميعاً ؟ . فقال : نعم . فقال : وهل توافقني على أن ابنه أصبح من بعده

أفضل من جميع صوفية هذا العصر ؟ . قال نعم . قال الرسول : وهل توافقني أيضاً على أن الشيخ قال إن أبا طاهر قطب ؟ فقال نظام الملك : أجل . فقال رسول غزني : إن أبا طاهر لا يعرف القرآن . فعارضه نظام الملك قائلاً إنه يعرفه ، وقال : سأناديه وتختار سورة من القرآن أطلب إليه أن يقرأها .

ونودي أبو طاهر ، فأقبل مع جماعة الصوفية وأبناء الشيخ أمام نظام الملك . ولما جلسوا سأل نظام الملك الرسول قائلاً : أى سورة تريد أن يقرأ ؟ . فأجاب . سورة « الفتح » . وأشار نظام الملك إلى أبي طاهر فقرأ سورة الفتح . وبدأ السرور على الجميع . وعندما انتهت السورة سر نظام الملك ، وخجل رسول غزني لأنه بدا كاذباً أمام كثير من العظماء والحاضرين ، ونهض لشدة شعوره بالهزيمة وانصرف .

وسأل نظام الملك أبا طاهر : ماذا كان سبب سروركم ؟ . فأجاب أبو طاهر قائلاً : أعلم أيها الصدر الأعظم أنني لأعرف القرآن . وقص عليه القصة من البداية إلى النهاية . فازداد اعتقاد نظام الملك في الشيخ وقال : أنظر إلى الشخص الذي يرى قبل هذا بسبعين عاماً أنه سوف يعترض ، معترض على واحد من أبنائه ، كيف تكون درجته ! . وأصبح بعد ذلك مريداً للشيخ أكثر مما كان من قبل ألف مرة ، وبكى كثيراً .

وكان عمر أبي طاهر يقل عن عشر سنوات عند ما أمره الشيخ بحفظ سورة الفتح . وقد بلغ الأربعين (ص ٣٧٤) عند وفاة الشيخ ، وعاش بعده أربعين عاماً أخرى . وتوفي سنة ثمانين وأربعمائة .

حكاية :

عند ما كان الشيخ مشغولاً بالمجاهدة والرباضة ، كان يغيب عن المنزل لمدة شهر أو شهرين ولا يعثر عليه أحد . وكان السيد أبو طاهر عندئذ طفلاً صغيراً ، يحب والده كثيراً ، ويشعر بالاضطراب إذا مات غيب الشيخ ، ويأخذ في السؤال عنه كل يوم . وفي وقت من الأوقات مضت عدة أيام تغيب الشيخ فيها ، ولم يحضر إلى المنزل خلالها . واضطرب أبو طاهر - وكان الوقت صيفاً والجو حاراً - ونهض في فجر يوم ، وأخذ يتجول في صحراء ميهنة ، وأما كن عبادة الشيخ . وطاف بكل مكان فيه رباط أو مسجد أو مقبرة كان يعرف أنه من الممكن أن يكون الشيخ قد اختلى به . ولم يجد الشيخ في مكان منها ، وكان الجو حاراً وقد نال منه الالام . وذهب إلى الرباط القديم عند الظهر ، وهو رباط يقع في طريق باورد من الأماكن التي كان الشيخ يتعبد بها والتي سبق ذكر بعضها في بداية هذا الكتاب ، ولما بلغ السيد أبو طاهر باب هذا الرباط وجدته مغلقاً ، فدفقه بيده . وتصادف أن كان الشيخ هناك ، ففتح الباب ، ورأى أبا طاهر على هذه الحال ، وقد أثر فيه الحر ، وأخذت آلاف القطرات من العرق تسيل من وجهه وشعره وجسده . ولما رأى الشيخ ، سقط بين يديه ، وغاب عن الوعي . وجرى الدمع من عيني الشيخ وسأله : ماذا حدث يا أبا طاهر ، ولماذا جئت ؟ . فأجاب : أيها الشيخ ، أنا في حاجة إليك . فقال له الشيخ : مادمت في حاجة إلى فسوف تكون معي في الدنيا وفي القبر وفي الجنة . ومد يده وأخذ أبا طاهر في أحضانه ، وحمله إلى الرباط . وظل أبو طاهر يلزم الشيخ إلى أن توفي الشيخ .

وعند وفاة أبي طاهر كان أبناء الشيخ قد نسوا هذا القول ، (ص ٢٧٥) وأرادوا أن يدفنوا أبا طاهر في المقابر . ولما قاموا بغسله ، وأرادوا أن يشيعوه إلى

القبر ، سقط مطر غزير في الحال . وانتظروا حتى يتوقف المطر ، ولكنه أخذ يتزايد كل لحظة . وظلوا يحتفظون بجثمان أبي طاهر في الضريح ثلاثة أيام ، والمطر يزداد كل ساعة . وعندما أسقط في أيديهم ، قال واحد من خواص المريدين : ألم يقل الشيخ له إنه سوف يكون معه في القبر ؟ ينبغي أن تدفنه في جوار الشيخ ، فهذا المطر لم يسقط إلا لقول الشيخ وكراماته . فلما قال المريد هذا ، تذكر الجميع كلام الشيخ ، وصدقوه .

وكان في محلة الصوفية لحاد يدعى قتيبة بالقرب من ضريح الشيخ ، وهو الذي كان قد حفر للشيخ قبره ، فطالبوه وأمروه بأعداد قبر السيد أبي طاهر ، خلف قبر الشيخ . وانشغل قتيبة بالعمل ، وعندما تم القبر ، وسوى مكان الرأس فيه ، دق حجراً حتى تهبط الأرض ، فسقط جزء من الحجر ، وأحدث فجوة . فصرخ قتيبة ، وأعاد الحجر مكانه ، وفقد الوعي . ونظر الناس في القبر فوجدوه مغشياً عليه ، فأخرجوه وحملوه إلى داره . ودفنوا أبا طاهر ، ولم يكادوا يخرجون أيديهم من القبر بعد دفنه حتى توقف المطر ، وسطعت الشمس ، وتحقق للجميع أن ما حدث كان كرامة من كرامات الشيخ .

وظل قتيبة في غيبوبته أربعين يوماً ، لم يفتح خلاطاً عينيه ، أو يتحدث قط . ولم يعرف أحد ماذا كان قد رأى على وجه التحقيق . ولحق برحمة الله بعد هذه الفترة . وتضاربت أقوال الناس بشأن مارآه من كرامات الشيخ ، ولكن قتيبة صاحب هذه الحادثة لم يذكر شيئاً ، لأنه لم يكن يستطيع الحديث ، ولم يستعد رشده ، ثم توفي .

حكاية :

(ص ٣٧٦) كان الشيخ أبو الفضل الشامي رجلاً عظيماً جداً ، من مشاهير

شيوخ المتصوفة ، وكان قد سافر في شبابه كثيراً . وفي أواخر عمره ، أمضى سنين طويلة مجاوراً في بيت المقدس . وذات ليلة كان قد نام مع جماعة من الصوفية في خانقاه بيت المقدس ، فرأى في نومه الشيخ أبا سعيد قدس الله روحه العزيز يدخل إلى الخانقاه وفي يده طبق مملوء بالسكر ، وأخذ يسير بين الجميع ، ويعطي لكل واحد قدرًا من ذلك السكر . وعند ما وصل إلى الشيخ أبي الفضل ، وضع في فمه كل ما كان قد تبقى في الطبق ، بحيث امتلأ فمه . ونهض من نومه مسروراً لهذا السبب ، ووجد فمه مملوءاً بالسكر . فنادى الخادم في الحال ليحضّر ضوءاً . واستيقظ الجميع وجلسوا ، فقص عليهم الحلم ، وأعطاهم جزءاً من ذلك السكر . ثم نهض وتوضأ وصلى ركعتين ، وطلب حذاءه وقال : لقد كانت هذه الصلاة من أجل زيارة قبر الشيخ أبي سعيد . فوافقه الجميع . وجاء من بيت المقدس إلى ميهنة سيراً على الأقدام ، ولم يجلس في الطريق قط ، وكانت سنه عندئذ تزيد عن الثمانين عاماً . ولما بلغ ميهنة أقام بها عدة أيام ، وعند عودته دعا أبناء الشيخ جميعاً وقال لهم : إنني أوصيكم بالمحافظة على قداسة هذه البقعة ، وحق هذا القبر العظيم . وودع الجميع ، وعاد إلى بيت المقدس .

حكاية :

بعد وفاة الشيخ بعدة أيام ، رأى أحد عظماء الصوفية الشيخ في النوم ، جالسا على المنصة ، وهو يقول : « من ثبت نبت » ، فاطرقوا ، وتفكروا حتى لا يتخذلوا . ورأى شخص آخر من الصوفية الشيخ في النوم بعد وفاته بمدة طويلة ، وكان يقول : كلوا خبز الدراويش ولا تعملوا أعمالهم .

حكاية :

(ص ٣٧٧) روى عن جدى شيخ الاسلام أبى سعيد رحمة الله أنه قال :
فى وقت من الأوقات خرجت إلى الطريق مع جمع من الدراويش . وسقط مطر
غزير ، فلبجأنا إلى مكان لبضعة أيام وليال ، وبقينا نحن والدواب بدون طعام ،
فقلت لشدة ما أشعر به من الضيق : يا الهى ! ما هذا الذى تفعله ؟ . ونمت فى تلك
الليلة ، فرأيت الشيخ فى نومي وقال لى : يا أبا سعيد ، بهم يفيد مثل هذا القول ؟
قل اللهم اشملنا بعطفك . فاستيقظت ، وتبت ، وبكيت كثيراً .

حكاية :

كان الشيخ مهدي الباوردي صوفياً عظيماً ، وموضع اعتقاد . وقد أصبح السلطان
سنجر وجميع جيشه من مريديه . وكانت له أحوال طيبة ، وكان يلقي قبولاً
كبيراً من أهل عصره . وقد جاء إلى ميهنة لزبارة ضريح الشيخ فى عهد والدى
نور الدين المنور رحمة الله عليه — الذى كان خادماً لزاوية الشيخ ، وشيخاً
وزعيماً لأبناء الشيخ أبى سعيد ، ولم يقيم أحد بخدمة الدراويش مثله ، ولم يدرك
أحد ما أدركه فى تعمير تلك البقعة المباركة والمحافظة على جماعة الدراويش —
وعند ما قام بالزيارة ، وانقضى ذلك اليوم ، وجاء الليل ، وانتهى الصوفية من
تناول الطعام ، وصلاة العشاء ، أوقدوا شموع الضريح كما هى العادة المتبعة فى كل
ليلة ، وقرأ المقرئون القرآن أمام قبر الشيخ ، وقام الصوفية والناس بزيارة القبر ،
قال الشيخ مهدي : إننى أفكر فى أن أقضى الليلة هنا على رأس القبر ،
وأشتغل بالعبادة . فقال له أبناء الشيخ : هذا ليس متبعاً ، ولم يقض أحد الليل هنا
بعد وفاة الشيخ ، لأن الشيخ قال من قبل : النهار لكم ، والليل لجماعة آخرين ،

أى للجن . وكل من كان ينصت فى الليل بعد إغلاق الضريح ، ووضع القفل فى مكانه ، يسمع صوتاً ، ويشعر بحركة للجماعة ، ويعلم أن ما ذكره الشيخ من أن الليل نوبة الجن (ص ٣٧٨) يقيمون فيه على قبره ، حقيقة. ولهذا السبب لا يستطيع أحد أن يقيم فى الضريح أثناء الليل . وتحدثوا إليه كثيراً فى هذا الأمر دون جدوى . وقال : سأظل هنا الليلة . ولما ألحوا عليه كثيراً ولم يقبل ، خرج الخادم وأخذ الشمع وأغلق باب الضريح من الخارج ، ووضع القفل فى مكانه وذهب . وصعد الصوفية للنوم على سطح الخانقاه ، فقد كان الوقت صيفاً ، ولم يكونوا قد ذهبوا فى النوم بعد عندما ارتفع صياح الشيخ مهد من الضريح . ونزل الصوفية من السطح ، فرأوا الشيخ جالساً على حافة الحوض فى مقر الصوفية على شاطئ النهر ، وقد وضع قدميه فى الماء . فرفعوه وذهبوا به إلى باب الضريح ، ونظروا فوجدوا القفل مستقراً قى الباب .

وحملوا الشيخ مهد إلى سطح الخانقاه ، وسألوه كيف حدث ذلك ؟ . فقال الشيخ مهد : عندما أخذوا الشمع ، وأغلقوا الباب ، انشغلت بالصلاة ، وصليت ركعتين ، وجاست ووضعت رأسى فى جيبى لأفكر ساعة ، فوصلت رطوبة الماء إلى قدمى ، ففتحت عيني ، ورأيت نفسى جالساً فى وسط المحلة على شاطئ النهر ، وقدمائى فى الماء كما رأيتمونى . ونام الشيخ مهد تلك الليلة على السطح . وفى وقت السحر فتح الخادم باب الضريح ، ووضع الشمع فيه ، وأخرج نعل الشيخ مهد منه ، ووضع أمامه .

وأقام الشيخ مهد عدة أيام فى ميهنه ثم رجع . وعندما وصل إلى نسا ، سألته

شيوخها : كيف وجدت أبناء الشيخ ؟ . فقال : لقد رأيت المنور منوراً . قال هذا في حق والدي رحمة الله عليه .

حكاية :

سمعت تاج الإسلام أبا سعد بن محمد السمعاني يقول في مجلس على باب ضريح الشيخ قدس الله روحه العزيز : ذهبت مع والدي للحج ، وعندما فرغنا من مناسك الحج قال والدي : تعال لنزور الشيخ عبد الملك الطبري (وكان من عظماء مشايخ عصره وله كرامات مشهورة على نحو (ص ٢٧٩)) ما حكى عنه السيد أبو الفتوح الفضائري إذ قال : سمعت من أحد عظماء المتصوفة أنه كان جالسا يوماً في المسجد الحرام أمام الشيخ عبد الملك الطبري ، فدخل شخص من باب المسجد على شاكلة البشر ولكنه ليس مثلهم وقال للشيخ عبد الملك : « الغد أمر إلى سألار ؟ » . فقال الشيخ عبد الملك : نعم . وذهب ذلك الشخص . وكان أحد الدراويش حاضراً ، فقال له : أيها الشيخ ، أستحلفك بحرمة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تقول من كان هذا الشخص ، وماذا قال ؟ . فقال الشيخ عبد الملك : لقد كان الخضر عليه السلام ، وقال هل تأتي غداً لنذهب إلى المدينة ؟ . فقلت له نعم . وله كرامات كثيرة مثل هذه) قال تاج الإسلام : فذهبنا معاً إلى خانقاه مكة لنبحث عنه : فقبل لنا : لقد أدى الصلاة ، وذهب إلى مسجد عائشة رضي الله عنها ، فهو يمهّد طريق الميقات والعمرة ؛ لأن هناك أحجاراً غليظة سيئة ، وهو يقوم بسحقها حتى لا تجرح أقدام الحجاج . وينبغي أن تبسحوا عنه هناك . فذهبنا إلى ذلك المكان ، وتوقفنا بعيداً . ورأيت أنه قد ارتدى مرقعاً ، وعقد وسطه ، وشمّر أكمامه ، وجلس على حجر ، ووضع حجراً آخر أمامه ، وأخذ

يكسره إلى أجزاء صغيرة . وعندما أتم كسره التفت إلينا . وحياء والدي ، فرد تحيته ، وقال : اقتربوا أكثر . فاقتربنا منه ، وقال له والدي : نحن من خراسان ، من مدينة مرو ، وولد أبي المظفر السمعاني . فقال : إنني أعرفه . ثم سأله : هل جئت للحج ؟ . فأجاب والدي : نعم ، قال : ألم تذهب إلى ميهنه ؟ . قال ذهبت . فقال : هل قمت بزيارة الشيخ أبي سعيد ؟ . قال : أجل . فقال : ماذا تصنع هنا إذن ؟ ولماذا قطعت هذا الطريق الطويل ؟ ، قال هذا وانشغل بعمله . فعظمناه وعدنا . ثم قال تاج الإسلام : منذ سمعت هذا الكلام ، فرضت على نفسي عندما يذهب الناس للحج كل عام ، أن أحضر إلى هنا لزيارة الشيخ .

حكاية :

وقد سمعت هذه الحكاية نفسها باسناد آخر من ناصح الدين بن أبي محمد بن عمى إذ قال : كنت قد ذهبت مع رئيس ميهنه إلى سرخس ، فقال رئيس ميهنه : تعال لنذهب لتحية (ص ٢٨٠) السيد كبير أئمة بخارى — وكان إماماً أحضره الأمير الأجل من بخارى للتدريس في مدرسته في سرخس — وعند ما دخلنا عليه ، وعرفه أنني ابن الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير ، نهض مرة أخرى ، واحتضنني ، وقربني إليه ، وقال : كنت في شبابي في مرو عند السيد الإمام محمد السمعاني ، أتعلم الفقه عليه . وعرض له السفر إلى مكة ، فعهد بي إلى أحد معيديه . ولما رجع ، كان ينبغي أن أقرأ عليه كل ما تعلمته في غيبتة . وذات يوم ذهبت إليه ، وكان قد جلس أمامه رجلان من كبار أئمة مرو ، وأخذوا يتحدثون معه . وكان السيد الإمام السمعاني يحكي حكاية حجه ، ثم قال : وعند ما وصلت إلى مكة أردت أن

أزور عبد الملك الطبري ، وقص هذه الحكاية التي كتبت من قبل .

حكاية :

قال الحكيم محمد الأبيوردي : كان لدينا رجل عظيم ، زاهد ، متعبد ، له مجاهدات كثيرة . قال : ظلت أتعبد طيلة عام ، وأنا أتضرع إلى الله ، وأطلب إليه أن يرشدني إلى خير أنال به درجة الشيخ أبي سعيد . وبعد أن أتممت عاماً على هذا النحو من العبادة والمجاهدة ، استسamt للنوم ليلة ، فرأيت في نومي هاتفاً يقول لي : لقد عمل الشيخ أبو سعيد بحديث من أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، حتى بلغ تلك الدرجة التي رأيته وسمعت بها . فاستيقظت من نومي ، وقت بكثير من العبادات والمجاهدات عاماً آخر ، وتضرعت إلى الله أن يطلعني على هذا الحديث ، وأن يظهر لي أي حديث من أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذي عمل به الشيخ . وبعد مغنى سنة أخرى في العبادة والمجاهدة ، رأيت في نومي هاتفاً يقول لي : ذلك الحديث الذي عمل به الشيخ هو الذي يقول فيه المصطفى : (ص ٣٨١) « صل من قطعك ، وأعط من حرملك ، واعف عمن ظلمك ! » . فاستيقظت ، وأدركت أنه ليس لي ولأمثالي أن أطلب مرتبة الشيخ أبي سعيد ، فقد لزم لي عامان من العبادة والرياضة والمجاهدة ، حتى قيل لي أي حديث من أحاديث المصطفى صلوات الله عليه وسلم هذا الذي قام به ، فلاشك أني لا أستطيع أن أقوم بالعمل الذي قام به .

حكاية :

قال أبو الفتح محمد بن علي الحداد : كان والدي يقوم بخدمة الشيخ سنين

طويلة . وعندما توفي الشيخ كان متغيباً . ولما رجع ، أقام بالمنزل ، وأخذ يذهب لزيارة الشيخ مرتين كل عام . وكنت أرسل معه أشياء إلى أبناء الشيخ ، تقرباً إلى حضرة الشيخ . وكان والدي يحكى لي دائماً حكايات عن الشيخ ويصف لنا طاعته ، ووجهه ، وشعره المبارك . وعندما توفي والدي ، خطر لي أن أذهب لزيارة - قبر - الشيخ أبي سعيد . ولما بلغت مشارف ميهنه ، توقفت حتى أقبل الليل . وذهبت إلى ميهنه ، وتوضأت وصليت ركعتين على باب ضريح الشيخ ، وجلست وأحنيت رأسي . واستولى على النوم ، فرأيت الشيخ في نومي ، على نحو ما وصفه والدي ، وقال لي : لا تطف حول أبنائي ، وإذا كنت تريد أن تتعلم طريق الله ، فاذهب عند « بانوفله » في سرخس . فاستيقظت ، وانتعلت حذاءي سريعاً . وذهبت إلى سرخس عند بانوفله - وكان من عظماء مريدي الشيخ ، وعندما أشرف الشيخ على الوفاة ، أمره بالذهاب إلى خانقاه الشيخ أبي الفضل حسن رحمة الله عليه في سرخس ، ففعل هذا . وقد تمت أمور كثيرة على يده هناك ، وأصبح له كثير من المريدين ، ونالت تلك الطائفة على يديه خيرات كثيرة . والآل يسمون هذه الخانقاه « خانقاه بانوفله » - وذهبت إلى خدمته ، وظهر لي على يديه كثير من النور في طريق الدين . وعندما توفي ، ذهبت إلى أبي القاسم القشيري . وسألني القشيري : من أين جئت ؟ . فحدثته بحكاية الحلم الذي كنت قد رأيته من قبل ، فبكي من أجل كرامات الشيخ ، وقال لي : لقد حدثت لي حادثة مع بانوفله ، فقد ذهبت مرة إلى سرخس في مهمة . وعندما وصلت إليها ، جاء جميع أئمة المدينة والولاية وعظماء الصوفية لاستقباله ، ما عدا بانوفله فقد تخلف . وكنت أتوقع أن يأتي للسلام علي ، فلم يفعل . وغضبت لذلك كثيراً . وذات ليلة رأيت المصطفى (ص ٣٨٢) عليه

الصلاة والسلام في النوم ، وقال لي : لقد وقف بانوفله خلف الأبواب ، فذهب إليها ، لأنه ينبغي عليك أن تذهب الآن للسلام عليه . فاستيقظت من نومي ، وذهبت في اليوم التالي لزيارة بانوفله وفق إشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام . وقد أصبح محمد الحداد هذا من عظماء هذه الطائفة ، بفضل إشارة الشيخ ، وإرشاد بانوفله ، رحمهما الله .

حكاية :

سمعت السيد الإمام ظهير الدين أسعد القشيري حفيد الاستاذ الإمام يقول : كنت قد اقترضت سبعمائة دينار نيسابوري من أجل الصوفية في نيسابور ، وقصدت المعسكر ، وكان الجند حينئذ في مرو . ولما بلغت ميهنة ، احتجزني أبناء الشيخ أبي سعيد عدة أيام ، وأكرموني كثيراً . وبعد أن أمضيت هناك مدة ، أعددت أموري لأذهب إلى مرو . وانتعلت حذائي ، وذهبت إلى الضريح ، وقد عزميت على هذا . وعندما وقعت عيني على قبر الشيخ ، أحنيت رأسي ، وأغمضت عيني ، فرأيت الشيخ عياناً ، وكأنما رفعت جميع الحجب عن عيني ، وكان يقول لي : هل فعل والدك أو جدك هذا الذي تفعله ؟ اذهب ، وعد إلى هناك ، وانتظر فسوف يتحقق هدفك . فخرجت ، وقلت أعدو الجواد . واكثروا دابة ، وقادوها إلى نيسابور . وعدت ومكثت في الخانقاه . وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن أقضي السبعمائة دينار قيمة القرض في ذلك الشهر . وقد تحقق في ذلك العام توفيق كبير ، فضلاً عن نفقات الخانقاه ، وأوقفت عليها أعيان طيبة . ولم يتيسر لي في سنة من السنين حياة بمثل هذا الرغد ، ببركة همة الشيخ قدس الله روحه العزيز ، وإشارته .

حكاية :

قال السيد الإمام أبو المعالي القشيري: بعد وفاة الشيخ أبي سعيد بعدة سنوات، كانوا قد أقاموا وليمة في خانقاه الشيخ في نيسابور. وكنت هناك مع والدي وأعمامي الإمام أبي نصر والإمام أبي سعيد. وحضر أيضاً جميع (ص ٣٨٣) أ كابر الأئمة والمتصوفة في المدينة. وكان معنا فخر الإسلام أبو القاسم ابن إمام الحرمين أبي المعالي، وكان متكبراً مشهوراً لا يزال في سن الشباب، فأخذ يقول لو الـدى كلاماً كثيراً. فقال له والـدى: لا تتحدث كثيراً فربما استدعاني الصوفية. فقال فخر الإسلام: اضحك على ذقن جميع الصوفية ولو بلغوا منزلة الجنيد، قال هذا وظل يتحدث.

ودخلت من باب الخانقاه قطة، وأخذت تسير من ناحية، وتشم واحداً واحداً من أولئك الجمع. ولما وصلت إلى فخر الإسلام، شمته، وتبولت عليه، وخرجت من باب الخانقاه. فانهار فخر الإسلام، وأدرك السبب في هذه الصفعة، ونهض ليعتذر. فأشاروا جميعاً إلى السيد الإمام أبي سعد القشيري، على أنه كبير الجماعة، ليعتذر إليه. ولما علم أبو سعيد بما حدث قال: ينبغي أن يكون هذا الاعتذار للشيخ أبي سعيد، فهذه كراماته وهذه خانقاته. وهو رغم مرور عدة سنوات على وفاته، إلا أنه لا يزال يشرف على الأحوال، وإذا ما ارتكب واحد من الجمع حماقة تولى عقابه. ووافق الجميع على هذا الرأي، وتوجه فخر الإسلام إلى ميهنه، واستغفر، وظهرت الأحوال للصوفية، ومزقوا الخرق، وغمرت النشوة الجميع.

حكاية :

مرض السيد ناصر ابن شيخنا قدس الله روحه العزيز في ميته ، بعد وفاة الشيخ بمدة ، فذهب إلى طيب في طوس ، وظل هناك عدة أيام . وعندما تحسن قليلا ، توجه لزيارة قبور المشايخ في « سفاقان » . ولما رجع ونام في تلك الليلة ، رأى الشيخ في النوم يقول له : يا ناصر :

« بيت »

— أنت تملك مسك التبت والعنبر الغض ،
فلا تنظر أيها الحبيب إلى العطور الأخرى .

واستيقظ السيد ناصر من النوم ، وعزم على الذهاب إلى ميته في الحال ، وغادر طوس في اليوم التالي (ص ٣٨٤) وجاء إلى ميته . وتوفي في ذلك الشهر .

حكاية :

قال الإمام أبو بكر محمد بن أحمد الواعظ السرخسي إنه سمع السيد أحمد ابن محمد الصوفي يقول : بعد وفاة شيخنا قدس الله روحه العزيز ، رأى درويش من دراويش الخانقاه في نومه ، أنه سأل الشيخ : أيها الشيخ ، لقد كنت مولعاً بالسماع في الدنيا ولعاً شديداً ، فما حالك الآن مع السماع ؟ .

فقال الشيخ :

« بيت »

— لقد أغناني صوت الحبيب ،
عن ألحان الموصلي ولحن الأرغول .

فلما قال الشيخ هذا البيت ، صرخ الدرويش ، واستيقظ من النوم ، واعتراه حال . ولما هدأ ، سألناه عما حدث ، فقص علينا هذه القصة .

حكاية :

عندما هزم كفار الخطا السلطان سنجر في مرو ، وحلت تلك الكارثة بالسلطان العظيم ، جاء الخوارز مشاه أنسيز إلى خراسان ، وذهب إلى باورد وقد عقد العزم على أن يغير على خاوران . ولما باغ موضعاً يقال له رباط « سربالا » على بعد فرسخ من ميهنه ، توقف جواده . وأخذ يضربه بالسياط ، ولكنه امتنع عن السير . فطاب جواداً آخر وركبه ، فتوقد ذلك الجواد أيضاً . وكان في معيته وزيره سيد العراق الصابندی فقال له : أيها الملك العادل ، يقال إن بهذه البقعة ، مكاناً عزيزاً مباركاً ، ففيها قبر شيخ كان فريداً في العالم ، فانزع من رأسك ما أضمرته بشأن هذه البقعة . فقال : لقد صدقت ، وسوف أفعل هذا . فسار الجواد في الحال .

واعتقد أنسيز اعتقاداً كبيراً في الشيخ ، وأرسل رسولا خاصاً إلى شحنة ميهنه وقال له : بشر أهل هذه المدينة (ص ٣٨٥) أنني قد غيرت رأبي ، وينبغي ألا تشق عليهم قط ، فهذه الولاية تابعة لخزانتى . وذكر أنه سيقم في هذه الناحية ثلاثة أيام . وخرج إليه أبناء الشيخ والصوفية ، فاحتفى بهم ، وأكرمهم كثيراً .

وكان أبو روح ابن عمى - عم المؤلف - متبحراً في فنون العلم ، فدعا له دعاء طيباً وحدثه كثيراً عن حالات الشيخ ، وكراماته ورياضاته . وأعاد - أنسيز - الجميع ، واحتجز لديه جمال الدين - أبا روح - وذهب معه بعد العشاء لزيارة

قبر الشيخ ، ثم صرفه بعد أن تم الاتفاق بينهما على أن يذهب إليه خلال هذه الأيام الثلاثة عند الفجر ، ويظل في خدمته طوال اليوم .

ولما رجع — أتسيز — إلى معسكره ، واطمأن أهل ميهنه ، ظهرت نار من ناحية القبلة ، وأخذت تزداد كل لحظة . وكان شعاعها ينعكس على صفحة السماء ، فتبدو محمرة وكأنما النيران قد اندلعت فيها . وأخذت الرياح تهب في عنف ، وأمسكت النار بجميع جبال ميهنه ، حتى بلغت ما يقرب من فرسخين . وكانت تبدو وكأنما اتجهت إلى المدينة ، وأوشكت أن تصل إليها . وكثر القيل والقال ، وعم الصخب المعسكر ، واستيقظ الخوارزمشاه أتسيز من نومه وشاهد تلك الحال ، ورأى خوف الجنود وفزعهم ، فغادر المكان قائلاً : لقد أشعل الشيخ النار فينا . وسار جيشه من خلفه .

وعندما وصل أهل ميهنه إلى المعسكر ، كان الجيش جميعه قد رحل . ولم يعرف أحد شيئاً مما حدث ، إلا أنهم كانوا يرون النار تندلع من ناحية القبلة والجبل ، ويشاهدون احمرار السماء وهولها . ولما حل فجر اليوم التالي ، لم يكن قد بقي في صحراء ميهنه من ذلك الحشم الكثير والدواب والجنود (ص ٣٨٦) أحد قط . وتعجب الناس كثيراً ، وتساءلوا كيف رحلوا في الليل ولم يطلع على رحيلهم أحد ، أو يسمع شخص صوت تحركاتهم .

وسأل أهل ميهنه عن مصدر هذه النار ، وعرفوا أن جماعة من المزارعين كانوا قد زرعوا غلالاً في ذلك الجبل القريب من ميهنه ، وقاموا بحصدها ، وجمعوا منها محاصيل كثيرة . وكانوا قد أوقدوا نارا في الليل ، وأمسكت النار ببعض

هذه الغلال ، وأهاجتها الريح ، فأخذت تشتعل ويسقط شعاعها على السماء .
وقد كانت هذه إحدى كرامات الشيخ ، قضى بها على فتنة الخوارزمشاه وظلمه .
أما هذه النار التي كانت على هذا القدر من الفداحة ، حتى أنها كانت تشتعل
فيما يقرب من مساحة فرسخين طولاً وعرضاً ، وكن بينها الكثير من الناس
والحيوانات والغلال ، فإنها لم تناف حبة قط من غلال أحد . وابتعد هذا البلاء عن
ميته وخاوران جميعها بحيث لم يصب أحد بضرر .

حكاية :

كان أوحـد الطائفة محمد بن عبد السلام أحد أبناء مولى جدى - جد
المؤلف - وعندما وقعت فتنة الغز ، استشهد فيها كثير من أبناء الشيخ ، فقتل
بجد السيف فى ميته وحدها خمسة عشر ومائة شخصاً من سلالة شيخنا قدس الله
روحه العزيز . وبعد مرور شهرين أو ثلاث ، توفي الكثير من أهل ميته بنسب
المرض والوباء والقحط الذى نتج عن هذه الأحداث . وقد بلغ حالهم من السوء إلى
حد جعلهم يجاون عنها تماماً ، واشتت من كان قد بقى من أهلها .

وظلت ميته خالية حتى رجع إليها نفر من الدراويش بعد عامين أو ثلاثة ،
وعمرروا القلعة التى كانت قد خربت ، وأقاموا بها . وكانت هناك مسافة كبيرة
بين تلك القلعة وضريح الشيخ . وقد ظل أوحـد الطائفة محمد بن عبد السلام هذا
مجاوراً فى ضريح الشيخ المقدس خلال هذه المدة ، لأنه كان مصاباً بعرج شديد
(ص ٣٨٧) يجعله يتحرك بصعوبة كبيرة . ولما لم يكن فى ميته ، عند هجرة
أهلها دواب ، وكان الناس أثناء فرارهم يسوقون أمامهم نساءهم وأولادهم ، ويسير

الجميع على أقدامهم وأطفالهم على أعناقهم ؛ فقد اضطر إلى البقاء فى المدينة ، ولجأ إلى ضريح الشيخ ، ولجأ معه بضعة أفراد من المكفوفين والضعفاء . وعندما رحل أهل ميهنه ظلوا فيها بمفردهم .

وفتح الحق سبحانه وتعالى بكمال فضله أبواب الرزق والنعم على أولئك الضعفاء ، وظهرت الخيرات فى ذلك المكان ، بينما أغار المفسدون على غيره من الأماكن . وكانت أنواع الإحسان تصل إليهم حتى لقد ذكر أنه لم يرفى حياته أحسن من هاتين السنتين . ولما عاد الدراويش واستقروا بالقلعة ، ظل يقوم بالخدمة فى ضريح الشيخ ، وبقي على هذه الحال أربعين عاما ، يؤدى حقوق الزيارة ، والخدمة فى هذه البقعة المقدسة . وكان إذا ماجاء درويش قام على خدمته ، وأرسل السيدات إلى القلعة . وكان يقيم على باب الضريح . وبعد مرور مدة طويلة ذهبت - أى المؤلف - إلى ذلك المكان وسألته : ماذا رأيت من كرامات الشيخ خلال المدة التى أقمت فيها بروضته المباركة ؟ . فقال : لم يمض يوم دون أن تظهر لى كرامة من كرامات الشيخ ، بحيث يتعذر على إحصائها . ولكننى سأقص عليك قصة كرامتين حدثتا لى ، ورأيتهما ، وحدثت الناس بهما ، فلم تكن لدى القدرة على أخفأهما . ولم أر مثلهما بعد ذلك ، وأدركت أننى لو كنت قد احتفظت بهذا السر ، لرأيت الكثير من هذه الكرامات . وندمت ، ولكن بدون جدوى .

الأولى : هى أنى اعتدت ألا أذهب إلى القلعة خلال فصل الصيف ، وكنت أنام طوال هذا الفصل على باب الضريح . وذات ليلة كنت نائما (ص ٣٨٨) وكانت هذه الليلة من الليالى الهائلة ، وكان القمر فيها بدرا . فأغلقت باب الضريح جريا على عادتي ، وتهيأت للنوم . وفى بداية نومي ، وصل رجل من أهل ميهنه

قادمًا من الصحراء ، فلما رأني نائمًا على باب الضريح ، نام — إلى جوارى —
على الأرض . واستيقظت في منتصف الليل ، وكان هناك صوت ينبعث من الضريح
يتلو القرآن . وأنصت جيدًا ، فسمعت شخصًا يقرأ سورة الفتح بصوت جميل .
وتعجبت لذلك ، فقد أغلقت أبواب الضريح قبل نومي ، فكيف فتحتها شخص
ودخل إليه ؟ . ونهضت ، فرأيت باب الضريح مغلقًا كما هو ، وكان القمر قد توسط
السماء ، وتبين لي أن هذا لا يمكن أن يكون إلا صوت الشيخ ، وأن هذه
القراءة له . وتملكني حال ، وحاولت كثيرًا أن أ منع نفسي من الافضاء بهذا الأمر
فلم أستطع . وأيقظت الرجل النائم إلى جوارى وقلت له : تأمل كيف يمكن سماع
صوته جيدًا بعد مضي أكثر من مائة عام على وفاته ! ! . وعندما استيقظ الرجل ،
احتجب الصوت فلم يسمعه كالانا .

والثانية : كان من عادتي صباح كل يوم من أيام الشتاء ، عند ما أذهب من
القلعة إلى الضريح ، أن أحضر معي ما تيسر من الطعام لأتناوله عند الظهر ، فقد
كان من المعتذر على بسبب بعد المسافة بين القلعة والضريح أن أعود لتناول الطعام .
وذات يوم لم أكن قد أكلت شيئًا ، وانتابني حمى ، وتقياأت بسبب ذلك . وفي
صباح اليوم التالي غلبني الجوع ، فلم أكن قد تناولت طعامًا ليوم وليلة ، فأخذت
كسرة من الخبز وبيضضة ، وذهبت لأتناول طعامي على باب الضريح . ولما وصلت
إليه رأيت درويشًا وقد ارتدى مرقعا ، وجاس على باب الضريح ، وأخنى رأسه
ووضع عصا وإريقا على كتفه . ولما وقعت عيني عليه ، تخليت عن بشرتي ، وشعرت
بالراحة والسكينة ، بحيث غبت عن نفسي .

وتقدمت إلى الضريح في بطاء ، وفتحت الباب . وعندما سمع صوت الباب ، رفع رأسه ، فألقيت عليه التحية ، فنهض لتحيتي ، وعانقني . وجلست إليه ، وسألته عن حاله . ورغم أنه لم يقل شيئاً ، فقد أدركت أنه وصل عند صلاة العشاء ، ولم يكن هناك من يعتنى به ، وظل هكذا ، وأمضى الليل كله (ص ٣٨٩) مستيقظاً في ذلك المكان . فوضعت الخبز والبيضه أمامه في الحال ، وآثرته على نفسي ، وأكلت معه قليلاً على سبيل الجمالة ، وقت على خدمته . وبعد أن فرغ من الطعام ، غسل يديه وجدد وضوءه ، وصلى ركعتين ، ولبس نعله ، وودعني وذهب . وأمضيت اليوم دون طعام أيضاً ، ولكنني لم أشعر بالجوع بسبب ما بعثته صحبة ذلك الدرويش في نفسي من الراحة .

ولما عدت إلى القلعة عند صلاة العشاء كانوا قد أعدوا طعاماً لا يناسبني ، فلم أتناول منه شيئاً . وظنوا أنني تناولت طعامي . ونمت جائعاً في تلك الليلة . وفي صباح اليوم التالي ، ذهبت كمادتي إلى الضريح بعد الصلاة ، وفتحت الباب ، ودخلت ، وقت بواجبي . ورأيت في المكان الذي يخلع فيه الداس أحذيتهم في مواجهة قاعدة قبر الشيخ ، كوزاجديداً ، أزرق اللون ، مملوءاً بالماء ، وقد وضع فوقه رغيفان طازجان من الدقيق الأبيض . ولمس لمستهما شعرت بسخونتهما . فرفعتهما ، وغلبني البكاء ، وأدركت أن هذه كرامة من كرامات الشيخ ، فلم يكن هناك مخلوق في هذه الساعة ، ولا يوجد بالجيرة أحد يمكن أن يكون قد أعد هذا الخبز في تلك الساعة . وجلست وأكلت الخبز . ولم أتناول قط طيلة عمري طعاماً أطيب منه ، ولم أشرب ماء أرد وأطيب وأحسن من ذلك الماء .

وكرامة أخرى هي أنني كنت جائعاً ، ولم أتناول طعاماً خلال ليالين ويومين ، وقد أحسست عندما ما أكلت هذين الرغيفين بالشبع ، بحيث لم أشته طعاماً ليومين آخرين .

وحين ذهبت إلى القلعة وقت صلاة العشاء ، واجتمع أهلها ، لم استطع الاحتفاظ بهذا السر . وحاولت كثيرا أرأمنع نفسى من الإباحة به ، فلم أستطع . وقلت : أيها الناس ، أنتم لا تعرفون قيمة ما تملكون ، ولا ترعون حق هذا القبر العظيم ، وجميع البلايا والحن (ص ٣٩٠) التى تصابون بها ، إنما هى بسبب ذلك ، وقصصت عليهم هذه الحكاية . ولم أر شيئا من هذه الكرامات بعد هذا ، فقد كنت غير أهل لذلك . وأدركت أنه لو لم أظهر هذه الكرامات لظهرت لى غيرها . وندمت ولكن بدون فائدة .

أما عن كرامات الشيخ التى ظهرت للآخرين فى وجودى ، فهى كثيرة جدا بحيث يتعذر على إحصائها . واقد قل الشيخ قدس الله روحه : ما أسعد من رآنا ، وما أسعد من رأى من رآنا ، وعد سبعة أشخاص على هذا النحو ، وقال : ما أسعد الذى رأى سابع شخص رأى من رآنا .

حكاية :

اعلم أن الكرامات التى ظهرت بعد وفاة الشيخ أكثر من أن يستطيع القلم أن يسطرها . ومنها هذه الكرامة التى قص قصتها ابن خالى أبو الفرج بن المفضل وابن أخى المنور بن أبى سعيد ، فقد ذكرا أنه أثناء غارة الغز ، كانت ميهنه قد خربت ، بحيث لم يعد هنالك من يستوطنها . وكان النفر القليل الذى يبقى من أهلها يسكنون القلعة . وكانوا يحضرون إلى القرية ، ويكسرون أشجار التوت الموجودة فى أنحائها للحصول على الوقود . وقد جئنا مع التلاميذ إلى محلة الصوفية ، وكسرتنا شجرة قريبة من الضريح . وكان الجو حارا فى ذلك اليوم ، ولم يكن بالحملة أحد سوانا . واخذنا كماهى عادة الصغار من سوء الأدب نحدث شغبا . وأخذ التلاميذ يضربون بالفأس ، وكان صوت ضجيجنا يملأ الحملة . وسمعنا صوتا

من باب الضريح يقول : ما هذا الذي تعملون ؟ . فنظرنا ، ورأينا شيخا واقفا على باب الضريح ، تصل ذقنه إلى وسطه ، على نحو ما وصف به شيخنا ، ووجهه أبيض مشرب بالحمرة وصاح فينا قائلا : ألن يأتي وقت نتخلص فيه من سوء أدبكم ؟ . وعندما وقعت أعيننا عليه ، هربنا وتركنا الآلات هناك ، حتى إذا ما جاء (ص ٣٩١) أحد بعد هذا إلى الحلة عند العصر ، ذهبنا معه ، وأخذناها هي والملابس . ولم نفعل بعد هذا شيئا مجافيا للأدب في هذه الحلة .

وهناك حوادث كثيرة من هذا النوع يصعب حصرها ، وإذا ذكرناها كلها يطول الكتاب .

والأمر كذلك فيما يختص بفوائد أنفاس الشيخ وحكايانه وكراماته وأمثال هذا ، فإن عشرين مجلدا في وصف حال الشيخ أشبه بقطرة من بحر ، على نحو ما ذكر السيد الإمام أبو الحسن المالكى فقد قال : لقد سمعت لعدد من الشيوخ الكبار يقولون إن الناس يتعجبون لكثرة كرامات الشيخ أبي سعيد ، وإشرافه على خواطر عباد الله وأحوالهم .

وقال الشيخ أبو سعيد : ليس لصاحب الكرامات منزلة كبيرة في هذه الحضرة لأنه يكون بمثابة الجاسوس ، وواضح أن الجاسوس ليست له منزلة في حضرة الملك . وليس لصاحب الإشراف على الولاية حظ أو نصيب من خيراتها إلا بمثل داني عن كل دينار . فاجتهد أن تكون صاحب ولاية حتى تكون كل شيء ، ويكون لك ملك كل شيء .

ويعرف من أقوال الشيخ أبي سعيد أن هذه الكرامات والإشراف على الخواطر ليست شيئا بالقياس إلى الحال التي كانت للشيخ . أما عوام الخلق فهم لا يعرفون أكثر من هذا القدر من منزلة الشيخ ، ويعدونّه عظيما ، ويفتنون به ،

ولكنه ليس شيئاً بالقياس إلى منزلة الشيخ ؛ لأنه ما لم يصل الانسان إلى منزلة أرفع ، فإنه لا يحتقر المنزلة التي هو فيها ، فالمسألة في نظره نسبية . وكان الشيخ لا يعتبر المنزلة التي وصل إليها شيئاً ، ولكن هذه المنزلة كانت عظيمة في نظرنا لأننا نجهل حقيقتها ، فحين لا نرى من الأعمال إلا ظاهرها ، وهذا ليس حكماً دقيقاً . نسأل الحق سبحانه وتعالى أن يمنحنا القدرة على رؤية الكرامات قبل الموت ، لأن الخلق سوف يحيون يوم القيامة بهذه الكلمات المباركة .

وإنني لأرجو من كرم العظماء الذين يطالعون هذا الكتاب ، ويجدون لذة في قراءة حالات شيخنا قدس الله روحه ، ومقالاته ، أو تبدو لهم حال ؛ ألا ينسوا في تلك الحال ، هذا الضعيف الداعي ، وذلك المذنب العاصي ؛ بل يذكره بالدعاء . وإذا بدت لشخص هداية من هذه الأقوال المباركة ، والحالات الشريفة ، (ص ٢٩٢) أو تحقق للسالك في طريق الحقيقة فتح بفضل هذه الأنفاس العزيزة ، ألا يغفل عن هذا المسكين بالدعاء ، وأن يمر بخاطرهم في الأوقات والخلوات ، ولا ينسونه إن شاء الله تعالى .

اسأل الله تعالى ألا يقطع ركات ملك الدين ، وسلطان أهل اليقين ، وزعيم أهل الطريقة ، وقدوة أهل الحقيقة عنا ، وعن كافة أهل الاسلام في أى حال . وأن يحشرنا في الدنيا والآخرة في زمرة خدم تلك الحضرة المباركة وغلمانها المقدسين . وأن يسعدنا بالانتساب إليه في الآخرة على نحو ما ذكره من أن إجابة الصغير على الكبير . وأن يكون شفيع أخطائنا وزلاتنا ، وأن يوقف قلوبنا على محبته ، وأجسادنا على خدمة أحبائه ، ولا يتركنا لأنفسنا أو للناس طرفة عين أو أقل من ذلك . وأن يهبنا مالا غنى لنا عنه في ديننا ودنيانا وآخرتنا ، ويمنحنا ملازمته وحضرته ومحبته دون مقابل ، بحق محمد وآله أجمعين .

ثبت بالآيات القرآنية

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٢٩	الحجر	« ونفخت فيه من روحي »	١٨
٤١	الرعد	« أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها »	٢٢
٢٢	الزخرف	« ولأنا على آثارهم مهتدون »	
٩٠	الأنعام	« أولئك الذين هدى الله فبهمداهم اقتده »	
٥٥	القمر	« فى مقعد صدق عند مليك مقتدر »	٢٧
٧٨	الحج	« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »	٣٨
١٩	نوح	« والله جعل لآلئكم الأرض بسطاً »	
٩١	الأنعام	« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون »	٤٢
٥٧	مريم	« ورفعناه مكاناً علياً »	٤٥
٦٢	الأنعام	« ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق »	٥١
١٣٧	البقرة	« فسيفكفونهم الله وهو السميع العليم »	٥٢
٣٥	الأنبياء	« ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون »	٥٤
		« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » (مكرره)	٦١ ، ٦٢
١٥	الاحقاف	« حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة »	٦٩
١٢	مريم	« يا يحيى خذ الكتاب بقوة وإني ناهى الجحش صبياً »	
٢٩	مريم	« قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً »	٧٠
١	الإنسان	« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً »	
٢	الإنسان	« إنما خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه »	
٦	الكافرون	« لآلئكم دينكم ولى دين »	٩٤
١١٦	المائدة	« أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله »	١١٧
٦٧	المائدة	« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك »	١٢٥
١٠	النجم	« فأوحى إلى عبده ما أوحى »	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٦٥	الزمر	« ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليجبن عملك »	١٢٩
١٩٨	الأعراف	« وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون »	١٥٣
٥٢	الشورى	« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما المكتاب ولا الإيمان »	١٥٤
٢٣	الأحزاب	« فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر »	١٨٥
١٧	النجم	« ما زاغ البصر وما طغى »	١٨٨
٥١	المؤمنون	« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً »	١٩١
٥٢	الحج	« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته » « الحمد لله رب العالمين »	٢١٩
٢	الفاتحة	« لمن الملك اليوم »	٢٢٠
١٦	غافر	« ولا تكونوا كآلئى نقصت غزلهما من بعد قوة أنكاثاً »	٢٣٩
٩٢	النحل	« ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين »	٢٤٠
٥٩	الأنعام	« ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى لانه لحق »	٢٤٣
٥٣	يونس	« الرحمن على العرش استوى »	٢٤٤
٥	طه	« فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »	٢٦٠
١١١	التوبة	« وإن من شئ إلا يسبح بحمده واسكن لا تفقهون تسبيحهم »	٢٧٢
٤٤	الإسراء	« إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد »	٢٧٣
٨٥	القصص	« ونهى النفس عن الهوى »	٢٨٧
٤٠	النازعات	« وسقاهم رجهم شرا با طهوراً »	٢٨٩
٢١	الإنسان	« وللسليمان الريح »	
٨١	الأنبياء		

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٦٢	الأنعام	«ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحسب وهو أسرع الحاسبين»	٢٩٢
١٥٢	آل عمران	«منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة»	٢٩٥
٨٩	النمل	«من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون»	٢٩٦
١	الإخلاص	«قل هو الله أحد»	٢٩٨
٢١٢	الشعراء	«إنهم عن السمع لمعزولون»	
٦٠	المملك	«قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»	
١٨، ١٧	الزمر	«فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»	
١٩	الشورى	«الله لطيف بعباده»	
١٣	سبا	«وقليل من عبادي الشكور»	٣٠١
٨٠	الزخرف	«أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون»	٣٠٥
٦	الفاتحة	«اهدنا الصراط المستقيم»	٣٠٦
٢٤	البقرة	«وقودها الناس والحجارة»	٣٠٩
١٩	العلق	«واسجد واقترب»	٣١٧
٤٠	النازعات	«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى»	٣١٩
١٠٦	يوسف	«وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»	
٤٨	النساء	«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»	
٢٥٦	البقرة	«فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله»	
١٣	الاحقاف	«إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا»	٣٢٠
١٣	الحجرات	«إن أكرمكم عند الله أتقاكم»	٣٢٢
١٢٦	الأنعام	«وهذا صراط ربك مستقيماً»	
٣	الطلاق	«ومن يتوكل على الله فهو حسبه»	٣٢٣
٣٧	يوسف	«ذلك بما علمني ربي»	٣٢٥
٢٠١	الرحمن	«الرحمن ، علم القرآن»	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٣٠	الملك	« قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأنيكم بماء معين »	
٧٦	القصص	« لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين »	٣٢٧
		« من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » (مكرره)	٣٢٩
٩٠	النمل	« ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون »	
		« الله لطيف بعباده » (مكرره)	
٥٨	يونس	« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »	٢٣٠
٧١	الأنعام	« كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران »	٣٣٥
٨٠	النساء	« ومن يطع الرسول فقد أطاع الله »	
٤٥	العنكبوت	« والله أكبر »	٣٣٦
١٠٧	الكهف	« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها »	٣٤٠
٧٠	الفرقان	« وأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات »	
		« وللسليمان الريح » (مكرره)	
٣٥	ص	« وهب لي ملسكا لا يذبحني لأحد من بعدي »	
١٣٨	البقرة	« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »	٣٤١
٤٣	الفرقان	« أرأيتم من اتخذ إلهه هواه »	٣٤٢
١٣	الشعراء	« فأرسل إلى هارون »	
٦٨	القصص	« وربك يخلق ما يشاء ويختار »	٣٤٣
		« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (مكرره)	
١٠٨	يوسف	« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا »	٣٤٥

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٧٦	الأنعام	« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ،	٣٤٨
١٦، ١٥	فاطر	« يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو	٣٤٩
١٧		الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد .	
		وما ذلك على الله بعزيز »	
٨٣	المائدة	« وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم	٣٥٠
		تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ،	
٤	الجمعة	« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »	٣٥١
٨١	النمل	« إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا »	
٧٠	الإسراء	« وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا ،	٣٥٢
٨	المنافقون	« والله العزة والرسول وللمؤمنين »	٣٥٩
٤	المدثر	« وثيابك فطهر »	٣٦٢
١٠٨	التوبة	« فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ،	
٣٧، ٣١	النور	« يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ،	
٩	المؤمنون	« والذين هم على صلواتهم يحافظون »	
٧٩	الإسراء	« ومن الليل فتعبد به نافلة لك ،	
١٨	الذاريات	« وبالأسحار هم يستغفرون »	
٧٨	الإسراء	« إن قرآن الفجر كان مشهودا »	
٤٠	ق	« ومن الليل فسبحه وأدبار السجود »	
٥٢	الأنعام	« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي	٣٦٣
		يريدون وجهه »	
١٧٧	البقرة	« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا .	
٦٢	النور	« وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى	
		يستأذنوه »	
١٩٥	آل عمران	« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل	
		منكم من ذكر أو أنثى بهضكم من بعض »	

رقم الآية	السورة	الآية	رقم الصفحة
٨٠٧	الحجرات	« أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم »	
١٥	لقمان	« واتبع سبيل من أناب إلى »	٣٦٥
٢٥٦	البقرة	« لا انفصام لها والله سميع عليم »	٣٦٧
١٥٦	البقرة	« إنا لله وإنا إليه راجعون »	٣٩٠

ثبت بأسماء الأعلام

أسماء الرجال :	أبو البقاء المفضل بن فضل الله :
(١)	٣٩١
آدم الصفي : ١٨ ، ١٩ ، ١٢٥ ،	أبو بكر (الأستاذ) : ١٧٤ ، ٢٢١ ،
٣٧٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٣	أبو بكر الجوزقي : ٢٨٧
آل أبي الخير : ٣٤٣	أبو بكر الحيري (القاضي) : ٢٤٣ ،
آل سلجوق : ١٨١ ، ١٨٣	أبو بكر الخطيب : ١١٣ ، ١١٤ ،
آل محمد : ٢٣٤	٣٧٤ ، ١١٥
إبراهيم (النبي) : ٢١٠ ، ٢٣٥ ،	أبو بكر الدروني : ٣٢٨
٤١٥	أبو بكر الشبلي (أنظر الشبلي)
إبراهيم (القوَّال) : ٣٧٧	أبو بكر الشوكاني : ١٤٢
إبراهيم نبال : ١٤٠ ، ٢٦٤ ،	أبو بكر الصابوني (السيد الإمام) :
٢٦٥	٢٢٧
إبليس : ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٦٦ ،	أبو بكر الصديق : ٢٨٩ ، ٣٥٦ ،
٣٤٥ ، ٣٤٣	أبو بكر بن عبد الله (الدروردي)
إبن سريج : ٣٦	٢٠٧
أبو أحمد (الأستاذ) : ٧٨ ، ٧٩ ،	أبو بكر القفال المروزي : ٤٠ ،
٣٠٢	١١٣
أبو أحمد (الشيخ) : ٩٩	أبو بكر الكتاني : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
أبو إسحاق الأسفرايني : ٢٩٠	أبو بكر الكرامي (إسحاق) : ٨٩ ،
أبو البدر (الإمام) : ٤١٥	٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٤٤
أبو البركات (السيد) : ١٢٨ ، ٢٢٨	أبو بكر بن أحمد الواعظ السرخسي :
٣٦٨	٤٣٠ ، ١٢٩

أبو حفص الحداد : ٢٨٩
 أبو حمزة النوري : ٢٩٣
 أبو حنيفة السكوني : ٣٨ ، ٣٧
 أبو الخير (والد الشيخ أبي سعيد) :
 ٣٦ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١
 أبو الدراوردي : ٣٨
 أبو الدرداء . ٢٣٠
 أبو روح (أنظر جمال الدين أبو
 روح)
 أبو سعد (سعيد) أسعد بن سعيد
 (شيخ الإسلام) : ١٨ ، ٦٩ ، ٧٩
 ١٢٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩١
 ٤٢٢
 أبو سعد دادا : ٣٩٦ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ،
 ٤١١
 أبو سعد بن محمد السمعاني : ٤٢٤
 أبو سعيد سعيد بن أبي الخير (أنظر
 أبو سعيد فضل الله)
 أبو سعيد الحداد (الإمام) :
 ٣٥٦
 أبو سعيد الخشاب (الخادم) :
 ١١١
 أبو سعيد العياري (السيد الإمام)
 ٣٤

أبو بكر المؤدب (السيد) : ٩٩ ،
 ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٣٠٢ ،
 ٣١٠ ، ٣١١
 أبو بكر النوقاتي (الأستاذ) : ٢١٣
 أبو بكر الواسطي : ٢٣٠ ، ٢٩٥
 أبو جعفر : ١١٨
 أبو جعفر القابني : ٢٨٠
 أبو الحسن (الخادم) : ١٩٨
 أبو الحسن (الأعرج) الأبيوردي :
 ٣٩٠
 أبو الحسن البوشنجي : ٢٧٥
 أبو الحسن الخرقاني : ٦٤ ، ٦٦ ،
 ٦٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٥٠ ،
 ٢٩٠
 أبو الحسن الروافي (الإمام) :
 ٢٢٠
 أبو الحسن السنجاري (الشيخ) :
 ١٥٢
 أبو الحسن النوري : ٢٧٢ ، ٢٩٣
 أبو الحسن علي بن المثنى : ٢٩٥
 أبو الحسن الغاروزي : ٣٢٨
 أبو الحسين التوني : ١١٦ ، ١١٧
 ١١٨
 أبو الحسين المالكي : ٤٣٨

أبو سعيد القشيري : ٤٢٩

أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير

الميهني : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ،

٤١ : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ،

٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ،

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،

١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥ ،

٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٢٩ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،

١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ،

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،

٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٣ ،

٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ،

٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ،

٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ،

٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ،

أبو سهل الصعلوكي : ٢٩٠

أبو صالح (المقري) : ٣١٠ ،

٣١١

أبو صالح الدنداني (الشيخ) :

١٣٨

أبو طالب الجعفري (السيد) :

١٩١ ، ١٩٢

أبو طاهر الخاتوني ١٦٠٠

أبو طاهر سعيد بن فضل الله (السيد)

٢٠ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٤٠١ ، ١٠٥ ،

١٦٠ ، ١٠٢ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،

١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،

٢٤٠ ، ١٤١ ، ٢٧١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ،

٣٧١ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،

٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ،

٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٤٩ ، ٤٢٠

أبو عاصم العياضي (الإمام) : ٢١٦

أبو العباس الريكاني : ٢٥٨ ،

٢٥٩

أبو العباس الشقاني : ٢٤٧

أبو العباس القصاب : ٥٦ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٣٠ ، ٢٨٤ ، ٣٩٧ ،

الفقيه ، الإمام أبو علي : ٤٠ ،

٤٢ ، ١٥٣ ، ٢٩٧

أبو علي السنجي : ٤٠

أبو علي سياه (الشيخ) : ١٩٣ ،

١٩٤ ، ٢٦٩

أبو علي بن سيناء (السيد) : ٢٢٢ ،

٢٢٣

أبو علي شجوي (الشيخ) : ٢٨٣ ،

٢٨٤

أبو علي الطوسي (أنظر : أبو علي

الفارمدي)

أبو علي العثماني (السيد الامام) :

٢٦٥

أبو العرضي (الأمير) : ٧٨

أبو علي الفارمدي : ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٧

أبو علي الفقيه : ٤٠ ، ٤١

أبو المطهر بن فضل الله : ٣٩٠

أبو عمرو (صهر أبي القاسم القشيري) :

٩٩

أبو عمرو الفراهي : ٤٠

أبو عمرو البشخواني : ٣٨ ، ١٧٨ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

أبو عمرو بن نجيد السلي : ٢٩٠

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،

أبو العباس المغربي : ٢٩٥

أبو عبد الرحمن السلي (عبد الرحمن

السلي) : ٥٠ ، ٦٠ ، ١٥٢ ، ٢٣٧ ،

٢٩٠ ، ٣٥٥

أبو عبد الله باكو (عبد الله باكو) :

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

أبو عبد الله الحضري (الإمام) :

٣٦ ، ٤٠

أبو عبد الله الداستاني : ٦٩

أبو عبد الله الرازي : ٢٧٦

أبو عبد الله الرازي : ٢٧٦

أبو عبد الله الكرام : ١١٦ ، ١٥٠

أبو عثمان الحيري (عثمان الحيري) :

٦٠ ، ١٢٨

أبو عثمان المغربي : ٢٩٥

أبو العز الموفق بن سعيد : ٣٩١

أبو العلا ناصر بن فضل الله : ٣٩٠ ،

٤٣٠

أبو علي (الشيخ) : ٧ ، ٥٨

أبو علي الترشيدي : ١٠٥

أبو علي الدقاق : ٥٨ ، ٧٠ ، ١٠٢ ،

١٠٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٥

أبو علي زاهر بن أحمد (أبو علي

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧٢ ، ١٩٨ ، ٢٣٢ ،
 ٢٥٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٥٥ ، ٤٢٧ ،
 أبو الفضل محمد بن أحمد النوقاني :
 ١٧٤ : ٣١٤
 أبو القاسم بشر ياسين : ٣٣ ، ٣٤ ،
 ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤
 أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي
 (انظر : الجنيد)
 أبو القاسم الجنيد بن علي الشرفقاني .
 ٤٥
 أبو القاسم الجويني (فخر الإسلام) :
 ٤٢٩
 أبو القاسم الحسكيم : ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 أبو القاسم الروباهي : ١٢٨ ، ٤١٢ ،
 أبو القاسم الزراد : ١٨١
 أبو القاسم القشيري (الأستاذ الامام) :
 ٨٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ،
 ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٧ ،
 أبو القاسم الجرجاني : ٨١ ، ١٤٤ ،
 ٢٠٧
 أبو القاسم النصر آبادي : ٥٠

أبو عمرو خشكويه (حسكو)
 النيسابوري : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
 أبو الفتح (المريد) ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 أبو الفتح بن طاهر بن سعيد (السيد
 الشيخ) : ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٧١ ،
 ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ،
 ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ،
 ٤١٦ ،
 أبو الفتح بن عباس (السيد الامام) :
 ١١٢
 أبي الفتح بن فضل الله (السيد)
 ٤١٣
 أبو الفتح محمد بن سام : ٢٥
 أبو الفتح محمد بن علي الحداد (محمد الحداد) :
 ٤٢٦ ،
 أبو الفتوح العياضي : ١٥١
 أبو الفتوح الغضائري : ١٠١ ؛
 ١٠٢ ، ٤٢٤
 أبو الفتوح مسعود بن فضل الله :
 ٣٩١
 أبو الفخر بن المفضل : ٤٣٧
 أبو الفرج المفضل بن أحمد العامري : ٣٩١
 أبو الفضل الشامي : ٤٢٠ ، ٤٢١
 أبو الفضل القراني : ٢٦١
 أبو الفضل حسن السرخسي (الشيخ)

أبو القاسم الهاشمي : ٧٩ ، ٨٠
أبو القاسمك (الحاجب) : ٩٢ ، ٩٣
أبو لبابه الميمني : ٤٠
أبو محمد الجريري : ٦٨
أبو محمد الجويني (السيد الإمام) :
٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ،
٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
أبو محمد العنازي : ٣٣ ، ٣٨٨
أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش :
٤٣ ، ٢٨٥
أبو مسلم الفارسي : ١٥٢
أبو المظفر بن فضل الله : ٣٩٠
أبو المعالي الجويني (إمام الحرمين) :
١٠٣ ، ١٠٨ ، ٢٥٨
أبو المعالي القشيري (الإمام) :
٢٢٩
أبو منصور الورقاني : ١٣٩ ،
٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨
أيو نصر (الشيخ) : ١٠٤
أبو نصر الحرصي : ٩٧ ، ٤١٢
أبو نصر السراج : ٤٣ ، ٧٨
أبو نصر الشيرازي : ١٥٧ ، ١٥٨ ،
١٠٩

أبو العياضي السرخسي : ١٤٥ ،
٢١٦
أبو نصر القشيري : ٤٢٩
أبو الوفا المظفر بن فضل الله : ٣٩٠
أبو هريرة : ٢٨٣
أبو يزيد (أنظر : بايزيد)
أبو يعقوب النهرجوري : ٢٩٣ ،
٢٩٤
أبو يوسف (القاضي) : ٢٨١
أتسيز الخوارزمشاه : ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
٤٣٣
أحمد (ابن أبي الحسن الخرقاني) :
١٦٠ ، ١٦١
أحمد (مرید أبي الفضل حسن) :
٤٩ ، ٣٠
أحمد بانوفله (انظر : بانوفله)
أحمد حمويه (انظر : حمويه)
أحمد الدهستاني : ١١٢
أحمد الطابراني : ٣١٤
أحمد بن مالك الشوكاني (الإمام) :
١٠٣
أحمد النجار : ٥٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩
أحمد أبو شره : ٢٤٨ ، ٢٤٩
أحمد بن أبي الليث : ٣١٥ ، ٣١٦

أحمد العدني : (أنظر محمد بن عليان)
أحمد (ابن الصوفي) : ٢٦٧
أحمد بن نصر (الشيخ) : ٥٨ ،
٣١٦ ، ٥٩٣

إدريس (النبي) : ٤٥
إسماعيل بن إبراهيم : ٣٥٧
إسماعيل الساوي (الشيخ) : ١٥٤ ،
٣٨٠

إسماعيل الصابوني : ١٤٦ ، ١٥٣ ،
٣٠٥ ، ٢٥٧ ، ٢٤٤ ، ٢٣١ ، ١٧٢ ، ١٥٤

إسماعيل بن عباس : ١٢٨
إسماعيل بن مكرم : ١٤٨
إسماعيلك (ابن أبي علي الدقاق) :

١٠٤

أشرف بن أبي اليمان : ٢١١ ، ٤١١

٤١٥

أصحاب الصفة : ٣٦٢
أصحاب الكهف : ٣٣٩
أميره (أنظر : ميره)
الانصاري (أنظر : عبد الله الانصاري)
أيشي نيلي : ٩٥ ، ٩٦

(ب)

بابا حسن (إمام الشيخ في الصلاة)

٢٣٣ ، ٢٣٤

بابو بو الخير (والد الشيخ أبي
سعيد أنظر أبو الخير) .

بانوفله : ٤٢٧ ، ٤٢٨
بايزيد البسطامي : ٢٧ ، ١١٣ ، ١٦٤ ،
٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٣٢٣
بحر (الجنى) : ٣٨٩
البخاري : ٢٨٣
البخاري (الإمام الكبير) : ٤٢٥
بشر الحافي : ٣٨
بغراخان : ١١٣
بلال الحبشي : ١٢٢
بني اسرائيل : ٢٩٤

(ت)

تاج الاسلام (أنظر : أبو سعد بن
محمد السمعاني)

التركان : ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٤٥

(ث)

ثابت : ٢٩٧

(ج)

جابر بن عبد الله : ٣٤٥
جعفر بن محمد (الصادق) : ٣٧ ،
٥٠ ، ٣٥٩

جغري بيك (السلطان) : ١٨٢ ،
١٨٣ ، ٢٧١

جمال الدين أبو روح لطف الله ابن
أبي سعيد : ٢٣ ، ٤٣١

جمشيد : ٢٣٨

الجنيد بن محمد البغدادي : ٤٣ ،

حسين بن عباد الويشي : ١٥١
 حسين بن منصور (الحلاج) : ٩٤
 حمدان (الامام) : ٦٢
 حمزة (السيد) : ٢٣٦
 حمزة التراب : ٢٣١ ، ٢٣٢
 حمزة السكاك : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٥
 ٢١٦ ، ٢٥٥
 حمويه (السيد) : ١٧٨ ، ١٨٥
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
 ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩
 حميد محويه : ٤٠
 حواء : ١٨

(خ)

خديجة : ٣٤٢
 الخضر : ٤٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٧
 ٤٢٤

الخضري : ٣٧
 خطيب الكوفي : ٣٠٢

(د)

دادا : ٢٧١ ، ٢٧٢
 داود (النبي) : ٢٨٢ ، ٢٩٧
 داود الطائي : ٤٣ ، ٦٨ ، ٢٩٧

(ذ)

ذو النون المصري : ٢٧٥

(ر)

رابعة : ١٢٩٧

٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٦٥ ، ٦٨ ، ٥٠
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠

(ح)

حي (الشيخ) : ٢٣٨
 حبيب المعجمي : ٤٣ ، ٦٨
 حسن (انظر : نظام الملك)
 حسن (السيد الاجل) : ٢٤٧
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
 الحسن البصري : ٤٣ ، ٦٨ ، ٣٥٤
 حسن الجاناروي (الشيخ) : ٤١٥
 حسن السمرقندي (السيد الامام) :
 ٢١٣

حسن بن المؤدب : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩
 ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١١
 ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩
 ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٠
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧
 ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥
 ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩
 ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٦
 ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٠٠
 ٣٠٥ ، ٢٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦
 الحسين (أمير المؤمنين) : ٥٠
 حسين (القاضي) : ٢٦٩ ، ٣٧٢

راحة : ٣١٣ ، ٣١٤

(ز)

زكريا : ٢٨٨

(س)

سرى السقطى : ٢٣ ، ٥٠ ، ٦٨ ،

٢٨٢ ، ٢٨٤

سعيدة الصوفية : ٣٥٥

سفيان الثوري : ٢٨٥

سليمان (النبي) : ٢٦ ، ٢٨٩ ، ٣٤٠ ،

٣٤٨

سنجر بن ملكشاه (السلطان) :

٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٢٢ ، ٤٣١

السنكاني (السيد) : ٢٤٧ ، ٢٤٨

سوري : ١٤٩ ، ١٨٣

سهل بن عبد الله : ٢٣٠ ، ٢٧٩

سيارى : ٢٩٣

سيد بن محمد (الأمير) : ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧

سيف (القاضي) : ١٩٩ ، ٢٠٠

(ش)

الشافعي المطلبى : ٣٦ ، ٢٧ ، ٤٠

الشبلى (أبو بكر) : ٥٠ ، ٢٦٥ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧

شبولي : ١٨٤ ، ١٨٥

(ص)

الصابندي (سيد العراق) : ٤٣٠

صاعد (القاضي) : ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢

٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٦ ، ٢٤٤

صاينه : ٣١٣

(ط)

طغرل (طغرلبيك السلطان) : ١٣٩ ،

١٤٠ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

٣٦٥ ، ٣٨٨

طلحه بن يوسف المطار : ٣٠٠

(ظ)

ظهير الدين أسعد القشيري : ٢٨ ، ٢٩

(ع)

عائشة الصديقة : ٢٩٨

عبد الجليل (رشيد الطائفة) : ٤٨ ، ٤٩

عبد الرحمن (المقرئ) : ١٢٤ ، ١٢٥

٢٣٧ ، ٢٣٨

عبد الرحمن الصنعاني : ٢٨٣

عبد الرحيم (الامام) : ٢٦٦

عبد الرازق الصنعاني : ٢٨٣

عبد الصمد بن الحسين الصوفي .

السرخسي : ٤٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٠٩

عبد الكريم (الخادم) : ٢١٤ ، ٢١٥

٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨

عبد الكريم الازجاي : ٢٦٦

عبد الملك بن شادان : ٢٠١

عبد الملك الطبرى : ٤٢٤ ؛ ٤٢٦
عبد الله الانصارى (أبو عبد الله
الانصارى — الشيخ) : ٢٦٠
عبد الله بن عمر : ٢٩٦
عبد الله بن الفرّج العابد : ٢٧٩
عبد الله بن مبارك : ١٩٤ ، ٢٩٠
عز الدين محمود الالباشى الطوسى : ٧٨
عزة : ٣٣٠ ؛ ٣٩٧
عقب (الجنى) : ٣٨٩
عقبة بن عامر : ٢٣٣
على حسن (السيد) : ٣٩٤
على الخباز (السيد) : ١٩١ ، ١٩٤ ،
٢٦٩ ، ٣١٦ ، ٢٩٤
على الصندلى : ٣٠٦
على الطرسوسى : ٢٤٧ ، ٣٠١
على (المحتسب) : ٤١٣ ، ٤١٤
على بن أبى طالب (أمير المؤمنين) :
٤٤٤ ، ٥٠٠ ، ٦٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤
على (زين العابدين) : ٥٠
عليك (السيد) : ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٩٠ ؛ ٣٩٥ ؛ ٣٩٨
عماد الدين محمد بن عباس : ٢١٢ ، ٢١٣
عمار : ٣٠٢
عمر بن الخطاب : ٢٧٤ ، ٣٤٨
عمر الشوكانى : ٨٤ ، ١٠٣ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ؛ ٢٠٣ ؛ ٤١٢
ومران (الخادم) : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨

عمرو (الجنى) : ٣٨٩
عيسى بن مريم : ٦٩ ، ٤١٥
(غ)
الغز : ٢١ ، ٦١ ، ١٧٣ ، ٢٣١ ،
٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٤١ ، ٤٢٧
(ف)
فاطمة (ابنة أبى على الدقاق) : ١٠٢ ؛
١٠٣
فاطمة (ابنة السيد أبى طاهر) : ٢٤٠
فاطمة الزهراء : ٣٠٣
فرعون : ٢٣٨
فضل الله بن أبى الخير (انظر :
أبو سعيد فضل الله)
(ق)
قتيبة : ٤٢٠
(ك)
كثير : ٢٩٧
كعب الاحبار : ٢٧٤
كلب الروم : ٢٩٢
كمال الدين بن أبى سعيد : ٧٩
(ل)
لقمان السرخسى : ٤٠ ، ٤١ ، ٦١ ؛
٢٧٧ ؛ ٢٢٨ ؛ ٢٥٥ ؛ ٢٥٦
(م)
مالك الشوكانى : ٢٠٠ ؛ ٢١١
مالك بن أنس (ملك بن أنس) : ٣٨

٣٦٨ : محمد العارف النوقاني
 محمد العنازي (أنظر : أبو محمد
 العنازي)
 محمد القايني : ٢٥٧
 محمد بن كوهيان : ١٥٣
 محمد بن أبي إسحاق (الشيخ) : ٤١١
 محمد بن أبي نصر الختني : ١١٣ ؛
 ١١٤ ؛ ١١٦
 محمد الباقر : ٥٠
 محمد بن حسام : ٢٨٠
 محمد بن عبد السلام (أوحى الطائفة) :
 ٤٣٣
 محمد بن عبد الله الطبري : ٦٨
 محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني :
 ٣٧٣
 محمد بن علي القصاب : ٢٩٥
 محمد بن المنور : ٢٠
 محمد بن عليان النسوي (أحمد بن علي) :
 ٦٠ ؛ ٤١٢
 محمد بن المضل : ٥٧
 محمود (السيد) : ٨١ ؛ ٨٢
 محمود (السلطان السلجوقي) : ٤٠١
 محمود بن سبكتكين (السلطان) :
 ٣٢ ؛ ٩٠ ؛ ٢٨٨ ؛ ٢٩٣
 مريم : ٦٩
 المزني : ٢٦
 مسعود (الأمير) : ٢٠٨

ماهك : ٣١٢٠
 محمد المصطفى (رسول الله ، النبي ،
 الرسول) : ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ ،
 ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
 ١٢٩ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٦ ،
 ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،
 ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،
 ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ،
 ٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤٢٦ ،
 ٤٢٧ ، ٤٢٨
 محمد (الحاجب ، عميد خراسان) :
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢
 محمد (أنظر : سيد بن محمد) : ٤٢٦
 محمد (العالم) : ١٤٢
 محمد الجويني (أنظر : أبو محمد الجويني)
 محمد السمعاني : ٤٢٥
 محمد الشوكاني (السيد) : ٨٤

مسعود (السلطان الغزنوي) :

١٨٢ ، ١٨٣

مسلمة بن عبد الملك : ٢٩٦

مصعد النوقاني (السيد) : ٣١٣

المظفر (ابن الشيخ) : ٦٠

المظفر بن حمدان النوقاني (السيد

الامام) : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٣١٣ ، ٣١٤

المظفر السمعاني : ٤٢٥

معاذ : ٣٤٩

معاوية بن أبي سفيان : ٢٧٦

معروف السكرخي : ٤٣ ، ٦٨ ، ٥٠

المعشوق الطوسي : ٧٧ ، ٧٨

المعمر الازهرى : ٢٨٣

المفضل (ابن الشيخ) : ٢٢٨ ، ٢٢٩

ملكشاه (السلطان) : ٤٠٠ ، ٤١٧

المنور بن أبي سعيد (نور الدين) :

١٩٤ ، ٢٥٠ ، ٣٩٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ،

٤٣٧

موسى (النسبي) : ٢٩٤ ، ٣٤٢ ، ٤١٥

موسى (الشيخ) : ١٤٧

مهد (مهدى) البارودى (الشيخ) :

٤٢٢ ، ٤٢٣

ميرة : ١٩١

الميكاليين : ٣١٣

(ن)

ناصر الدين أبو محمد : ٤٢٥

ناصر المروزي (الشيخ) : ٤٠

النجار (السيد) : ٢٣٩

نظام الملك (حسن) : ٧٩ ، ١١٢ ،

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

٤١٧ ، ٤١٨

نمرود : ٢٢٨ ، ٣٣٥

(و)

الوليد : ٢٩٦

(هـ)

هامان : ٢٣٨

هارون : ٣٤٢

(ى)

يحيى (التركي) : ١٩٣

يحيى (ماوراء النهر) : ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٨

يحيى بن زكريا : ٦٩

يحيى بن معاذ الرازي : ٢٧٩ ، ٣٩٣

يعقوب (النبي) : ٤١٥

يوسف بن الحسين : ٢٧٥

أسماء الأماكن والبلاد

بشولة : ١٣٤	ابيور (انظر : باورد)
بغداد : ٤٣ - ٥٤ - ٣٠٠ - ٢٠٩ -	ارزيان : ١٦٦
٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤١٠ - ٤١١ -	ازجاه : ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ -
بغشور : ٢٦٨ - ٢٦٩	٢٠٦ - ٢١٥ - ٢٥٥ - ٢٩٢ - ٣٧٢
بلغ : ٣٦٣	استراباد : ٢٩٥
بلغار : ١٣٢	استو : ٤٠
بوابة الحيره : ٢٢٤ - ٢٢٥	إصفهان : ٢٠٤ - ٤١٧
بوابة رودبار : ٢٣٦	آمل : ٥٦ - ٦٣ - ٦٨ - ٨٣ - ٨٤ -
بوابة شوخنان : ١٧١	٢٩٧
بوابة نوبهار : ٢٤٥	اندرزن : ٢٢٣
بوشنج : ١٢١	اندرمان : ٥٨
بوشنج هراة : ١٧٨	باب السرة : ٢٦٠
بيت المقدس : ٢١٧ - ٤٢١ -	باب الحبيب : ٢٢٢
تركستان : ٢٧١	باب ينى شيبه : ٢٨٢
تياران : ٤٥	يادنه : ١٨٢ - ١٨٩
جاجارم : ١٦٨ - ١٦٩	باز : ٧٧
جبل الاسكام : ٢٨٤	باورد (ابيور) : ٤٠ - ٤٦ -
جناشك : ١٦٨	٥٤ - ٥٦ - ٥٧ - ١٨١ - ٢١٦ - ٢٥١ -
الحجاز : ١٦٠ - ١٨١ - ٢٤٨ -	بخارى : ٥٤ - ٥٨ - ٨٧ - ٨٨ - ٣١٨ -
حرو (نهر) : ٤٥	بسطام : ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٦ -
حى الحرب : ٢٥٠ - ٢٥١	١٦٧ - ١٦٨
حى المسيحيين : ٧٩	بستقان : ٣٠١
حى ناورسار : ٢٩٢	بشخوان : ١٧٩ - ١٧٠

حسین آباد : ۲۳۹

(خاوران) : ۴۰ - ۲۳۲ - ۳۷۵ -

۴۰۱ - ۴۱۴ - ۴۳۳

خانقاه بنو فله : ۴۲۷

خانقاه سروای : ۵۸

خانقاه عدنی کوبان (محله) : ۸۱ -

۸۸ - ۹۱ - ۱۰۱ - ۱۱۱ - ۱۱۳ -

۱۱۶ - ۱۴۱ - ۱۵۶ - ۱۵۷ - ۲۲۴ -

۲۵۳ - ۲۶۴ - ۳۰۷ - ۴۱۳

النخین : ۲۵۱

نخد اشاد : ۱۷۰

خراسان : ۲۱ - ۳۳ - ۵۴ - ۵۹ -

۶۰ - ۱۱۲ - ۱۵۳ - ۱۶۴ - ۱۷۹ -

۱۸۱ - ۱۸۲ - ۱۸۳ - ۱۸۴ - ۱۸۷ -

۲۴۵ - ۲۶۲ - ۲۶۴ - ۲۶۶ - ۲۶۷ -

۲۸۷ - ۳۰۱ - ۴۰۱ - ۴۰۶ - ۴۰۸ -

۴۲۵ - ۴۳۱

خرقان : ۱۶۰ - ۱۶۱ - ۱۶۶ -

۱۶۷ - ۱۶۸ - ۱۶۹ - ۱۷۰

خوجان : ۴۰

دامغان : ۱۶۴

دربند : ۱۶۹

درمیون : ۱۲۳

دره کز : (وادی السکیز) : ۵۷

دستجرد : ۲۵۵

دندانقان : ۴۰۱

دوبرادران : ۷۷

رباط بورجا : ۲۵۶

رباط زعقل : ۴۶ - ۲۰۹

رباط سربالا : ۴۳۱

رباط سرکله : ۴۶ - ۳۹۲ - ۴۱۴

رباط عبد الله مبارك : ۲۷۰

الرباط القديم : ۴۶ - ۴۸ - ۴۱۹

رباط المقبرة : ۴۶

ردان : ۵۸

رودبار : ۱۴۴

الروم : ۳۱۱

ریسکا : ۲۵۸

رفیقان : ۱۷۴ - ۲۰۱ - ۲۰۳

ژردک : ۱۹۶

زعقل (أنظر : رباط زعقل)

سبزوار : ۱۶۶

سراجان (مدرسة) : ۱۴۲

سرخس : ۴۰ - ۴۱ - ۴۹ - ۵۰ -

۵۴ - ۵۷ - ۶۱ - ۷۲ - ۷۹ - ۸۵ -

۱۵۱ - ۱۵۳ - ۱۸۳ - ۱۹۲ - ۱۹۸ -

۱۹۹ - ۲۲۷ - ۲۵۱ - ۲۵۵ - ۲۵۶ -

۲۹۶ - ۴۰۰ - ۴۲۵ - ۴۲۷

سرداوه : ۲۰۱

سفالقان : ۴۳۰

سمرقند : ۲۸۷

سوق الکرمانيين : ۲۲۴ - ۲۲۵

کرمان : ۳۹۴
 الکعبة : ۱۶۳
 کاف : ۱۶۹
 کورونی : ۱۶۹
 الکوفه : ۱۸۱
 ماوراء النهر : ۱۱۳-۱۷۶-۱۷۸-
 ۱۸۶-۲۶۶-۳۰۹-۳۲۷
 المدينة : ۳۱۷
 مرو : ۳۶-۴۰-۴۶-۱۱۳-۱۱۴
 ۱۱۶-۱۳۲ و ۱۳۳-۱۹۳-۱۹۴-
 ۱۹۵-۲۰۵-۲۰۹-۲۲۷-۲۶۹-
 ۲۷۰-۲۸۶-۲۹۱-۲۹۳-۳۰۳-
 ۳۱۶-۳۶۳-۳۷۴-۳۹۴-۴۰۰-
 ۴۰۱-۴۲۸-۴۳۱
 مرو الورد : ۳۶۸-۳۶۹-۳۷۲-
 مكة : ۱۸-۷۰-۱۶۲-۱۶۶-
 ۱۷۸-۱۷۹-۲۷۴-۷-۳-۴۳۴-
 ۴۲۵
 ملقباد : ۱۲۸
 ميهنه (ميهنه) : ۲۱-۲۲-۳۱-
 ۳۲-۳۶-۴۳-۴۴-۴۵-۴۶-
 ۴۷-۵۰-۵۶-۶۰-۶۸-۷۴-
 ۷۷-۸۳-۸۴-۸۸-۸۹-۱۳۸-
 ۱۴۲-۱۴۵-۱۵۲-۱۵۹-۱۷۱-۱۷۲-
 ۱۷۳-۱۷۴-۷۵-۱۵۶-۱۷۸-
 ۱۷۹-۱۸۰-۱۸۱-۱۸۲-۱۸۳-

الشام : ۵۹
 شامينه : ۵۷
 شاه ميهنه : ۵۷
 شروان : ۱۵۹
 شوکان : ۲۰۰
 شهر ستانه : ۴۰
 صلوه : ۱۶۴
 صومعة ادريس : ۴۵
 الطائف : ۱۸-۷۰
 طبرستان : ۲۳۰
 طرق : ۲۷۱
 طوس : ۴۳-۴۶-۷۷-۷۸-
 ۷۹-۸۱-۱۱۸-۱۲۳-۱۴۴-
 ۱۴۵-۱۷۴-۱۷۹-۱۹۱-۱۹۲-
 ۲۰۱-۲۱۰-۲۲۱-۲۲۹-۲۳۶-
 ۲۴۵-۲۵۱-۴۱۶-۴۳۰
 العراق : ۱۴۰-۱۴۲-۱۸۲-
 ۱۸۳-۱۸۸-۲۳۵-۲۴۲-۴۰۰
 عرفات : ۱۶۳-۳۳۰
 عقبة رشك : ۱۷۴
 غار ابراهيم : ۲۲۳
 غزنین : ۹۰-۱۸۹-۱۹۷-۳۹۶-
 ۴۰۴-۴۰۵-۴۰۷-۴۱۷-۴۱۸-
 الفرات : ۴۰۹
 قراوه : ۴۰
 قاین : ۲۵۶-۲۵۷-

- ۱۵۷ - ۱۵۵ - ۱۵۴ - ۱۵۳ - ۱۵۲
 - ۱۶۹ - ۱۶۸ - ۱۶۱ - ۱۶۰ - ۱۵۹
 - ۱۷۴ - ۱۷۳ - ۱۷۲ - ۱۷۱ - ۱۷۰
 - ۱۹۸ - ۱۹۳ - ۱۹۱ - ۱۹۰ - ۱۷۵
 - ۲۳۴ - ۲۳۱ - ۲۲۴ - ۲۲۳ - ۲۲۲
 - ۲۴۲ - ۲۴۱ - ۲۴۰ - ۲۲۹ - ۲۲۶
 - ۲۵۰ - ۲۴۸ - ۲۴۶ - ۲۴۵ - ۲۴۳
 - ۲۶۳ - ۲۶۲ - ۲۶۱ - ۲۵۴ - ۲۵۱
 ۲۹۹ - ۲۷۰ - ۲۶۸ - ۲۶۷ - ۲۶۴
 - ۳۰۵ - ۳۰۴ - ۳۰۳ - ۳۰۲ - ۳۰۱
 - ۳۶۶ - ۳۳۸ - ۳۱۷ - ۳۱۶ - ۳۱۴
 - ۴۱۳ - ۳۹۵ - ۳۸۹ - ۲۷۳ - ۲۷۱
 ۴۲۹ - ۴۲۸ - ۴۱۴

نور بخارا : ۱۸۱

نوشاد : ۱۶۶

نوقان : ۱۳۸ - ۱۳۹ - ۱۹۱ -
 ۳۱۴ - ۲۲۰

نهاوند : ۲۰۷

نهر واله : ۱۳۳

النهر وان : ۴۰۸

هراة : ۱۳۲ - ۱۳۳ - ۱۸۹ - ۲۵۸ -
 ۳۶۳ - ۲۶۰ - ۲۵۹

همدان : ۱۴۰

الین : ۳۱۸

یلسمه : ۵۸ - ۵۹ - ۶۰

- ۱۸۹ - ۱۸۸ - ۱۸۷ - ۱۸۵ - ۱۸۴
 ۱۹۶ - ۱۹۵ - ۱۹۴ - ۱۹۱ - ۱۹۰
 - ۲۰۵ - ۲۰۴ - ۲۰۳ - ۲۰۲ - ۱۹۷
 - ۲۱۵ - ۲۱۳ - ۲۱۲ - ۲۰۹ - ۲۰۷
 - ۲۴۸ - ۲۴۵ - ۲۳۶ - ۲۳۵ - ۲۳۱
 - ۲۶۶ - ۲۶۱ - ۲۶۰ - ۲۵۵ - ۲۵۱
 - ۳۱۱ - ۳۰۹ - ۳۰۰ - ۲۹۲ - ۲۷۰
 - ۲۷۳ - ۲۷۱ - ۳۵۴ - ۳۴۳ - ۳۳۸
 - ۳۹۹ - ۲۹۸ - ۳۹۶ - ۳۹۲ - ۳۷۴
 - ۴۱۴ - ۴۰۶ - ۴۰۴ - ۴۰۱ - ۴۰۰
 - ۴۲۳ - ۴۲۲ - ۴۲۱ - ۴۱۹ - ۴۱۵
 - ۴۳۱ - ۴۳۰ - ۴۲۸ - ۴۲۷ - ۴۲۵
 ۴۳۵ - ۴۳۴ - ۴۳۳ - ۴۳۲

نسا : ۳۳ - ۴۰ - ۵۶ - ۵۸ - ۵۹

۶۰ - ۶۳ - ۱۸۰ - ۲۵۱ - ۲۶۷ - ۴۲۳

نیسا بور : ۷۷ - ۸۱ - ۸۳ - ۸۴

۸۷ - ۸۸ - ۸۹ - ۹۱ - ۹۴ - ۹۵

۹۶ - ۱۰۳ - ۱۰۴ - ۱۰۸ - ۱۱۰

۱۱۳ - ۱۱۴ - ۱۱۵ - ۱۱۶ - ۱۱۸

۱۱۹ - ۱۲۰ - ۱۲۱ - ۱۲۲ - ۱۲۳

۱۲۵ - ۱۲۶ - ۱۲۷ - ۱۲۸ - ۱۲۹

۱۳۰ - ۱۳۵ - ۱۲۷ - ۱۳۸ - ۱۳۹

۱۴۰ - ۱۴۱ - ۱۴۲ - ۱۴۳ - ۱۴۵

۱۴۷ - ۱۴۸ - ۱۴۹ - ۱۵۰ - ۱۵۱

تصويب

وقعت أثناء الطبع أخطاء نعتذر عنها وتتمدركها فيما يلي :

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٦	١٨	أبو	أبي
٥٧	١٤	بصيح	يصيح
٦٠	٦	عليان	بن عليان
٦٩	٧	علي الدستاني	عبد الله الدستاني
٨٢	١٦	باب	على باب
٨٧	٤	العصاة	العصا
٩٦	١٥	لم يزد درهم	لم يزد درهم
٩٧	١	كما	عاما
٩٩	١٩	بن المؤدب	المؤدب
١٠٤	١٢	القوانين	القوانين
	١٨	ثلاث	ثلاثة
١٠٨	١	الافكار	الإفكار
١١١	٢	عندئذ حيدا	عندئذ وحيدا
١١٦	٧	أبو	أبا
١٢١	١٨	الشمعة	ألف شمعة
١٢٤	١٢	النسبة	النسب
١٢٧	١	أمر	فأمر
١٣٥	٧	تعالى	تعال
١٣٧	١٨	يجرو	يجرو
١٤٧	١٩	الشيخ	الشيخ
١٥١	١٥	لتعجل	لتعجل

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٧	٥	واحد	واحد
١٧٥	١٤	ندويش	درويش
١٧٧	٧	مخبي	فخيا
١٧٩	١٦	ليالى	ليال
١٩٤	١٩	بن المنور	المنور
٢٠٤	١٠	لبن	بن
٢٠٩	٩	عل	عل
٢٢٦	٨	فأرا	فأرا
	١٠	أن يؤهل	يريد أن يؤهله
٢٣٣	٩	دعيسستو	دعيت و
٢٣٦	٥	تسافر	لم تسافر
٢٤٥	٦	نوبار	نوبار
٢٥٧	١	ماما	عاما
٢٧٢	١٢	بعده	بعده
٢٧٩	١٣	يغنى	يفنى
٢٨٢	١٠	أوص	أوصى
	٧	من	فى
٣٠٢	٧	خطيب كوفى	الخطيب الكوفى
٣٤٧	٥	ما يليق	مالا يليق
٣٥٦	١٤	جرت	حرت
٣٦٠	١٧	مر يد	مريدا
٣٨٠	٢	تعبدت	لعبدت
٩٣٠	١٥	أبو المظفر	أبو الوفا المظفر
٣٩٢	١٤	جديد	جديدة
٣٩٣	١٣	مارال	مازال
٣٩٤	٧	سيدىن	سيدان
٤١٥	١٢	شبح	شبح
٤٢٥	١٢	أئمة بخارى	الأئمة البخارى